أهل البيت عليهم السلام

من كتاب أعيان الشيعة

سيرة النبي الأعظم (ص) وفاطمة الزهراء (ع)

تأليف

الإمام السيد محسن الأمين العاملي

تحقيق

المجمع العالمي لأهل البيت (ع)

الجزء الأول

المجمع العالمي لأهل البيت (ع)

بيروت - لبنان

أهل البيت عليهم السلام

من كتاب أعيان الشيعة

(١)

أهل البيت عليهم السلام

من كتاب أعيان الشيعة

سيرة النبي الأعظم (ص)
وفاطمة الزهراء (ع)

تأليف

الإمام السيد محسن الأمين العاملي

تحقيق

المجمع العالمي لأهل البيت (ع)



الجزء الأول

المجمع العالمي لأهل البيت (ع)
بيروت - لبنان



اسم الكتاب: اهل البيت عليهم السلام من كتاب أعيان الشيعة (ج ١)

تاريخ وسيرة محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله وفاطمة الزهراء عليها السلام

المؤلف: الإمام السيد محسن الأمين العاملي

التحقيق: قسم التأليف والتحقيق في المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الموضوع: السيرة والتاريخ

الناشر: المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الطبعة: المحققة الأولى

تاريخ النشر: ١٤٣٢ هـ ـ ٢٠١١ م

www.ahl-ul-bayt.org
E-mail: info@ahl-ul-bayt.org

كلمة المجمع

إنّ تراث أهل البيت(عليهم السلام) الذي تحتفظ به مدرستهم الرسالية يعبّر عن مدرسة جامعة وشاملة لشتى فروع المعرفة الإسلامية، هذه المدرسة التي قدّمت للأُمّة الإسلامية وللعالم الإسلامي كبار العلماء الذين يسايرون الزمن ويصمدون أمام التحديات ويجيبون على الأسئلة والإثارات العلمية بمنهج علمي موضوعي بما يتناسب والتطورات العلمية والفكرية والثقافية لكل عصر.

والمجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام) انطلاقاً من مسؤولياته الخطيرة في الدفاع عن مبادىء الرسالة الإسلامية، يتصدى للإثارات التي تصدر من فرق واتجاهات مناوئة للإسلام مقتفياً منهج وخطىٰ أهل البيت(عليهم السلام) ومدرستهم العلمية الرشيدة التي كانت ومازالت في خط المواجهة الفكرية المستمرة.

إنّ مؤلفات علماء هذه المدرسة ذات رصيد علمي عظيم يحتكم إلى العقل والبرهان، ويتجنب التعصب المذموم، ويخاطب ذوي الاختصاص من علماء ومفكرين بما يستسيغه العقل وتقبله الفطرة الإنسانية. والتجارب التي تختزنها هذه الكتب هي فريدة في نوعها كمّاوفي غنائها.

والمجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام) يقدّم تجاربه الغنيّة في هذا المضمار لطلاب الحقيقة لينهلوا منها باستمرار وذلك من خلال البحوث والمؤلّفات التي يصنّفها العلماء المعاصرون من أتباع مدرسة أهل البيت(عليهم السلام)، أو الذين أنعم الله عليهم بالالتحاق بهذه المدرسة المباركة وما قدّموه من بحوث ومؤلفات قيّمة. فضلاً عن ما نشره وحققه من مؤلفات العلماء الأعلام من السلف الصالح، لتكون تلك البحوث والمؤلّفات منهلاً عذباً للنفوس الطالبة للحقّ والباحثة عن الحقيقة.

وقد انبرى المجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام) للمساهمة في نفض غبار التشويش والتضليل عن تاريخ الرسالة الدامي وعن تاريخ وسيرة الرسول

الأعظم صلى الله عليه وآله وآله الميامين بشكل خاص.

وخير من حقّق وكتب في هذا المضمار من فقهاء وعلماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام من المعاصرين آية الله المجدّد السيّد محسن الأمين العاملي رحمه الله، وقد بدأ بهذه السيرة العطرة والتفصيليّة في مطلع كتابه القيّم (أعيان الشيعة).

وارتأى المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام أن يقوم بتحقيقها وتخريج مصادرها وإخراجها إلى النور بشكل مستقل وبصورة موسوعة تأريخية ذات أجزاء خمسة تتضمّن عرضاً مستنداً لسيرة المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام.

وقد باشر تحقيق وتوثيق الجزء الأوّل منها فضيلة الشيخ عبدالأمير كمال وان تصدّى فضيلة السيّد يونس عگلة الموسوي لتوثيق القسم الخاص بالزهراء عليها السلام كما تصدّى الأخ حسين رفعت الصالحى لتخريج بعض نصوص هذا الجزء، وقام فضيلة الشيخ عليّ البهرامي بالتقويم الفني له.

وأما الأجزاء الأربعة التالية فقد اهتمّ بتخريجها السيّد يونس عگلة الموسوي ثم السيّد عبدالرحيم الموسوي الحصيني وأكمل ما تبقّىٰ من تخريجاتها الأخ حسين رفعت الصالحي، كما تولّى هو مقابلتها مع الأخ عزيز العقابي وقد راجعها فضيلة الشيخ عبدالأمير (كمال وان) وقام الأخ قاسم البغدادي بالصف والنضد الالكتروني وإخراجها بشكل فني. وتولّى فضيلة السيّد منذر الحكيم مراجعتها والإشراف العلمي على المشروع بأجزائه الخمسة.

فإليهم جميعاً والى كل من ساهم في انجاح هذا المشروع يقدّم المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام فائق الشكر ويتمنّىٰ لهم من الله جزيل الأجر ودوام التوفيق راجياً إسعاف المدرسة الإسلامية والأُمّة الناهضة بما تحتاجه من العلم والمعرفة والله من وراء القصد وهو ولي التوفيق.

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

المعاونية الثقافية

مقدمة التحقيق

حمداً لله المُقدَّم على كل أمرٍ ذي بال، وذكره سبحانه حريٌّ ألا يفارق الخلد والبال، كما بدانا ـ جل وعلا ـ بجميل عرفانه قبل الضراعة والابتهال إليه. فله الحمد تعالى، حمداً لا يزال دائم الإقبال، ضافي السربال، جديداً على مرّ الجديدين غير بالٍ؛ على أنّ حمده سبحانه، وشكره على نعمه، وجميل بلائه، منّة من مننه، وآلاء من آلائه، فسبحان من لا غاية لجوده ونعمائه، ولا حدّ لجلاله ولا حصر لاسمائه.

وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيّد الخلق وخاتم الأنبياء والمرسلين نبي الرحمة وقائد الخير، ومفتاح البركة، المصطفى محمد بن عبدالله ﷺ وعلى عترته الطاهرة، أئمة المسلمين وسادتهم، قرابين الحق وشهداء العدالة والصدق، وعلى البضعة الطاهرة الزهراء البتول أُمّ أبيها «صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها» جعلنا الله من المتمسّكين بهم والسائرين على نهجهم، النهج الإلهي.

أما بعدُ:

إنّ تراثنا الثري الذي وصل إلينا من سلفنا الصالح صانعي المجد، والمعبّر عن نهضة أُمتنا. وهويّتها قد ضمّ في ثناياه مالا يحصىٰ من الكنوز الفكرية والعلمية التي تتكشف لنا يوماً بعد يوم وذلك يستدعينا أن نرفع رؤوسنا باعتزاز وشعور ملؤه الفخر والكبرياء حيث إنّ تراثنا لم يكن يوماً ما، ترفاً فكرياً، بل تجلّت فيه حضارتنا ونجت من الاضمحلال.

وقد حاول الكثيرون هدم تلك الحضارة وما فيها من تراث حضاري

وفكري. ولا يخفى على كل باحث ومتتبع كثرة الصرخات التي أطلقها أصحاب الأقلام المأجورة من الذين يريدون طمس تراثنا من خلال التلاعب بالتاريخ و تحريف الحقائق لمصالح شخصية وأحقاد قديمة.

ولم يكن هذا العداء وليد اللحظة، بل منذ الفجر الأوّل للرسالة التي جاء بها خير البشر أبو القاسم النبيّ الأُمي «صلوات الله عليه وعلى آله» فقد تصدّى أئمة الكفر بقيادة أبي جهل وأبي سفيان والملأ من قريش في مكة وحاولوا بكلّ قوّة إيقاف الدعوة واستخدام كل أشكال الحرب على صاحب الرسالة وأتباعه، من تعذيب جسدي ومعنوي وحصار اقتصادي، فلم تنجح هذه المحاولات وباءت بالفشل الذريع فتوجّهوا لأُسلوب جديد، وهو الحرب الإعلامية. فبدأوا باتهامه بالسحر والجنون والكذب، بأُسلوب يندى له الجبين بكل ما اوتوا من حول وقوّة إلا أنّ النبي الكريم صَمَدَ وصبر و تحمّل كل أذىٰ وجاهدهم جهاداً عظيماً لينشر النور الربّاني والرسالة السماوية بالكلمة الطيّبة وجادلهم بالتي هي أحسن، وقد نصره ثلة من المؤمنين وعلى رأسهم كافله عمّه أبو طالب عليه السلام والذي ذبّ عنه بكل ما يملك وهو سيد البطحاء وكذلك أولاده وبمقدمتهم فاديه بالنفس، البائت على فراشه، والفدائي الأوّل في الإسلام ذلك الذي تربّى في حجره والذي نهل من نبع الإسلام زوج البتول وأمير المؤمنين والد الحسنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

وبدأ النور الإلهي يأخذ طريقه و تألقه في طمس ظلمات الجاهلية، ودحر الشرك وأهله على رغم العقبات التي وضعها له أئمة الكفر.

وأخيراً انتصر صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله ونشر الإسلام في أنحاء الجزيرة إلّا إنّ الإيمان لم يدخل في قلوب المرضىٰ الذين كانوا يريدون هدم ما بناه صلى الله عليه وآله . فلم

يدخلوا للإسلام إلّا تربّصاً به، وقد نبّه الرسول الخاتمﷺ الأُمّة الإسلامية وبصّرها بمن يتربّص بالإسلام الدوائر ويحوك المؤامرات للإطاحة به.

لقد تصارعت الإرادتان: إرادة السماء المتمثّلة في هَدْي الرسول الأعظمﷺ وتخطيطه الحكيم للإنسانية التي تشرّفت بهذا النور وتعطّرت بشذاه وتسامت بالإنبهار به والانعتاق من خلاله، وإرادة الطغاة الذين وقفوا بوجه صاحب الرسالة ثم اضطرّوا لإعلان الإسلام، ولكنهم بدأوا يجتهدون في تفسير الرسالة، كما أخذوا يجتهدون في تطبيقها ويتغافلون عن خططه الرساليّة مبتدعين خططاً تتكفّل في نهاية المطاف وأد هذا النور وتقف أمام تألّقه وجماله الساحر وانتشاره، وذلك حين يُمنع الصحابة من نشر تراثه ومن تدوين سنّته من خلال حظر حكومي رسمي يأخذ بالأعناق فيقف أمام نشاط كل صحابي رأى الرسول الأعظمﷺ وسمع حديثه وانصاع إلى ثقافته وتشرّفت نفسه بروحه.

وإذا دخلتَ إلى أعماق هذا التاريخ الذي حظر تدوينه أوّلاً ثم أطلق سراح التدوين بتدوين يتكفّل تغييب جملة من الحقائق وتضييعها في كم هائل من الأخبار المليئة بالهفوات وأنواع من التزوير والتحوير لرأيت العجب العجاب ولرأيت المتناقضات الصارخة من الأباطيل وهي تقف على طريق القارئ لسيرة سيّد المرسلين فتختلط لديه الأوراق بحيث تتبلبل عندها العقول والنفوس. وتتحقّق عند ذلك جملة من الغايات والأهداف التي أدّت بادىء ذي بدء إلى حظر تدوين تراث الرسول الأعظمﷺ وسنته وحديثه وثقافته وحالت دون نقلها بأمانة كاملة إلى كل الأجيال.

إنّ هذا المأزق الخانق للحقّ الذي حاول أن يخنق الرسالة في مهدها لهو

مأزق خطير على الأُمة وعلى الأجيال وعلى النفوس التي تعشق الحقّ وتهواه وتصبو إليه ولا تعرف وطناً ولا حدّاً ولا قومية ولا أنانية وهو مأزق يكلّفها ثمناً باهضاً تضطرّ إلى دفعه لتصل إلى شاطىء الأمان، أمان الهداية وأمان الإهتداء بالنجوم الهادية إلى الحقّ المبين.

إنّها النجوم التي سطعت في دنيا الإسلام بنصّ من سيّد المرسلين حين قال: «النجوم أمان لأهل الأرض وأهل بيتي أمان لأُمتي من الضلال»[١] ، وحين اعتبرهم كأنّهم «سفينة نوح التي من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق»[٢] .

وقد غرق وتماهىٰ في غياهب الظلمات خلق عظيم نتيجة التعتيم الإعلامي المدروس والمبرمج للحيلولة دون إشراق أهل بيت الرسالة.

ولا زالت هذه الخطّة التي عبّر عنها الذكر الحكيم بالشجرة الخبيثة تعمل عملها وتُقطَف ثمارها في عالمنا اليوم وإن كانت هي في نهاية المطاف لا تثبت على شيء لأنها باطل زاهق فمالها من قرار.

وتأتي تضحيات النخبة من أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله لتكون نبراساً وضماناً حقيقياً ورصيداً معتمداً في التخطيط الربّاني النبوي لنشر ثقافة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وتراث رسالته الخالدة رغم كل السدود ورغم أنواع الحظر والأذى

---

(١) انظر نصوص هذا الحديث في المستدرك للحاكم ٣: ١٤٩ (باب مناقب أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله)، الصواعق المحرقة: ١٥٢ (باب الآيات الواردة في حقّ أهل البيت عليهم السلام ،كنز العمّال ١٢: ١٠٢ ح٣٤١٨٩، سُبل الهدىٰ والرشاد ١١: ٧(جماع أبواب بعض فضائل الرسول وآل بيته / باب ٢)، ينابيع المودّة للقندوزي ١: ٧١ـ ٧٢ / باب ٣، ح١ ـ ٧ وج٢: ٤٤٢ ـ ٤٤٣ ح٢١٦ ـ ٢١٩.

(٢) انظر نصوص حديث: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح...» في كلٍّ من المعجم الصغير للطبري ١: ١٣٩، المستدرك ٢: ٣٤٣ و ٣: ١٥١، عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ٢١١ ط. دار الكتب المصرية بالقاهرة، مسند أحمد ٥: ٩٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٧٣، كنوز الحقّ للمناوي: ١١٩.

وصنوف التصفية الجسديّة التي طالت كل واحد من هؤلاء الأُمناء على الرسالة والأُمّة جيلاً بعد جيل وطبقة بعد طبقة من الآباء والأبناء والأحفاد حتى يومنا هذا.

فما هو هذا التراث المغيَّب في حقل التاريخ الرسالي؟ ولا سيّما فيما يرتبط بعصر سيّد المرسلين الذي هو مبدأ العصور وأساسها وسيّدها.

وقد جاءت محاولة العلّامة الكبير والمؤرّخ القدير آية الله السيّد محسن الأمين العاملي(رحمه الله)[١] لتكشف النقاب عن عصر سيّد المرسلين وترسم ملامحه وبعض بصماته من خلال مصادر أمينة ووثائق معتمدة وأُخرى محتملة حاول المؤرخون القدامى والجدد تجاهلها والتغافل عنها. وهي قد تكون من خلال جمعها وتقييمها وتحليلها قادرة على رسم ما حاولوا محوه وحذفه وتحويره.

وللبحث عن هذه المأساة التاريخية عليك بمراجعة الكتاب القيّم من تاريخ تدوين الحديث[٢] وتجد تحليلها أيضاً في مقال: منع تدوين السنّة رأي أم رواية[٣].

ورغم كل العوائق والسدود التي لازالت تؤسسها وتفتعلها المناهج والمبادىء الهدّامة التي تحاول أن تخترق ثقافتنا الإسلامية وتَستغلّ الأُمّة المسلمة لصالح أهدافها الأثيمة ـ لأنّها تستهدف الرسالة الإسلامية قبل كل شيء كما تستهدف الأُمّة الإسلامية بوجودها العالمي وحضورها الفاعل في

---

(١) في مطلع كتابه الكبير والمعروف بـ «أعيان الشيعة».

(٢) للأُستاذ الباحث الفاضل الشيخ محمّد هادي اليوسفي الغروي ـ نشر مجمع الفكر الإسلامي.

(٣) أُنظر موسوعة الإمام السيد عبدالحسين شرف الدين في المقدّمة التي قدّمها السيّد منذر الحكيم لكتاب «أبو هريرة». طبعة دار المؤرّخ العربي.

صنع الأحداث والقرارات الدولية رغم تشتتها وضعفها وزرع دسائس التفرقة فيما بينها من قبل أعدائها، كما تستهدف العقيدة والثقافة الإسلامية الأصيلة، وتستهدف وحدة الأُمّة وريادتها الثقافية والمعرفية للعالم الإنساني - لكنّها لا تكاد تفلح في نهاية المسار.

إنّ المخطط الخبيث لمصادرة جهود الأنبياء والمرسلين هو مخطط التحريف الذي قال عنه أمين الوحي: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[١] .

ومخطط التغييب والتحريف هذا هو مخطط واحد على مدى القرون والأجيال حيث يقف الأنبياء في وجه أهواء أصحاب الدنيا ويصمدون بكل وجودهم وقدراتهم أمام حرصهم ودناءتهم، وقد أُبتليت الرسالات السماوية عامّة بهذه المحنة، وعلى أساسها توالت الشرائع لتقوم بدور التوعية والترميم لما تقوم به هذه المخططات الخبيثة من تضييع وتمييع وسدل للستار على الحقائق الربّانية.

ولم تسلم رسالة خاتم المرسلين من هذه المحنة العامّة التي تعدّ سُنّة إلهيّة شاملة وإن كانت تستتبع حلولاً ربّانية متناغمة مع عظمة المحنة وعمق المصاب.

ومن هنا زوّدت الشريعة الإسلامية ومصادرها المعرفية بالضمانات اللازمة لتدارك هذا الخطر الفادح والمشكلة الحقيقية التي تعترض طريق الرسالة الثائرة في وجه الطغيان والطغاة.

فبالأمس كانت جهود أهل الكتاب تقوم بالتعتيم على سيرة صاحب آخر

(١) النساء: ٤٦، والمائدة: ١١.

الكتب السماوية ومنقذ الإنسانية من براثن الشرك والجهل والجاهلية، وقد لعبت دوراً ناجحاً في التأثير على أعمدة الحكم فيما بعد النبيّ ﷺ للتعتيم على سنّة النبيّ الأعظم ﷺ وسيرته، بعد عجزها عن التعتيم على معجزته الخالدة والتلاعب بكتابه المعجز الذي ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾[١] .

وهذا التلاعب قد أدّى إلى انتكاسة حقيقية على المدى القريب لحركة الرسالة ولكنه لا يعتبر انتكاسة على المدى البعيد لوجود ضمانات كافية لفضح هذا التغييب والتعتيم، ولوجود عناصر ذات قوة حقيقيّة في طبيعة هذا الكتاب الإلهي الخالد وحَمَلة هذا الكتاب المجيد. وذلك لأن هذا التلاعب بالحقائق ومحاولة تغييبها قد كلّف الأمّة الرساليّة ـ ولا سيّما حَمَلَة القرآن العظيم وأهل الذكر المجيد ـ ثمناً باهضاً جداً من التضحيات الرسالية ولكنها لمّا كانت رخيصة في ذات الله فقد استطاعت أن تقف أمام العتوّ والطغيان المستشري الذي طال كل مرافق الحياة الاجتماعية ولا سيّما الثقافية والتربويّة للمجتمع الإسلامي بعد رسول الله ﷺ، فهي تضحيات جليلة استطاعت أن تقف أمام السيل الجارف الذي صنعته الأيادي المعادية لحضور الإسلام وفاعليّته في الحياة الإنسانية لأنّه يقف بكل قوّة أمام عتوّها وجبروتها وخيلائها كما عبّر عن ذلك العتوّ والخيلاء بعض صحابة الرسول الأعظم ﷺ يوم بدر[٢] .

---

(١) فصّلت: ٤٢.

(٢) أُنظر ما قاله بعض الصحابة يوم بدر لرسول الله ﷺ حين استشار الرسول أصحابه في مناجزة قريش: يا رسول الله، إنّها قريش وعزّها والله ما ذلّت منذ عزّت، ولا آمنت منذ كفرت، والله لا تسلم عزّها أبداً، ولتقاتلنك فاتهب لذلك أهبّته وأعد عدّته. راجع شرح نهج البلاغة ١٤: ١١٢، الدرّ المنثور، السيوطي ٣: ١٦٦ .

إنّ خيلاء قريش قد انتهى إلى أن تسيطر على مقاليد الحكم بعد الرسول ﷺ وتقف حائلاً حقيقيّاً دون انتشار آثار الرسول وسنّته وثقافته إلّا بمقدار ما يتناغم مع أهدافها السلطوية ويكون وسيلةً وسبباً لإحكام سيطرتها على العالم الإسلامي تلك السيطرة التي استمرّت حتى عصر الاختراق الثقافي والاستعمار السياسي والعسكري لبلاد الإسلام والأُمّة الإسلاميّة قبل قرن أو أكثر.

إنّ هذه الرحلة القاسية والطويلة قد استنفذت أغراضها وقواها اليوم لأنّ الأُمّة الإسلامية اليوم تعيش الصحوة التي تعطيها القوّة والصمود لاستحصال ما ضُيِّع خلال كل تلك القرون واستنقاذ كلّ ما أُهدر من طاقات وقوى وقابليات كانت كفيلة بأن تجعل الأُمّة الإسلاميّة أُمّة رائدة لا تجاريها أُمّة في القيم والمُثل، والحرص على تكامل الإنسان وتساميه باتجاه الخير والحقّ المطلق الحقيقي والتمسّك به من أجل الوصول إليه والحياة في ظلّه.

رسالة المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

وحين أُسس المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام كان لزاماً عليه أن يقوم بدور رسالي في هذا المضمار. وقد تصدى لإحياء الإنجاز العلمي التاريخي الذي حبّرته يراعه آية الله المجدد السيّد محسن الأمين العاملي قدس سره في مطلع كتابه القيّم (أعيان الشيعة) وكلّف فضيلة السيّد عبدالرحيم الموسوي بمهمّة تحقيقه وتوثيق نصوصه وقد شاركه في هذا المهم الأخ الفاضل السيّد يونس الموسوي تحت إشراف الباحث فضيلة الأُستاذ السيّد منذر الحيكم وتمّ ما أراده المجمع بإذن الله تعالى وتوفيقه وقد أخرجه على شكل موسوعة

تأريخية ذات أجزاء خمسة تحتوي على أهل بيت الرسالة وبما فيهم سيّدهم الرسول الأعظمﷺ ومهجة قلبه الزهراء فاطمةعليها السلام .

وقد طبع القسم الأكبر منها في مجلدين من قبل دار التعارف ببيروت من دون توثيق للنصوص؛ سدّاً للحاجة في وقتها. وقد أضفنا إليهما مجلداً يختصّ بسيرة خاتم الأنبياءﷺ وبضعته الزهراءعليها السلام ووثّقت النصوص جميعاً حسب ما تيسّر من المصادر التاريخية المتوفرة بأيدينا فالله درّ الباحثين الذين شاركوا في إخراج هذه الحلقات النيّرة إلى قرّاءنا الأعزّاء وجيلنا الطليعي.

منهجية التحقيق

١ ـ تم الاعتماد في تحقيق هذا الكتاب على النسخ المطبوعة في عصر المؤلف وبعده تحت اشراف نجله السيّد حسن الأمينرحمه الله وصححنا ما وجدناه فيها من أخطاء مطبعية بالاستناد الى المصادر التي وثقنا بها نصوص الكتاب. وقمنا بتحديد ما ذكره المصنف في حاشيته على الكتاب لئلا تختلط بالهوامش الجديدة في هذه الطبعة المحققة.

٢ ـ استخراج الآيات القرآنية.

٣ ـ استخراج الأحاديث النبويّة الشريفة، وأحاديث أئمة أهل البيتعليهم السلام من طرق الخاصة والعامة ومن مصادرها الرئيسية إلّا تلك التي لم تتوفر فاستخرجت بواسطة مصادر أُخرى.

٤ ـ استخراج الوقائع والحوادث التاريخية من المصادر الرئيسية وبيان ما فيها من تفاوت؛ وإن كان التفاوت يؤدي إلى خلل فقد ورد توضيحه وتثبيت الاختلاف في الهامش، وإن كان لا يخلّ بالمعنى اكتفي بالإشارة إليه.

٥ ـ استخراج معاني الكلمات التي هي بحاجة الى التفسير من المعاجم اللغوية وكتب اللغة الرئيسية.

٦ ـ تنظيم فهارس فنية عامّة.

نسأله تعالى دوام التوفيق لكلّ من ساهم في انجاز هذا المشروع الكبير وللمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام والقائمين عليه لما بذلوه من جهود مشكورة ومثمرة في إعلاء كلمة الحق.

والله الموفق للصواب.

لجنة التحقيق

١٧ ربيع المولود ١٤٢٨ هـ

نبذة من حياة السيّد محسن الأمين العاملي

هو السيد محسن بن السيد عبدالكريم بن السيد علي بن السيد محمدالأمين بن السيد موسى الحسيني العاملي الشقرائي، الدمشقي* .

وينتهي نسبه إلى زيد بن علي بن الحسين عليه السلام كما ذكره في أعيان الشيعة(١) .

ولادته

ولد في شقراء (التابعة لناحية هونين من أعمال مرجعيون) سنة (١٢٨٤ هـ الموافق لعام ١٨٦٥ م) .

أُسرته الكريمة

قال رحمه الله: الذي سمعناه متواتراً من شيوخ العشيرة أن الأصل من الحلّة جاء أحد الأجداد منها إلى جبل عامل بطلب من أهلها ليكون مرجعاً دينياً ومرشداً.

كانت العشيرة قبل هذا الوقت تُعرف بقشاقيش أو قشاقش ولا يعرف

(*) معجم المطبوعات العربية ١: ٧٧٥، تكملة أمل الآمل: ٣٢٨، معارف الرجال ٢: ١٨٤ / رقم ٣٠١، علماء معاصرين: ٢٣٥ / رقم ١٥، أعيان الشيعة ١٠: ٣٣٣، ريحانة الأدب ١: ١٨٣، مصفى المقال: ٣٨٥، الأعلام ٥: ٨٧، شعراء الغري ٧: ٢٥٥، معجم رجال الفكر والأدب: ١٧٣.

(١) أعيان الشيعة ١٠: ٣٣٤.

ذلك نسبة إلى أي شيء[١].

والد المؤلف وأُمه وأجداده

هو السيّد عبدالكريم بن السيّد علي وكان تقيّاً نقياً صالحاً صوّاماً قوّاماً طيب السريرة بكّاء من خشية الله تعالى حج بيت الله الحرام وزار بيت المقدس وزار المشاهد المقدسة في العراق، وكان عازماً على زيارة مشهد الرضاعليه السلام فأشار عليه ابن عمّه السيّد كاظم أن ينفق ما يريد إنفاقه في ذلك السفر على طلبة العلم من أبناء إخوته فَقَبِل إشارته، وعاد من العراق وبعد هجرته إلى العراق لطلب العلم بمدة هاجر إليها مع باقي العائلة ودفن في النجف الأشرف في الصحن الحيدري الشريف سنة (١٣١٥ هـ).

وأُمّه: هي ابنة العالم الصالح الشيخ محمد حسين ملحة الميسي، وكانت من فضليات النساء عاقلة ذكية مدبّرة عابدة مواظبة على الأوراد والأدعية توفيت في حدود سنة (١٣٠٠ هـ) وكان لها وللوالد الفضل العظيم في تربية المؤلف وتفريغه لطلب العلم وحثّه على ذلك ومراقبته في سن الطفولة.

وعن أجداده قال: أما جدّ المؤلف لأبيه فهو السيّد علي كان فقيهاً رئيساً ذا شهرة واسعة.

أما جّده لأُمّه الشيخ محمّد حسين فلحة الميسي من آل رزق فكان عالماً فاضلاً صالحاً ورعاً تقياً شاعراً.

---

(١) المصدر السابق.

نشأته ومسيرته العلمية

تربّى السيّد في كنف والديه في بلدة شقراء بجبل عامل، وقد اهتم الأبوان بهذا الطفل اهتماماً بالغاً حيث تولت الأُم متابعة دورسه في القرآن وتتلمذ فيها على يد السيد محمّد حسين بن عبدالله الأمين العاملي، والسيّد جواد مرتضىٰ، والسيد نجيب آل فضل الله الحسيني العيناتي، وبعد أن أتقن فنون المقدمات قرر السيّد السفر إلى النجف محطّ رحال العلماء، والواحة الغنّاء، ومدينة الأُدباء، تلك المدينة التي تُقصد ببركات مرقد إمام المتقين وقائد الغرّ المحجلين وسيد الوصيّين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام . وذلك في عام (١٣٠٨ هـ) وما إن وصلها حتى حضر عند السيد علي بن السيّد محمود الأمين العاملي، والسيد أحمد الكربلائي، والشيخ محمّد باقر النجم آبادي، والشيخ فتح الله المعروف بشيخ الشريعة الإصفهاني، وهم أساتذته في السطح العالي من الحوزة العلمية وبعد أن تجاوز هذه المرحلة بهمة عالية وامتياز بدأ يحضر الأبحاث العالية في الفقه والأصول (البحث الخارج) ـ فقد حضر في الفقه درس الشيخ محمد طه آل نجف، وآقا رضا الهمداني. وفي الأُصول حضر درس الشيخ محمّد كاظم الخراساني.

وكانت مدة إقامته في النجف عشرة سنوات ونصف السنة.

وكان السيّد قدس سره في هذه الفترة يحمل هموم البلاد الإسلامية التي ترزح تحت سيطرة الاستعمار البغيض من جهة وسلاطين الكراسي من جهة أُخرى. وبسبب تفهمه للوضع الذي عاصره قرر العودة إلى دمشق.

وبمجرد وصوله إلى دمشق، عمد إلى إنشاء مدارس عديدة للجنسين، ووضع لها مناهج تجديدية تلائم حاجات العصر الذي هم فيه وتخدم المجتمع الإسلامي المعاصر، وكتب لها بنفسه كُتباً حديثة سهلة التناول، ولم

يكتفِ بذلك بل تصدّى للتدريس والافتاء وفضّ النزاعات، وإلقاء المواعظ في المجالس والمجتمعات آنذاك.

وبدأ بتجديد المنبر الحسيني، وتهذيب الشعائر، ولم يكتفِ في دعوته الإصلاحية بالوعظ والإرشاد. بل أنشأ جيلاً جديداً من الخطباء يحملون لواء الإصلاح بعده، وأصدر كُتباً خاصة بتاريخ الحسين عليه السلام ونهضته الكبرى في كربلاء، وعرضها عرضاً صحيحاً كي يستطيع الخطباء اتخاذها مصدراً على المنابر الحسينية.

أما في الميدان الاجتماعي، فقد كان في طليعة المُنادين إلى التضامن مع مختلف الطوائف والمذاهب، وإلى التسامح ونبذ الضغائن والأحقاد، وكان يناوىء الاستعمار بكل أنواعه، ويحثّ على الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمة الحق والدفاع عن كرامة المسلمين والوطن.

وامتاز السيّد بتحرره من العصبية والجمود، وهمّته العالية وتفانيه في البحث العلمي، وبسبب همّته العالية وجدّه بالبحث ألّف كُتباً في شتى أنواع العلوم، وأصبحت كتبه اليوم مراجع مهمّة يعتمد عليها المحقّقون والكتّاب في السيرة والتاريخ والكلام.

واكتفينا بهذا القدر، لأنّا لو أردنا أن نتعرّض لجميع محطّات حياته قدس سره لطال بنا المقام واحتجنا لمؤلف كبير كي يسع سيرته العلمية منذ نعومة أظافره لحين وفاته.

ولمزيد من التفصيل حول أسفاره وأخباره راجع أعيان الشيعة الجزء العاشر حيث ترجم لنفسه منذ نعومة أظافره إلى أن قال: «لقد وهن العظم منّي واشتعل الرأس شيباً»، وذكر فيها أساتذته ومشايخه وجميع ما صادفه من صعوبات خلال مسيرته العلمية، والاجتماعية سواء في لبنان أو العراق أو الشام.

قالوا عنه

١ ـ العلّامة آقا بزرك الطهراني ﵀

قال في موسوعته الكبيرة (الذريعة) ج٢: ٢٤٨ تحت رقم ٩٩٦: (أعيان الشيعة) الحاكي اسمه عن معناه هو الكتاب الجليل الذي يعدّ من حسنات العصر الحاضر، لمؤلفه العلّامة الشهير السيّد محسن الأمين العاملي نزيل الشام واعتمده آقابزرك كمصدر من المصادر الرئيسية في موسوعته.

٢ ـ العلّامة السيّد آية الله شهاب الدين الحسيني المرعشي ﵀

قال في مقدمته على كتاب (طرائف المقال) للسيّد البروجردي: رسالة الطرائف في ترجمة صاحب الطرائف، إلى أن قال في نهاية الرسالة: مصادر تأليف هذ الرسالة الوجيزة كتاب طرائف المقالنفس المؤلف، وأكثر ما في هذه الرسالة اقتبسناه من هذا الكتاب وكتاب أعيان الشيعة للعلّامة آية الله السيّد محسن الأمين العاملي من مشايخنا في الرواية.

٣ ـ العلّامة الشيخ محمّد مهدي شمس الدين ﵀

قال في تثبيت المصادر لكتابه أنصار الحسين: أعيان الشيعة للسيّد محسن الأمين وينبغي أن ننوه بأن السيّد محسن الأمين هو الوحيد من بين المؤلفين في الموضوع ـ يعني أخبار الطفّ ـ الذي استقصى أسماء الشهداء من الهاشميين وغيرهم.

٤ ـ الزركلي

قال في الأعلام: محسن الأمين الدمشقي، آخر مجتهدي الشيعة الإمامية في بلاد الشام، له شعر واشتغال بالتراجم، ولد في قرية شقراء بجبل عامل. وعمل في التدريس والوعظ ثم الافتاء، وتوفي في دمشق، كان مكثراً من التأليف يجمع ما تفرّق من آثار الإمامية وسيرهم، ويؤلف في فقههم، ويذبّ عنهم، ويناقش ويُهاجم.

٥ ـ آية الله الشيخ جعفر السبحاني (دام ظله)

قال في طبقات الفقهاء القرن الرابع عشر: محسن عبدالكريم الأمين، كان من مشاهير علماء عصره، فقيهاً إمامياً، أديباً شاعراً، مؤلفاً قديراً، ذا ثقافة واسعة وعقلية متفتّحة.

أساتذته

أ ـ في جبل عامل

١ ـ السيّد محمّد حسين عبدالله، وهو ابن عمّه وأوّل مشايخه، درس عنده النحو والصرف.

٢ ـ السيّد جواد مرتضى، درس عنده القطر والألفية وشيئاً من المغني.

٣ ـ السيّد نجيب الدين فضل الله العاملي العيناتي، ودرس عنده المنطق والأُصول.

ب ـ النجف الأشرف

١ ـ السيّد علي بن محمود وهو ابن عمّه، قرأ عليه شرح اللّمعة.

٢ ـ الشيخ محمّد باقر النجم آبادي، قرأ عليه القوانين والرسائل.

٣ ـ الشيخ ملّا فتح الله الإصفهاني، قرأ عليه أكثر الرسائل في مرحلة السطوح.

٤ ـ الشيخ ملا كاظم الخراساني صاحب الكفاية، قرأ عليه دورة الأُصول خارجاً.

٥ ـ الشيخ الآقا رضا الهمداني صاحب مصباح الفقيه، قرأ عليه في الفقه خارجاً في كتابه مصباح الفقيه.

٦ ـ الشيخ محمد طه نجف، قرأ عليه في الفقه خارجاً.

٧ ـ السيّد أحمد الكربلائي.

تلامذته

١ ـ السيّد حسن بن محمود وهو ابن عمّه.

٢ ـ السيّد مهدي بن حسن آل إبراهيم العاملي.

٣ ـ الشيخ منير عسيران.

٤ ـ السيّد أمين بن عليّ بن أحمد الحسيني العاملي.

٥ ـ الشيخ خليل الصوري.

٦ ـ الشيخ عليّ الصوري.

٧ ـ الشيخ عليّ الجمال الدمشقي.

٨ ـ الشيخ عليّ بن محمّد عروة العاملي الحداثي.

وهؤلاء ثلة من طلابه ولا يمكن لنا حصر طلابه .

مؤلفاته

١ ـ أبو تمام الطائي.
٢ ـ أبو فراس الحمداني.
٣ ـ أحكام الأموات.
٤ ـ أُرجوزة في النكاح.
٥ ـ إرشاد الجهال إلى مسائل الحرام والحلال.
٦ ـ أساس الشريعة في الفقه الاستدلالي.
٧ ـ أصدق الأخبار في قصة الأخذ بالثأر.
٨ ـ أعيان الشيعة.
٩ ـ إقناع اللائم على إقامة المآتم.
١٠ ـ البحر الزخار في شرح أحاديث الأئمة الأطهار.
١١ ـ البرهان على وجود صاحب الزمان عليه السلام.
١٢ ـ تاريخ جبل عامل.
١٣ ـ تحفة الأحباب في آداب الطعام والشراب.
١٤ ـ التقليد آفة العقول.
١٥ ـ التنزيه لأعمال التشبيه.
١٦ ـ جناح الناهض إلى تعلم الفرائض.
١٧ ـ جوابات المسائل الدمشقية.
١٨ ـ جوابات المسائل الصافيتية.
١٩ ـ جوابات المسائل العراقية.
٢٠ ـ حاشية الغرر والدرر.
٢١ ـ حاشية القوانين.
٢٢ ـ حاشية المطول.
٢٣ ـ حاشية مفتاح الفلاح.
٢٤ ـ حذف الفضول عن علم الأُصول.
٢٥ ـ الحصون المنيعة في رد ما كتبه صاحب المنار في حقّ الشيعة.
٢٦ ـ حق اليقين.
٢٧ ـ حواشي العروة الوثقىٰ.
٢٨ ـ حواشي أمالي الطوسي.
٢٩ ـ حواشي المعالم.
٣٠ ـ الدر الثمين.
٣١ ـ الدر النضيد في مراثي السيد الشهيد.
٣٢ ـ درر العقود في حكم زوجة الغائب والمفقود.
٣٣ ـ الدرر المنتقاة لأجل المحفوظات.

٣٤ ـ الدرة البهية في تطبيق الموازين الشرعية.
٣٥ ـ دروس الحيض والاستحاضة والنفاس.
٣٦ ـ الدروس الدينية.
٣٧ ـ الرحلات.
٣٨ ـ الرحيق المختوم في المنثور والمنظوم.
٣٩ ـ رسالة الرد والنقود.
٤٠ ـ الروض الأريض في أحكام تصرفات المريض.
٤١ ـ سفينة الخائض في بحر الفرائض ـ مختصر من كشف الغامض.
٤٢ ـ شرح الإيساغوجي.
٤٣ ـ شرح التبصرة.
٤٤ ـ الصحيفة السجادية الخامسة.
٤٥ ـ صفوة الصفوة في علم النحو.
٤٦ ـ عجائب أحكام أميرالمؤمنين.
٤٧ ـ عين اليقين في التأليف بين المسلمين.
٤٨ ـ قصة المولد النبوي.
٤٩ ـ القول السديد في الاجتهاد والتقليد.
٥٠ ـ كشاف القناع في أحكام الرضاع.
٥١ ـ كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبدالوهاب.
٥٢ ـ كشف الغامض في أحكام الفرائض.
٥٣ ـ لواعج الأشجان في مقتل الحسين عليه السلام.
٥٤ ـ المجالس السنية في مناقب ومصائب العترة
٥٥ ـ معادن الجواهر ونزهة الخواطر.
٥٦ ـ المفاخرات.
٥٧ ـ مفتاح الجنات.
٥٨ ـ مناسك الحج وأعمال المدينة.
٥٩ ـ المنيف في علم التصريف.
٦٠ ـ نقض الوشيعة.

وله ؒ كتب ورسائل أخرى تركنا ذكرها للاختصار[١].

---

(١) انظر أعيان الشيعة الجزء ١٠.

وفاته ومدفنه

بعد معاناة المرض لأكثر من عامين توفي﷫ في منتصف ليلة الأحد ٤ رجب سنة (١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢م) في بيروت ونُقل جثمانه بتشييع عظيم إلى دمشق حيث دفن بقرية الست[١]؛ ففي الليالي الأخيرة لمرضه﷫ أعلن الأطباء أنّ كل شيء انتهى، وأنّ هذا القلب يصمد للموت صموداً عجيباً يدهش الأطباء، وبعد أربع وعشرين ساعة من الاحتضار سكن القلب الحنون، ليرحل من هذه الدنيا ليستقر هناك عند مليك مقتدر بعد أن قام بتلك الخدمات العظيمة للإسلام.. فنسأل الله العليّ القدير أن يجعل مثواه في جنات الفردوس مع محمّد وآل محمّد صلوات الله عليهم وأن يكونوا شفعاءه.

من قصيدة الحاج عبدالحسين الأزري يرثي فيها السيّد محسن الأمين العاملي﷫

أيها المصلح العظيم وداعاً	مثلما ودّع الربيع الغماما
شيّعتك القلوب حرّى وكادت	من شجاها أن تستحيل ضراما
ومشت خلفك الجموع كسيل	ضاق عرض الفضاء فيه ازدحاما
غلب الصمت والخشوع عليها	ومن الصمت ما يفوق الكلاما
كان يحوي الإباء نعشك والاخلا	ص والزهد والتقى والذماما
رفعوه أمامهم كلواء	أو كما في الصلاة كنت الإماما
طوقوه كأنه الحجر الأسود	حفّ الحجيج فيه استلاما
بعيون من الفجيعة عبرى	ودموع كمزنة تتهامى
لو أعالي لبنان يشعرن فيه	ساعة اجتاز لانحنين احتراما
يا أبا السادة الأماجد عذراً	ولو أن الوفا يراني ملاما[٢]

(١) أنظر أعيان الشيعة ١٠: ٤٢٩.

(٢) أعيان الشيعة ١٠: ٤٤٢.

سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله

[illegible]

وتتضمن سيرته الشريفة:

نسبه الشريف، وحمله المبارك، ومولده الميمون، ورضاعه، وكفالة عبدالمطلب إيّاه، وتزوّجه بخديجة، وصفته في خلقه وحليته وأخلاقه وأطواره وخصائصه، وأزواجه وأولاده وأعمامه وعمّاته وبوّابه وشعراؤه ومؤذنيه وسلاحه ودوابه ونقش خاتمه وكتّابه، والمبعث وإجمال الشريعة الإسلامية ومحاسنها، والهجرة الأُولى والثانية الى الحبشة، وقصة الغرانيق، والأعمى، وحصار الشعب، والإسراء والمعراج، والعقبة الأُولى والعقبة الثانية، والمؤاخاة بين أصحابه، والهجرة الى المدينة، ووفادات العرب عليه وكتبه الى الملوك، وحروبه وغزواته وسراياه، وحجة الوداع وحديث الغدير، ووفاته وخبر السقيفة، وبعض خطبه وحِكَمه القصيرة وجوامع كلماته في الأحكام الشرعية والطب، وبعض أدعيته.

نسبه الشريف

هو محمّد بن عبدالله بن عبدالمطلب، واسمه شيبة الحمد، بن هاشم واسمه عمرو، بن عبدمناف واسمه المغيرة، بن قصي واسمه زيد، بن كلاب واسمه حكيم بن مُرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر واسمه قيس بن كنانة بن خزيمة بن مدركة واسمه عامر، بن إلياس، بن مضر

واسمه عمرو بن نزار بن معد بن عدنان[١].

ونسبه ﷺ : الى عدنان متفق عليه وبعد عدنان فيه اختلاف كثير[٢]، وكنيته أبوالقاسم[٣].

وأُمّه: آمنة بنت وهب بن عبدمناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب[٤]، وأُمها: برة بنت أسد بن عبدالعزّى[٥]، وكان وهب سيّد بني زهرة[٦] خطبها لعبدالله وزوّجه بها أبوه عبدالمطلب[٧]، وكان سن عبدالله يومئذٍ أربعاً وعشرين سنة[٨].

حمله المُبارك

حملت به أُمه أيام التشريق[٩][١٠]، قالت: فما وجدت له مشقة حتى وضعته[١١]، ثم خرج أبوه عبدالله وأُمّه حامل به في تجارة له الى الشام، فلما عاد نزل على أخواله بني النجار بالمدينة فمرض هناك ومات ورسول الله

(١) الطبقات الكبرى ١: ٥٥ ـ ٥٦، المناقب لابن شهرآشوب ١: ١٥٤ ـ ١٥٥، بحار الأنوار ١٥: ١٠٤ ـ ١٠٧.

(٢) عيون الأثر ١: ٢٦، المناقب لابن شهرآشوب ١: ١٥٥، بحار الأنوار ١٥: ١٠٥.

(٣) الوفا بأحوال المصطفى: ١٠٢ / ب ٢٦ / ح ١١٧.

(٤) الطبقات الكُبرى ١: ٥٩، إعلام الورىٰ بأعلام الهُدىٰ ١: ٤٥.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام ١: ١٥٦، المناقب لابن‌شهرآشوب ١: ١٥٩.

(٦) السيرة النبوية لابن هشام ١: ١٥٦، المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك ٢: ٢٠٠.

(٧) دلائل النبوّة ١: ١٠٢، المناقب لابن شهرآشوب ١: ٢٦.

(٨) الطبقات الكبرى ١: ٩٩ ـ ١٠٠، وكُحل البصر في سيرة خير البشر: ٦.

(٩) هي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من ذي الحجّة وسُمّيت أيام التشريق، لأنّهم كانوا يتشرقون لحوم الأضاحي فيها أي ينشرونها في الشمس فتكون مشرقة عليها.

(١٠) السيرة الحلبية ١: ٥٧، بحار الأنوار ١٥: ٢٤٩.

(١١) الطبقات الكبرى ١: ٩٨، إكمال الدين وتمام النعمة ١: ١٩٦ ب١٨ / ح٣٩، بحار الأنوار ١٥: ٢٦٨.

حمل[١]، وقيل: كان عمره سنتين وأربعة أشهر[٢]، وقيل كان عمره سبعة أشهر[٣]، وقيل: شهرين[٤]، وكان عبدالله فقيراً لم يُخلّف غير خمسة من الإبل وقطيع غنم وجارية اسمها «بركة» وتُكنّى «أُم أيمن» وهي التي حضنت النبيّ صلى الله عليه وآله[٥].

مولده الميمون

ولد صلى الله عليه وآله بمكة يوم الجمعة[٦] أو يوم الاثنين[٧] عند طلوع الشمس[٨]، أو عند طلوع الفجر[٩]، أوعند الزوال[١٠] على اختلاف الأقوال، السابع عشر من شهر ربيع الأوّل على المشهور بين الإمامية[١١]، وقال الكُليني منهم لاثنتي عشرة ليلة مضت منه[١٢]، وهو المشهور عند غيرهم[١٣]،

---

(١) الطبقات الكبرى ١: ٩٩، وكحل البصر في سيرة سيّد البشر: ٦.
(٢) الطبقات الكبرى ١: ١٠٠، كشف الغمة ١: ١٦.
(٣) الطبقات الكبرى ١: ١٠٠، امتاع الأسماع ١: ٩.
(٤) إمتاع الأسماع ١: ٩، السيرة الحلبية ١: ٤٩.
(٥) الطبقات الكبرى ١: ١٠٠، الوفا بأحوال المصطفى: ٨٦ / ب ١٨ / ح٨٥.
(٦) بحار الأنوار ١٥: ٢٤٩.
(٧) الطبقات الكبرى ١: ١٠٠، السيرة النبوية ١: ١٥٨.
(٨) كشف الغمّة ١: ١٤، إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ ١: ٤٢.
(٩) بحار الأنوار ١٥: ٢٤٩، امتاع الأسماع ١: ٦، السيرة الحلبية ١: ٥٧.
(١٠) بحار الأنوار ١٥: ٢٤٩، السيرة الحلبية ١: ٥٧.
(١١) بحار الأنوار ١٥: ٢٤٩، منتهى الآمال ١: ٥٧، إعلام الورى بأعلام الهدىٰ ١: ٤٢، كشف الغُمّة ١: ١٤.
(١٢) أُصول الكافي ١: ٤٣٩ ـ باب مولد النبيّ صلى الله عليه وآله ـ.
(١٣) السيرة الحلبية ١: ٥٧، السيرة النبوية ١: ١٥٨.

وبعضهم وافقنا[١][٢].

واتّفق الرواة على أنّه ﷺ ولد عام الفيل[٣] بعد خمسة وخمسين يوماً[٤]، أوخمسة وأربعين[٥]، أو ثلاثين يوماً[٦] من هلاك أصحاب الفيل لأربع وثلاثين سنة وثمانية أشهر[٧]، أو لاثنتين وأربعين سنة[٨] مضت من ملك كسرى أنوشروان ولسبع بقين من ملكه.

وأرسلت آمنة الى عبدالمطلب تُبشّره، فسرّ بذلك ودخل عليها وقام عندها يدعو الله ويشكر ما أعطاه[٩] وقال:

الحمدلله الذي أعطاني هذا الغلام الطيّب الأردان

(١) السيرة الحلبية ١: ٥٧، السيرة النبويّة ١: ١٩٩.

(٢) هناك اشكال وهو أنّه إذاكان حمله أيام التشريق وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشرمن ذي‌الحجة وولادته في ربيع الأوّل فإن كان من تلك السنة كان حَمْله أقل من ستة أشهر والاتفاق حاصل على أن الحمل لا يكون أقل من ذلك وإن كان السنة الثانية كانت مدة حَمْلَه نحواًمن سنة وأربعة أشهر وأقصى مدة الحمل عندنا أقل من ذلك وأُجيب بأن كون حَمْله أيام التشريق مبني على النسيء الذي كان في الجاهلية وهو أنّهم كانوا إذا احتاجوا الى الحرب في شهر من الأشهر الحرم حاربوا فيه وجعلوا بدله شهراً آخراً والله أعلم. **المؤلف**.

(٣) الطبقات الكبرى ١: ١٠١، امتاع الأسماع ١: ٧، عيون الأثر ١: ٣٤، إعلام الورى بأعلام الهدىٰ ١: ٤٢، بحار الأنوار ١٥: ٢٤٩.

(٤) بحار الأنوار ١٥: ٢٤٩، الطبقات الكبرى ١: ١٠١.

(٥) يصح ذلك على القول بأنّه ﷺ ولد عام الفيل وكان قدوم أصحاب الفيل لثلاث عشر بقين من المحرّم وأنّه ولد لليلتين خلتا من ربيع الأوّل. المنتظم من تاريخ الأُمم والملوك ٢: ٢٤٥.

(٦) بحار الأنوار ١٥: ٢٤٩.

(٧) اعلام الورى بأعلام الهدىٰ ١: ٤٢، امتاع الأسماع ١: ٧.

(٨) بحار الأنوار ١: ٢٤٩ ـ ٢٥٠، المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك ٢: ٢٤٥.

(٩) الطبقات الكبرى ١: ١٠٣، بحار الأنوار ١٥: ٢٩٠ قال: فقام وهب ودعا بغلام وقال: اذهب الى عبدالمطلب وبشّره.

قد ساد في المهد على الغلمان أُعيذه بالله ذي الأركان
حتى أراه بالغ البنيان أُعيذه من شرّ ذي شنان
من حاسد مضطرب العنان(١)

وكانت ولادته في الدار المعروفة بدار ابن يوسف وهو محمّد أخو الحجّاج، وكان ﷺ وهبها لعقيل بن أبي طالب، فلمّا توفي عقيل باعها ولده من محمّد بن يوسف أخي الحجاج، فلمّا بنى داره المعروفة بدار ابن يوسف ادخل ذلك البيت في الدار، ثم أخذته الخيزران أُم الرشيد فأخرجته وجعلته مسجداً يصلّى فيه، وهو معروف الى الآن يزار ويصلى فيه ويتبرك به(٢)، ولما أخذ الوهابيون مكة في عصرنا هذا هدموه ومنعوا من زيارته على عادتهم في المنع من التبرك بآثار الأنبياء والصالحين وجعلوه مربطاً للدواب(٣).

رضاعه

أرضعته أولاً ثويبة مولاة أبي لهب بلبن ابنها مسروح أياماً قبل أن تقدم حليمة، وكانت أرضعته قبله عمّه حمزة، فكان رسول الله ﷺ يكرمها وتكرمها زوجته خديجة أُم المؤمنين، وأعتقها أبولهب بعد الهجرة فكان ﷺ يبعث إليها من المدينة بكسوة وصلة حتى ماتت فسأل عن ابنها مسروح، فقيل: مات، فسأل عن قرابتها، فقيل: ماتوا(٤).

(١) الطبقات الكبرى ١: ١٠٣، بحار الأنوار ١٥: ٢٩٢ باختلاف يسير .
(٢) بحار الأنوار ١٥: ٢٥٠، السيرة الحلبية ١: ٦٢ ـ ٦٣.
(٣) موسوعة العتبات المقدسة للخليلي ٢: ٢٧٦ .
(٤) كُحل البصر في سيرة سيّد البشر: ٢١، الطبقات الكبرى ١: ١٠٨ ـ ١٠٩ .

ثم أرضعته ـ حتى شب ـ حليمة بنت أبي ذؤيب عبدالله السعدية من بني سعد بن بكر، وكان أهل مكة يسترضعون لأولادهم نساء أهل البادية طلباً للفصاحة، ولذلك قال ﷺ: **«أنا أفصح من نطق بالضاد، بيد أنّي من قريش واسترضعت في بني سعد»**[١].

فجاء عشر نسوة من بني سعد بن بكر يطلبن الرضاع وفيهن حليمة، فأصبن الرضاع كلهنّ إلّا حليمة وكان معها زوجها الحارث المكنّى أبا ذؤيب وولدها منه عبدالله، فعرض عليها رسول الله ﷺ فقالت: يتيم[٢] ولا مال له وما عست أُمّه أن تفعل، فخرج النسوة وخلّفنها، فقالت لزوجها: ماترى قد خرج صواحبي وليس بمكة غلام يسترضع إلّا هذا الغلام اليتيم فلو أنّا أخذناه فإني أكره أن أرجع بغير شيء، فقال لها: خذيه عسى الله أن يجعل لنا فيه خيراً، فأخذته فوضعته في حجرها فدر ثدياها حتى روي وروي أخوه، وكان أخوه لا ينام من الجوع، فبقي عندها سنتين حتى فُطم فقدموا به على أُمّه زائرين لها وأخبرتها حليمة ما رأت من بركته فردّته معها ثم ردّته على أُمّه وهو ابن خمس سنين ويومين[٣].

وقدمت حليمة على رسول الله ﷺ بعدما تزوّج فبسط لها رداءه وأعطتها خديجة أربعين شاة وأعطتها بعيراً[٤]، وجاءت إليه يوم حنين فقام إليها وبسط لها رداءه فجلست عليه[٥].

---

(١) السيرة الحلبية ١: ٨٩.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٣: ٨٧، الطبقات الكبرىٰ ١: ١١١.

(٣) الطبقات الكبرى ١: ١١٠ ـ ١١٢، بحار الأنوار ١٥: ١٣٢ ـ ١٣٣.

(٤) كُحل البصر في سيرة سيّد البشر: ٢٢، السيرة الحلبية ١: ١٠٣.

(٥) عيون الأثر ١: ٤٦، السيرة الحلبية ١: ١٠٣، كُحل البصر في سيرة سيّد البشر: ٢٢، المغازي للواقدي ٢: ←

وجاء وفد هوازن يوم حنين وفيهم أبو ثروان ـ أو أبو برقان ـ عمّه من الرضاعة وقد سبى منهم وغنم، وطلبوا أن يمنّ عليهم فخيّرهم بين السبي والأموال، فقالوا: خيّرتنا بين أحسابنا وأموالنا وماكنّا لنعدل بالأحساب شيئاً، فقال: أما مالي ولبني عبدالمطلب فهو لكم وسأسأل لكم الناس، فقال المهاجرون والأنصار: ماكان لنا فهو لرسول الله، وأبى بعض المؤلّفة قلوبهم من قبائل العرب وقبائلهم فأعطاهم إبلاً عوضاً من ذلك[١]. ويأتي تفصيله في وقعة حُنين .

وجاءوا يوم حُنين بأُخته ﷺ من الرضاعة وهي الشيماء بنت الحارث، فقالت: يا رسول الله، إنّي أُختك من الرضاعة، فبسط لها رداءه فأجلسها عليه وقال: إن أحببت فعندي محببة مكرمة، وإن أحببت أن أُمتعك وترجعي الى قومك؟ فقالت: بل تعطيني وتردّني الى قومي[٢].

كفالة عبدالمطلب النبيّ ﷺ

كفل النبيّ ﷺ بعد أبيه جدّه عبدالمطلب، وقام بتربيته وحفظه أحسن قيام ورقّ عليه رقّة لم يرقها على ولده وكان يقرّبه منه ويُدنيه ولا يأكل طعاماً إلّا أحضره، وكان يدخل عليه إذا خلا وإذا نام ويجلس على فراشه

← ٩١٣، حيث إن المذكور في هذه المصادر أنّ المسبيّ في غزوة حُنين كانت أُخته من الرضاعة وهي الشيماء وليس حليمة السعدية.

(١) السيرة النبوية ٣: ٦٨٩، البداية والنهاية ٤: ٤١٨، تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٣٥٢.

(٢) إعلام الورى بأعلام الهدیٰ ١: ٢٣٧ ـ ٢٣٨، الطبقات الكبرى ٢: ١٥٣ ـ ١٥٤.

فيقول دعوه[١].

ولما صار عمره ست سنين وذلك بعد مجيئه من عند حليمة بسنة أخرجته أُمّه الى أخواله بني عدي بن النجار بالمدينة تزورهم به ومعه أُمّ أيمن تحضنه، فبقيت عندهم شهراً، ثم رجعت به أُمّه الى مكة فتوفيت بالأبواء بين المدينة ومكة، فعادت به أُمّ أيمن الى مكة الى جدّه عبدالمطلب وبقيت تحضنه[٢]، فبقي في كفالة عبدالمطلب من حين وفاة أبيه ثمان سنين[٣]، وتوفي عبدالمطلب وعمره ثمانون سنة[٤]، فلما حضرته الوفاة أوصى ولده أباطالب بحفظ رسول الله ﷺ وحياطته وكفالته، ولم يكن أبوطالب أكبر إخوته سناً ولا أكثرهم مالاً، فقدكان الحارث أسنّ منه والعباس أكثرهم مالاً، لكن عبدالمطلب اختار لكفالته أباطالب لما توسمه فيه من الرعاية الكافية لرسول الله ﷺ، ولأنه كان على فقره أنبل إخوته وأكرمهم وأعظمهم مكانة في قريش وأجلّهم قدراً[٥].

فكفله أبوطالب وقام برعايته أحسن قيام، وكان يحبّه حباً شديداً لا يحبّه ولده، وكان لا ينام إلّا الى جنبه ويخرجه فيخرج معه، وصبا به أبوطالب صبابة لم يصب مثلها بشيء قط وكان يخصّه بالطعام، وكان أولاده يصبحون

(١) كُحل البصر في سيرة سيّد البشر: ٢٥، اعلام الورى بأعلام الهُدى ١: ٦١، الطبقات الكبرى ١:١١٨، السيرة النبوية لابن هشام ١: ١٦٨.

(٢) كُحل البصر في سيرة سيّد البشر: ٢٣، الطبقات الكبرى ١:١١٦.

(٣) كشف الغُمّة ١:١٦، الطبقات الكُبرى ١١٩/١، وكُحل البصر في سيرة سيّد البشر: ٢٤ .

(٤) كنز الفوائد: ٧٣، الخرائج والجرائح ١: ٢١ .

(٥) أسنى المطالب: ٦، السيرة النبوية لابن هشام ١:١٧٩، تاريخ اليعقوبي ١:٢٣٥، السيرة النبوية لابن كثير ١:٢٤١، بحار الأنوار ١٥:١٥٧.

رمصاً شعثاً ويصبح رسول الله ﷺ كحيلاً دهيناً، وكان أبوطالب توضع له وسادة بالبطحاء يتكئ عليها أو يجلس عليها، فجاء النبيّ ﷺ فجلس عليها، فقال أبوطالب: إنّ ابن أخي هذا ليحسّ بنعيم. وخرج به معه الى الشام وهو ابن اثنتي عشرة سنة بعدما عزم على إبقائه بمكة، لكنّه أبىٰ إلّا أن يصحبه فأخذه معه حتى بلغ به بصرى فرآه بحيرا الراهب، ولم يزل أبوطالب يكرمه ويحميه وينصره بيده ولسانه طول حياته[١].

وحكى ابن أبي‌الحديد في شرح النهج عن أمالي أبي جعفر محمّد بن حبيب: أنّ أباطالب كان كثيراً ما يخاف على رسول الله ﷺ البيات، فكان يقيمه ليلاً من منامه ويضجع ابنه علياً مكانه، فقال له عليّ ليلة: يا أبة، إنّي مقتول؟ فقال له أبو طالب:

اصبرنّ يا بني فالصبر أحجى ... كل حي مصيره لشعوب

قد بذلناك والبلاء شديد ... لفداء الحبيب وابن الحبيب

لفداء الأغر ذي الحسب الثا ... قب والباع والكريم النجيب

إن تصبك المنون فالنبل تبرى ... فمصيب منها وغير مصيب

كل حي وإن تملى بعمر ... آخذ من مذاقها بنصيب[٢]

واستسقى به أبوطالب وهو صغير. أخرج ابن عساكر[٣] أن أهل مكة قحطوا، فخرج أبوطالب ومعه غلام كأنه شمس دجن[٤] تجلت عنها سحابة

(١) بحار الأنوار ١٥:٣٨٣ و ٤٠٦ ـ ٤٠٩، الطبقات الكبرى ١:١١٩ ـ ١٢١، السيرة الحلبية ١:١١٥ ـ ١١٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد ١٤: ٦٤.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ٦٦:٣٠٧.

(٤) الدجن: ظلّ الغيم في اليوم المطير، لسان العرب ١٣:١٤٧، مادة دجن.

قتماء، فأخذه أبوطالب فألصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام باصبعه وما في السماء قزعة[١]، فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا وأغدق وأخصبت الأرض، وفي ذلك يقول أبوطالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

تلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

وشهد الفجار وهو ابن عشرين سنة، و«الفجار»: من حروب العرب المشهورة كانت بين قيس وبين قريش وكنانة، فكانت الدبرة أوّل النهار لقيس على قريش وكنانة ثم صارت لقريش وكنانة على قيس، قال رسول الله ﷺ: **حضرته مع عمومتي ورميت فيه بأسهم وما أُحب أني لم أكن فعلت.** وسُمّيت الفجّار، لأنها وقعت في الأشهر الحُرم[٢].

حلف الفضول

وحضر حلف الفضول وكان منصرف قريش من الفجار، وكان أشرف حلف، وأوّل من دعا إليه الزبير بن عبدالمطلب، فاجتمعت بنوهاشم وزهرة وتيم في دار عبدالله بن جدعان فتعاقدوا وتعاهدوا بالله لنكونن مع المظلوم حتى يؤدّىٰ إليه حقّه ما بلّ بحرٌ صوفة، وفي التآسي في المعاش، فسمّت قريش ذلك الحلف «حلف الفضول»، ولا يعلم أحد سبق بني هاشم بهذا الحلف، قال رسول الله ﷺ: **«ما أُحب أنّ لي بحلف حضرتُه في دار ابن جدعان حمر النعم، ولو دُعيت به لأجبتُ»**[٣].

(١) قزعة: قزع، قطع من السحاب رقاق. لسان العرب ٨: ٢٧١، مادة قزع.

(٢) بحار الأنوار ١٥: ٤١٠.

(٣) الطبقات الكبرى ١: ١٢٨ ـ ١٢٩، عيون الأثر ١: ٦٠.

تزوّجــه بخديجـة

وخرج الى الشام في تجارة لخديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة مع غلامها ميسرة، وكانت خديجة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في تجارتها.

ولمّا علم أبوطالب بأنها تهيّئ تجارتها لإرسالها الى الشام مع القافلة قال له: يابن أخي، أنا رجل لا مال لي وقد اشتدّ الزمان علينا، وقد بلغني أنّ خديجة استأجرت فلاناً ببكرين، ولسنا نرضى لك بمثل ما أعطته فهل لك أن اُكلّمها؟

قال: ما أحببتَ .

فقال لها أبوطالب: هل لكِ أن تستأجري[١] محمّداً، فقد بلغنا أنّك استأجرت فلاناً ببكرين ولسنا نرضى لمحمّد دون أربعة بكار.

فقالت: لو سألت ذلك لبعيد بغيض فعلنا، فكيف وقد سألته لحبيب قريب؟!

فقال له أبوطالب: هذا رزق وقد ساقه الله إليك.

فخرج ﷺ مع ميسرة بعد أن أوصاه أعمامه به وباعوا تجارتهم وربحوا أضعاف ماكانوا يربحون وعادوا، فسرت خديجة[٢] بذلك ووقعت في نفسها محبّة النبيّ ﷺ وحدّثت نفسها بالتزوّج به، وكانت قد تزوّجت برجلين من بني مخزوم توفيا[٣]، وكان قد خطبها أشراف قريش فردّتهم، فتحدّثت بذلك

---

(١) الطبقات الكبرى ١: ١٣٠ .

(٢) الطبقات الكبرى ١: ١٣٠ ـ ١٣١.

(٣) انّ التاريخ لا يعطينا تفاصيل دقيقة عن حياة خديجة قبل زواجها من النبيﷺ فقد روىٰ أنها تزوجت ←

الى أُختها أو صديقة لها اسمها: «نفيسة بنت منية» .

فذهبت إليه وقالت: ما يمنعك أن تتزوّج؟

قال: أ بيدي ما أتزوّج به؟ قالت: فإن كفيت ذلك ودعيت الى الجمال والمال والشرف والكفاءة ألا تجيب؟

قال: فمن هي؟

قالت: خديجة.

قال: كيف لي بذلك؟ قالت: عليَّ ذلك فأجابها بالقبول وخطبها الى عمّها أو أبيها وحضر مع أعمامه فزوّجها به عمّها؛ لأن أباها كان قد مات، وقيل زوّجها أبوها[١] وأصدقها عشرين بكرة[٢] وانتقل الى دارها[٣]، وكان ذلك بعد قدومه من الشام بشهرين وأيام وعمرها أربعون سنة[٤] .

وكانت امرأة حازمة جلدة شريفة[٥] آمنت برسول الله صلى الله عليه وآله أوّل بعثته

← قبله صلى الله عليه وآله برجلين وكان لها منهما بعض الأولاد وهما عتيق بن عائذ المخزومي وأبو هالة التميمي، في حين تروي مصادر أُخرىٰ أن النبي صلى الله عليه وآله حين تزوّج بها كانت بكراً، وحينئذٍ تكون زينب ورقية ابنتي هالة أخت خديجة قد تبنّتهما خديجة بعد فقدهما لأُمّهما راجع أعلام الهداية: ٦٩/١ ط١ المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام .

وروىٰ أحمد البلاذي وأبو القاسم الكوفي في كتابيهما، والمرتضىٰ في (الشافي) وأبوجعفر في (تلخيص الشافي): أنّ النبيّ تزوّج بها وكانت عذراء. يؤكّد ذلك ما ذكر في كتابي (الأنوار) و(البدع): أنّ رقيّة وزينب كانتا ابنتي هالة أخت خديجة.

أما الطبرسي فقد ذكر الخبر بلا خلاف فيه ونقله عنه المجلسي في (البحار) كذلك أيضاً. راجع موسوعة التاريخ الإسلامي: ٣٣٧/١ ـ ٣٣٩ ط مجمع الفكر الإسلامي.

(١) الطبقات الكبرى ١: ١٣١ـ١٣٣، من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٩٧ ح٤٣٩٨، بحار الأنوار ١٦: ١٦ ـ ١٧ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١: ١٩٠.

(٣) الكافي ٥: ٣٧٤، بحار الأنوار ١٦: ١٣ ـ ١٤ (قريب من هذا المعنىٰ).

(٤) السيرة الحلبية ١: ١٤٠.

(٥) أنساب الأشراف للبلاذري ١: ١٠٧، تنقيح المقال ٣: ٧٧ فصل الكُنىٰ والألقاب .

وأعانته بأموالها على تبليغ رسالته وخفّفت من تألّمه لخلاف قومه، وقوّت عقيدته ـ ببراهين نبوّته أوّل ظهورها ـ وعزيمته في المضي لما بعث به[1]، وقد جاء أنّه: إنّما قام الإسلام بأموال خديجة وسيف عليّ بن أبي طالب[2]؛ ولذلك كان رسول الله ﷺ يرى لها المكانة العظمى في حياتها وبعد وفاتها التي كان لا يراها لواحدة من أزواجه[3].

بناء الكعبة المعظّمة

وبُنيت الكعبة وهو ابن خمس وثلاثين سنة وكانت قد تشعثت من السيل فخافت قريش من هدمها ثم أقدمت عليه، فلمّا بلغ البناء موضع الحجر الأسود اختلفت بينها في من يضعه في مكانه، وكل قبيلة أرادت ذلك لنفسها حتى كادت تقع فتنة ثم رضوا بحكمه، فحكم أن يوضع الحجر في ثوب ويحمل أطرافه من كل قبيلة رجل فرضوا بذلك ثم أخذه من الثوب ووضعه في مكانه[4].

صفته في خلقه وحليته

وقد جاءت صفته هذه في كلام أُم معبد وأمير المؤمنين عليّ عليه السلام وأنس بن‌مالك وهند بن أبي هالة، وفي كلامهم مع ذلك صفة بعض أخلاقه وأفعاله، ولم نفصّل بين الأمرين ليتبع الكلام بعضه بعضاً ولا يكون مبتوراً.

---

(١) الاستيعاب ٤: ٣٨١، بحار الأنوار ١٦: ٨.

(٢) مناقب خديجة الكبرى لمحمد بن العلوي المالكي: ٢، تنقيح المقال ٣: ٧٧، فصل الكُنى والألقاب.

(٣) الاستيعاب ٤: ٣٨٤، بحار الأنوار ١٦: ٨.

(٤) الطبقات الكبرى ١: ١٤٥.

وصفته أُم معبد الخزاعية[١] حين مرّ عليها في هجرته الى المدينة ـ كما يأتي ـ حين قال لها زوجها صِفيه لي، فقالت:

رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة متبلج الوجه حسن الخلق لم تعبه ثُجلة[٢] ولم تزر به صعلة[٣] وسيم قسيم[٤]، في عينيه دعج[٥] وفي أشفاره وطف[٦]، وفي صوته صحل[٧] أحور[٨] أكحل أزج[٩]، أقرن[١٠] شديد سواد الشعر، في عنقه سطع[١١] وفي لحيته كثالة، إذا صمت فعليه الوقار، وإن تكلّم سما وعلاه البهاء وكأنّ منطقه خرزات نظم يتحدرن، أجهر[١٢] الناس وأبهاه من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب، حلو المنطق فصل لا نزر[١٣] ولا هذر ربعة لا تشنّوه[١٤]

---

(١) الطبقات الكبرى ١: ٢٣٠ ـ ٢٣١، دلائل النبوّة ١: ٢٧٩.

(٢) (الثجلة) بالضم: عظم البطن.

(٣) لم تعبه: دقة ونحول.

(٤) اعطي كل شيء منه قسمه من الحسن.

(٥) الدعج: شدة سواد العين مع سعتها، يقال: عين دعجاء، الصحاح ١: ٣١٤ [مادة: دعج].

(٦) وطف أي في شعر أجفانه طول. النهاية في غريب الحديث والأثر ٥: ٢٠٤ [مادة: وطف].

والوطف: كثرة شعر الحاجبين والعينين والأشفار مع استرخاء وطول، لسان العرب ٩: ٣٥٧.

(٧) الصحل: البحوحة. صوت فيه بحة،كتاب العين ٣: ١١٧ [مادة: صحل].

(٨) الحور شدة بياض العين وشدة سوادها،كتاب العين ٣: ٢٨٨ [مادة: حور].

(٩) أزج: أزج الحواجب، الزجج تقوس في الناصية مع طول في طرفه وامتداد. والأزج: الحاجب اسم له في لغة أهل اليمن. لسان العرب ٢: ٢٨٧ [مادة: أزج].

(١٠) مقرون الحاجبين متصل إحداهما بالآخر، مختار الصحاح: ٢٧٥.

(١١) سطع: أي ارتفاع وطول، النهاية في غريب الحديث والأثر ٢: ٣٦٥ [مادة سطع].

(١٢) جهرالرجل كمنع، عظم في عينيه وراعه جماله وهيأته، وجهر ككرم فخم بين عيني الرائي، والأجهر الحسن المنظر.

(١٣) النزر: القليل التافه، الصحاح ٢: ٨٢٦ [مادة: نزر].

(١٤) لا تشنوه: أي لا يبغض لفرط طوله، النهاية في غريب الحديث ٢: ٥٠٣ [مادة: شنأ].

من طول، ولا تقحمه[١] عين من قصر، غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظراً وأحسنهم قدّاً، له رفقاء يحفّون به إذا قال استمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا الى أمره، محفود محشود[٢]، لا عابس ولا مفند[٣].

وقيل لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام: كيف لم يصف أحد النبيّ صلى الله عليه وآله كما وصفته أُم معبد؟

قال: لأنّ النساء يصفن الرجال بأهوائهن فيجدن في صفاتهن[٤] .

ووصفه عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام ، روى ذلك ابن سعد في الطبقات[٥] بعدّة روايات بينها بعض التفاوت والاختلاف في الألفاظ، وكأنّه وصفه عدة مرار، ونحن نجمع بينها ونذكر حاصلها .

قال عليه السلام: كان صلى الله عليه وآله أبيض اللون مشرباً حمرة أدعج العين سبط الشعر أسوده ـ وفي رواية : **لم يكن بالجعد القطط ولا السبط كان جعداً رجلاً ـ كثّ اللحية**[٦] ، **سهل الخد صلت الجبين ذا وفرة**[٧] **دقيق المسربة**[٨] ـ وفي رواية **طويل المسربة ـ كأن عنقه ابريق**

---

(١) لا تقحمه: أي لا يتجاوز الى غيره، لسان العرب ١٢: ٤٦٥ [مادة: قحم].

(٢) محفود: أي مخدوم، والحفد الخدم، ومحشود: أي يجتمعون إليه، أي أن أصحابه يخدمونه ويجتمعون إليه، النهاية في غريب الحديث والأثر ١: ٤٠٦ [مادة: حفد].

(٣) إن قُرئ بصيغة الفاعل فمعناه ليس بكثير اللوم والتخطئة لغيره وإن قُرئ بصيغة المفعول فمعناه أنه لا يجرؤ أحد على تخطئته وتفنيد رأيه .

(٤) بلاغات النساء لابن طيفور: ٤٦.

(٥) الطبقات الكبرى ١: ٤١٠ ـ ٤١٣.

(٦) الكث: الكثيف وكث اللحية: أي الكثافة في اللحية: أن تكون غير رقيقة ولا طويلة، النهاية في غريب الحديث والأثر ٤: ١٥٢ [مادة:كث] .

(٧) وفرة: شعر الرأس إذا وصل الى شحمة الأذُن، النهاية في غريب الحديث ٥: ٢١٠ [مادة: وفر] .

(٨) المسربة بضم الراء مادق من شعر الصدر سائلاً على السرّة.

فضة[١] له شعر من لبته[٢] الى سرّته يجري كالقضيب، ليس في بطنه ولا صدره شعر غيره، شثن[٣] الكف والقدم، إذا مشى كأنّما ينحدر من صَبَب[٤] وإذا مشى كأنّما ينقلع من صخر[٥].

وفي رواية: إذا مشى تقلع[٦]، كأنّما ينحدر من صبب، أوكأنّما يمشي في صبب .

وفي أُخرى: إذا مشى تكفّأ تكفّؤا[٧] كأنّما يمشي في صعد[٨].

وفي رواية ـ: تكفّأ تكفؤاً كأنّما ينحطّ من صَبَب .

إذا التفت التفت جميعاً كأنّ عرقه في وجهه اللؤلؤ، ولريح عرقه أطيب من المسك الأذفر، إذا جاء مع القوم غمرهم[٩] .

ليس بالقصير ولا بالطويل ـ وفي رواية :كان ربعة من القوم، وفي رواية: ليس

---

(١) معناه كأن عنقه سيف فضة، لأن الإبريق في اللغة السيف البرّاق وفي السيرة الحلبية الإبريق السيف الشديد البرق .

(٢) لبته: موضع القلادة من الصدر، القاموس المحيط ١: ١٢٧ [فصل اللام مع الباء].

(٣) شثن: الغليظ، النهاية في غريب الحديث ٢: ٤٤٤ [مادة: شثن].

(٤) الصبب بالتحريك ما انحدر من الأرض كناية عن مشيه بقوة وهي مشية أصحاب الهمم العلية ومن قلبه حي بخلاف الماشي متهاوناً كالخشبة أو طائشاً ينزعج فالأوّل يدل على الخمول وموت القلب والثاني على خفة الدماغ وموت القلب.

(٥) أي يرفع رجله بقوة .

(٦) في الفائق: تقلع ارتفع قدمه على الأرض ارتفاعة كما تنقلع عنها وهو نفي للاختيال في المشي.

(٧) تكفأ تمايل الى قدام لأن ذلك أقرب الى الوقار والتواضع ولا ينصب قامته ولا يؤخر صدره ويتمايل الى وراء لأن ذلك فعل المتكبرين والمختالين.

(٨) الصعد بفتحتين خلاف الصبب أي كأنما يمشي في موضع عال وكل هذه الصفات من قوله كأنما ينحدر من صبب كأنما ينقلع من صخر إذا مشى تقلع وما يأتي من حديث ابن أبي‌هالة إذا زال زال قلعاً كناية عن أنّ مشيه بقوة وعزم كمشي الأشداء كأنه يرفع رجليه من الأرض رفعاً قوياً لا كمشي الكسالى الذين يجرّون أرجلهم جرّاً أو المختالين الذين يتمايلون في‌مشيهم.

(٩) في النهاية غمرهم أي كان فوق من معه، من قولهم ماء غمر يغمر من دخله ويغطّيه .

بالذاهب طولاً وفوق الربعة، وفي أُخرى: وهو الى الطول أقرب ـ ولا بالعاجز ولا اللئيم، لم أرَ قبله ولا بعده مثله تدوير أجرد[١].

أجود الناس كفّاً وأجرأ الناس قلباً وأوسع الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وأوفى الناس بذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة.

من رآه بديهة هابه[٢] ومن خالطه معرفة أحبّه[٣] يقول ناعته أو نعاته، لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وآله... الخ.

وممّا وصفه به بوّابه ـ أنس بن مالك فيما رواه ابن سعد في الطبقات[٤] ـ فقال: ليس بالأبيض الأمهق[٥] ولا بالآدم[٦] ـ وفي رواية: كان أسمر وهو ينافي الروايات الكثيرة القائلة: أنّه كان أبيض مشرباً بحمرة ـ وما شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من ريحه، كثير العرق.

وسئل سعد بن أبي وقاص كما في طبقات ابن سعد[٧]: هل خضب رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: لا، كأنّ شيبه في عنفقته[٨] وناصيته ولو أشاء أعدها لعددتها.

وروى ابن سعد في الطبقات[٩] بسنده عن الحسن بن عليّ عليه السلام أنّه سأل

---

(١) الأجرد ضد الأشعر، وهو الذي على جميع بدنه شعر أي ليس على جميع بدنه شعر بل على أماكن منه كالمسربة والساعدين والساقين ـ المؤلّف ـ.

(٢) لما يرى فيه من الوقار والجلال وملامح العزم والحزم وقوة الإرادة وعلو الهمة وشدّة البأس.

(٣) لما يرىٰ فيه من سعة الصدر وحسن الخلق والبر والجود والكرم. (المؤلّف)

(٤) الطبقات الكُبرى ١: ٤١٣.

(٥) الأمهق الكريه البياض كلون الجص.

(٦) الشديد السمرة.

(٧) الطبقات الكبرى لابن سعد ١: ٤١٨.

(٨) عنفقته: بين الشفة السفلى وبين الذقن، وهي شعيرات بينهما، كتاب العين ٢: ٢٠ [مادة عنفق].

(٩) الطبقات الكبرى ١: ٤٢٢ ـ ٤٢٣.

خاله هند بن أبي هالة التميمي عن حلية رسول الله ﷺ ـ وكان وصّافاً ـ فقال: كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع وأقصر من المشذب[١]، عظيم الهامة رجل الشعر[٢]، إن انفرقت عقيصته[٣] فرق، وإلّا فلا يجاوز شعره شحمة أُذنيه إذا هو وفّره[٤]، أزهر اللون واسع الجبين أزجّ الحواجب، سوابغ[٥] في غير قرن، بينهما عرق يدره الغضب. أقنى العرنين له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشم[٦]، كثّ اللحية ضليع الفم[٧] مفلّج الأسنان، دقيق المسربة، كأنّ عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادن متماسك[٨]، سواء البطن والصدر عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس[٩] أنور المتجرَّد[١٠]، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط، عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر، طويل الزندين رحب الراحة سبط

---

(١) المشذب الطويل البائن الطول مع نقص في لحمه، وأصله من النخلة الطويلة التي شذب عنها جريدها.

(٢) أي ليس شديد البسوطة ولا الجعودة بل بينهما.

(٣) عقيصته: العقيصة: الضفيرة، وجمعها عقص، الصحاح للجوهري ٢: ١٠٤٦ [مادة: عقص].

(٤) في السيرة الحلبية أي إذا انفرقت من ذات نفسها فرقها أي أبقاها مفروقة وإلّا تركها على حالها معقوصة ووفّره أي جعله وفرة.

(٥) سوابغ: مفرده سبغ، شيء سابغ: أي كامل واف، لسان العرب ٨: ٤٣٢ [مادة: سبغ].

(٦) العرنين الأنف والقنا طوله ودقة أرنبته مع حدب في وسطه، والشمم ارتفاع قصبته واستواء أعلاه وإشراف الأرنبة قليلاً أي أنّ الحدب في أنفه قليل جداً لا يدركه إلّا المتأمل ولذلك يحسبه من لم يتأمله أشم.

(٧) أي عظيمه وقيل واسعة والعرب تعد ذلك مدحاً وغيره ذماً.

(٨) المتماسك الذي يمسك بعض أعضائه بعضاً فهو معتدل الخلق.

(٩) الكراديس: وهي رؤوس العظام واحدها: كردوس، النهاية في غريب الحديث والأثر ٤: ١٦٢ [مادة: كردس].

(١٠) المتجرد: أي ما تجرّد عنه الثياب من البدن، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١: ٦٠.

القَصَب[1]، شثن الكفين والقدمين، سائل الأطراف[2]، خُمصان الأخمصين[3]، مسيح القدمين ينبو عنهما الماء[4]، إذا زال زال قلعا[5]، يخطو تكفّؤا[6] ويمشي هوناً[7]، ذريع المشية[8]، خافض الصوت، نظره الى الأرض أطول من نظره الى السماء[9] جُلّ نظره الملاحظة[10]، يسبق من لقيه بالسلام ويبدر أصحابه بالمصافحة، دائم الفكرة ليست له راحة، لا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت يتكلّم بجوامع الكلم، فصل لا فضول ولا تقصير، دمثاً[11] ليس بالجافي ولا بالمهين، يعظّم النعمة وإن دقت، لا يذم ذوّاقاً[12]

---

(١) القصب بالتحريك عظام الأصابع وكل عظم مجوف فيه مخ.

(٢) أي ممتدها وفي النهاية رواه بعضهم بالنون وهو بمعناه كجبريل وجبرين.

(٣) الأخمص بفتح الميم من القدم الموضع الذي لا يلصق بالأرض منها عند الوطء، والخمصان بضم الخاء المبالغ منه أي أن ذلك الموضع من أسفل قدميه شديد التجافي عن الأرض.

(٤) مسح القدمين أي ملساً وانهما لينتان ليس فيهما تكسر ولا شقاق فإذا أصابهما الماء نبا عنهما ولم يستقر.

(٥) الظاهر أنه بفتح القاف وسكون اللام أي إذا مشى كأنه ينقلع من الأرض قلعاً ومرّ تفسيره في الحواشي السابقة وفي النهاية لابن الأثير: في حديث ابن أبي هالة في صفته ﷺ إذا زال زال قلعاً يروى بالفتح والضم فبالفتح مصدر بمعنى الفاعل أي يزول قالعاً لرجله من الأرض وبالضم إمّا مصدر أو اسم وهو بمعنى الفتح. وقال الهروي: قرأت هذا الحرف في كتاب غريب الحديث لابن الأنباري قلعاً بفتح القاف وكسر اللام وكذا قرأته بخط الأزهري وهو كما جاء في حديث آخر كأنما ينحط من صبب والانحدار من الصبب والتقلع من الأرض قريب بعضه من بعض أراد أنه يستعمل التثبت ولا يبين منه في هذا الحال استعجال ومبادرة شديدة.

(٦) مرّ تفسيره.

(٧) الهون الرفق واللين والتثبت.

(٨) سريع المشي واسع الخطو.

(٩) وذلك أقرب الى الوقار والتواضع.

(١٠) أي قلما ينظر تحديقاً.

(١١) لين الخلق سهل أصله من دمث المكان إذا لان وسهل.

(١٢) الذواق كسحاب فَعال بمعنى مفعول أي المأكول والمشروب.

ولا يمدحه، لا تُغضبه الدنيا وماكان لها، فإذا تعوطي الحق لم يعرفه أحد[١] ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له، لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفّه كلّها وإذا تعجّب قَلَبَها، وإذا تحدّث يضرب براحته اليمنى باطن ابهامه اليسرى، إذا غضب أعرض وأشاح[٢]، وإذا فرح غضّ طرفه، جُلّ ضحكِه التبسّم ويفتر عن مثل حب الغمام... الخ.

أخلاقه وأطواره وآدابه

قال ابن شهرآشوب في المناقب: أما آدابه فقد جمعها بعض العلماء والتقطها من الأخبار.

كان النبيّ ﷺ أحكم الناس وأحلمهم وأشجعهم وأعدلهم وأعطفهم وأسخاهم، لا يثبت عنده دينار ولا درهم، لا يأخذ ممّا آتاه الله إلّاقوت عامه فقط من يسير ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله ثم يعود الى قوت عامه فيؤثر منه حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأته شيء، وكان يجلس على الأرض وينام عليها، ويخصف النعل ويرقع الثوب ويفتح الباب ويحلب الشاة ويعقل البعير، ويطحن مع الخادم إذا أعيا، ويضع طهوره بالليل بيده ولا يجلس متكئاً، ويخدم في مهنة أهله، ويقطع اللحم، ولم

---

(١) فلا يراعي أحداً في الحق.

(٢) أصل الاشاحة الجد في الأمر وأشاح هنا أي جدّ في الإعراض ويُحتمل أن يكون هنا بمعنى أعرض ونحا وجهه. وفي تاج العروس أشاح بوجهه عن الشيء نحّاه وفي صفته ﷺ إذا غضب أعرض وأشاح. وقال ابن العربي أعرض بوجهه وأشاح أي جدّ في الإعراض، قال: والمشيح الجادّ وإذا نحى الرجل وجهه عن وهج أصابه أو أعرض عن أذىً، قيل: قد أشاح بوجهه . (المؤلّف)

يتجشّأ قطّ، ويقبل الهدية ولو أنّها جرعة لبن ويأكلها، ولا يأكل الصدقة، ولا يثبت بصره في وجه أحد، يغضب لربّه ولا يغضب لنفسه، وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع، يأكل ما حضر ولا يردّ ما وجد، لا يلبس ثوبين، يلبس بُرداً حبرة يمنية وشملة وجبة صوف والغليظ من القطن والكتّان، وأكثر ثيابه البياض، ويلبس القميص من قبل ميامنه، وكان له ثوب للجمعة خاصة، وكان إذا لبس جديداً أعطى خلق ثيابه مسكيناً. يلبس خاتم فضة في خنصره الأيمن، ويكره الريح الردية، ويستاك عند الوضوء ويردف خلفه عبده أو غيره، ويركب ما أمكنه من فرس أو بغلة أو حمار ويركب الحمار بلا سرج وعليه العذار، ويمشي راجلاً، ويشيّع الجنائز ويعود المرضى في أقصى المدينة، يجالس الفقراء ويؤاكل المساكين ويناولهم بيده، ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم، ويتآلف أهل الشرّ بالبرّ لهم، يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على غيرهم إلّا بما أمر الله، ولا يجفو على أحد يقبل معذرة المعتذر إليه، وكان أكثر الناس تبسّماً مالم ينزل عليه القرآن أو تجر عظة، وربّما ضحك من غير قهقهة، لا يرتفع على عبيده وإمائه في مأكل ولا في ملبس، ما شتم أحداً بشتمة ولا لعن امرأة ولا خادماً بلعنة، ولا لاموا أحداً إلّا قال دعوه، لا يأتيه أحدٌ حرٌّ أو عبد أو أمة إلّا قام معه في حاجته، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يغفر ويصفح، يبدأ من لقيه بالسلام وإذا لقي مسلماً بداه بالمصافحة، وكان لا يقوم ولا يجلس إلّا على ذكر الله وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلّي إلّا خفف صلاته وأقبل عليه وقال: أَلَكَ حاجة؟ وكان يجلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك، وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة، وكان يكرم من

يدخل عليه حتّى ربما بسط له ثوبه ويؤثر الداخل بالوسادة التي تحته، وكان في الرضى والغضب لا يقول إلّا حقاً، وكان يأكل القثاء بالرطب والملح، وكان أحبّ الفواكه إليه الرطبة والبطيخ والعنب وأكثر طعامه الماء والتمر، وكان يتمجع اللبن بالتمر ويسمّيهما الأطيبين، وكان أحب الطعام إليه اللحم ويأكل الثريد باللحم وكان يحب القرع، وكان يأكل لحم الصيد ولا يصيده وكان يأكل الخبز والسمن، وكان يحب من الشاة الذراع والكتف ومن الصباغ الخل ومن التمر العجوة ومن البقول الهندباء، وكان يمزح ولا يقول إلّا حقاً[١].

قال ابن سعد في الطبقات[٢]: كان قبل النبوة أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً وأكرمهم مخالطة، وأحسنهم حواراً، وأعظمهم حلماً وأمانة، وأصدقهم حديثاً، وأبعدهم من الفحش والأذى، وما رئي ملاحياً ولا ممارياً أحداً حتّى سمّاه قومه «الأمين» لما جمع الله من الأُمور الصالحة فيه... الخ.

وفيه: عن عائشة مجموعاً من عدة أحاديث قالت: ما خيّر رسول الله ﷺ بين أمرين أحدهما أيسر من الآخر إلّا اختار الذي هو الأيسر[٣]، وما انتقم لنفسه إلّا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله، ولا ضرب بيده شيئاً قط إلّا أن يضرب بها في سبيل الله، ولا سئل شيئاً قط فمنعه إلّا أن يسأل مأثماً[٤].

وفيه: عن عبيد بن عمير بلغني أن رسول الله ﷺ ما أُتي في غير حدّ إلّا عفا عنه.

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ١: ١٤٥ـ١٤٧.

(٢) الطبقات الكبرى ١: ١٢١.

(٣) أي الأيسر لغيره لا له. (المؤلّف)

(٤) الطبقات الكبرى ١: ٣٦٨.

وعن زياد بن أبي زياد: كانت خصلتان لا يكلهما رسول الله صلى الله عليه وآله الى أحد: الوضوء من الليل حين يقوم، والسائل يقوم حتى يعطيه[١]، هو معنى ما ورد في خبر آخر: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يكل صدقته الى غير نفسه حتى يكون هو الذي يضعها في يد السائل، ولا رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وكل وضوءه الى غير نفسه حتى يكون هو الذي يهيّئ وضوءه لنفسه حين يقوم من الليل[٢].

وروي أنّه لم يكن خلق أبغض إليه من الكذب.

وفي طبقات ابن سعد[٣]: إنّ الحسين بن علي عليه السلام سأل أباه عن النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: كان إذا أوى الى منزله جزّء دخوله ثلاثة أجزاء: جزءاً لله وجزءاً لأهله وجزءاً لنفسه، ثم جزء جزءه بينه وبين الناس ويقول: ليُبلّغ الشاهد الغائب وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي حاجته، فإنّه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها إيّاه ثبّت الله قدميه يوم القيامة، وكان يخزن لسانه إلّا ممّا يعنيهم ويؤلفهم ولا يفرّقهم ـ أو قال: ينفرهم ـ ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذّر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره ولا خُلقه، ويتفقّد أصحابه ويسأل الناس عمّا فيه الناس، ويحسّن الحسن ويقوّيه ويقبّح القبيح ويوهنه، أفضل الناس عنده أعمُّهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة، يعطي كل واحد من جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه. مَن جالسه أو قاومه في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لم يردّه إلّا بها أو بميسور من

(١) الطبقات الكبرى ١: ٣٦٩.

(٢) المصدر السابق ١: ٣٧٠.

(٣) المصدر السابق ١: ٤٢٣ ـ ٤٢٥.

القول، قد وسع الناس منه بسطه وخلقه فصار لهم أباً وصاروا في الحق عنده سواء، مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة لا تُرفَع فيه الأصوات ولا تُؤبَن فيه الحرم(١) ولا تنثني فلتاته، يوقرون فيه الكبير ويَرحمون الصغير ويؤثِرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب، وكان دائم البشر سهل الخلق ليّن الجانب ليس بفظّ ولا غليظ ولا صخّاب(٢) ولا فحّاش و لا عيّاب، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء والإكثار ومما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذمّ أحداً ولا يعيّره ولا يطلب عورته، ولا يتكلّم إلّا فيما رجا ثوابه، إذا تكلّم أطرق جلساؤه كأنّما على رؤوسهم الطير ولا يتنازعون عنده، من تكلّم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، يضحك ممّا يضحكون منه ويتعجّب ممّا يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته، ولا يقطع على أحد حديثه(٣)... الخ

ومما جاء في صفته ﷺ: أنّه كان يسأل عن أصحابه، فان كان أحدهم غائباً دعا له وإن كان شاهداً زاره، وإن كان مريضاً عاده، وإذا لقيه الرجل فصافحه لم ينزع يده من يده حتى يكون الرجل هو الذي ينزعها، ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذي يصرفه، وإذا لقيه أحد فقام معه أو جالسه أحد لم ينصرف حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف عنه، وما وضع أحد فمه في أُذنه إلّا استمرّ صاغياً حتى يفرغ من حديثه ويذهب. وكان ضحوك السن، أشدّ الناس خشية وخوفاً من الله، وما ضرب امرأة له ولا خادماً،

---

(١) أي لا يُذكرن بقبيح، من أَبَنَه يأْبِنه كضرب أوكنصر، إذا رماه بالقبيح.

(٢) الصَخَب يحرّكه ـ شدّة الصوت. (المؤلّف)

(٣) الطبقات الكبرى ١: ٣٦٨.

يسبق حلمه غضبه ولا تزيده شدة الجهل عليه إلّا حلماً، أحسن الناس خُلقاً وأرجحهم حلماً وأعظمهم عفواً، أجود بالخير من الريح المرسلة، أشجع الناس قلباً وأشدّهم بأساً وأشدهم حياءً، أشدّ حياء من العذراء في خِدرها، وإذا أخذه العطاس وضع يده أو ثوبه على فيه، يحبّ الفال الحسن ويغيّر الاسم القبيح بالحسن، يشاور أصحابه في الأمر، أكثر الناس إغضاء عن العورات، إذا كره شيئاً عرف في وجهه ولم يشافه أحداً بمكروه حتى إذا بلغه عن أحد ما يكره لم يقل: ما بال فلان يقول أو يفعل كذا، بل: ما بال أقوام. أوسع الناس صدراً، ما دعاه أحد من أصحابه أو أهل بيته إلّا قال لبيك، يخالط أصحابه ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره، يجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين، ولا يدعوه أحمر ولا أسود من الناس إلّا أجابه، لم يُر قطّ مادّاً رجليه بين أصحابه ولا مقدِّماً ركبتيه بين يدي جليس له قطّ.

وقال أنس: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما رأيته قطّ أدنى ركبتيه من ركبة جليسه (الى أن قال) وما قال لشيء صنعته لِمَ صنعت كذا؟ ولقد شممت العطر فما شممت ريح شيء أطيب ريحاً من رسول الله ﷺ. يدعو أصحابه بأحبّ أسمائهم ويكنّيهم، وإذا سمع بكاء الصغير وهو يُصلّي خفّف صلاته. أكثر الناس شفقة على خلق الله وأرأفهم بهم وأرحمهم بهم، أوصل الناس للرحم وأقومهم بالوفاء وحسن العهد، يأكل على الأرض، وقال: **آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد فإنّما أنا عبد**، يلبس الغليظ، ويحب التيامن في شأنه كلّه في طهوره وترجّله وتنعّله، يعود المساكين بين أصحابه، ويعلف ناضحه ويقمّ البيت[1] ويجلس ويأكل مع الخادم ويحمل بضاعته من السوق،

---

(١) قمّ البيت: كنسه.

لا يجمع في بطنه بين طعامين، أرجح الناس عقلاً وأفضلهم رأياً. ما سُئل شيئاً قطّ فقال: لا. إذا أراد أن يفعل قال: نعم وإذا لم يرد أن يفعل سكت. وكان إذا جاء شهر رمضان أطلق كل أسير وأعطى كل سائل. وكان أصبر الناس على أوزار الناس. وإذا مشى أسرع. ليس بالعاجز ولا الكسلان. وما رئي يأكل متكئاً قط. وكثيراً ما يصلي في نعليه ويلبس القلانس اللاطئة ويلبس القلنسوة تحت العمامة وبدون عمامة ويتعمّم بدون قلنسوة، وكان له عمامة سوداء. دخل يوم فتح مكة وهو لابسها، وكان يلبسها في العيدين ويرخيها خلفه، وروي أنها كانت تسعة أكوار، وقال بعضهم: الظاهر أنها كانت نحو عشرة أذرع بذراع اليد، وكانت له بردة يخطب فيها تتوارثها الخلفاء وادّعوا أنها بُردته ﷺ.

وممّا جاء في وصفه ﷺ أنّه كان حسن الإصغاء الى محدِّثه، لا يلوي عن أحد وجهه ولا يكتفي بالاستماع الى من يحدثه، بل يلتفت إليه بكلّ جسمه، وكان قليل الكلام كثير الإنصات ميّالاً للجد من القول ويضحك أحياناً حتى تبدو نواجذه، فإذا غضب لم يظهر من أثر غضبه إلّا نفرة عرق بين حاجبيه[١].

قصة زينب بنت جحش

هذه القصة تستحق التمحيص، فقد نزل فيها القرآن الكريم واشتملت على عدّة أحكام خالفت أحكام الجاهلية، وذكر فيها بعض المفسرين من المسلمين ما يشوّهها ويخرجها عن حقيقتها، كما ذكروا في قصة يوسف

---

(١) السيرة الحلبية ٣: ٣٣٥ ـ ٣٤٣.

وزليخا وداود وامرأة أُوريا، مثل أنّ رسول الله ﷺ جاء الى منزل زوجها زيد وكان غائباً فرآها تغتسل، فقال: سبحان خالقك[١]، أو أن الهواء رفع الستر فرآها نائمة فوقعت في نفسه فقال: شبه ذلك، وأنه لما جاء زيد أخبرته فظن أنها وقعت في نفسه فأراد طلاقها ليتزوّجها رسول الله ﷺ فقال له: **أمسك عليك زوجك**[٢] ونحو ذلك، واستغل ذلك من يريد عيب الإسلام.

والحقيقة: أن زينب كانت بنت عمّة رسول الله ﷺ، لأن أُمّها أُميمة بنت عبدالمطلب وقد كان ﷺ يعرفها طفلة وشابة[٣] وهي بمنزلة إحدى بناته، وهذا يُكذّب أنه لما رآها وقعت في قلبه.

ثم هو الذي خطبها لزيد مولاه وساق عنه المهر[٤]، فلو كان لها هذا الجمال البارع وهذه المكانة من قلبه لخطبها لنفسه بدلاً من أن يخطبها لمولاه، ولكان أهلها أسرع الى إجابته من إجابتهم الى تزويجها بمولاه وعتيقه.

واحتمال أنها وقعت في قلبه بعد ما تزوجت ولم تقع في قلبه وهي خلية احتمال سخيف كما ترى، فإنّ دواعي الطبيعة قبل تزوّجها أكثر وأشد. ولكن زينب كانت تستطيل على زيد بقربها من رسول الله ﷺ وأنها ابنة عمّته وأنها قرشية وهو مولى والعرب ترى التزوّج بالموالي عاراً، وإنما زوّجها رسول الله ﷺ بزيد كسراً لنخوة الجاهلية ورغماً عن آبائها وآباء عمّها عبدالله، حتى نزل فيهما ـ على بعض الروايات[٥] ـ ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ**

---

(١) نور الثقلين ٤: ٢٨١ ـ ٢٨٢.

(٢) زاد المسير ٦: ٣٨٦ و ٣٨٨ ـ ٣٨٩.

(٣) الاستيعاب ٤: ٤٠٦.

(٤) مجمع البيان ٨: ١٦١، جامع البيان للطبري ١٠: ٣٠١.

(٥) مجمع البيان ٨: ١٦١، الجامع لأحكام القرآن ١٤: ١٨٦ ـ ١٨٧.

﴿وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِيناً﴾[١]. فلم يجدا بدّاً من إطاعة أمر رسول الله ﷺ، وكان تزويجها بزيد عن غير رغبة منها هو أحد أسباب نفورها منه، فاشتكى زيد الى رسول الله ﷺ مراراً سوء خلقها معه وأراد طلاقها[٢]، والرسول ﷺ يقول له: ﴿أمسك عليك زوجك﴾[٣].

ثمّ لما طال به الأمر وطلّقها، وكان رسول الله ﷺ قد تبنّاه فكان يقال له: «زيد بن محمّد» حتى نزلت[٤]: ﴿اُدعوهم لآبائهم هُوَ أقْسَط عِنْدَ الله﴾[٥] فقيل: زيدبن حارثة .

وكان أهل الجاهلية يجرون على المتبنّىٰ أحكام الابن النسبي من الميراث وتحريم النكاح، فأنزل[٦] الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[٧] .

فلمّا طلقها أراد رسول الله ﷺ أن يتزوّجها ليمحو تلك العادة الجاهلية بالفعل، كما محيت بالقول[٨]. وبقي في نفسه بعض الإحجام لما عسى أن يقوله الناس في مخالفة هذه العادة المتأصّلة في نفوسهم فيقولوا تزوّج زوجة ابنه[٩]، فخاطبه الله تعالى مقوّياً عزيمته بقوله: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ

---

(١) الأحزاب: ٣٦.

(٢) مجمع البيان ٨: ١٦١، الجامع لأحكام القرآن ١٤: ١٨٩ .

(٣) الأحزاب: ٣٧.

(٤) مجمع البيان ٨: ١١٩، الجامع لأحكام القرآن ١٤: ١٨٨ .

(٥) الأحزاب: ٥.

(٦) مجمع البيان ٨: ١٦٤، الجامع لأحكام القرآن ١٤: ١١٩، الأمثل ١٣: ١٤٨، الميزان للطباطبائي ١٦: ٢٩٠.

(٧) الأحزاب: ٤ .

(٨) زاد المسير ٦: ٣٩٠، مجمع البيان ٨: ١٦٤، الأمثل ١٣: ٢٤٠.

(٩) التفسير الكبير للرازي ٢٥: ٢١٢، مجمع البيان ٨: ١٦٢، الأمثل ١٣: ٢٣٨ ـ ٢٣٩.

﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾[1] فنفّذ ما أمره الله تعالى به من إبطال أحكام الجاهلية و تزوّجها، فنزل[2] قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولاً﴾[3]

أولاده ﷺ

١ ـ «القاسم»: وبه كان يُكنّى، عاش حتى مشى ومات بمكة[4].

٢ ـ «عبد الله»: ويُلقّب بالطيّب والطاهر لولادته بعد الوحي، ولد بمكة بعد الإسلام ومات بها، وبعضهم يعدّ الطيّب والطاهر اثنين[5].

٣ ـ «فاطمة» : وهي صغرى بناته تزوّجها عليّ عليه السلام بعد الهجرة[6].

٤ ـ «زينب» : وهي كبراهن تزوّجها قبل الإسلام أبوالعاص القاسم. قال المرزباني في معجم الشعراء[7]: وهو الثبت ويقال: لقيط، ويقال: مهشم بن الربيع بن عبدالعزى بن عبد شمس بن عبدمناف. وهو ابن أُخت خديجة، أُمّه هالة بنت خويلد، فمحمّد النبيّ ﷺ صهره[8].

٥ ـ «رقية»[9].

---

(١) الأحزاب: ٣٧.

(٢) مجمع البيان ٨: ١٦٣ ـ ١٦٤، الأمثل ١٣: ٢٤٠، جامع البيان للطبري ١٠: ٣٠٣.

(٣) الأحزاب: ٣٧.

(٤) أُسد الغابة ٤: ٣٧٧ ـ ٣٧٨، منتهى الآمال ١: ٢١٤.

(٥) الطبقات الكبرى ١: ١٣٣، منتهى الآمال ١: ٢١٤.

(٦) إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ ١: ١٦١، الاستيعاب ٤: ٤٤٨.

(٧) تاريخ مدينة دمشق ٦٧: ٨٠٦.

(٨) إعلام الورى بأعلام الهدىٰ ١: ٢٧٥ ـ ٢٧٦، الاستيعاب ٤: ٤٠٩ ـ ٤١٠.

(٩) إعلام الورى بأعلام الهدىٰ ١: ٢٧٦، الاستيعاب ٤: ٣٩٨ ـ ٣٩٩.

٦ـ «أُم كلثوم»[١]: زوّجهما النبيّ ﷺ من عتبة وعتيبة ابني عمّه أبي لهب، فلمّا جاء الإسلام بلغ من عداوة قريش للنبي ﷺ أن قالوا فرّغتم محمّداً من همّه بتزويج بناته، فقالوا لأبي العاص: طلّق ابنة محمّد ونزوّجك بنت من أردت من قريش فأبى، وطلبوا مثل ذلك الى عتبة وعتيبة فطلقا زوجتيهما، فتزوّجهما عثمان واحدة بعد واحدة وأُمّ الكل خديجة[٢][٣].

٧ـ «إبراهيم بن مارية القبطية»: ولد بالمدينة ومات وهو ابن ثمانية عشر شهراً[٤].

أعمامه ﷺ

أبوطالب واسمه «عبدمناف» والزبير وحمزة والمقوّم والعباس وضرار والحارث وقثم وأبولهب واسمه «عبدالعزى» والغيداق واسمه «مصعب، أو نوفل»، وزاد بعضهم جحل واسمه المغيرة وعبدالكعبة[٥].

---

(١) إعلام الورى بأعلام الهدىٰ ١: ٢٧٦، الاستيعاب ٤: ٥٠٦ ـ ٥٠٧.

(٢) أُسد الغابة ٤: ٤٨٩ ـ ٤٩٠، تنقيح المقال ٣: ٧٣ ـ ٧٤ و ٧٨.

(٣) يظهر أنها لم تتزوج أحداً قبل الرسول ﷺ فضلاً عن أن تكون قد تزوجت بزوجين مشركين وفاقدين لأي مكانة بين الناس، ويؤيّد ذلك ما جاء به البلاذري في أنساب الأشراف وأبو القاسم الكوفي في الاستغاثة وغيرهما. وعن ابن عباس أن عمرها حين الاقتران بالرسول ﷺ كان ٢٨ عاماً. راجع شذرات الذهب ١: ١٤، وأنساب الأشراف ١: ٩٨، اعلام الهداية ٣: ٥٠ الطبعة الأُولى، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام وراجع هامش رقم ٣ في الصفحة ١٩ من الكتاب.

(٤) الوفاء بأحوال المصطفى: ٦٧٨، تنقيح المقال ٣: ٨٢.

(٥) المناقب لابن شهرآشوب ١: ١٥٨، السيرة الحلبية ٣: ٣١٣.

عمّاته ﷺ

صفية أُمّ الزبير بن العوام وهي شقيقة حمزة، وعاتكة وأُم حكيم وبرّة وأُميمة وأروى[١].

بوّابه ﷺ

أنس بن مالك مولاه[٢].

شُعراؤه ﷺ

حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة وكعب بن مالك[٣].

مؤذّنوه ﷺ

بلال وابن أُمّ مكتوم بالمدينة وسعد القرظ مولى عمّار بن ياسر بقبا[٤].

سلاحه ﷺ

كان له تسعة سيوف، منها ذوالفقار، وسبع دروع منها ذات الفضول، وست قسي، وثلاث أتراس، ورمحان، وثلاث حراب، وخوذتان[٥].

(١) المناقب لابن شهر آشوب ١: ١٥٨ ـ ١٥٩، السيرة الحلبية ٣: ٣١٣.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ١: ١٦٢، الاستيعاب ١: ١٩٨ ـ ١٩٩.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ١: ١٦٤ ـ ١٦٥، السيرة الحلبية ٣: ٣٢٨.

(٤) المناقب لابن شهرآشوب ١: ١٦٢ ـ ١٦٣، السيرة الحلبية ٣: ٣٢٨.

(٥) المناقب لابن شهرآشوب ١: ١٧٠، السيرة الحلبية ٣: ٣٢٩.

دوابه ﷺ

أفراسه أربع: لزاز والظرب والمرتجز واليعسوب، وقيل: ست فزيد: السكب واللحيف. ونوقه المعدّة للركوب ثلاث: القصواء والعضباء والصهباء. وبغاله ست أشهرها: دلدل، وكانت شهباء. وحمره اثنان أحدهما: يعفور(١).

نقش خاتمه ﷺ

محمّد رسول الله ثلاثة أسطر، وقيل: كان نقش خاتمه: أشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمّداً رسول الله. وكان خاتمه من حديد ملويّ عليه فضة(٢).

مشاهير كتّابه ﷺ

في السيرة الحلبية عن جماعة: كان كتّابه ستة وعشرين كاتباً، وقيل: اثنين وأربعين. قال: وأوّل من كتب له من قريش بمكة: عبدالله بن سعد بن أبي سرح العامري، ثم ارتدّ، وكان يقول: كنت أصرف محمّداً حيث أُريد كان يملي عليّ «عزيز حكيم» فأقول: أو عليم حكيم فيقول: نعم، ونزل فيه: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً﴾(٣)، وأمر ﷺ بقتله يوم الفتح، ففرّ الى عثمان وكان أخاه من الرضاعة أرضعته أُمّ عثمان، فغيّبه عثمان، ثم جاء به واستأمن له رسول الله ﷺ فسكت طويلاً، ثمّ قال: نعم، فلمّا انصرف عثمان قال

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ١: ١٦٨ ـ ١٦٩، السيرة الحلبية ٣: ٣٣٠.

(٢) الطبقات الكُبرى ١: ٤٧٤.

(٣) الأنعام: ١٤٤.

رسول الله صلى الله عليه وآله: **ما صمتُّ عنه إلّا لتقتلوه.**

قال: وأوّل من كتب له من الأنصار بالمدينة أُبيّ بن كعب، كان في أغلب أحواله يكتب الوحي.

قال: وأبوبكر وعمر وعثمان وعليّ وعامر بن فهيرة، وعبدالله بن أرقم وكان ـ يكتب الرسائل للملوك وغيرهم ـ وثابت بن قيس بن شماس وزيد بن ثابت ومعاوية بن أبي‌سفيان وأخوه يزيد والمغيرة ابن شعبة والزبير بن العوّام وخالد بن الوليد والعلاء بن الحضرمي وعمرو بن العاص وعبدالله بن رواحة ومحمّد بن مسلمة وعبدالله بن عبدالله بن أُبي بن سلول... الخ[1] ملخّصاً.

وكانت كتابة جلّهم بالمناوبة وعند الحاجة. وحكى صاحب السيرة الحلبية عن بعضهم: كان معاوية وزيد بن ثابت ملازمين للكتابة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله في الوحي وغيره لا عمل لهما غير ذلك... الخ[2].

قال ابن حجر في الإصابة: قال المدائني: كان زيد بن ثابت يكتب الوحي، وكان معاوية يكتب للنبي صلى الله عليه وآله فيما بينه وبين العرب... الخ. فقول هذا البعض مع جهالته في الوحي وغيره يُراد به كتابة زيد الوحي ومعاوية رسائل العرب، وإلّا فلا يعارض قول المدائني[3].

وفي الاستيعاب: معاوية أحد الذين كتبوا لرسول الله صلى الله عليه وآله... الخ[4]. ولو

---

(١) السيرة الحلبية ٣: ٣٢٦ ـ ٣٢٧.

(٢) المصدر السابق ٣: ٣٢٧.

كان معاوية بمكة وكان الرسول بالمدينة فمتى وكيف كان معاوية يكتب له الوحي؟ ولهذا نجد هناك من يشكك في صحة هذا الزعم وان معاوية لم يكن من كتّاب الوهي للنبي صلى الله عليه وآله وان كان كاتباً وعارفاً بالخط والكتابة.

(٣) الإصابة ٣: ٤٣٤.

(٤) الاستيعاب ٣: ٤٧٠ ـ ٤٧١.

كان يكتب الوحي لذكره، ثم قال في الاستيعاب: روى أبوداود الطيالسي قال: حدّثنا هشيم وأبو عوانة، عن أبي حمزة، عن ابن عباس: أنّ رسول الله ﷺ بعث الى معاوية يكتب له، فقيل: إنّه يأكل ثم بعث إليه، فقيل: إنّه يأكل، فقال رسول الله ﷺ: لا أشبع الله بطنه... الخ[١].

المبعث

بُعث رسول الله ﷺ بالنبوّة في السابع والعشرين من شهر رجب يوم الاثنين على ما روي عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وعمره أربعون سنة[٢]. وكان قبيل البعثة يختلي للعبادة في غار في أعلى جبل يقال له: «حراء» على ثلاثة أميال من شمال مكة، فبقي على ذلك عدّة سنين وفي ذلك الغار نزل عليه الوحي وكان أوّله الرؤيا الصادقة .

روى البخاري[٣] ومسلم[٤]: أن أوّل ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤياً إلّا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبّب إليه الخلاء، فكان يأتي حراء فيتحنّث فيه ـ وهو التعبّد ـ الليالي ذوات العدد ـ حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ ٱلإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلأَكْرَمُ * ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ...﴾[٥]، فرجع بها يرجف فؤاده حتى دخل على خديجة، فقال: زمّلوني

(١) الاستيعاب ٣: ٤٧٤.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ١: ١٧٣، السيرة الحلبية ١: ٢٣٨.

(٣) صحيح البخاري ٦: ٨٧ الطبعة القديمة.

(٤) صحيح مسلم ١: ١٦٠ و ٢٥٢ و ٢٥٣ و ٢٥٤.

(٥) العلق: ١ ـ ٥.

فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال: **يا خديجة ما لي؟! وأخبرها الخبر، وقال: قد خشيت عليّ، فقالت له: كلّا، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنّك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكَلّ وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق**[١].

وروى الواحدي[٢] في أسباب النزول بسنده عن عكرمة والحسن أن أوّل ما أُنزل سورة العلق. ثم روى بسنده عن جابر بن عبدالله الأنصاري أنّه سئل أي القرآن أُنزل قبل؟ قال: ﴿يا أيها المدثر﴾ قبل أو ﴿اقرأ باسم ربّك﴾ فذكر أن رسول الله ﷺ حدّثه قال: **جاورت بحراء شهراً، ثم نزلت فاستبطنت بطن الوادي فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي، ثم نظرت الى السماء فإذا هو في الهواء ـ يعني جبريل ـ فأخذتني رجفة، فأتيت خديجة فأمرتهم فدثّروني، ثم صبّوا عليّ الماء، فأنزل الله عليّ ﴿يا أيُّها المدّثر * قُمْ فأنذِرْ﴾**[٣] ثم جمع بين الروايتين بالحديث عن جابر عن النبيّ: **بينما أنا أمشي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالساً على كرسي بين السماء والأرض، فجئثت**[٤] **منه رعباً فرجعت، فقلت: زمّلوني زمّلوني، فدثّروني فأنزل الله: ﴿يا أيّها المدّثر﴾**[٥].

قال الطبرسي في مجمع البيان بعد نقل ذلك: وفي هذا ما فيه؛ لأنّ الله تعالى لا يوحي الى رسوله إلّا بالبراهين النيّرة والآيات البيّنة الدالة على أنّ ما يُوحىٰ إليه إنّما هو من الله تعالى، فلا يحتاج الى شيء سواها ولا يفزع ولا يفرق، وقيل: إنّه كان قد تدثّر بشملة صغيرة لينام فنزلت[٦].

---

(١) السيرة الحلبية ١: ٢٤٢.

(٢) أسباب النزول للواحدي: ٦.

(٣) المدثر: ١ ـ ٢.

(٤) أي فزعت. (المؤلّف)

(٥) أسباب النزول للواحدي: ٧.

(٦) مجمع البيان ٥: ٤٨٧.

وقيل: أوّل ما أُنزل سورة الفاتحة، ففي مجمع البيان. أن الحاكم روى بسنده أن رسول الله ﷺ، قال لخديجة: إذا خلوتُ سمعت نداءً. فقالت: ما يفعل الله بك إلّا خيراً، فوالله إنّك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث، قالت خديجة: فانطلقنا الى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى وهو ابن عمّ خديجة وكان من أهل العلم الأول، فأخبره رسول الله ﷺ بما رأى، فقال له ورقة: إذا أتاك فاثبت له حتى تسمع ما يقول، ثم ائتني فأخبرني، فلمّا خلا ناداه: يا محمّد، قل: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم الحمدُ لله رب العالمين... حتى بلغ ولا الضّالين﴾ قل لا إله إلّا الله، فأتى ورقة فذكر له ذلك، فقال له: أبشر ثم أبشر فأنا أشهد أنّك الذي بشّر به ابن مريم، وأنك على مثل ناموس موسى، وأنك نبي مرسل، وأنك سوف تُؤمر بالجهاد ولئن أدركني ذلك لأُجاهدنّ معك، وروي أن ورقة قال في ذلك شعراً:

فإن يُك حقاً يا خديجة فاعلمي ... حديثك إيّانا فأحمد مرسل
وجبريل يأتيه وميكال معهما ... من الله وحي يشرح الصدر ينزل
يفوز به من فاز عزّ لدينه ... ويشقى به الغاوي الشقي المضلل
فريقان منهم فرقة في جنانه ... وأُخرى بأغلال الجحيم تغلل(١)

أقول: وفي هذا أيضاً ما فيه كما سبق عن مجمع البيان، من أن الله تعالى لا يوحي الى رسوله إلّا بالبراهين النيّرة، ولم يكن ورقة أعرف بالله وبآياته منه ﷺ، حتى يأتي إليه ويستثبت منه، ويوشك أن تكون هذه الروايات كروايات الغرانيق الآتية وسهوه في الصلاة وشبه ذلك.

---

(١) مجمع البيان ٥: ٦٥٧.

احتباس الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وآله

في مجمع البيان: احتبس عنه الوحي خمسة عشر يوماً، عن ابن عباس، وقيل: اثني عشر يوماً عن ابن جريح، وقيل: أربعين يوماً عن مقاتل، قال ابن عباس: فقال المشركون: إنّ محمّداً قد ودعه ربّه وقلاه[١]، ولو كان أمره من الله لتتابع عليه الوحي، فنزلت: ﴿ **وَٱلضُّحَىٰ * وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ** ﴾[٢].

وروى الواحدي في أسباب النزول عن البخاري ومسلم: أنّ امرأة من قريش قالت له: ما أرى شيطانك إلّا ودّعك، فنزلت[٣]. وحكى الطبرسي في مجمع البيان: أنّ القائلة له ذلك هي أُمّ جميل بنت حرب زوجة أبي لهب[٤].

وروى الواحدي في أسباب النزول أنّه أبطأ جبرئيل عن النبيّ صلى الله عليه وآله فجزع جزعاً شديداً، فقالت خديجة: قد قلاك ربّك لما يرى من جزعك، فنزلت[٥].

أقول: الصواب أنّ القائل له ذلك المشركون أو أُم جميل أو الجميع، أما خديجة فكانت أعرف بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله من أن تقابله بهذا الكلام، وكانت عادتها إذا رأت منه ما يهمّه أن تسلّيه، لا أن تزيد في همّه وتجابهه بقولها: قد قلاك ربّك.

(١) ودعه: تركه. وقلاه: أبغضه.

(٢) مجمع البيان ٥: ٦٤٣، الضحى: ١ ـ ٣.

(٣) أسباب النزول للواحدي: ٣٠١.

(٤) مجمع البيان ٥: ٦٤٤.

(٥) أسباب النزول للواحدي: ٣٠٢.

حالة الناس قبل الإسلام

كان الناس قبل الإسلام يعبدون الأصنام كمشركي العرب وغيرهم، ومنهم من يعبد النار وهم المجوس، ومنهم من يعبد النجوم والكواكب، ومنهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الآدميين، ومن عبدة الأصنام والأوثان من لا يؤمن بالبعث، ويرى أن الأصنام تنفعه في دنياه ويقول: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾(١) ﴿وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً﴾(٢) ﴿ءَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً ءَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾(٣) ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾(٤).

وقال في ذلك شاعرهم:

ذرينا نصطبح يا أُم عمرو ... فإنّ الموت نقب عن هشام
ونقب عن أبيك أبي سعيد ... أخي الفتيان والشرب الكرام
يخبرنا ابن كبشة أن سنحيا ... وكيف حياة أصداء وهام
أتقتلني إذا ما كنت حياً ... وتحييني إذا بليت عظامي(٥)

والذين كانوا على شرائع الأنبياء كانوا قد غيّروا وبدّلوا واتّخذوا رؤساءهم أرباباً من دون الله، حلّلوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً، فاتّبعوهم وأشركوا بالله تعالى، جعلوا له شركاء من خلقه ومن الآدميين، وكانت العرب ومنها

---

(١) الأنعام: ٢٩.

(٢) الإسراء: ٤٩.

(٣) الصافات: ١٦.

(٤) المؤمنون: ٣٥.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٢٩.

قريش عشيرة رسول الله صلى الله عليه وآله تعبد الأصنام من الأحجار والأشجار والرصاص والنحاس والخشب تعملها بأيديها ثم تعبدها، وتقول: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾[1]. وكان لكل قبيلة صنم وفي كل بيت صنم أو أصنام فيسجدون لها وينحرون ويذبحون لها ويسألونها حوائجهم ويجعلون لها السدنة وينذرون لها النذور. وكانوا يأخذون الربا ويشربون الخمر ويطوفون بالبيت عراة رجالاً ونساء، وقد فشا فيهم الزنا وارتكاب الفواحش[2].

بماذا بُعث النبي صلى الله عليه وآله ؟

فبعث الله تعالى نبيّه على حين فترة من الرسل خاتماً للنبيين وناسخاً شرائع من كان قبله من المرسلين الى الناس كافة، أسودهم وأبيضهم عربيهم وعجميهم، وقد مُلئت الأرض من مشرقها الى مغربها بالخرافات والسخافات والبدع والقبائح وعبادة الأوثان.

فقام صلى الله عليه وآله في وجه العالم كافة ودعا الى الإيمان بإله واحد خالق رازق مالك لكل أمر وبيده النفع والضر، لم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل ولم يتخذ صاحبة ولم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، آمراً بعبادته وحده لا شريك له، مبطلاً عبادة الأصنام والأوثان، التي لا تضر ولا تنفع ولا تعقل ولا تسمع ولا تدفع عن أنفسها ولا عن غيرها ضرّاً ولا ضيماً، متمّماً لمكارم الأخلاق، حاثّاً على محاسن الصفات، آمراً بكل حسن ناهياً عن

---

(١) الزمر: ٣.

(٢) الميزان للطباطبائي ١٠: ٢٧٣.

كل قبيح: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ ٱللَّهِ﴾[١].

سهولة الشريعة الإسلامية وسماحتها

واكتفى من الناس بأن يقولوا: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويصوموا شهر رمضان ويحجّوا البيت ويلتزموا بأحكام الإسلام. وكان قول هاتين الكلمتين لا إله إلّا الله محمّد رسول الله، موجباً أن يكون لقائلهما ما للمسلمين وعليه ممّا عليهم على أي حال كان، ولو قالهما والسيف على رأسه .

سموّ التعاليم الإسلامية

بعث بالمساواة في الحقوق بين جميع الخلق، وأن لا أحد خيراً من أحد إلّا بالتقوى. وبالأُخوة بين جميع المؤمنين: **﴿إنّما المُؤْمِنُونَ إخوة﴾**[٢] وبالكفاءة بينهم: **«المُؤْمِنُونَ بعضهم أكفاء بعض»**[٣] **«المؤمنون تتكافأُ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم»**[٤] وبالعفو العام عمّن دخل في الإسلام: **«الإسلام يجبّ ما قبله»**[٥].

وسنّ شريعة باهرة وقانوناً عادلاً تلقّاه عن الله تعالى، وتلقّاه عنه

---

(١) آل عمران: ٦٤.

(٢) الحجرات: ١٠.

(٣) الخلاف للشيخ الطوسي ٤: ٢٧٢.

(٤) الخلاف للشيخ الطوسي ٤: ٢٧٢، مسند أحمد ١: ١١٩ و ٢: ٢١٩.

(٥) الخلاف للشيخ الطوسي ٥: ٤٦٩، ومسند أحمد ٤: ١٩٩، والطبقات الكُبرى ٧: ٤٩٧.

المسلمون وحفظوه في صدورهم وفي كتبهم، ولم يختلفوا في لبّه وجوهره وأجمعوا واتّفقوا عليه، وإن اختلفوا في بعض تفاريعه مع كون كل منهم يرى أنه يرجع في رأيه الى الأصل المسلّم بينهم، ويرد تلك التفاريع إليه، فكان هذا القانون جامعاً لأحكام عباداتهم ومعاملاتهم وما يحتاجونه في معاشهم ومعادهم، فكان عبادياً اجتماعياً سياسياً أخلاقياً لا يشذّ عنه شيء ممّا يمكن وقوعه في الكون ويحتاج إليه بنو آدم، فما من واقعة تقع ولا حادثة تحدث إلّا ولها في الشريعة الإسلامية أصل مسلّم عند المسلمين ترجع إليه، وهذا ممّا امتازت به الشريعة الإسلامية، ذلك لأنها خاتمة الشرائع وباقية الى انقراض عمر الدنيا.

ففي العبادات: الطهارة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج. وفي المعاملات والاجتماعيات: البيع، والإجارة، والمزارعة، والمساقاة، والهبة. وفي أحكام هذه المذكورات حفظ نظام الاجتماع. وفيها النكاح لبقاء النسل وقطع مادة الفساد، والميراث، والوصية والوقف، لئلّا يحرم المرء من منفعة ماله بعد موته، والقضاء لرفع الخصام على قاعدة العدل.

وفي الأخلاقيات العِشرة، الآداب، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ.

وفي السياسات: الجهاد لحفظ بيضة الإسلام والدفاع عن الوطن، والسبق والرماية لتعليم فنون الحرب والجندية، والحدود والديات لحفظ النفوس والأموال وقمع الجرائم.

على أن العبادات في الدين الإسلامي لا تتمحض لمجرد العبادة، ففيها منافع بدنية واجتماعية وسياسية، فالطهارة تفيد النظافة، وفي الصلاة رياضة البدن، وفي صلاة الجماعة والحج فوائد اجتماعية وسياسية ظاهرة، وفي

الصوم فوائد صحية لا تنكر والاحاطة بفوائد الأحكام الإسلامية الظاهرة، فضلاً عن الخفية تتعسر أو تتعذر، ولما في هذا الدين من محاسن وموافقة أحكامه للعقول وسهولتها وسماحتها ورفع الحرج فيه والاكتفاء باظهار الشهادتين، ولما في تعاليمه من السمو والحزم والجد، دخل الناس فيه أفواجاً وقضى أهله على أعظم ممالك الأرض مملكة الأكاسرة ومملكة الروم، واخترق شرق الأرض وغربها ودخل جميع أقاليمها وأقطارها، ودانت به الأُمم على اختلاف عناصرها ولغاتها. ولم يمضِ زمن قليل حتى أصبح هذا الرجل الذي فرّ من مكة مستخفياً وأصحابه يعذبون ويستذلون ويفتنون عن دينهم، يعتصمون تارة بالخروج الى الحبشة مستخفين، وأُخرى بالخروج الى المدينة متسللين، يدخل مكة بأصحابه هؤلاء في عمرة القضاء ظاهراً على رغم جبابرة قريش، لا يستطيعون دفعه ولا منعه. ولم تمض إلّا مدة قليلة حتى دخل مكة فاتحاً لها مالكاً رقاب أهلها، فدخلوا في الإسلام طوعاً وكرهاً وتوافدت عليه رؤساء العرب مقدمة طاعتها، وسمت نفسه الى مكاتبة ملوك الأرض كسرى و قيصر ومن دونهما، ودعاهما الى الإسلام أو الجزية و غزا بلاد قيصر مع بعد المشقّة.

وظهر دينه على الدين كلّه ـ كما وعده ربّه ـ وفتح أتباعه ممالك الدنيا، ولم يقم هذا الدين بالسيف و القهر كما يصوّره من يريد الوقيعة فيه، بل كما أمر الله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1]. و ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾، ولم يحارب أهل مكة وسائر العرب حتى حاربوه وأرادوا قتله وأخرجوه وأقرّ أهل الأديان التي

(١) النحل: ١٢٥.

نزلت بها الكتب السماوية على أديانهم، و لم يجبرهم على الدخول في الإسلام، وأجبر الوثنيين على ذلك ولم يغزُ بلاد قيصر ليجبر على الإسلام كما مرّ.

ولم يكن تأخر أتباع هذا الدين و ضعفهم ناشئاً إلّا عن عدم تمسّكهم بتعاليم دينهم. ولم يكن فتح بلادهم و ممالكهم إلّا لتهاونهم بما أمرهم به ربّهم على لسان نبيّهم صلى الله عليه وآله بقوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ...﴾، و عدم فهمهم مغزى قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾.

القرآن الكريم

وأنزل الله تعالى على نبيّه حين بعثه بالنبوة قرآناً عربيّاً مبيناً ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[١] أعجز به البلغاء وأخرس الفصحاء وتحدّاهم فيه بالمعارضة و عجزهم فلم يستطيعوا معارضته وهم أفصح العرب وإليهم تنتهي الفصاحة والبلاغة، فحوى من أحكام الدين وأخبار الماضين و تهذيب الأخلاق والأمر بالعدل والنهي عن الظلم وتبيان كل شيء ما يزال يتلى على كر الدهور و مرّ الأيام وهو غض طري يحير ببيانه العقول ولا تملّه الطباع مهما تكررت تلاوته و تقادم عهده.

(١) فصلت: ٤٢.

أمر الشريعة الإسلامية بالعلم والنظر والتفكير وإعمال العقل

العلم:

قال الله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١) .

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَاء﴾(٢) .

﴿وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(٣).

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾(٤).

﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ* ٱلَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ ٱلْإِنسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ﴾(٥) .

﴿ذَالِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾(٦) .

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(٧) .

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلائكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾(٨) .

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾(٩) .

﴿وَمَآ يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَالِمُونَ﴾(١٠) .

وقال صاحب الشريعة الإسلامية ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**

---

(١) الزمر: ٩.

(٢) فاطر: ٢٨.

(٣) الأنعام: ١٠٥.

(٤) محمد: ١٩.

(٥) العلق: ٣ـ٥.

(٦) يوسف: ٣٧.

(٧) طه: ١١٤.

(٨) آل عمران: ١٨.

(٩) المجادلة: ١١.

(١٠) العنكبوت: ٤٣.

ومسلمة»[١] «اطلبوا العلم ولو في الصين»[٢] «فضل العالم على غيره كفضل القمر على سائر النجوم»[٣] ، وأوجب الشرع الإسلامي تعلم كل علم نافع ديني أو صناعي أو يتوقف عليه علم ديني على الكفاية فإذا وجد في الأُمّة من عنده من هذه العلوم ما يقوم بحاجة الخلق في دينهم و دنياهم سقط وجوب التعلم عن الباقين وبقي الاستحباب والندب، وإذا لم يوجد في الأُمّة من عنده ما يقوم بحاجة الخلق وجب عليهم التعلم فإذا لم يتعلموا كانوا مذنبين كلّهم مستحقين للعقاب في الآخرة .

علم الصناعات وآلات الحرب

قال الله تعالى : ﴿وعلّمناه صنعة لبوس لكم﴾[٤]
﴿وأنزلنا الحديد فيه بأسٍ شديد﴾[٥].

علم الجغرافيا والهيأة

﴿ويتفكرون في خلق السموات والأرض﴾[٦].
﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾[٧].

---

(١) شرح مسند أبي‌حنيفة للملا عليّ القاري: ٥٣٧، مستدرك الوسائل ١٧: ٢٤٩.
(٢) كشف الخفاء ٢: ٤٤، الذكرى : ١٥٤.
(٣) تحرير الأحكام ١: ٣٥، سنن الدارمي ١: ٩٨ .
(٤) الأنبياء: ٨٠ .
(٥) الحديد: ٢٥ .
(٦) آل عمران: ١٩١ .
(٧) يوسف: ١٠٩ .

﴿ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلّا بالحق﴾[١].

﴿وإلى السماء كيف رفعت* وإلى الجبال كيف نصبت* وإلى الأرض كيف سطحت﴾[٢].

﴿أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيّناها وما لها من فروج* والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كلّ زوج بهيج﴾[٣].

﴿وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم﴾[٤].

﴿الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها وسخّر الشمس والقمر كلّ يجري لأجل مسمّى* وهو الذي مدّ الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً﴾[٥].

﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾[٦].

﴿والقمر قدّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم* لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكلّ في فلك يسبحون﴾[٧].

﴿وسخّر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخّرات بأمره﴾[٨].

﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾[٩].

---

(١) الروم: ٨.
(٢) الغاشية: ١٨ ـ ٢٠.
(٣) سورة ق: ٦ ـ ٧.
(٤) النحل: ١٥.
(٥) الرعد: ٢ ـ ٣.
(٦) فاطر: ١٣.
(٧) يس: ٣٩ ـ ٤٠.
(٨) النحل: ١٢.
(٩) النحل: ١٦.

علم التوحيد والكلام:

﴿فأعلم أنه لا إله إلّا الله﴾[١] .

﴿لو كان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا﴾[٢].

﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شُركاء متشاكسون ورجلاً سَلماً لرجل هل يستويان﴾[٣].

﴿أفَعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد﴾[٤].

﴿يا أيّها الناس إن كُنتم في ريب من البعث فإنّا خلقناكم من تراب ثُمّ من نطفة ثُمّ من علقة ثُمّ من مضغة مخلّقة وغير مخلّقة ثُمّ نخرجكم طفلاً ثُمّ لتبلغوا أشدكم﴾[٥].

﴿وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت وربت وأنبتت من كلّ زوج بهيج ذلك بأنّ الله هو الحق وانّه يُحيي الموتى وانّه على كلّ شيء قدير﴾[٦].

﴿قال من يُحيي العظام وهي رميم* قل يُحييها الذي أنشاها أوّل مرة وهو بكلّ خلق عليم﴾[٧]

﴿ومن آياته انّك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت وربت إنّ الذي أحياها لمحيي الموتى إنّه على كلّ شيء قدير﴾[٨].

---

(١) محمّد: ١٩.

(٢) الأنبياء: ٢٢ .

(٣) الزمر: ٢٩ .

(٤) سورة ق: ١٥ .

(٥) الحج: ٥ .

(٦) الحج: ٥ ـ ٦ .

(٧) يس: ٧٨ ـ ٧٩ .

(٨) فصّلت: ٣٩ .

علم التاريخ :

وفيما اقتص الله تعالى في القرآن الكريم من أخبار الماضين[١] حثّ على علم التاريخ .

النظر[٢]

قال الله تعالى : ﴿فلينظر الإنسان الى طعامه﴾[٣] .

﴿فلينظر الإنسان ممّ خلق﴾[٤].

﴿أفلا ينظرون الى الإبل كيف خُلقت * والى السماء كيف رفعت...الآية﴾[٥].

﴿أوَ لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض﴾[٦] .

﴿أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها... الآية﴾[٧].

﴿فانظر الى طعامك وانظر الى حمارك وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً﴾[٨].

---

(١) تبلغ أخبار الماضين وقصص الأنبياء وأممهم حوالي ثلث القرآن، وهذا ان دلّ على شيء فإنّما يدلّ على مدى أهمية علوم التاريخ وليست علماً واحداً إذاً. أضفنا علم سنن التاريخ، وعلم التحليل لحوادث التاريخ وفلسفتا وعلم فلسفة التاريخ الذي تعرّض له القرآن وأسّس أُسسه وبنى دعائمه.

(٢) علم النظر والاستدلال: هو علم الكلام. المنجد: مادة «نظر».

(٣) عبس: ٢٤ .

(٤) الطارق: ٥ .

(٥) الغاشية: ١٧ ـ ١٨ .

(٦) الأعراف: ١٨٥ .

(٧) سورة ق: ٦ .

(٨) البقرة: ٢٥٩ .

﴿فانظر الى آثار رحمة الله﴾[١]

﴿انظروا الى ثمره إذا أثمر﴾[٢].

﴿قل انظروا ماذا في السماوات والأرض﴾[٣].

﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾[٤].

التفكير:

﴿ ويتفكّرون في خلق السماوات والأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً﴾[٥].

﴿لعلّهم يتفكّرون﴾[٦].

﴿نُفصّل الآيات لقوم يتفكّرون﴾[٧].

﴿إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون﴾[٨].

﴿أوَلم يتفكّروا في أنفسهم ما خلق الله السموات و الأرض وما بينهما إلّا بالحق﴾[٩].

إعمال العقل:

﴿انّ في ذلك لآية لقوم يعقلون﴾[١٠].

---

(١) الروم: ٥.

(٢) الأنعام: ٩٩.

(٣) يونس: ١٠١.

(٤) العنكبوت: ٢٠.

(٥) آل عمران: ١٩١.

(٦) يونس: ٢٤.

(٧) الرعد: ٣.

(٨) الروم: ٢١.

(٩) الروم: ٨.

(١٠) الرعد: ٤.

﴿ولقد تركنا منها آية بيّنة لقوم يعقلون﴾[١].

﴿نُفصّل الآيات لقوم يعقلون﴾[٢].

﴿ويُريكم آياته لعلّكم تعقلون﴾[٣].

﴿وصّاكم به لعلّكم تعقلون﴾[٤].

﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنّها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور﴾[٥].

أمرها بالأخذ بالدليل والبرهان ونهيها عن التقليد واتّباع الظن:

فمن الأمر بالأخذ بالدليل والبرهان قوله تعالى: ﴿ومن يدعُ مع الله إلٰها آخر لا برهان له به فإنّما حسابه عند ربه﴾[٦].

﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾[٧].

﴿فقلنا هاتوا برهانكم﴾[٨].

ومن ذم التقليد قوله تعالى: ﴿قالوا بل نتّبع ما ألفينا عليه آباءنا أوَلو كان آباوهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾[٩].

﴿قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون﴾[١٠].

---

(١) العنكبوت: ٣٥.

(٢) الروم: ٢٨.

(٣) البقرة: ٧٣.

(٤) الأنعام: ١٥١.

(٥) الحج: ٤٦.

(٦) المؤمنون: ١١٧.

(٧) النمل: ٦٤.

(٨) القصص: ٧٥.

(٩) البقرة: ١٧٠.

(١٠) المائدة: ١٠٤.

﴿قالوا بل نتّبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير﴾(١).

﴿قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين * قال لقد كنتم أنتم وآباوكم في ضلال مبين﴾(٢).

﴿إنّا وجدنا آباءنا على أُمّة وإنّا على آثارهم مقتدون* قل أوَ لَو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم﴾(٣).

ومن النهي عن اتّباع الظن ولزوم اتباع العلم قوله تعالى: ﴿وما يتّبع أكثرهم إلّا ظنّاً إنّ الظنّ لا يغني من الحق شيئاً﴾(٤).

﴿ما لهم به من علم إلّا اتّباع الظن﴾(٥).

﴿قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلّا الظن وإن أنتم إلّا تخرصون﴾(٦).

حثها على السعي والجد والعمل وترك البطالة والكسل

﴿وأن ليس للإنسان إلّا ما سعى* وأن سعيه سوف يُرى﴾(٧).

﴿وَقُل اعمَلوا فَسَيرى الله عَمَلكُمْ وَرَسُوله﴾(٨).

﴿فَمَنْ يَعملُ مِثقالَ ذَرّةٍ خَيْراً يَره* وَمَنْ يَعملُ مِثقال ذَرة شرّاً يَرَه﴾(٩).

---

(١) لقمان: ٢١.

(٢) الأنبياء: ٥٣ ـ ٥٤.

(٣) الزخرف: ٢٣ ـ ٢٤.

(٤) يونس: ٣٦.

(٥) النساء: ١٥٧.

(٦) الأنعام: ١٤٨.

(٧) النجم: ٣٩ ـ ٤٠.

(٨) التوبة: ١٠٥.

(٩) الزلزلة: ٧ ـ ٨.

الأُخوة الخاصّة في الإسلام

أوّل مؤاخاة في الإسلام كانت بين المهاجرين ثم بين المهاجرين والأنصار، آخى بينهم النبيّ ﷺ[١] ـ كما سياتي ـ وسمّيناه مؤاخاة خاصة باعتبار أنها بين جماعة معدودين، وإن كانت عامة باعتبار أنها بين جميع المسلمين الموجودين يومئذٍ لانحصار المسلمين فيهم في ذلك الوقت، بخلاف المؤاخاة العامة الآتية، فهي بين المسلمين الموجودين ومن سيوجد الى يوم القيامة، وأراد ﷺ بناء الإسلام على أساس ثابت وطيد هو تأليف القلوب ورفع الشحناء من النفوس والتناصر والتعاون في الأعمال، لأن ذلك هو السبب الوحيد في نجاح الأعمال ورقيّ الأُمم.

الأُخوة العامّة في الإسلام

آخى الإسلام بين عموم أهله، قريبهم وبعيدهم عربيهم وعجميهم شريفهم ووضيعهم ملوكهم وسوقتهم رجالهم ونسائهم من وجد منهم ومن سيوجد الى يوم القيامة، أعلن الله تعالى ذلك في كتابه العزيز على لسان نبيه الذي أرسله بهذا الدين وتلاه النبيّ جهاراً على المسلمين فسمعوه وقرؤوه وحفظوه وكرروا تلاوته مجتمعين ومنفردين، فقال: ﴿إنّما المؤمنون إخوة﴾[٢] بلفظ إنّما المفيد للحصر فأصبح بمقتضى ذلك المسلم الذي في أقصى المغرب أخاً للمسلم الذي في أقصى المشرق . وبهذه الأُخوة وعلى أساسها المتين

(١) عيون الأثر ١: ٢٣٠ ـ ٢٣٢، والمناقب لابن شهر آشوب ٢: ١٨٥ .

(٢) الحجرات: ١٠ .

والمحافظة عليها قام الإسلام وظهر وانتشر، وبالتهاون بها ضعف وتقهقر.

ثم جعل لهذه الأُخوة حقوقاً وحدوداً ولوازم فأمر بالاصلاح بين المتخاصمين منهم، وأردف قوله هذا بقوله ﴿فأصلحوا بين أخويكم﴾[١] وفرّعه عليه منبّهاً على أن الاصلاح هو من مقتضى تلك الأُخوة وموجبها وبالنصرة فقال النبيّ ﷺ: «انصر أخاك ظالماً أومظلوماً»[٢].

ظالماً: بردعه عن الظلم، ومظلوماً: بدفع الظلم عنه، وهذه هي الأُخوة الصحيحة الشريفة، لا أُنصر لُخاك ظالماً أومظلوماً، ظالماً على ظلمه ومظلوماً على من ظلمه».

وقال ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يثلمه»[٣].

وحرّم عليه عرضه وماله ودمه[٤]، ونهى عن أن يهجر أخاه فوق ثلاث[٥]. وهذا يسير من كثير من لوازم الأُخوة في الإسلام.

فانظر بعين عقلك كم في هذه الأُخوة من فوائد ومنافع ومصالح عامة سياسية واجتماعية وأخلاقية، وكم فيها من تأليف للقلوب وحفظ للنظام الاجتماعي، وحرص على هناء العيش وسعادة البشر.

العدالة والمساواة في الحقوق في الشريعة الإسلامية

الشريعة الإسلامية يتساوى فيها جميع الخلق في الحقوق :الملوك

---

(١) الحجرات: ١٠.

(٢) المعجم الصغير ١: ٢٠٨، جواهر الكلام ٤١: ٧٦.

(٣) المحلّى ٦: ١٥٧، الكافي ٢: ١٦٧.

(٤) تحف العقول: ٥٧، سنن الترمذي ٣: ٢١٨.

(٥) المجموع ١٦: ٤٤٩، إيضاح الفوائد ٤: ٣٦.

والرعايا والأُمراء والسوقة والأشراف وغيرهم والأغنياء والفقراء، «لا يحلّ مال امرئ إلّا عن طيب نفسه»[(١)] و«لا شفاعة في حدٍ والعدل شامل للكل»[(٢)].

﴿وأُمرت لأعدل بينكم﴾[(٣)].

﴿إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان﴾[(٤)].

﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾[(٥)].

﴿وإذا قلتم فاعدلوا﴾[(٦)].

﴿إنّ الله يـأمركم أن تـؤدّوا الأمـانات الى أهـلها* وإذا حكـمتم بـين النـاس أن تحكموا بالعدل﴾[(٧)].

﴿فأ صلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إنّ الله يحبّ المقسطين﴾[(٨)].

القضاء في الشريعة الإسلامية

يجب في القاضي أن يكون عدلاً عالماً بالقضاء ، ومن آدابه أن يـجلس في وسط البلد وأن لا يقضي مع شغل القلب بـغضب وجـوع وعـطش وهـمّ وفرح وغيرها، وعليه أن يُسوّي بين الخصمين في الكلام والسلام والمكـان والنظر والإنصات والمـيل القـلبي إلّا أن يـخرج عـن الاخـتيار، وليس له أن

---

(١) منتهى المطلب ١: ٤٧٩، فتح الباري ١٢: ٢٩٩.

(٢) السرائر ٣: ٦٢٠.

(٣) الشورى: ١٥.

(٤) النحل: ٩٠.

(٥) المائدة: ٨.

(٦) الأنعام: ١٥٢.

(٧) النساء: ٥٨.

(٨) الحجرات: ٩.

يُضيّف أحد الخصمين دون الآخر ولا أن ينظر الى أحدهما ويقول له تكلم، بل إما أن يسكت حتى يتكلم واحد منهما، أوينظر إليهما معاً ويقول: ليتكلم المُدّعي أو يقول ذلك بدون أن ينظر الى أحد. ويجب العدل في الحكم ويحرم الرشوة وقبول الهدية وأن يلقن أحد الخصمين ما فيه ضرر على خصمه، ولا يجوز أن يتعتع الشاهد بأن يداخله في كلامه ما فيه نفع أوضرر للمشهود له أولخصمه أويرغبه في الشهادة.

ويلزم في الشاهد العدالة، ولا تقبل شهادة الشريك لشريكه ولا العدو ولا شهادة المتبرع بشهادته قبل أن يسأل، ويجمع القاضي قضايا كل يوم ويكتب عليها قضايا يوم كذا في شهر كذا في سنة كذا، ثم قضايا كل أُسبوع ويكتب عليها كذلك، ثم قضايا كل شهر ويكتب عليها كذلك ثم قضايا كل سنة ويكتب عليها كذلك حتى يهون عليه استخراج كل قضية عند الحاجة إليها.

وخوّف النبيّ ﷺ من يدعي ما ليس له بحق فقال : **«إنّما أقضي بينكم بالبيّنات والأيمان، فمن اقتطعت له قطعة من مال أخيه فكأنّما اقتطعت له قطعة من نار جهنم»**[1].

حفظ الأمن في الشريعة الإسلامية

وبالغ الدين الإسلامي في حفظ الأمن والمحافظة على الأموال والدماء وشدد فيه وفرض العقوبات الشديدة على مخالفيه التي قد تنتهي الى القتل، فجعل **﴿جزاء الذين يسعون في الأرض فساداً أن يقتّلوا أويصلّبوا أوتقطع أيديهم**

---

(١) المعجم الكبير ٢٣: ٣٨٢، مسالك الأفهام ٥: ١٣٣ .

وأرجلهم من خلاف أو يُنفوا من الأرض﴾[١] .

وأمر بقطع يد السارق: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً﴾[٢] وبقتل القاتل عمداً تغريم الدية في الخطأ مع الحث على العفو.

وبأن ﴿النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأُذن بالأُذن والجروح قصاص ومن عفا فهو خير له﴾[٣].

حفظ الصحة في الإسلام

واعتنى الدين الإسلامي بحفظ الصحة عناية فائقة، فجعل «النظافة من الإيمان»[٤].

وأمر بقص الأظفار والشوارب وتسريح الشعر والغسل عند الجنابة وبعد الحيض ومس الميت وبتغسيل الميت، والوضوء عند كلّ صلاة وتجديده، وغسل الثياب والبدن والأواني من النجاسة والقذارة وفركها بالتراب من بعض النجاسات التي لا يطمأن بزوالها بدون ذلك، وأمر بالتنزّه عن الماء الآجن والاستنجاء من البول والغائط .

وأباح للمريض ترك الصوم بل أوجبه، ورخّص في ترك كل عبادة يخاف منها الإضرار بالصحة، وحرّم تناول كل طعام أوشراب مضرّ بالصحة ومنه الزيادة في الأكل على الشبع .

(١) المائدة: ٣٣.

(٢) المائدة: ٤٥ .

(٣) المائدة: ٤٥ .

(٤) مستدرك البحار ٦: ٦٠٥.

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «**المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء**»(١) وأمر بأن لا يجلس على الطعام إلّا وهو يشتهيه ولا يقوم عنه إلّا وهو يشتهيه . وقال الله تعالى : ﴿**وكلوا واشربوا ولا تسرفوا**﴾(٢) فجمع بذلك أساس علم الطب وحفظ الصحة وأهم أُموره، وأوجب تعلم علم الطب وملحقاته على الكفاية .

الواجبات والمندوبات في الإسلام

وممّا أوجب الدين الإسلامي:

الصلاة في خمسة أوقات، ليكون العبد ذاكراً لربّه متوجهاً إليه آناء الليل والنهار في أول النهار ووسطه وآخره وفي أوّل الليل وعند العشاء شكراً له على ما أنعم . وخضوعاً له تعالى بالركوع والانحناء والسجود ووضع أشرف أعضاء البدن على الأرض، ولم يوجب بعد العشاء صلاة لأنه وقت الراحة والنوم وإنّما ندب الى الصلاة في آخر الليل وفي ساعة الغفلة، وندب الى الصلاة الجماعة لما في الاجتماع من الفوائد الظاهرة .

وأمر بالنظافة والطهارة والتنزّه عن النجاسة والقذارة، والله يحب المتطهرين.

﴿**وثيابك فطهّر * والرجز فاهجر**﴾(٣) .

وإيتاء الزكاة مواساةً للفقراء : ﴿**إنّما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلّفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل**﴾(٤).

---

(١) تاريخ ابن خلدون ١: ٤١٥، مستدرك الوسائل ١٦: ٤٥٣ .

(٢) الأعراف: ٣١ .

(٣) المدثر: ٤ ـ ٥ .

(٤) التوبة: ٦٠ .

وصوم شهر رمضان كفاً للنفس عن الشهوات ورياضة لها وتشبّهاً بالروحانيين .

وحجّ بيت الله الحرام من استطاع إليه سبيلاً مع نزع المخيط وكشف الرؤوس للرجال والامتناع عن الشهوات والاجتماع في موقف تتساوى فيه الملوك والصعاليك والسادات والعبيد، متوجهين الى الله تعالى قائلين بصوت واحد: «لبّيك اللّهم لبّيك» يتعارفون ويتآلفون من جميع أقطار الدنيا ويتذكرون بموقفهم ذلك وقوفهم في المحشر .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باللسان واليد . وإنكار المنكر بالقلب ﴿**ولتكن منكم أُمّة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر أُولئك هم المفلحون**﴾(١).

وأمر بالصدق وأداء الأمانة والعدل والإنصاف: ﴿**فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤدّ الذي أُؤتمن أمانته**﴾(٢)، ﴿**إنّ الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات الى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل**﴾(٣) .

﴿**إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**﴾(٤).

﴿**قل أمَرَ ربّي بالقسط**﴾(٥).

والوفاء بالعهد واليمين : ﴿**وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان**

(١) آل عمران: ١٠٤.
(٢) البقرة: ٢٨٣.
(٣) النساء: ٥٨.
(٤) النحل: ٩٠.
(٥) الأعراف: ٢٩.

بعد توكيدها﴾(١).

﴿وبعهد الله أوفوا﴾(٢).

﴿وأوفوا بالعهد إنّ العهد كان مسؤولاً﴾(٣).

وصلة الأرحام وحسن الجوار وبر الوالدين ﴿ولا تقل لهما أُفّ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً﴾(٤).

وأن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه. ومعاونة الضعيف، وحفظ مال اليتيم والرأفة به، والحنو على السائل: ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلّا بالتي هي أحسن﴾(٥). ﴿وأما اليتيم فلا تقهر * وأما السائل فلا تنهر﴾(٦).

وندب الى أخذ الزينة في المساجد في الأعياد والجُمعات وعند جميع الصلوات يلبس الثياب الجدد والتمشط وغير ذلك: ﴿يا أيّها الذين آمنوا خذوا زينتكم عند كلّ مسجد﴾(٧).

ومن أحكام الشرع الإسلامي الباهرة وأوامره في حفظ الحقوق والأموال من الضياع ما أمر به تعالى من كتابة الدَّين والإشهاد عليه وأخذ الرهن إن لم يكن الكتابة وسن قانون كاتب العدل الذي اتّبعت فيه جميع دول الأرض قانون الإسلام: ﴿يا أيّها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علّمه الله... واستشهدوا شهيدين من

---

(١) النحل: ٩١.

(٢) الأنعام: ١٥٢.

(٣) الإسراء: ٣٤.

(٤) الإسراء: ٢٣.

(٥) الأنعام: ١٥٢.

(٦) الضحى: ٨ ـ ٩.

(٧) الأعراف: ٢٩.

رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً الى أجله واشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد... وإن كنتم على سفرٍ ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة ﴾[١].

المحرّمات والمناهي في الإسلام

وممّا حرّم الدين الإسلامي :

الربا والزنا والفواحش وشرب الخمر قليله وكثيره وكل مسكر والقمار: ﴿إنّما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه﴾[٢].

والغيبة : ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه﴾[٣]

والنميمة والحسد والكذب إلّا في الاصلاح بين الناس ورفع الضرر .

وحرّم كتمان الشهادة: ﴿ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنّه آثم قلبه﴾[٤].

والسرقة وقتل النفس المحترمة وقطع الطريق والغش والخيانة وإلقاء الفتن والبغي والرشا وخلف العهد والغش والإسراف وتضييع المال وأكل المال بالباطل: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام﴾[٥]، وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير والخبائث، وكلّ مضرّ بالبدن ونهى عن الضرر والضرار وعن التنازع والتنابز بالألقاب : ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا

---

(١) البقرة: ٢٨٢ ـ ٢٨٣ .

(٢) المائدة: ٩٠.

(٣) الحجرات: ١٢ .

(٤) البقرة: ٢٨٣ .

(٥) البقرة: ١٨٨ .

وتذهب ريحكم﴾[١].

﴿ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾[٢].

﴿قل إنّما حرّم ربّي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم يُنزّل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾[٣].

﴿قل تعالوا أتل ما حرّم ربّكم عليكم ألّا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإيّاهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلّا بالحق ذلكم وصّاكم به لعلّكم تعقلون * ولا تقربوا مال اليتيم إلّا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشدّه وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا تُكلّف نفس إلّا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصّاكم به لعلّكم تذكرون﴾[٤]

ولم يحرّم إلّا ما فيه مفسدة ومضرّة ظاهرة للعيان متكرر حصولها في كل وقت وأوان . فكم ترى من المفاسد في الربا بذهاب الثروات والحرمان من ثواب القرض . وفي الزنا من اختلاط الأنساب وفساد نظام العائلة وقتل النفوس وتفشّي الأمراض المهلكة . وفي شرب الخمر من زوال العقل وصيرورة المرء أُضحوكة للناس ووصوله الى أقصى درجات المهانة والسفالة ومن هلاك النفوس وتلف الأموال والأضرار بالبدن والنسل وضياع العرض والشرف، حتى أن دولة الولايات المتحدة حرّمته بعد ألف وثلاثمائة سنة وزيادة من تحريم الإسلام وقادتها عقولها الى متابعة الإسلام في تحريمه وهي تدين بغيره . وفي القمار من تلف الأموال وهياج الشر، وفي الغيبة

(١) الأنفال: ٤٦ .

(٢) الحجرات: ١١ .

(٣) الأعراف: ٣٣ .

(٤) الأنعام: ١٥١ ـ ١٥٢.

والنميمة من حصول العداوات والفتن والإخلال بالهيئة الاجتماعية الى غير ذلك. ولم يكتف الشرع الإسلامي في جملة من المحرّمات بالنهي والتحريم والعقاب في الآخرة، حتى فرض عليها التأديب والعقوبة في الدنيا فأوجب حد الزاني والزانية بضرب مائة جلدة، وشارب الخمر بضرب ثمانين جلدة، والسارق بقطع يده، ومخالف العهد واليمين بكفارة مالية، وفرض العقوبات التأديبية غير المحدودة في شتى المواضع.

المباحات في الإسلام

أحلّ الدين الإسلامي الطيبات وأباح كل لذّة وزينة وتنعم في الدنيا لا تخل بالآداب ولا تضرّ بالمجتمع الإنساني ولا تنافي حق الغير ولا توجب ارتكاب محرم أو ترك واجب: ﴿**قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق**﴾[1].

﴿**يا أيّها الذين آمنوا لا تحرّموا طيّبات ما أحلّ الله لكم**﴾[2].

فأيّ أحكام عبادية واجتماعية وسياسية وأخلاقية أسمى وأرقى وأنفع وأجمع وأصلح وأنجع وأسهل وأعدل وأشرف وألطف وأنزه وأرفه وأقرب الى تهذيب الأخلاق وسعادة البشر وهناء العيش من هذه الأحكام، أم أي أحكام تدانيها في جميع الشرائع والأديان.

---

(١) الأعراف: ٣٢.

(٢) المائدة: ٨٧.

الشمم والإباء وعزّة النفس
في الشريعة الإسلامية مع المحافظة على العدل

﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾[١].

«وإذا ظُلمت فلا تَظلم»[٢].

﴿ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين﴾[٣].

عناية الشرع الإسلامي بالمرأة

اعتنى الشرع الإسلامي بالمرأة عناية كبيرة حتى نزل في القرآن الكريم سورة أكثرها في الوصاية بالنساء والعناية بأُمورهن فسميت «سورة النساء» ومنع وأد البنات الذي كانت تفعله العرب في الجاهلية، وساوى بين المرأة والرجل في الحقوق عدا الميراث والشهادة والدّية فهي في ذلك على النصف من الرجل، ولكنه ميزها على الرجل بأن جعل لها عليه المهر ولا مهر له عليها، وجعل نفقتها لازمة عليه من ماله ولو كانت غنية ولا نفقة له عليها، وأوجب عليه القيام بكل ما تحتاج إليه من إسكان وإخدام وكسوة وطعام وغيرها، وجعل نفقتها مقدمة على نفقة أبويه العظيم حقهما عليه وعلى نفقة أولاده وأجداده، فينفق على نفسه فإن زاد عنه أنفق على زوجته، فإن زاد أنفق على أبويه وسائر أقاربه، وجعل نفقتها حقاً واجباً كالدين، فإنّ لم يؤدّه في وقته وجب قضاؤه مع اليسار أما نفقة أقاربه فلا قضاء لها لأنها إسعاف ومواساة وليست كالدَّين، وحيث أوجب عليه المهر والنفقة لها فلا جرم أن

---

(١) البقرة: ١٩٤.

(٢) تحف العقول: ٢٨٤.

(٣) المنافقون: ٨.

فضّله عليها في الميراث، وكانت شهادة امرأتين كشهادة رجل لما فيها من الضعف الظاهر عن الرجل الذي لا ينكره إلّا مكابر وشدة العاطفة، فلا جرم ان وضع عنها الجهاد إلّا بإسعاف الجرحى وبسقي الماء وشبه ذلك. وجعل ديّتها نصف دية الرجل لأنها لا تغني غناءه ولا تسدّ مسدّه في كثير من المقامات.

المحافظة على حقوق الزوجة

وأبطل العادات الجائرة التي سنّتها الجاهلية في حق النساء.

فكان الرجل إذا زوّج أيمه أخذ صداقها دونها، والأعراب ومن ضارعهم يفعلون ذلك الى اليوم.

وكان الرجل يُزوّج آخر أُخته ويأخذ أُخت الرجل بدون مهر وهو نكاح الشغار أوبمهر قليل، فنهى الله تعالى عن ذلك وحرّم أخذ شيء من المهر إلّا عن طيب نفس بقوله: ﴿**وآتوا النساء صدقاتهن ـ أي مهورهن ـ نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً**﴾(١).

وقال تعالى: ﴿**وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً* وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً**﴾(٢).

وكانوا لا يورّثون المرأة فأنزل الله تعالى: ﴿**للرجال نصيب ممّا ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب ممّا ترك الوالدان والأقربون ممّا قلّ منه أوكثر**

---

(١) النساء: ٤.

(٢) النساء: ٢٠ ـ ٢١.

نصيباً مفروضاً﴾[١].

وكان الرجل إذا مات كان أولياؤه أحق بامرأته من أهلها إن شاء بعضهم تزوّجها وإن شاؤوا زوّجوها وإن شاؤوا لم يزوّجوها.

وكان الرجل إذا مات وترك جارية ألقى عليها حميمه ثوبه فمنعها من الناس، فإن كانت جميلة تزوّجها، وإن كانت دميمة حبسها حتى تموت فيرثها، فنهى الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً...، وكان الرجل منهم تكون له المرأة وهو كاره لصحبتها ولها عليه مهر فيضربها لتفتدي، فنهى الله تعالى عن ذلك بقوله:... ولا تعضلوهن ـ أي تقهروهن ـ أو تمنعوهن بعض حقوقهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلّا أن يأتين بفاحشة مبينة... وهي النشوز فإذا نشزت حلّ له أن يأخذ منها الفداء ليُطلّقها، وأكد النبيّ ﷺ الوصاية بالمرأة في مواضع كثيرة ليس هذا محل بيانها، وأوجب معاشرتها بالمعروف:... وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾[٢].

وفي قانون التزويج والمضاجعة والمواقعة والقسم بين الزوجات وغير ذلك في الشرع الإسلامي ما يدل على المحافظة الشديدة على حقوق المرأة ومحل ذلك كتب الفقه.

ولم يحجر الدين الإسلامي على المرأة زيارة أهلها وأقاربها وصديقاتها والسفر للحج والزيارة وغيرهما، وترويح النفس والاقبال على ما يورث السرور والغناء في الأعراس واستماعه مع عدم سماع الأجنبي كل ذلك مع

---

(١) النساء: ٧.

(٢) النساء: ١٩.

مراعاة الحشمة والآداب والبعد عمّا يوجب الظنّة والارتياب وعدم الاختلاط بالأجانب ومجانبة ما يوقع في الفساد ، فالإسلام قد أكرم المرأة كرامة ليس عليها من مزيد وصانها الصيانة التي تليق بكرامتها .

تعدد الزوجات

وأباح الشرع الإسلامي تعدد الزوجات : ﴿**فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع**﴾ **فإن خفتم أن لا تعدلوا** ـ أي في الحقوق ـ **فواحدة**﴾[1].

وأكّد الوصاية بالعدل بين الزوجات فقال : ﴿**ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء** ـ أي في الميل القلبي ـ **ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمُعلّقة**﴾[2]، فبيّن أن العدل التام بينهن حتى في الميل القلبي غير مستطاع فإن لم يكن عدل تام فلا يكن جور تام .فالعدل في : ﴿**فإن خفتم**﴾ ، غير العدل في : ﴿**ولن تستطيعوا**﴾ وفي إباحة تعدد الزوجات من الحكم والمصالح ما ينكره إلّا مكابر وليس هذا موضع بيانه .

التحكيم

ومن عناية الشرع الإسلامي بالمرأة ومحافظته على حفظ نظام العائلة أن سنّ التحكيم عند وقوع الاختلاف بين الزوجين الذي قد يؤدي الى الشقاق: ﴿**فإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا اصلاحاً يُوفّق الله بينهما**﴾[3].

---

(١) النساء: ٣.

(٢) النساء: ١٢٩.

(٣) النساء: ٣٥.

كلّ ذلك يدل على العناية بأمر الزوجة والمحافظة على حقوقها عناية ومحافظة لا مزيد عليها.

الطلاق

وأباح الشرع الإسلامي الطلاق مع عدم التئام الأخلاق وعدم تمكّن الحكمين من الاصلاح والتوفيق: ﴿**فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان**﴾[1].

﴿**فامسكوهن بمعروف أوسرحوهن بمعروف**﴾[2].

وكرّه الطلاق ونفّر منه، قال صاحب الشرع: «**ما جعل الله مباحاً أبغض إليه من الطلاق**» أو كما قال: «**وأقام العراقيل في سبيله**»[3] فلم يجوزه في طهر المواقعة وأجّل المسترابة بالحمل ثلاثة أشهر، وأوجب فيه حضور شاهدين عدلين وجعل المطلقة الرجعية في حكم الزوجة، وأوجب إسكانها في منزله لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمراً فيرجع إليها.

وأباح للمختلعة أن ترجع في البذل قبل انقضاء العدة فيرجع زوجها في الطلاق وهذا الذي ذكرناه هو مذهب أئمة أهل البيت.

ولا يتمسّك من يعيب الطلاق إلّا بالمكابرة وهل يسوغ في قانون العدل إلزام أحد الزوجين بالصبر على أخلاق الآخر، التي يكون في الصبر عليها مشقة عظيمة، والحكماء تقول: أشدّ الأشياء صحبة من لا يمكنك فراقه ولا توافقك أخلاقه، أوإلزام الزوج بالصبر على الزوجة العاقر، وحرمانه من النسل، أو إلزامها بالصبر على الزوج الذي لا يولد له وحرمانها من رؤية الأولاد.

---

(١) البقرة: ٢٢٩.

(٢) البقرة: ٢٣١.

(٣) الحدائق الناضرة ٢٥: ١٤٦، المجموع للنووي ١٧: ٨٢.

الرجال قوّامون على النساء

وجعل الرجال قوّامين على النساء يرجعن الى رأيهم وتدبيرهم لما في المرأة من الضعف، ولأن الرجل هو الذي يدفع المهر ويقوم بنفقة الزوجة. ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى ٱلنِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾. ثم مدح المرأة بعد هذا بقوله تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾(١).

تأديب المرأة

ولم يجعل للرجل على المرأة سبيلاً، وأباح تأديبها عند نشوزها وخروجها عن الطاعة وإرادتها خرق النظام العائلي وإفساده حفظاً لنظام العائلة وليعيشا بهناء وسرور لا بنزاع وشقاق، ولكن جعل هذا التأديب باللطف واللين والابتداء بالأهون وعدم الإنتقال الى الأصعب إلّا مع عدم نجع الأهون فقال تعالى: ﴿وَٱللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾(٢) فأمر أولاً بالوعظ بالكلام فإن لم ينجع فالهجر في المضاجع بأن يولّيها ظهره، فإن لم ينجع فبالضرب بالثوب، فإن لم ينجع فالأشد، فإن كانت مطيعة غير خارقة لنظام العائلة فلا سبيل له عليها.

---

(١) النساء: ٣٤.

(٢) البقرة: ٣٤.

لا رهبانية في الإسلام

وأبطل الإسلام الرهبانية واستعاض عنها بالاعتكاف في المساجد ـ أي التخلي للعبادة ـ وتجنّب النساء مع الصيام أياماً معدودة أقلها ثلاثة لما في الرهبانية من تقليل النسل، وخوف الوقوع في الزنا ومن المشقة. والإسلام شريعة سهلة سمحة، وحثّ على التزوج لما فيه من كف النفس عن التطلع الى ما لا يحل وتكثير النسل.

آداب عائلية

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا ٱلْحُلُم مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِن ٱلظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلاَةِ ٱلْعِشَاءِ ثَلاَثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلاَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ... * وَإِذَا بَلَغَ ٱلأَطْفَالُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا ٱسْتَأْذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ... * وَٱلْقَوَاعِدُ مِنَ ٱلنِّسَاءِ ٱللَّاتِي لاَ يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ﴾[1].

أمر الله تعالى العبيد والصبيان المميزين من الأحرار بالاستئذان عند إرادة الدخول في أوقات ثلاثة من الليل والنهار آخر الليل وعند القائلة وبعد صلاة العشاء الآخرة، لأن الإنسان يتكشف ويتبذل في هذه الأوقات الثلاثة ويكون على حال لا يحب أن يرى عليها، وأباح لهم الدخول في غير هذه الأوقات بدون إذن لأنهم خدم يطوفون عليكم لقضاء حوائجكم، فلا بد لهم

(١) النور: ٥٨ ـ ٦٠.

من الدخول عليكم في غير هذه الأوقات الثلاثة ويعسر عليهم الاستئذان في كل وقت.

وأمر البالغين بالاستئذان في كل حال، وأباح للمسنّات من النساء وضع الجلباب الذي فوق الخمار بشرط عدم التبرج وخير لهن أن لا يضعنه مطلقاً كالشابات.

دعوة بني عبدالمطلب الى الإسلام

في تاريخ الطبري: حدّثنا ابن حميد، حدّثنا سلمة، حدّثني محمّد بن إسحاق، عن عبدالغفار بن القاسم، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، عن عبد الله بن عباس، عن عليّ بن أبي طالب قال: **لما أُنزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[1] دعاني رسول الله ﷺ فقال لي: يا عليّ أن الله أمرني أن انذر عشيرتي الأقربين فضقت بذلك ذرعاً وعلمت أني متى أُبادئهم ـ أبادرهم خ ل ـ بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمت عليه حتى جاءني جبريل فقال: يا محمّد، إنّك إلّا تفعل ما تؤمر به يُعذّبك ربّك، فاصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه رِجْلَ شاةٍ واملأ لنا عساً من لبن، ثم اجمع لي بني عبدالمطلب حتى أُكلمهم وأُبلغهم ما أُمرت به ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له وهم يومئذٍ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه: أبو طالب وحمزة والعباس وأبولهب، فلمّا اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم، فجئت به فلمّا وضعته تناول رسول الله ﷺ جذبة من اللحم فشقّها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحفة، ثم قال: «خذوا باسم الله» فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة، ثم قال: «اسق القوم» فجئتهم بذلك العس**

---

(١) الشعراء: ٢١٤.

فشربوا منه حتى رووا جميعاً فلمّا أراد رسول الله ﷺ أن يكلّمهم بدره أبو لهب الى الكلام، فقال لشد ما سحركم صاحبكم فتفرّق القوم ولم يكلّمهم رسول الله ﷺ .فقال: الغد يا عليّ، إنّ هذا الرجل سبقني الى ما قد سمعت من القول فتفرّق القوم قبل أن أُكلّمهم فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثم اجمعهم إليّ، ففعلت ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته لهم، ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة، ثم قال: «اسقهم» فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعاً، ثم تكلّم رسول الله ﷺ فقال: «يا بني عبدالمطلب، إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله تعالى أن ادعوكم إليه، فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم، قال: فأحجم القوم عنها جميعاً ـ وقلت وإني لأحدثهم سناً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً وأحمشهم ساقاً ـ أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي ثم قال: إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا» فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع... الخ[1] .

رواه الطبري في تفسيره[2] مثله سنداً ومتناً إلّا أن الطابعين ـ جرياً على الشنشنة الأخزمية ـ حرفوه فأبدلوا قوله: «على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم» بلفظ: «على أن يكون أخي وكذا وكذا» وأبدلوا قوله: «إن هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم» بلفظ: «إن هذا أخي وكذا وكذا» وأبقوا قوله: «فاسمعوا له وأطيعوا» وفيه كفاية؛ وما حذفوه وأبدلوه هو إشارة الى ما صرّح به في التاريخ يقيناً لاتحاد السند والمتن فيهما إلّا في كلمتي «وكذا وكذا».

وعلمت أن الدكتور محمّد حسين هيكل المصري أثبته في كتابه «حياة

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ١: ٥٤٢ .

(٢) جامع البيان للطبري ٩: ٤٨٣ ـ ٤٨٤ .

محمّد»[١] في الطبعة الأُولى وحذفه في الطبعة الثانية، نزولاً عند إرادة من ضغط عليه فانظر واعجب![٢]

ولما كان تصحيح هذا الحديث من الأهمية بمكان فلا بأس بالإشارة الى جملة ممن رواه من أجلّاء علماء المسلمين ليعلم بذلك اشتهاره واستفاضته بينهم، فرواه من مشاهير علماء أهل السنّة محمّد بن جرير الطبري في تاريخه وتفسيره كما سمعت، ورواه منهم البغوي[٣] كما ستسمع.

ورواه منهم الثعلبي في تفسيره، قال: أخبرني الحسين بن محمّد بن الحسين، حدّثنا موسى بن محمّد، حدّثنا الحسن بن عليّ بن شعيب العمري، حدّثنا عبد الله بن يعقوب، حدّثنا عليّ بن هاشم عن صباح بن يحيى المزني، عن زكريا بن ميسرة، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: لما نزلت ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب وهم أربعون رجلاً، فأمر علياً برِجْلِ شاةٍ فأدَمَها، ثم قال: «ادنوا بسم الله» فدنا القوم عشرة عشرة فأكلوا حتى صدروا، ثم دعا بقعب من لبن فجرع منه جرعة، ثم قال: «اشربوا باسم الله» فشربوا حتى رووا، فبدرهم أبو لهب فقال هذا ما سحركم به الرجل، فسكت رسول الله ﷺ، ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك من الطعام والشراب ثم أنذرهم، فقال: «يا بني عبد المطلب، إنّي أنا النذير إليكم من الله عزّ وجلّ والبشير

---

(١) حياة محمّد: ١٠٤.

(٢) نشر الدكتور كتابه أوّل ما نشره فصولاً في جريدته السياسية الأُسبوعية ونشر هذا الحديث كاملاً كما هو، ولما اعترض عليه معترض أجاب أني لست أنا الذي أقول هذا القول ولكنه التاريخ، ثم ذكر الحديث في الطبعة الأُولى من الكتاب، ولكن شوهه وأفسده في الطبعة الثانية وما جاء بعدها ولما بحث الباحثون عن السبب عُرفَ أن الدكتور هيكل طلب من جهة من الجهات أن تساهم بشراء ألف نسخة من كتابه فأبت أن تفعل إلّا إذا شوّه الحديث، فنزل عند رغبتها وبتره وأفسده.

(٣) تفسير البغوي ٣: ٤٠٠ ـ ٤٠١.

فاسلموا وأطيعوني تهتدوا» ثم قال: «من يؤاخيني ويؤازرني ويكون وليّي ووصيّي بعدي وخليفتي في أهلي ويقضي ديني» فسكت القوم فأعادها ثلاثاً كل ذلك يسكت القوم ويقول عليّ عليه السلام: أنا، فقال في المرة الثالثة: «أنت» فقام القوم وهم يقولون لأبي طالب: أطع ابنك فقد أُمّر عليك... الخ[١].

وأورد هذا الحديث النسائي في الخصائص قال: أخبرنا الفضل بن سهل، حدثني ابن عفان بن مسلم، حدّثنا أبو عوانة، عن عثمان بن المغيرة، عن أبي صادق، عن ربيعة بن ماجد، أن رجلاً قال لعلي بن أبي طالب: يا أمير المؤمنين، لِمَ ورثت دون أعمامك؟ قال: جمع رسول الله صلى الله عليه وآله ـ أو قال ـ دعا رسول الله بني عبد المطلب فصنع لهم مداً من الطعام فأكلوا حتى شبعوا ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا، فقال: «يا بني عبد المطلب، إني بعثت اليكم خاصة والى الناس عامة أيكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي ووارثي» فلم يقم إليه أحد فقمت إليه وكنت أصغر القوم فقال اجلس، ثم قال ثلاث مرات كلّ ذلك أقوم إليه فيقول اجلس، حتى إذا كان في الثالثة ضرب بيده على يدي. ثم قال: فبذلك ورثت ابن عمّي دون عمّي[٢].

أقول: هذا التعليل في الميراث لا يصح إن أُريد إرث المال، أما عندنا فلأن الميراث للبنت بالفرض والرد، وأما عند غيرنا فلأن الأنبياء لا تُورثّ، إلّا أن يراد إرث العلم، ولكن ظاهر السياق خلافه.

وأورد هذا الحديث صاحب السيرة الحلبية بنحو ما مرّ عن الطبري، الى أن قال: «يا بني عبد المطلب، إن الله قد بعثني الى الخلق كافة وبعثني إليكم خاصة، فقال: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ وأنا ادعوكم الى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في

---

(١) تفسير الثعلبي ٧: ١٨٢.

(٢) الخصائص للنسائي: ٩٩ ـ ١٠٠.

الميزان: شهادة أن لا إله إلّا الله وأني رسول الله، فمن يجيبني الى هذا الأمر ويؤازرني على القيام به ؟ قال عليّ: أنا يا رسول الله ـ(قال) وزاد بعضهم في الرواية: يكن أخي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي ـ فلم يجبه أحد منهم، فقام عليّ وقال أنا يارسول الله، قال: اجلس، ثم أعاد القول على القوم ثانياً فصمتوا، فقام عليّ وقال: أنا يا رسول الله، فقال: اجلس، ثم أعاد القول ثالثاً فلم يجبه أحد منهم، فقام عليّ فقال: أنا يا رسول الله، فقال: اجلس فأنت أخي ووزيري ووصيي ووارثي وخليفتي من بعدي».

ثم حكى عن ابن تيمية أنّه قال في الزيادة المذكورة: أنها كذب وحديث موضوع من له أدنى معرفة في الحديث يعلم ذلك، وقد رواه مع زيادته المذكورة ابن جرير والبغوي بإسناد فيه أبو مريم الكوفي وهو مجمع على تركه، وقال أحمد: إنه ليس بثقة عامة أحاديثه بواطيل، وقال ابن المديني: كان يضع الحديث... الخ[1].

أقول: لا شيء أعجب من قدح ابن تيمية المُجَسّم بشهادة ابن بطوطة مشاهدة ـ والذي مات سجيناً بيد أهل نحلته على الأقوال والعقائد المنافية لملة الإسلام ـ في الأحاديث المستفيضة عند جميع المسلمين بالهوى والغرض، وقوله: إنّ من له أدنى معرفة بالحديث يعلم ذلك مع أن من عنده أدنى معرفة يعلم أنّ قدح ابن تيمية فيه لم يستند الى معرفة، بل الى التحامل على عليّ وأهل بيته والنصب، فقد سمعت سند هذا الحديث في رواية الطبري في تاريخه وتفسيره ورواية الثعلبي له في تفسيره وليس فيه أبو مريم الكوفي على فرض صحة ما قاله في رواية البغوي ،وأن في سندها أبو مريم الكوفي

(١) السيرة الحلبية ١: ٢٨٦.

وأنّه ضعيف، فهل إذاكان الحديث مروياً بعدة طرق بعضها ضعيف يكون قدحاً في سنده؟ بل الرواية الضعيفة إن لم تكن معتضدة ومتقوية بالروايات الصحيحة، غيرها لا يكون ضعفها موجباً للقدح في الصحيحة، وكل من له أدنى معرفة في الحديث يعلم ذلك.

ورواه من مشاهير علماء الشيعة وثقاة محدّثيهم محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، قال: حدّثنا محمّد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني، حدّثنا عبد العزيز، حدّثنا المغيرة بن محمّد، حدّثنا إبراهيم بن محمّد بن عبد الرحمن الأزدي، حدّثنا قيس بن الربيع وشريك بن عبد الله، عن الأعمش عن منهال بن عمروعن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ دعا رسول الله ﷺ بني عبد المطلب وهم إذذاك أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصون رجلاً، فقال: «أيكم يكون أخي ووارثي ووزيري ووصيي وخليفتي فيكم بعدي» فعرض ذلك عليهم رجلاً رجلاً كلهم يأبىٰ ذلك حتى أتى عليّ، فقلت: أنا يا رسول الله، فقال: «يا بني عبد المطلب هذا أخي ووارثي ووزيري وخليفتي فيكم بعدي» فقام القوم يضحك بعضهم الى بعض ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع وتطيع لهذا الغلام[1].

ورواه الشيخ أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي في مجالسه، قال: حدّثنا جماعة عن أبيالمفضل، حدّثنا أبو جعفر الطبري سنة (٣٠٨ هـ)، حدّثنا محمّد بن حميد الرازي، حدّثنا سلمة بن الفضل الأبرش، حدّثني محمّد بن إسحاق بن عبد الغفار، قال أبوالفضل: حدّثنا محمّد بن محمّد بن سليمان الباغندي ـ واللفظ له ـ حدّثنا محمّد بن الصباح الجرجلوي،

---

(١) علل الشرائع: ١٧٠ ب ١٣٣ ح ٢.

حدّثنا سلمة بن صالح الجعفي، عن سليمان الأعمش وأبي مريم جميعاً، عن المنهال بن عمروعن عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن عبد الله بن عباس، عن عليّبن أبي طالب قال: لما نزلت هذه الآية... وذكر مثل رواية الطبري بعينها[١]، مع تفاوت يسير في بعض الألفاظ لا يخل بالمعنى الى غير ذلك . وبعد توافق علماء الفريقين على هذه الرواية لم يبق لما ذكره ابن تيمية قيمة .

وروى الطبري في تاريخه[٢] وتفسيره بسنده الى ابن عباس، قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف: يا صباحاه! فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمّد، فقال: «يا بني عبدالمطلب يا بني عبد مناف، فاجتمعوا إليه، فقال: أرايتكم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مُصدّقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذباً، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: تباً لك! ما جمعتنا إلّا لهذا، ثم قام فنزلت هذه السورة: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ...﴾ الى آخر السورة[٣].

الدعوة العامة لقريش

وروى الطبري، أنّه ﷺ صعد يوماً على الصفا ونادى: يا معشر قريش! قالت قريش: محمّد على الصفا يهتف، وأقبلوا إليه فقالوا: ما لك؟ قال: «أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل أكنتم تُصدّقوني؟ قالوا: نعم أنت عندنا غير متهم وما جربنا عليك كذباً، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، يا بني عبد المطلب

---

(١) الأمالي للشيخ للطوسي: ٥٨٢.

(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبري ١: ٥٤٢ .

(٣) جامع البيان للطبري ٩: ٤٨٣.

يا بني عبد مناف يا بني زهرة يا بني تميم يا بني مخزوم يا بني أسد إنّ الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين وإني لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيباً إلّا أن تقولوا: لا إله إلّا الله. فقال أبو لهب ما تقدم[1].

مجيء قريش الى أبي طالب في أمر رسول الله

ولمّا جعل رسول الله ﷺ يعيب الأصنام ويسخر منها ويتلو الآيات في شأنها مشى رجال من أشراف قريش الى أبي طالب وكان مؤمناً برسول الله ﷺ يكتم إيمانه وفيهم أبوسفيان بن حرب، فقالوا: يا أبا طالب إنّ ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلّل آباءنا فإما أن تكفّه عنّا وإما أن تُخلي بيننا وبينه، فردّهم أبوطالب ردّاً جميلاً[2]. ومضى رسول الله ﷺ في دعوته ولم يزل الإسلام يفشو ويظهر، ثم مشوا الى أبي طالب مرّة أُخرى.

قال ابن سعد: لمّا رأت قريش ظهور الإسلام جاءوا الى أبي طالب فقالوا: أنت سيّدنا وأفضلنا في أنفسنا وقد رأيت الذي فعل هؤلاء السفهاء مع ابن أخيك من تركهم آلهتنا وتسفيههم أحلامنا. وجاءوا بعمارة بن الوليد بن المغيرة، فقالوا: جئناك بفتى قريش جمالاً ونسباً ونهادة وشعراً يكون لك نصره وميراثه وتدفع إلينا ابن أخيك نقتله فقال: والله ما أنصفتموني تعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابن أخي تقتلونه، أتعلمون أنّ الناقة إذا فقدت ولدها لا تحن الى غيره.

---

(١) تاريخ الأُمم والملكوك للطبري ١: ٥٤١ ـ ٥٤٢.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ١: ٥٤٣، السيرة النبوية لابن هشام ١: ٢٦٤ ـ ٢٦٥.

فلمّا كان مساء تلك الليلة فقد رسول الله ﷺ، فجمع أبو طالب فتيان قومه وقال: ليأخذ كل واحد منكم حديدة صارمة واتبعوني إذا دخلت المسجد، وليجلس كل واحد الى جنب عظيم من عظمائهم فليقتله إن كان محمّد قد قُتل، ففعلوا ثم أخبره زيد بن حارثة بسلامة النبيّ ﷺ، فلمّا أصبح أخذ بيده فوقف به على أندية قريش ومعه الفتيان فأخبر قريشاً بما كان يريد فعله لو قتل النبيّ ﷺ وأراهم السلاح فانكسر القوم وكان أشدّهم انكساراً أبو جهل[1].

ثم جاءوا الى أبي طالب مرّة ثالثة وقالوا: يا أبا طالب، إن لك سنّاً وشرفاً ومنزلةً فينا وقد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا وإنّا والله لا نصبر على شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك حتى يهلك أحد الفريقين، وعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفساً بإسلام ابن أخيه، فأرسل الى النبيّ ﷺ فأخبره بمقالة قريش وقال له: فابْقِ عليَّ وعلى نفسك ولا تحمّلني من الأمر ما لا أُطيق، فأطرق النبيّ ﷺ، ثم قال له: **«يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك فيه»** وقام وقد خنقته العبرة فلمّا رأى ذلك أبو طالب دعاه فقال: إذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت والله لا أُسلمك لشيء أبداً، وقام بنو هاشم وبنو المطلب بنصرة النبيّ ﷺ إلّا أبا لهب ونفر غيره[2].

مجيء عتبة بن ربيعة الى النبيّ ليرجع عن دعوته

ولما رأت قريش أمر النبيّ ﷺ يزداد كل يوم ظهوراً وأصحابه يكثرون

---

(١) الطبقات الكبرى ١: ٢٠٢ ـ ٢٠٣.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١: ٢٦٥ ـ ٢٦٦، السيرة الحلبية ١: ٢٨٧.

رغب إليهم عتبة بن ربيعة وهو من رؤسائهم في أن يعرض على النبيّ ﷺ أُموراً لعلّه يقبل بعضها ويكف عن دعوته، فقال له: يا ابن أخي إنّك منّا حيث قد علمت من المكان في النسب وقد أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم، فاسمع منّي أعرض عليك أُموراً لعلك تقبل بعضها: إن كنت إنّما تريد بهذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد تشريفاً سوّدناك علينا فلا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً[١] لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب حتى تبرأ، فتلا عليه النبيّ ﷺ سورة السجدة وعتبة منصت، فلمّا انتهى انصرف عنه الى قريش وأخبرها أنه لا طمع له في مال ولا سلطان، وأشار عليهم أن يخلوا بينه وبين العرب فإن تغلبت عليه استراحوا منه، وإنّ اتبعته فلقريش فخاره، فلم يعجبهم ذلك[٢].

ولم تدع قريش وسيلة ترجو منها القضاء على الإسلام وأهله والحيلولة دون انتشاره إلّا توسلت بها، ولا سبيلاً تأمل الوصول منه الى ذلك إلّا سلكتها، وبلغت في ذلك جهدها وغاية استطاعتها، فأبى الله تعالى إلّا أن يتمّ نوره ولو كره المشركون . عمدت أوّلاً الى تكذيبه والحط من قدره باللسان بالذم والتنقيص لتكف الناس عن اتّباعه، فقالت: تارة إنّه ساحر، وأُخرى أنّه كاهن، ومرّة أنه شاعر، ومرّة أنه يعلّمه بشر، وأغروا به شعراءهم أبا سفيان بن الحارث وعمروبن العاص وعبدالله بن الزبعري فلمّا لم ينجع ذلك فيه وبقي جاداً في أمره وأتباعه يزدادون كثرة كل يوم عمدت الى أذاه وأذى أصحابه

(١) الرئي بوزن كمي، يقال للتابع من الجن، سمي به لأنه يتراءى لمتبوعه أو من قولهم فلان «رئي قومه» إذا كان صاحب رأيهم. (المؤلّف)

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١: ٢٩٣ ـ ٢٩٤.

باليد، فرجمته في داره ووضعت السلاء على ثيابه وسلّطت أطفالها عليه يرمونه بالحجارة وفعلت أفعالاً شبه ذلك، وعذّبت أصحابه بالحبس والضرب والقتل والإلقاء في الرمضاء وغير هذا، واضطرتهم بذلك الى الهرب من بلادهم والهجرة الى الحبشة ولم تقنع بذلك حتى أرسلت إليهم من يردهم فمّا زاد هو في دعوته إلّا مضاءً وأصحابه إلّاكثرة وثبات يقين، فعرضت عليه المال والملك وكل ما يطمع الناس فيه عادة فلم يمل الى شيء من ذلك، وهددته وأهله وأنذرتهم بالحرب ومشت الى عمّه أبي طالب مراراً لتصدّه عن نصره وتحمله على إرجاعه عن عزمه بالتهديد وأنواع الحيل فلم يجد ذلك شيئاً، فعمدت الى مقاطعتهم وحصرهم في شعب من شعاب مكة لا يجالسون ولا يكلمون ولا يبايعون ولا يناكحون حتى يموتوا جوعاً، أو يرجع محمّد ﷺ عن دعوته، فصبروا على ذلك ثلاث سنين، فلمّا أعيتها الحيل ائتمرت فيه وعزمت على قتله، وبعثت إليه من يهجم عليه ليلاً في داره فيقتله، فخرج هارباً منهم الى المدينة[١].

الهجرة الى الحبشة

ولما كثر المسلمون ثار كثير من كفّار قريش بمن آمن من قبائلهم فعذّبوهم وسجنوهم وأرادوا فتنتهم عن دينهم ومنع الله رسوله ﷺ منهم بعمّه أبي طالب، فقال لهم رسول الله ﷺ: تفرّقوا في الأرض، قالوا: أين نذهب؟ فأشار الى الحبشة، فهاجروا إليها وذلك في رجب من السنة الخامسة من النبوة وكانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، ومنهم من هاجر وحده، خرجوا متسللين

---

(١) الطبقات الكبرى ١: ٢٢٧.

الى الشعيبة منهم الراكب والماشي فوجدوا ساعة وصولهم سفينتين للتجار حملوهم فيهما الى الحبشة بنصف دينار عن كل نفس، وخرجت قريش في طلبهم الى البحر فلم يدركوهم . قالوا: وقدمنا أرض الحبشة فجاورنا خير جار أمناً على ديننا وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع ما نكره، وكانت الحبشة على دين النصرانية فأقاموا شعبان وشهر رمضان ثم عادوا الى مكة في شوال لما بلغهم أن قريش أسلمت فلمّا قاربوا مكة علموا أن ما بلغهم باطل فلم يدخلها أحد منهم إلّا بجوار غير ابن مسعود فإنه مكث يسيراً ثم عاد الى أرض الحبشة فلقوا أذىً كثيراً، فأذن لهم النبيّ ﷺ بالهجرة ثانياً[١].

الهجرة الثانية الى أرض الحبشة

وكانوا ثمانين رجلاً وثماني عشرة امرأة فيهم جعفر بن أبي طالب ومعه زوجته أسماء بنت عميس، فأحسن النجاشي جوارهم وساء ذلك قريشاً، فأرسلوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد الذي أرادت قريش دفعه لأبي طالب عوضاً عن النبيّ ﷺ وقيل كان مع عمرو عبدالله بن أبي ربيعة ليكلّموا النجاشي في ردّهم وأهدوا له ولبطارقته هدايا وكتب عمرو عهداً بين قومه وقوم عمارة أن كلاً من القبيلتين بريئة من جناية صاحبها، وكانت مع عمرو زوجته وكان عمرو قصيراً دميماً وعمارة جميلاً وسيماً فهويته امرأة عمرو، فقال له عمارة: مُر امرأتك أن تقبلني، فقال عمرو: ألا تستحي، وجلس عمرو على جانب السفينة يبول فدفعه عمارة في الماء فجعل يسبح وينادي أصحاب السفينة ويناشد عمارة فانقذوه، وحقدها عليه عمرو وقال لزوجته:

(١) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ١: ٥٤٦.

قبَلي ابن عمك لتطيب بذلك نفسه فيحتال بعد ذلك في هلاكه، ولما دخلا على النجاشي سجدا له ودفعا إليه الهدية فقبلها وكذلك بطارقته، فقالا له: إن نفراً من قومنا تركوا ديننا ولم يدخلوا في دينك وقد أرسلنا عظماء قريش لتردهم إليهم، وكانا اتفقا مع بطارقة النجاشي بعد أن أعطوهما الهدايا على أن يعاونوهما على رد المسلمين الى قريش دون أن يسمع النجاشي كلامهم، فأبى النجاشي أن يفعل حتى يسمع ما يقولون وأرسل إليهم فقال بعضهم لبعض ما تقولون له ؟ قال جعفر: نقول له ما أمرنا رسول الله ﷺ ويكون ما يكون، فدخلوا عليه ولم يسجدوا له، فقال عمرو: ألا ترى أيّها الملك أنهم لم يسجدوا لك؟ فقال النجاشي: ما منعكم أن تسجدوا لي؟ فقال جعفر: إنّا لا نسجد إلّا لله عزّ وجلّ، فقال: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني؟ فقال جعفر: أيها الملك كنّا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونُسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف، فبعث الله فينا رسولاً منّا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فأمرنا أن نعبد الله وحده ونخلع ماكنا نعبد من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام وصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الأرحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات، فصدّقناه وآمنا به، فعدا علينا قومنا ليردونا الى عبادة الأصنام واستحلال الخبائث، فلمّا قهرونا وظلمونا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورجونا أن لا نظلم عندك .

قال النجاشي: هل عندك شيء ممّا جاء به ؟ قال: نعم ! فقرأ عليه من سورة مريم حتى انتهى الى قوله تعالى : ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيّاً* قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ آتَانِيَ ٱلْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً* وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي

بِالصَّلَاةِ وَٱلزَّكَاةِ مَادُمْتُ حَيّاً* وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً* وَٱلسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً﴾[١].

فبكى النجاشي وبكي أساقفته، وقال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة . فنزلت: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[٢]

وفي رواية أن جعفراً رضوان الله عليه قال للنجاشي: سلهما أعبيد نحن أم أحرار ؟قال عمرو: بل أحرار كرام، قال: فهل أرقنا دماً بغير حق؟ قال: لا، قال: هل لهم علينا دين؟ قال: ليس لنا عليهم دين، قال النجاشي : انطلقا فوالله لا أُسلمهم إليكما أبداً ورد الهدية عليهما، فلمّا كان الغد عاد ابن العاص الى النجاشي فقال له: إنّهم ليقولون في عيسى قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسلهم عمّا يقولون فيه، فلمّا دخلوا عليه قال له جعفر: نقول فيه الذي جاء به نبيّنا هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول، فأخذ النجاشي عوداً وخط به على الأرض، وقال: ليس بين دينكم وديننا أكثر من هذا الخط .

ولما يئس عمرو من مساعدة النجاشي له على ردّهم توجّه الى ما كان قصد له من إعمال الحيلة في هلاك عمارة، فقال له عمرو ـ وقد اطمأنّ إليه وظنّ أنّه قد زال ما في نفسه : أنت رجل جميل والنساء يحببن الجمال فتعرض لزوجة النجاشي لعلها تشفع لنا عنده، فتعرض لها وأخبر عمراً بذلك، فقال: إن كنت صادقاً فلتعطك من طيب الملك فأعطته، فأخبر عمرو النجاشي وأراه الطيب، فقال: لو لا أنه جاري لقتلته[٣] .

---

(١) مريم: ٢٩ ـ ٣٣.

(٢) المائدة: ٨٣ .

(٣) السيرة الحلبية ١: ٣٣٨ ـ ٣٤١ .

وكتب رسول الله ﷺ الى النجاشي مع عمرو بن أُمية الضميري يدعوه الى الإسلام فأسلم وكتب إليه أن يزوّجه أُم حبيبة ابنة أبي سفيان وكانت مع زوجها عبد الله بن جحش فتنصر ومات، فزوّجه إياها وأصدقها عنه أربعمائة دينار[١]. ولما هاجر النبيّ ﷺ الى المدينة رجع من بأرض الحبشة من المسلمين ورجع جعفر وذلك يوم فتح خيبر، فقال رسول الله ﷺ: **ما أدري بأيّهما أنا أشدّ فرحاً بفتح خيبر أو برجوع جعفر**[٢].

قصة الغرانيق

قال الله تعالى في سورة الحج: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى ٱلشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ آيَاتِهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ* لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾**[٣].

قال الواحدي في أسباب النزول[٤]: وابن سعد في الطبقات الكبرى[٥]، والطبري في تاريخه[٦] وجماعة من مفسري أهل السنة: أنّه لما رأى رسول الله ﷺ تولي قومه عنه وشق عليه ما رأى من مباعدتهم عما جاء به تمنّى أن يأتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه، فجلس يوماً في نادٍ من أندية قريش حول الكعبة فأنزل الله تعالى عليه سورة النجم فقرأها حتى إذا بلغ:

---

(١) الطبقات الكبرى ١: ٢٠٧ ـ ٢٠٨.

(٢) امتاع الأسماع ١: ٣٢٠.

(٣) الحج: ٥٢ ـ ٥٣.

(٤) أسباب النزول للواحدي: ٢٠٨ ـ ٢٠٩.

(٥) الطبقات الكبرى ١: ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

(٦) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ١: ٥٥٠ ـ ٥٥١.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ * وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ ألقى الشيطان على لسانه لما كان يحدث به نفسه وتمناه: «تلك الغرانيق العلى وأن شفاعتهن لترتجى» وفي رواية: «وشفاعتهن ترتجى» فلمّا سمعت قريش بذلك فرحوا ومضى في قراءته، فقرأ السورة كلّها وسجد في آخرها وسجد المسلمون بسجوده وسجد جميع من في المسجد من المشركين فلم يبق كافر ولا مسلم إلّا سجد، إلّا الوليد بن المغيرة وأبا أُحيحة سعيد بن العاص أخذا حفنة من البطحاء ورفعاها الى جبهتيهما وسجدا عليها، لأنهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود، وفرحت قريش وقالوا قد ذكر محمّد آلهتنا بأحسن الذكر، فنزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فقال: ما ذا صنعت تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله وقلت ما لم أقل لك، وفي رواية: أنّه قال له: أعرض عليَّ كلام الله فلمّا عرض عليه قال: أما هذا فلم آتك به هذا من الشيطان، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ... الآية﴾... الخ[1].

أقول: العجب من هؤلاء الذين أودعوا كتبهم هذه الروايات التي لا يحتاج بطلانها وفسادها الى بيان، والتي تنسب الى النبيّ ﷺ أقبح النسب من الزيادة في القرآن بما يقتضى الكفر من مدح الأصنام والقول فيها بقول المشركين أنها تشفع وعدم تنبهه حتى نبهه جبرئيل، كبرت كلمة تخرج من أفواههم! وكيف سرّ المشركون بذلك وقد قرأ ﷺ السورة الى آخرها وفيها بعد ذلك ذمّهم وذمّ آلهتهم بقوله: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ * تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ * إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾[2].

(١) الحج: ٥٢.

(٢) النجم: ٢١ ـ ٢٣.

وما هذه الروايات إلّا كالذي رووه من أن النبيّ ﷺ أثّر فيه السحر مصدقين قول الكفار: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَّسْحُوراً﴾[١] وغيرها.

أما الذي ذكره مفسرونا، فقال الطبرسي في مجمع البيان: روى عن ابن عباس وغيره أن النبيّ ﷺ لما تلا سورة النجم وبلغ الى قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ ٱللَّاتَ وَٱلْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ ألقى الشيطان في تلاوته: «تلك الغرانيق العلى وأن شفاعتهن لترجى» فسرّ بذلك المشركون، فلمّا انتهى الى السجدة سجد المسلمون وسجد أيضاً المشركون لما سمعوا من ذكر آلهتهم بما أعجبهم، قال: فهذا الخبر إن صح محمول على أنه كان يتلو القرآن فلمّا بلغ الى هذا الموضع وذكر أسماء آلهتهم وقد علموا من عادته أنه يعيبها، قال بعض الحاضرين من الكافرين: تلك الغرانيق العلى وألقى ذلك في تلاوته بوهم أن ذلك من القرآن فأضافه الله سبحانه الى الشيطان لأنه إنّما حصل بإغوائه ووسوسته قال: وهذا أورده المرتضى قدّس الله روحه في كتاب التنزيه، وهو قول الناصر للحق من أئمة الزيدية وهو وجه حسن في تأويله... الخ[٢].

مَن الذي عبس وتولّى أن جاءه الأعمى

روي في سبب نزولها: أن عبد الله بن أُمّ مكتوم أتى رسول الله ﷺ وهو يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل والعباس بن عبد المطلب وأُبيّاً وأُمية ابني خلف كما في مجمع البيان[٣] وفي الكشاف[٤] عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا

---

(١) الإسراء: ٤٧.

(٢) مجمع البيان ٧: ١٦٢ ـ ١٦٣.

(٣) المصدر السابق ٥: ٥٥٧.

(٤) الكشاف ٤: ٧٠٠ ـ ٧٠١.

جهل والعباس وأُمية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الله ويرجو إسلامهم، فقال: يا رسول الله، أقرئني وعلّمني ممّا علّمك الله وكرّر ذلك ولا يدري تشاغله بالقوم حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله ﷺ لقطعه كلامه، فأعرض عنه وأقبل على القوم يكلّمهم فنزلت: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ * أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰ * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰ * أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ * فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ * وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ * وَهُوَ يَخْشَىٰ * فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾[1].

فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك يكرمه وإذا رآه قال مرحباً بمن عاتبني فيه ربي واستخلفه على المدينة غير مرّة. حكى ذلك صاحب مجمع البيان وغيره.

وقال الشريف المرتضى ـ علم الهدى في كتابه تنزيه الأنبياء والأئمة[2] ـ: أما ظاهر الآية فغير دال على توجهها الى النبيّ ﷺ ولا فيها ما يدل على أنّه خطاب، بل هي خبر محض لم يصرح بالمخبر عنه، وفيها ما يدل عند التأمل على أن المعنى بها غير النبيّ ﷺ لأنه وصفه بالعبوس وليس هذا من صفات النبيّ ﷺ في قرآن ولا خبر مع الأعداء المنابذين، فضلاً عن المؤمنين المسترشدين. ثم وصفه بأنه يتصدّى للأغنياء ويتلهّى عن الفقراء، وهذا ممّا لا يصف به نبيناﷺ من يعرفه، فليس هذا مشبهاً لأخلاقه الواسعة وتحننه على قومه وتعطفه، وكيف يقول له: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ وهو ﷺ مبعوث للدعاء وللتنبيه، وكيف لا يكون ذلك عليه وكان هذا القول إغراء بترك الحرص على إيمان قومه. وقد قيل: أن هذه السورة نزلت في رجل من

---

(١) عبس ١ ـ ١٠.

(٢) تنزيه الأنبياء للسيّد المرتضى: ١٦٦.

أصحاب رسول الله ﷺ كان منه هذا الفعل المنعوت فيها، ونحن إن شككنا في عين من نزلت فيه فلا ينبغي أن نشك في أنها لم يعن بها النبيّ ﷺ، وأي تنفير أبلغ من العبوس في وجوه المؤمنين والتلهّي عنهم والإقبال على الأغنياء الكافرين والتصدّي لهم، وقد نزه الله تعالى النبيّ ﷺ عمّا دون هذا في التنفير بكثير...الخ[١].

وفي مجمع البيان، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢].
وقوله: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٣].

فالظاهر أن الذي عبس وتولّى غيره، وقد روي عن الصادق عليه السلام أنّه رجل من بني أُمية كان عند النبيّ فجاء ابن أُمّ مكتوم فلمّا رآه تقذّر منه وجمع نفسه وعبس وأعرض بوجهه عنه فحكى الله سبحانه ذلك وأنكره عليه...الخ[٤]

أقول: لا مانع من وقوع العتاب منه تعالى للنبي ﷺ على ترك الأولى، وفعل المكروه أو خلاف الأولى لا ينافي العصمة، والقول بأن العبوس ليس من صفاته ﷺ إنّما يتم إذا لم يكن العبوس لأمر أُخروي مهم وهو قطع الحديث مع عظماء قريش الذين يرجو اسلامهم وأن يكون بإسلامهم تأييد عظيم للدين. وكذلك القول بأن الوصف بالتصدّي للأغنياء والتلهّي عن الفقراء لا يشبه أخلاقه الكريمة إنّما يتم إذا كان تصدّيه للأغنياء لغناهم لا لرجاء إسلامهم وتلهية عن الفقراء لفقرهم لا لقطعهم حديثه مع من يرجو إسلامه، ومع ذلك لا ينافي العتاب له وكون الأولى خلافه. أما ما روي عن

---

(١) مجمع البيان ٥: ٥٥٧.

(٢) القلم: ٤.

(٣) آل عمران: ١٥٩.

(٤) مجمع البيان ٥: ٥٥٧.

الصادق عليه السلام فقد ينافي صحة هذه الرواية قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ﴾ فإنّ ذلك الرجل إنّما عبس في وجه الأعمى تقذّراً له، لا لأنه لا يرجو تزكيه أو تذكره. فالمناسب أن يقال: وما يدريك لعله خير من أهل النظافة والبصر، وكذا قوله: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ فإن تصدى الأُموي للغني لغناه لا لرجاء أن يزكّى، وكذا قوله: ﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ * وَهُوَ يَخْشَىٰ * فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾. فإن ابن أُمّ مكتوم إنّما جاء رسول الله ﷺ، لا الأُموي، والأُموي إنّما تقذّره وانكمش منه، لا أنّه تلهّى عنه فالمناسب أن يكون الخطاب للنبي ﷺ وذلك يبطل صدور هذه الرواية من معدن بيت الوحي.

حصار الشِعب وأمر الصحيفة

ولما بلغ قريشاً فعل النجاشي بجعفر وأصحابه وإكرامه إياهم ورأوا عدم وصولهم إلى النبيّ ﷺ لقيام عمّه أبي طالب دونه، كتبوا كتاباً على بني هاشم أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم أو يسلموا إليهم رسول الله ﷺ، وختم عليها أربعون خاتماً وكتبها منصور بن عكرمة فشلت يده، وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة وحصروهم في شعب أبي طالب[1] أوّل المحرم سنة سبعة من البعثة، فدخل بنو هاشم الشعب، مسلمهم وكافرهم عدا أبي لهب وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب لشدة عداوتهما للرسول ﷺ، وأبوسفيان أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، وانحاز إليهم بنو المطلب بن عبد المناف فكانوا أربعين رجلاً، وحصن أبو طالب الشعب وكان يحرسه ليلاً

---

(١) تعليق حول المحاصرة: ما موجود عند الشيعة وعند بعض السنّة أنّ أبا طالب بعد ماعرف تصميم قريش على قتل النبيّ انعزل في الشِعب ببنيه وبني عبد المطلب وهاشم. ماعدا أبي لهب. بحار الأنوار ١٩: ١، السيرة الحلبية ٢: ٣٣٧.

ونهاراً وأخافتهم قريش فكانوا لايخرجون ولا يأمنون إلا من موسم إلى موسم، موسم العمرة في رجب وموسم الحج في ذي الحجة وقطعوا عنهم الميرة إلّا ماكان يحمل سراً وهو شيء يسير لايمسك أرماقهم حتى بلغ بهم الجهد وسمع أصوات صبيانهم من وراء الشعب وذلك أشد مالقي رسول الله ﷺ وأهل بيته بمكة. وكان هشام بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي يأتي بالبعير بعد البعير قد أوقره طعاماً أو تمراً إلى فم الشعب فينزع عنه خطامه ويضربه على جنبيه فيدخل الشعب، فبقوا في الشعب سنتين أو ثلاث سنين وأرسل الله تعالى على الصحيفة الأرضة فلحستها إلّا «باسمك اللهم» فأخبر الله تعالى نبيه بذلك فذكره لعمّه أبي طالب، فقال لقريش: إن ابن أخي أخبرني أن الله قد سلط على صحيفتكم الأرضة فأكلتها غير اسم الله فإن كان صادقاً نزعتم عن سوء رأيكم وإن كان كاذباً دفعته إليكم، قالوا: قد أنصفتنا ففتحوا فإذا هي كما قال، فقالوا: هذا سحر ابن أخيك.

وتلاوم رجال من قريش على ماصنعوا ببني هاشم فمشى هاشم بن عمرو إلى زهير ابن أبي أُمية المخزومي وزهير ختن أبي طالب على ابنته عاتكة وقال: أرضيت أن يكون أخوالك هكذا؟ قال: فما أصنع وأنا رجل واحد؟ قال: وجدت ثانياً، قال: إبغنا ثالثاً، فما زالوا كذلك حتى صاروا خمسة فيهم غير هشام وزهير، مطعم بن عدي وأبو البختري بن هشام وزمعة بن الأسود، فأقبلوا إلى أندية قريش، فقال زهير: ياأهل مكة، نأكل الطعام ونشرب الشراب ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة، فقال أبو جهل: كذبت والله لاتشق، فقال زمعة: أنت والله أكذب، فقال أبو البختري: صدق والله زمعة، وقال مطعم وهشام مثل ذلك، فقال أبو جهل: هذا أمر قضي بليل، وقام مطعم إلى الصحيفة

فشقها وخرج بنو هاشم من حصار الشعب في السنة العاشرة أو التاسعة من النبوّة إلى مساكنهم(١).

وتوفيت خديجة وأبو طالب، وفي تاريخ وفاتهما اختلاف كثير، فقيل: توفيا في عام واحد توفي أبو طالب بعد البعثة بست سنين وثمانية أشهر وأربعة وعشرين يوماً، وتوفيت خديجة بعده بثلاثة أيام فسمّى رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك العام عام الحزن، وقيل: ماتت خديجة قبل الهجرة بسنة حين خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من الشعب ومات أبو طالب بعدها بسنة(٢).

وكما أوصى عبد المطلب ابنه أبا طالب بنصر النبيّ صلى الله عليه وآله فقام به أحسن قيام، كذلك أوصى أبوطالب ابنيه علياً وجعفراً وأخويه حمزة وعباساً بنصره صلى الله عليه وآله فقاموا به أحسن قيام لاسيما عليّ وحمزة وجعفر، وفي ذلك يقول أبوطالب:

أوصى بنصر النبيّ خير مشهده ... علياً ابني وعم الخير عباسا
وحمزة الأسد المخشى جانبه ... وجعفراً أن تذودوا دونه الناسا
وهاشماً كلها أوصى بنصرته ... أن يأخذوا دون حرب القوم أمراسا

---

(١) عيون الأثر ١: ١٤٧ ـ ١٤٩. الطبقات الكبرى ١: ٢٠٨ ـ ٢١٠، إعلام الورى بأعلام الهُدىٰ ١: ١٢٥ ـ ١٢٩.

(٢) ما قيل في تاريخ وفاة خديجة وأبي طالب، فالمشهور الموجود في الكتب عند السنّة والشيعة مايلي:
أنّهما توفيا في عام واحد في السنة العاشرة من المبعث قبل الهجرة بثلاث سنوات وأنّ خديجة رضي الله عنها توفيت بعد أبي طالب بثلاث أيّام وسُمّي العام بعام الحزن.
وأما ماذكره السيد الأمين من أنّ تاريخ وفاة أبي طالب كان في السنة السادسة في الشهر الثامن في اليوم الرابع والعشرين وأن خديجة توفيت بعده بثلاث أيام لم نعثر على مصدر له بين أيدينا وكذلك موت خديجة قبل الهجرة بسنة وبعدها أبي طالب بسنة. الطبقات الكبرى ١: ٢١١، السيرة النبوية لابن‌هشام ١: ٤١٦، امتاع الأسماع ١: ٤٥، عيون الأثر ١: ١٥١، تاريخ الأُمم والملوك للطبري ١: ٥٥٣، السيرة الحلبية ١: ٣٤٦، الاستيعاب ٤: ٣٨٥، أُسد الغابة ٧: ٨٥، الإصابة ٤: ٢٨٣، بحار الأنوار ١٩: ٥ ـ ٦ و ١٤ ـ ١٦.

كونوا فدى لكم نفسي وماولدت من دون أحمد عند الروع أتراسا
بكل أبيض مصقول عوارضه تخاله في سواد الليل مقباسا[1]

وقال رسول الله ﷺ: «**ما زالت قريش كاعة عنّي حتى مات أبو طالب**»[2] فلما توفي نالت قريش من رسول الله ﷺ واجترأت عليه، فخرج إلى الطائف يعرض نفسه على القبائل ومعه زيد بن حارثة بعد ثلاثة أشهر من موت خديجة، فاغروا به صبيانهم وسفاءهم يسبّونه ويصيحون به ويرمونه بالحجارة حتى أدموا رجليه وزيد يقيه بنفسه حتى شج في رأسه، ففرّ منهم إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة فدخله ورجعوا عنه، وجلس إلى ظل شجرة فأرسل عتبة وشيبة غلاماً لهما نصرانياً يقال له «عدّاس» بعنب في طبق فوضعه بين يديه، فقال: باسم الله وأكل منه فعجب عدّاس من ذلك وقال: هذا كلام لا يقوله أهل هذه البلاد، فسأله عن بلده وعن دينه فأخبره أنه نصراني من أهل نينوى، فقال: أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متي؟ قال: ومايدريك به؟ قال: ذلك أخي كان نبياً وأنا نبي، فأكب عدّاس عليه يقبل رأسه ويديه وقدميه وأسلم، فعجب ابنا ربيعة من ذلك وقالا: لايصرفنك هذا الرجل عن دينك فهو خير من دينه[3]. وعاد رسول الله ﷺ إلى مكة في جوار مطعم ابن عدي[4] وجعل يعرض نفسه على قبائل العرب في المواسم وفي منازلها وعمّه أبو لهب واسمه عبد العزى يتبعه أيان ذهب يحرّض الناس على أن لا يستمعوا له[5].

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٦١.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ١: ٦٧، السيرة الحلبية ١: ٣٥٣، السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٤١٦.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ١: ٤١٩ - ٤٢١. بحار الأنوار ١٩: ٦ - ٧.

(٤) بحار الأنوار ١٩: ٨، الطبقات الكبرى ١: ٢١٢.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام ١: ٤٢٢ - ٤٢٣، المناقب لابن شهرآشوب ١: ٦٥.

الإسراء والمعراج

قيل: كانا في ليلة واحدة، واختلف في تاريخ ذلك فقيل كان ذلك سنة اثنتي عشرة من البعثة قبل الهجرة بسنة، أو سنة إحدى عشرة من البعثة قبل الهجرة بسنتين، أو قبل الهجرة بستة أشهر في السابع عشر من شهر رمضان ليلة السبت، أو بعد النبوة بسنتين ليلة الاثنين في شهر ربيع الأوّل، أو ليلة سبع عشرة من ربيع الأوّل، أو ليلة سبع وعشرين منه، أو ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر، أو ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان، أو ليلة سبع وعشرين من رجب على اختلاف الروايات والأقوال، وقيل: كانا في وقتين مختلفين والمعراج بعد الإسراء في ليلة أُخرى[1].

وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة منها ثلاث سنين مستخفياً، ثم أعلن دعوته في الرابعة فدعا الناس إلى الإسلام عشر سنين يوافي في الموسم كل عام يتبع الحاج في منازلهم بمنى والموقف يسأل عن القبائل قبيلة قبيلة ويسأل عن منازلهم ويأتي إليهم في أسواق المواسم عكاظ ومجنة وذي المجاز، وكانت العرب إذا حجّت تقيم بعكاظ شهر شوال، ثم بسوق مجنة عشرين يوماً، ثم بسوق ذي المجاز إلى أيام الحج، فكان يتبعهم في منازهم ليدعوهم إلى أن يمنعوه حتى يُبلّغ رسالات ربّه ويقول: يا أيها الناس قولوا لااله الا الله تفلحوا ، ووراءه أبو لهب واسمه عبد العزى يُكذّبه فلم

---

(١) السيرة الحلبية ١: ٣٦٥ - ٣٦٦، إمتاع الأسماع ١: ٤٧ - ٤٨، عيون الأثر ١: ١٦٧ و ١٧١ - ١٧٢، بحار الأنوار ١٨: ٢٩٠ و ٣٠٣ و ٣٧٩.

يستجب له أحد منهم[١].

وجاء إلى مكة أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد قيس من الخزرج، فعرض عليهما رسول الله ﷺ الإسلام فأسلما وهما أوّل من أسلم من الأنصار، ثم رجعا إلى المدينة فأسلم أبو الهيثم بن التيهان، وقال: أوّل من أسلم من الأنصار رافع بن مالك ومعاذ بن عفراء خرجا من مكة معتمرين فعرض ﷺ عليهما الإسلام فأسلما، ثم أسلم ثمانية أو ستة من الأنصار، مرّ عليهم ﷺ وهم نزول بمنى فعرض عليهم الإسلام فأسلموا، وطلب منهم أن يمنعوا ظهره ليُبّلغ رسالة ربّه فاعتذروا بما بينهم من العداوة ووعدوه موسم العام المقبل، ويقال: إنه لقيهم عند العقبة وأن هذه بيعة العقبة الأُولى، وقال ابن سعد: أنها غيرها[٢].

العقبة الأُولى

والعقبة هي التي تضاف إليها الجمرة فيقال جمرة العقبة، والجمرة عن يسار الطريق لقاصد منى من مكة وعندها مسجد يقال له «مسجد البيعة» فلما كان العام المقبل من العام الذي لقي فيه رسول الله النفر الستة أو الثمانية ـ كما مرّ ـ لقيه اثنا عشر رجلاً من الخزرج. والأوس والخزرج قبيلتان بالمدينة كان جداهما أخوين ثم وقعت بينهما حروب كان آخرها قبل الهجرة فأسلموا وبايعوا على بيعة النساء[٣] ثم رجعوا إلى المدينة، وكان أسعد بن زرارة يجمع

(١) السيرة النبوية بهامش السيرة الحلبية لزيني دحلان ١: ٢٨٢ ـ ٢٨٣، الطبقات الكُبرى ١: ٢١٦.

(٢) الطبقات الكُبرى ١: ٢١٨، بحار الأنوار ١٩: ٩ ـ ١٠.

(٣) وهذه البيعة اصطلح على تسميتها المؤرّخون وكتّاب السيرة ببيعة النساء، لأن النبيّ ﷺ أخذ البيعة من ←

بالمدينة بمن أسلم، وكتب الأوس والخزرج إلى النبيّ ﷺ: ابعث الينا من يقرئنا القرآن، فبعث إليهم مصعب بن عمير العبدري فروي أنه كان يجمع بهم، وفشا الإسلام في المدينة فأسلم كثير من أهلها[1].

العقبة الثانية

وهم السبعون الذين بايعوا رسول الله ﷺ عند العقبة، فإنه لما حضر الحج مشى من أسلم بالمدينة بعضهم إلى بعض يتواعدون المسير إلى الحج وموافاة رسول الله ﷺ وهم سبعون يزيدون رجلاً أو رجلين، فخرجوا مع الأوس والخزرج وهم خمسمائة حتى قدموا على رسول الله ﷺ مكة، فوعدهم منى ليلة النفر الأوّل إذا هدأت الرجْل أن يوافوه بأسفل العقبة على يمين القادم من منى حيث المسجد المعروف بمسجد البيعة وأمرهم أن لايُنبّهوا نائماً ولا ينتظروا غائباً، فخرجوا بعد هدأة يتسللون الرجل والرجلان فتوافى السبعون ومعهم امرأتان، فوجدوا النبيّ ﷺ وعمّه العباس، فخطب العباس: يامعشر الخزرج[2]، إنكم دعوتم محمّداً وهو أعز الناس في عشيرته يمنعه والله من كان على قوله ومن لم يكن للحسب والشرف وقد أبى الناس كلّهم غيركم، فإن كنتم أهل قوة وجلد وبصر بالحرب واستقلال بعداوة العرب قاطبة ترميكم عن قوس واحدة فارتأوا رأيكم. فأجابوا بأحسن الجواب، وتلا

← النساء في فتح مكة على هذا النحو «والتي جاء ذكرها في الآية ١٢ من سورة الممتحنة وهي: (أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا... الآية) سيّد المرسلين للسبحاني ١: ٥٧٠.

(١) الطبقات الكبرى ١: ٢٢٠، بحار الأنوار ١٩: ٢٤.

(٢) قال ابن هشام في سيرته كان العرب يُسمّون هذا الحي من الأنصار الخزرج خزرجها وأوسها ـ (المؤلّف).

عليهم رسول‌الله ﷺ القرآن ثم دعاهم إلى الله ورغّبهم في الإسلام، فقال البراء بن معرور ـ وقيل: أبو الهيثم بن التيهان، وقيل: أسعد بن زرارة ـ: أبسط يدك يارسول الله، فكان أوّل من ضرب على يد رسول الله ﷺ، ثمّ ضرب السبعون كلّهم على يده وبايعوه على أن يمنعوه مما يمنعوه منه نساءهم وأبناءهم وعلى السمع والطاعة وبايعه المرأتان من غير مصافحة، ثم قال لهم: أخرجوا لي اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس. وبلغ قريشاً ذلك فجاءوا إلى الخزرج يعاتبونهم، فحلف لهم المشركون من الخزرج ما شعروا بشيء، وبحثت قريش عن الخبر فوجدته حقاً فجعلت تطلبهم، فأدركوا سعد بن عبادة فجعلوا يده إلى عنقه بنسعة وجعلوا يضربونه حتى أدخلوه مكة، فخلّصه منهم مطعم بن عدي والحارث بن أُمية بن عبد شمس(١).

مؤاخاة النبيّ بين أصحابه قبل الهجرة

وفي السيرة الحلبية: قبل الهجرة آخى النبيّ ﷺ بين المهاجرين على الحق والمواساة. بين أبي بكر وعمر، وبين حمزة وزيد بن حارثة، وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف، وبين الزبير وابن مسعود، وبين عبادة بن الحارثة وبلال، وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبي وقاص، وبين أبي عبيدة ابن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة، وبين سعيد بن زيد وطلحة بن عبيد الله، وبين عليّ ونفسه ﷺ، وقال: **أمّا ترضى أن أكون أخاك؟ قال: بلى يارسول الله**

---

(١) الطبقات الكُبرى ١: ٢٢١ - ٢٢٣، بحار الأنوار ١٩: ٢٤.

رضيت، قال: «فأنت أخي في الدنيا والآخرة»[١].

وأنكر ابن تيمية على عادته المؤاخاة بين المهاجرين، سيّما مؤاخاة النبيّ ﷺ لعلي، قال: لأن المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار إنمّا جعلت لإرفاق بعضهم ببعض ولتأليف قلوب بعضهم بعض، فلا معنى لمؤاخاة مهاجري لمهاجري. قال الحافظ ابن حجر: وهذا ردّ للنص بالقياس... الخ[٢].

وأقول: كأن المهاجرين لا يطلب ارفاق بعضهم ببعض وتآلف قلوب بعضهم ببعض! إنها لا تعمى الأبصار ولكن... وفي ذلك يقول صفي الدين الحلّي من قصيدة:

أنت سرّ النبيّ والصنو وابن	العم والصهر والأخ المستجاد
لو رأى مثلك النبيّ لآخاه	وإلاّ فأخطأ الانتقاد[٣]

وآخى ﷺ بعد الهجرة بين المهاجرين والأنصار. ويأتي ذكر ذلك إنشاء الله.

الهجرة إلى المدينة

لما صدر السبعون من عند رسول الله ﷺ طابت نفسه وقد جعل الله له منعة وقوماً أهل حرب وعدة ونجدة وجعل البلاء يشتد على المسلمين من المشركين، فأذن لهم النبيّ ﷺ في الهجرة إلى المدينة، فهاجروا ونزلوا على الأنصار في دورهم فآووهم ونصروهم وآسوهم ولم يبق منهم بمكة إلّا قليل[٤].

(١) السيرة الحلبية ٢: ٩٠ - ٩٣.

(٢) فتح الباري وإرشاد الساري ٧: ٢١٧.

(٣) بحار الأنوار ١٩: ٣٤.

(٤) الطبقات الكبرى ١: ٢٢٥ - ٢٢٦.

قصّة الغار ومبيت عليّ على الفراش

ولمّا رأى ذلك المشركون اجتمعوا في دار الندوة ليأتمروا في رسول‌الله ﷺ وأسرّوا ذلك بينهم، فقال العاص بن وائل وأُمية بن خلف: نبني له بنياناً نستودعه فيه فلا يخلص إليه أحد ولا يزال في رفق من العيش حتى يذوق طعم المنون، فقال قائل!بئس مارأيتم لئن صنعتم ذلك ليسمعن الحميم والمولى الحليف ثمّ لتأتين المواسم والأشهر الحرم بالأمن فلينتزعن من أيديكم، فقال عتبة وأبو سفيان: نرحل بعيراً صعباً ونوثق محمّداً عليه ثمّ نقصع البعير باطراف الرماح فيقطعه إرباً إرباً، فقال صاحب رأيهم: أرأيتم إن خلص به البعير سالماً إلى بعض الأفاريق فأخذ بقلوبهم بسحره وبيانه فصبا القوم إليه واستجابت القبائل له فيسيرون إليكم بالكتائب والمقانب فلتهلكن كما هلكت أياد، فقال أبو جهل: لكنّي أرى لكم رأياً سديداً وهو أن تعمدوا إلى قبائلكم العشر فتنتدبوا من كلّ قبيلة رجلاً نجداً ثم تسلّحوه حساماً عضباً حتى إذا غسق الليل أتوا ابن أبي كبشة فقتلوه فيذهب دمه في قبائل قريش فلا يستطيع بنو هاشم وبنو المطلب مناهضة قريش فيرضون بالدية، فقال صاحب رأيهم: أصبت يا أبا الحكم هذا هو الرأي فلا تعدلوا به رأياً وكمّوا في ذلك أفواهكم، فسبقهم الوحي بماكان من كيدهم وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَاكِرِينَ﴾[1] فدعا رسول الله ﷺ علياً عليه السلام وأخبره بذلك وقال له: أوحى إليّ

(١) الأنفال: ٣٠.

ربّي أن أهجر دار قومي وأنطلق إلى غار ثور تحت ليلتي هذه وأن آمرك بالمبيت على مضجعي ليخفي بمبيتك عليهم أمري، فقال عليّ عليه السلام: أوَ تسلمن بمبيتي هناك يانبي الله؟ قال: نعم فتبسم عليّ ضاحكاً وأهوى إلى الأرض ساجداً شاكراً لله لما بشّره صلى الله عليه وآله بسلامته، قال رسول الله: أرقد على فراشي واشتمل ببردي الحضرمي. وكان له برد حضرمي أحمر وقيل: أخضر ينام فيه، ثم ضمّه النبيّ صلى الله عليه وآله إلى صدره وبكى وجداً به، فبكى عليّ جزعاً لفراق رسول الله صلى الله عليه وآله فأنزل[1] الله عزّ وجلّ في عليّ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌ بِٱلْعِبَادِ﴾[2] وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر وهند بن أبي هالة وهو ربيب رسول الله وأُمّه خديجة أُمّ المؤمنين أن يقعدا له بمكان ذكره لهما في طريقه إلى الغار ولبث مع عليّ يوصيه ويأمره بالصبر حتى صلى العشاءين، ثم خرج في فحمة العشاء الآخرة والرصد من قريش قد أطافوا بداره فيهم أبو جهل والحكم بن أبي العاص وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث وأُمية بن خلف وابن الغيطلة وزمعة ابن الأسود وطعيمة بن عدي وأبو لهب وأُبي بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وخالد بن الوليد بن المغيرة ينتظرون إلى أن ينتصف الليل وتنام الأعين، فخرج وهو يقرأ : ﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[3] .

ومضى حتى أتى إلى أبي بكر وهند فنهضا معه حتى وصلوا الغار وهو غار ثور جبل بأسفل مكة، سمي باسم ثور بن عبد مناة بن أدا بن طابخة، لأنه

---

(١) تفسير الثعلبي ٢ : ١٢٦ مجمع البيان ٢ : ٥٧ إمتاع الأسماع ١ : ٥٧.

(٢) البقرة: ٢٠٧.

(٣) يس: ٩.

ولد عنده فقيل جبل ثور، ويسمى أيضاً أطحل، فدخلا الغار ورجع هند إلى مكة لمّا أمره به رسول الله ﷺ، فلما أغلق الليل أبوابه وانقطع الأثر أقبل القوم على عليّ يقذفونه بالحجارة ولايشكون أنه رسول الله، حتّى إذا قرب الفجر هجموا عليه وكانت دور مكة يومئذٍ لا أبواب لها، فلمّا بصر بهم عليّ عليه السلام قد انتضوا السيوف وأقبلوا بها إليه أمامهم خالد بن الوليد وثب عليّ فهمز يده، فجعل خالد يقمص قماص البكر ويرغو رغاء الجمل وأخذ سيف خالد وشد عليهم به، فأجفلوا أمامه اجفال النعم إلى ظاهر الدار وبصروه فإذا هو عليّ، فقالوا: إنّا لم نردك فما فعل صاحبك؟ قال: لاعلم لي به، فأذكت قريش عليه العيون وركبت في طلبه الصعب والذلول، وأمر الله العنكبوت فنسجت على باب الغار وأمر حمامتين وحشيتين فوقعتا بفم الغار وباضتا، فلما قربوا منه قال بعضهم: إن عليه العنكبوت قبل ميلاد محمّد ورأى أوّلهم الحمامتين، فرجعوا وأمهل عليّ حتى إذا أُعتم من الليلة القابلة انطلق هو وهند بن أبي هالة حتى دخلا على رسول الله ﷺ في الغار، فأمر رسول الله ﷺ هنداً أن يبتاع له ولصاحبه بعيرين فقال صاحبه: قد أعددت لي ولك يانبي الله راحلتين، فقال: إنّي لا آخذهما ولا إحداهما إلاّ بالثمن، قال: فهما لك بذلك فأمر علياً فأقبضه الثمن. هذه رواية الشيخ أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي بسنده في أماليه[1]. وكذا جُلّ مافي هذه القصة. وروى ابن سعد في الطبقات أنّه قال: فخذ بأبي أنت وأُمّي إحدى راحلتيّ هاتين، فقال

(١) أمالي الشيخ الطوسي ٢٥٨ : ج ١٦، بحار الأنوار١٩ : ٥٧ - ٦٢، الجرائح والخرائج ٢٥ : ب١: ح ٥، بحار الأنوار ١٩: ٧٢- ٧٣

رسول الله ﷺ: بالثمن وكان أبو بكر اشتراهما بثمانمائة درهم من نعم بني قشير، فأخذ إحداهما وهي القصواء[١].

وروى ابن هشام عن ابن إسحاق أنه قال له: إنّي لا أركب بعيراً ليس لي، فأخذها بثمنها الذي ابتاعها[٢] به. وسئل ابن أبي رافع أكان رسول الله ﷺ يجد ما ينفقه هكذا؟ فقال: أين يذهب بك عن مال خديجة وكان ﷺ يفك من مالها الغارم والأسير ويحمل العاجز ويعطي في النائبة ويعطي فقراء أصحابه إذ كان بمكة ويحمل من أراد منهم الهجرة، وكانت طائفة من العير في رحلتي الشتاء والصيف لخديجة وكانت أكثر قريش مالاً، وكان ينفق ماشاء في حياتها وورثها هو وولدها بعد مماتها[٣].

ثم وصّى علياً عليه السلام بحفظ ذمته وأداء أمانته وكانت قريش تدعو محمّداً ﷺ في الجاهلية الأمين وتودعه أموالها، وكذلك من يقدم مكة من العرب في الموسم وجاءته النبوة والأمر كذلك، فأمر علياً أن يقيم منادياً بالأبطح غدوة وعشية: ألا من كانت له قبل محمّد أمانة فليأت لتؤدى إليه أمانته، وقال: إنهم لن يصلوا إليك بما تكرهه حتى تقدم عليّ فأدّ أمانتي على أعين الناس ظاهراً وأني مستخلفك على فاطمة ابنتي ومستخلف ربّي عليكما وأمره أن يبتاع رواحل له وللفواطم ومن أراد الهجرة معه من بني هاشم وغيرهم، وقال له: إذا قضيت ماأمرتك فكن على أهبة الهجرة إلى الله ورسوله، وانتظر قدوم كتابي إليك، ولا تلبث بعده، وأقام رسول الله ﷺ في

---

(١) الطبقات الكبرى ١: ٢٢٨.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١: ٤٨٦ - ٤٨٧.

(٣) بحار الأنوار ١٩: ٦٣ - ٦٤.

الغار ثلاث ليال وفي ذلك يقول عليّ عليه السلام شعراً:

وقيت بنفسي خير من وطئ الحصى ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
محمد لما خاف أن يمكروا به فوقاه ربّي ذو الجلال من المكر
وبت أُراعيهم متى ينشرونني وقد وطنت نفسي على القتل والأسر
وبات رسول الله في الغار آمنا هناك وفي حفظ الإله وفي ستر
أقام ثلاثاً ثم زمت قلائص قلائص يفرين الحصى أينما يفري[١]

ثم استأجروا دليلاً من بني الدئل هادياً خريتاً[٢] يقال له: عبد الله بن أُريقط الليثي وهو على الكفر، ولكنهما أمناه، فلما مضت الثلاث أتاهما الدليل ببعيريهما وبعير له، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر بسفرتهما في جراب ونسيت أن تجعل لها عصاماً فحلّت نطاقها وجعلته عصاماً وعلقتها به فسميت ذات النطاق، وقيل: قطعت منه قطعة أوكت بها الجراب وأُخرى جعلتها عصاماً، وقيل: شقت نطاقها باثنين فعلّقت السفرة بواحد وانتطقت بالآخر فسميت ذات النطاقين، ثم ارتحلا ومعهما عامر بن فهيرة غلام أبي بكر أردفه خلفه ودليلهم وأخذ بهم الدليل على طريق السواحل[٣]. وجعلت قريش مائة ناقة لمن رده عليهم وأرسلت إلى أهل السواحل أنّ من قتله أو أسره فله مائة ناقة[٤]، ومرّوا بخيمتي أُمّ معبد الخزاعية واسمها عاتكة وكان منزلها بقذيذ فسألوها تمراً أولحماً يشترون فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك

(١) بحار الأنوار ١٩: ٦٢ - ٦٣.

(٢) أي الدليل الماهر.

(٣) إعلام الورىٰ بأعلام الهُدىٰ ١: ١٤٨ - ١٤٩، الطبقات الكُبرى ١: ٢٢٩.

(٤) الكافي ٨: ٣٧٨، السيرة النبوية لابن هشام ١: ٤٨٩.

وإذا القوم مرملون مسنتون، فقالت: والله لو كان عندنا شيء ماأعوزكم القرى، فنظر ﷺ إلى الشاة في كسر الخيمة، فقال: ماهذه الشاة يا أُم معبد؟ قالت: هذه شاة خلفها الجهد عن الغنم، قال: هل بها لبن؟ قالت: هي أجهد من ذلك، قال: تأذنين أن أحلبها؟ قالت: نعم بأبي أنت وأُمّي إن رأيت بها حلباً فاحلبها، فدعا بها فمسح ضرعها وسمّى الله وقال: **اللهم بارك لها في شاتها.** فتفاجحت ـ أو فتفاحت ـ ودرت واجترت، فدعا بإناء كبير فحلب فيه فسقاها وسقى أصحابه حتى رويت ورووا وشرب آخراً وقال: ساقي القوم آخرهم، ثم حلب فيه ثانياً حتى أمتلأ وتركه عندها وارتحلوا فقلّما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد قيل: اسمه أكثم بالمثلثة، وقيل: خنيس، وقيل: عبد الله يسوق أعنزاً حيلاً عجافاً ، فلما رأى اللبن عجب وقال: من أين لكم هذا ولاحلوبة في البيت؟ قالت: لا والله إلّا أنه مرّ بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت، قال: أني لأراه صاحب قريش الذي يطلب صِفيه لي، فوصفته له ثم هاجرت أُمّ معبد وأسلمت، ويقال: بل أسلمت يومئذٍ وبايعت وهاجر زوجها وأسلم وفي ذلك يقول الشاعر:

جزى الله ربّ الناس خير جزائه ... رفيقين حلا خيمتي أُمّ معبد

هما نزلا بالبر وارتحلا به ... فأفلح من أمسى رفيق محمّد

فيالقصي مازوى الله عنكم ... به من فعال لايجازي وسؤدد

سلوا أُختكم عن شاتهاوإنائها ... فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد

دعاها بشاة حائل فتحلبت ... له بصريح صرة الشاة مزبد

وقال حسان بن ثابت مجيباً له من أبيات:

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم
وقُدّس من يسري إليهم ويغتدي
ترّحل عن قوم فزالت عقولهم
وحلّ على قوم بنور مجدد
وهل يستوي ضلال قوم تسكعوا[١]
عمى وهداة يهتدون بمهتدي
نبي يرى مالا يرى الناس حوله
ويتلو كتاب الله في كلّ مشهد
فإن قال في يوم مقالة غائب
فتصديقها في ضحوة اليوم أو غد[٢]

ولم يزل ﷺ سائراً حتى قارب المدينة ، فقال: من يدلنا على الطريق إلى بني عمرو بن عوف، فلا يقرب بالمدينة فنزل فيهم بقبا لإحدى عشرة أو لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأوّل وكان التاريخ من ذلك اليوم، ثم رد إلى المحرم وأراده صاحبه على دخول المدينة، فقال: ماأنا بداخلها حتى يقدم ابن عمّي وابنتي ـ يعني علياً وفاطمة ـ وكان المسلمون من المهاجرين والأنصار يغدون كل يوم إلى حرة العصبة يتحيّنون قدومه فإذا علت الشمس عادوا إلى منازلهم، فلماكان يوم قدومه رآه يهودي فأخبرهم فسمعت الرجة في بني عمرو بن عوف والتكبير، ويقال: إنّه استقبله من الأنصار زهاء

(١) في الطبقات الكُبرىٰ: تسلعوا .

(٢) المستدرك للحاكم ٣: ٨ - ١٠، بحار الأنوار ١٩: ٧٥ - ٧٦ و ٩٨ - ١٠٠، الطبقات الكبرى ١: ٢٣٢.

خمسمائة فمال بهم إلى قبا[١].

ثم كتب رسول الله ﷺ إلى عليّ مع أبي واقد الليثي يأمره بالمسير إليه، وكان قد أدى أماناته وفعل ماأوصاه به، فلما أتاه الكتاب ابتاع ركائب وتهيّأ للخروج وأمر من كان معه من ضعفاء المؤمنين أن يتسللوا ليلاً إلى ذي طوى، وخرج عليّ عليه السلام بالفواطم: فاطمة بنت رسول الله ﷺ وأُمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب، وزاد بعض المؤرخين فاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب، وتبعهم أيمن ابن أُمّ أيمن مولى رسول الله ﷺ وأبوواقد الليثي فجعل أبو واقد يسوق بالرواحل سوقاً حثيثاً، فقال عليّ عليه السلام: ارفق بالنسوة ياأبا واقد أنهن من الضعائف، ثم جعل عليّ يسوق بهن سوقاً رفيقاً وهو يقول:

ليس إلّا الله فارفع ظنّكا ... يكفيك ربّ الناس ماأهمكا

فلما قارب ضجنان أدركه الطلب وهم ثمانية فرسان ملثمون معهم مولى لحرب بن أُمية اسمه جناح، فقال عليّ عليه السلام لأيمن وأبي واقد، أنيخا الإبل واعقلاها، وتقدم فأنزل النسوة ودنا القوم، فاستقبلهم عليّ عليه السلام منتضباً سيفه، فقالوا: ظننت إنك ياغدار ناج بالنسوة ارجع لا أباً لك! قال: فإن لم أفعل؟ قالوا: لترجعن راغماً أو لنرجعن بأكثرك شعراً وأهون بك من هالك، ودنوا من المطايا ليثوروها، فحال عليّ عليه السلام بينهم وبينها، فأهوى له جناح بسيفه فراغ عن ضربته وضرب جناحاً على عاتقه فقده نصفين حتى وصل السيف إلى كتف فرسه، والظاهر أن جناحاً لما أهوى له بالسيف إنحنى، لأن الفارس

---

(١) الطبقات الكبرى ١: ٢٣٣، بحار الأنوار ١٩: ٦٢ - ٦٤، إعلام الورى بأعلام الهُدىٰ ١: ١٥٠.

لايمكنه أن يضرب الراجل إلّا وهو منحن، فضربه عليّ وهو منحن على عاتقه ولو لم يكن منحنياً لم تصل ضربته إلى عاتقه، وشد على أصحابه وهو على قدمية شدة ضيغم[(١)] وهو يقول:

خلوا سبيل الجاهد المجاهد ... آليت لا أعبد غير الواحد

فتفرق القوم عنه وقالوا:

احبس نفسك عنا يا ابن أبي طالب، فقال عليه السلام: فإني منطلق إلى أخي وابن عمّي رسول الله صلى الله عليه وآله فمن سرّه أن أفري لحمه وأُريق دمه فليدن منّي، ثم أقبل على أيمن وأبي واقد وقال لهما: اطلقا مطايا كما، ثم سار ظافراً قاهراً حتى نزل ضجنان، فلبث بها يومه وليلته ولحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين فيهم أُمّ أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وآله وبات ليلته تلك هو والفواطم طوراً يصلّون وطوراً يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم حتى طلع الفجر فصلى بهم صلاة الفجر، ثم سار لايفتر عن ذكر الله هو ومن معه حتى قدموا المدينة وقد نزل الوحي[(٢)] بماكان من شأنهم قبل قدومهم بقوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ـ الى قوله ـ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُم مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُم مِن بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُم سَيِّآتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾[(٣)].

وتلا صلى الله عليه وآله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَؤُوفٌ

---

(١) ضغم الشي: أي عضه بملء فيه، يقال: ضغمه ضغمة الأسد أي عضه عضة الأسد. المنجد: مادة«ضغم».

(٢) أمالي الشيخ الطوسي ٤٦٠ ح١٦، بحار الأنوار ١٩: ٦٤ - ٦٧.

(٣) آل عمران: ١٩١ - ١٩٥.

بِالْعِبَادِ﴾(١). وفي سيرة ابن هشام: أقام عليّ بن أبي طالب عليه السلام بمكة ثلاث ليال وأيامها حتى أدى عن رسول الله ﷺ الودائع، ثم لحق به بقبا فأقام بها ليلة أو ليلتين...الخ(٢) .

وفي السيرة الحلبية، عن الامتاع: لما قدم عليّ عليه السلام من مكة كان يسير الليل ويكمن النهار حتى تفطرت قدماه فاعتنقه النبيّ ﷺ وبكى رحمة لما بقدميه من الورم وتفل في يديه وأمرّها على قدميه فلم يشكُهما بعد ذلك...الخ(٣) .

وأقام رسول الله ﷺ بقبا الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وأسس مسجده وخرج يوم الجمعة. وقيل: مكث أربع عشرة ليلة، ولعله الأقرب إلى الاعتبار، وركب ناقته وحشد المسلمون حوله عن يمينه وشماله بالسلاح وأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي في بطن وادي رانوناء ومعه مائة من المسلمين فكانت أوّل جمعة صلاها بالمدينة، وأراده بنو سالم بن عوف على الاقامة عندهم في العدد والعدة والمنعة، فقال: خلوا سبيلها فإنها مأمورة لناقته، وجعل كلما مرّ بحيّ من أحياء الأنصار يدعونه للإقامة عندهم في العدد والعدة والمنعة فيجيبهم بمثل ذلك، حتى بركت على باب مسجده وهو يومئذٍ مربد(٤) ليتيمين وهما سهل وسهيل ابناء

---

(١) البقرة: ٢٠٧.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١: ٤٩٣.

(٣) السيرة الحلبية ٢ : : ٥٣.

(٤) المربد: الموضع الذي يوضع فيه تمر حتى يصرم ويجفف وهو من ربدة: إذا حبسه، ومنه مربد الإبل؛ الفائق في الحديث ١: ١٤٧.

عمرو في حجر معاذ بن عفراء، فجعل الناس يكلمون رسول الله ﷺ في النزول عليهم فاحتمل أبو أيوب رحله فوضعه في بيته، فقال رسول الله ﷺ: المرء مع رحله ونزل عليه وسأل عن المربد فأخبره معاذ بخبره، وقال: سأُرضي صاحبيه فاتخذه مسجداً فأمر أن يُبنى مسجد[١]، وكان في موضعه قبور للمشركين فأمر النبيّ ﷺ بها فنبضت عظامها وأُلقيت وبُنى المسجد في موضعها[٢]، وعمل فيه رسول الله ﷺ والمهاجرون والأنصار، وقال قائلهم:

لئن قعدنا والنبيّ يعمل لذاك منا العمل المضلل[٣]

قال ابن هشام في سيرته: وارتجز عليّ بن أبي طالب يومئذ:

لايستوي من يعمر المساجدا يدأب فيها قائماً وقاعدا

ومن يرى عن الغبار حائدا

فأخذهما عمار بن ياسر فجعل يرتجز بها، فلما أكثر ظن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أنه إنما يعرض به فيما حدّثنا زياد بن عبد الله البكائي عن ابن إسحاق وقد سمّى ابن اسحاق الرجل، فقال: قد سمعت ما تقول منذ اليوم يا ابن سمية، والله إني لأراني سأعرض هذه العصا لأنفك ـ وفي يده عصا ـ فغضب رسول الله ﷺ ثم قال: **ما لهم ولعمّار، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، أن عمّاراً جلدة مابين عيني وأنفي**... الحديث[٤]، وما في السيرة الحلبية[٥]: من

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ١: ١٨٣، إعلام الورى بأعلام الهُدى ١: ١٥٤، السيرة النبوية لابن هشام ١: ٤٩٤ - ٤٩٦.

(٢) الطبقات الكبرى ١: ٢٣٩.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ١: ١٨٣، السيرة النبوية لابن هشام ١: ٤٩٦.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ١: ٤٩٧.

(٥) السيرة الحلبية ٢: ٧١.

أن الرجل الذي ظن أن عماراً يعرض به هو عثمان بن مظعون غير صحيح، ولو كان هو لمّا كتم ابن هشام اسمه واقتصر على قوله: وقد سمى ابن إسحاق الرجل، بل هو ممن يحتشم من التصريح باسمه وكان لابساً ثياباً بيضاً ويحيد عن الغبار[1]. فبنى حائطه أولاً بالحجارة ثم باللبن إلى أن جعل بقدر قامه، جعل له سواري من جذوع النخل وجعل فوقها عريش، وبنى بجانبه مساكن له ولأصحابه[2]، وأقام في منزل أبي أيوب سبعة أشهر حتى بنى مسجده ومساكنه[3]، وما في طبقات ابن سعد[4]: أنه ﷺ بعث من منزل أبي أيوب، زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم فقدما عليه بفاطمة وأُم كلثوم ابنتيه وسودة بنت زمعة زوجته، مخالف لما عليه عامة الرواة وللاعتبار، وبقي في المدينة عشر سنين ثم قبض ﷺ.

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة

قد عرفت أنه ﷺ آخى بين المهاجرين قبل الهجرة وآخى بين عليّ ونفسه عليه السلام، ثم أنه ﷺ آخى بين المهاجرين والأنصار في السنة الأُولى من الهجرة، وفي رواية ابن سعد في الطبقات: أنه ﷺ لما قدم المدينة آخى بين

---

(١) إن الرجل هو عثمان بن عفان، عن هذا ننقل لكم ما قاله ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ١: ١٥٠، ذكروا أنه اجتمع ناس من أصحاب النبيّ ﷺ وكتبوا كتاباً ذكروا فيه ما خالف عثمان من سنة رسول الله وسنة صاحبيه... ثم عدّو جملة كبيرة من مطاعن حَرِية بالملاحظة، وأجمل ذكر ذلك ابن عبدالبر في العقد الفريد ٢: ٢٧٢.

(٢) الطبقات الكُبرى ١: ٢٣٩ - ٢٤٠، و إعلام الورى بأعلام الهُدىٰ ١: ١٥٩.

(٣) السيرة الحلبية ٢: ٦٤.

(٤) الطبقات الكبرى ١: ٢٣٧.

المهاجرين بعضهم لبعض وآخى بين المهاجرين والأنصار على الحق والمواساة ويتوارثون بعد الممات دون ذوي الأرحام، قال: وكانوا تسعين رجلاً خمسة وأربعون من المهاجرين وخمسة وأربعون من الأنصار، ويقال: كانوا مائة، خمسون من المهاجرين وخمسون من الأنصار، فلماكانت وقعة بدر وأنزل الله تعالى: ﴿وَأُولُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ... الآية﴾ فنسخت هذه الآية ماكان قبلها وانقطعت المؤاخاة في الميراث ورجع كل إنسان إلى نسبه وورثه ذو رحمه... الخ[1] ويظهر أن هذه المؤاخاة كانت أوّلاً بين مهاجري ومهاجري ثم بين المسلمين عموماً، فقد تكون بين مهاجري ومهاجري، وبين مهاجري وأنصاري وبين أنصاري وأنصاري، ففي السيرة الحلبية: أنه آخى بعد الهجرة بين أبي بكر وعمر وبين أبي بكر وخارجة بن زيد، وبين عمر وعتبان بن مالك وبين أبي رويم الخثعمي وبلال، وبين أُسيد بن حضير وزيد بن حارثة، وبين أبي عبيدة وسعد بن معاذ، وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، وبين حمزة وزيد بن حارثة، وبين جعفر بن أبي طالب وهو غائب بالحبشة ومعاذ بن جبل، وبين أبي ذر الغفاري والمنذر بن عمر وبين حذيفة بن اليمان وعمّار بن ياسر، وبين مصعب بن عمير وأبي أيوب، وبين سلمان وأبي الدرداء، قال: ثم أخذ بيد عليّ بن أبي طالب وقال: «هذا أخي» فكان رسول الله ﷺ وعليّ أخوين. قال: وفي رواية: لما آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه جاء عليّ تدمع عيناه، فقال: **يارسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد، فقال له رسول الله ﷺ: أنت أخي في الدنيا والآخرة... الخ**[2] وفي

(١) الطبقات الكبرى ١ : ٢٣٨.

(٢) السيرة الحلبية ٢ : ٩٠ - ٩١.

ذلك يقول أبو تمام:

أخــوه إذا عــد الفـخار وصـهره   فما مـثله أخ ولا مـثله صـهر[١]

وعن ابن إسحاق: آخـى رسـول الله ﷺ بـين أصـحابه مـن المـهاجرين والأنصار فـقال: تآخـوا فـي أخـوين...الخ[٢]. وهـذا مـن أقـوى السـياسات الإسلامية، وجاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٣] بصيغة الحصر .

وقد ذكر الدكتور محمّد حسين هيكل خبر المؤاخـاة فـي كـتابه «حـياة محمّد ﷺ».

فقال: كان أوّل ماانصرف إليـه تـفكيره ﷺ تـنظيم صـفوف المسـلمين وتوكيد وحدتهم للقضاء على كلّ شبهة في أن تثور العداوة القـديمة بـينهم، ولتحقيق هذه الغاية دعا المسلمين ليتآخوا في الله أخوين أخوين، فكان هـو وعليّ بن أبي طالب أخوين، وعمّه حمزة ومولاه زيـد أخـوين، وأبـو بكـر وخارجة بن زيد أخوين، وعمر بن الخـطاب وعـتبان بـن مـالك الخـزرجـي أخوين...الخ[٤] . فتراه كيف ذكر مؤاخاة النبيّ ﷺ لعليّ كأمر عـادي لايـزيد على المؤاخاة بين باقي الصحابة بعضهم مع بعض، ولم يشـر إلى مـافي هـذه المؤاخاة من مغزى ـ كما هو مـبنى كـتابه ـ ولا أعـارها جـانباً مـن الأهـمية وتركها غفلاً كسائر الأُمور العادية، وهي أولى بأن تكـون رمـزاً إلى المـيزة على سائر الناس وأنه لاكفؤ لمؤاخاته سواه، وإلى الوزارة التي أثبتها قبل ذلك بقليل لغيره.

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٢: ٣٠٦.

(٢) السيرة الحلبية ٢: ٩١.

(٣) الحجرات: ١٠.

(٤) حياة محمّد: ١٨٨ .

الأذان والإقامة

في السيرة الحلبية وغيرها: أنه في السنة الأُولى من الهجرة شرع الأذان والإقامة[١]. وفيها عن الموطأ: أن المؤذن جاء عمر يؤذنه بصلاة الصبح، فوجده نائماً، فقال: الصلاة خير من النوم، فأمره عمر أن يجعلها في نداء الصبح[٢]. وفي السيرة الحلبية أيضاً: نقل عن ابن عمرو وعن عليّ بن الحسين أنهما كانا يقولان في أذانهما ـ بعد حيّ على الفلاح ـ: حيّ عليّ خير العمل...الخ[٣].

وروى البيهقي في سننه بسنده عن جعفر بن محمّد عن أبيه أن عليّ بن الحسين كان يقول في أذانه ـ إذا قال حي على الفلاح ـ: «حيّ على خير العمل» ويقول هو الأذان الأول[٤]. ونقل في الروض، عن التحرير بعدة أسانيد في مسند ابن أبي شيبة عن عبدالله بن عمر أنه كان يقول في أذانه: حيّ على خير العمل[٥]. وروى البيهقي عن عبد الله بن عمر مثله بعدة أسانيد[٦] وروى المحب الطبري الشافعي في كتاب «إحكام الأحكام» عن صدقة بن يسار عن سهل بن حنيف أنه كان إذا أذّن قال: حيّ على خير العمل[٧].

وحكى في الروض النضير عن سعد الدين التفتازاني في حاشية شرح

---

(١) السيرة الحلبية ٢ : ٩٣.

(٢) المصدر السابق ٢ : ٩٧.

(٣) المصدر السابق ٢ : ٩٨.

(٤) السنن الكبرى ١ : ٦٢٥ : ح ١٩٩٣.

(٥) مصنف بن أبي شيبة ١ : ٢٤٤ ، الأذان : ب ١٩، ح ١، ٢، ٣.

(٦) السنن الكبرى: ١ / ٦٢٤ - ٦٢٥، ح ١٩٩١.

(٧) الروض النضير ١: ٤٢٤ وفيه أبي أُمامة بن سهل.

العضد على مختصر الأُصول أن حيّ على خير العمل كان ثابتاً على عهد رسول الله ﷺ[١] وأن عمر هو الذي أمر أن يكف الناس عن ذلك ، مخافة أن يثبط الناس عن الجهاد ويتّكلوا على الصلاة... الخ[٢] . ومافي طبقات ابن سعد وسيرة ابن هشام من أن سبب وضع الأذان والإقامة رؤياً رآها بعض الأنصار باطل لايلتفت إليه، فإن الأحكام الشرعية ما كان يُشرّعها ﷺ بالمنامات ﴿إن هو إلّا وحي يوحى﴾[٣]. وفي السيرة الحلبية، عن محمّد بن الحنفية إنكار ذلك أشد الانكار[٤].

تحويل القبلة إلى الكعبة المشرفة

وذلك بالمدينة في السنة الثانية من الهجرة.

روى ابن سعد في الطبقات أن رسول الله ﷺ كان يصلّي وهو بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه، ولما هاجر إلى المدينة صلّى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً وكان يحب أن يُصرف إلى الكعبة، وجعل إذا صلى إلى بيت المقدس يرفع رأسه إلى السماء، فنزلت: ﴿قد نرى تقلّب وجهك في السماء... الآية﴾[٥] . وكان قد صلّى ركعتين من الظهر في مسجده، ثم أمر أن يوجه إلى المسجد الحرام فاستدار إليه ودار معه المسلمون، ويقال: بل كان ذلك في بني سليم فسُمّي المسجد مسجد القبلتين[٦].

---

(١) الروض النضير ١ : ٤٢٥ .

(٢) الطبقات الكبرى ١ : ٢٤٦ .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ١ : ٥٠٨، النجم: ٤ .

(٤) السيرة الحلبية ٢ : ٩٦.

(٥) البقرة: ١٤٤.

(٦) الطبقات الكبرى ١ : ٢٤٣ .

وفادات العرب على رسول الله ﷺ

جعلت قبائل العرب بعد ظهور الإسلام ترسل وفودها الى النبيّ ﷺ بالمئات و العشرات و الجماعة و الآحاد بعضها مسلمة و بعضها على شركها، فمنها من يسلم فوراً ومنها بعد مدة و منها يبقى على شركه و هو القليل، ومن يسلم يعود الى قومه فيسلمون كلّهم أو بعضهم أو يبقون على شركهم، ومنهم من يبايع على قومه و لهم اخبار حسان يعرف منها كثير من اخلاق العرب وعاداتهم ووفائهم، ويعرف من سيرته ﷺ معهم فضيلة الإسلام و شيء كثير من السياسة الاسلامية الباهرة التي أوجبت انتشار الإسلام بسرعة فيهم وفي غيرهم، فكان ﷺ يكرمهم و يوسع لرؤسائهم في المجالس و يجلسهم بجانبه ويؤنسهم بالحديث ويسألهم عن أهاليهم وبلادهم، ويغيّر أسماءهم بأحسن كـ «عبد العزى» بـ «عبد الله» و «غوى» بـ «راشد» ويدعو لهم و يحلم عن جاهلهم و يعفو عن مسيئهم و يطلق لهم أسراهم و يضيف كثيراً منهم ويعطيهم الجوائز و يتألفهم مهما أمكن، ويزجر من تعدى طوره منهم بما يخالف الشريعة الإسلامية، و يأمر من يرسله لقبض زكاتهم أن يأخذها من أغنيائهم فيَردّها على فقرائهم، وقد ذكرهم و ذكر أخبارهم محمّد بن سعد كاتب الواقدي في الطبقات الكبرى مسندة مفصلة و اكتفينا هنا بالإشارة الإجمالية الى أكثرهم وذكر شيء من أخبارهم مما فيه عظة و عبرة و فوائد جُلى مع حذف الأسانيد خوفاً من التطويل وأشرنا الى بعض ما في تلك الأخبار من الفوائد و العبر، و تركنا ذكر البعض ممن ذكره ابن سعد.

أما سرد الوفود التي ذكرها محمّد بن سعد كاتب الواقدي في الطبقات

الكبرى[1] و ذكر أخبارها مفصلة مسندة فهي:

وفد مزينة، وفد أسد، وفد تميم ، وفد عبس ، وفد فزارة ، وفد مرّة ، وفد ثعلبة ، وفد محارب ، وفد سعد بن بكر ، وفد كلاب ، وفد رؤاس بن كلاب ، وفد عقيل بن كعب ، وفد جعدة ، وفد قشير بن كعب ، وفد بني البكاء ، وفد كنانة ، وفد أشجع ، وفد باهلة ، وفد سليم ، وفد هلال بن عامر، وفد عامر بن صعصعة ، وفد ثقيف، وفود ربيعة: وفد عبد القيس ، وفد بكر بن وائل ، وفد تغلب ، وفد حنيفة ، وفد شيبان، وفادات أهل اليمن: وفد طيء، وفد نجيب، وفد خولان ، وفد جعفي ، وفد صداء، وفد مراد ، وفد زبيد ، وفد كندة ، وفد الصدف ، وفد خشين ، وفد سعد هذيم ، وفد بلّي، وفد بهراء ، وفد عذرة ، وفد سلامان ، وفد جهينة ، وفد كلب ، وفد جرم ، وفد الأزد ، وفد غسان ، وفد الحارث بن كعب ، وفد همدان ، وفد سعد العشيرة ، وفد عنس ، وفد الداريين، وفد الرهاويين ـ حي من مذحج ـ وفد غامد ، وفد النخع ، وفد بجيلة، وفد خثعم ، وفد الأشعرين ، وفد حضرموت ، وفد أزد عمان ، وفد غافق ، وفد بارق ، وفد دوس ، وفد ثمالة و الحدان ، وفد أسلم ، وفد جذام ، وفد مهرة ، وفد حمير ، وفد نجران ، وفد حيشان ، وفد السباع.

أما ما اخترناه من أخبار أكثرهم من طبقات ابن سعد بحذف الأسانيد، فأوّل من وفد على رسول الله ﷺ وفد مزينة سنة خمس. أربعمائة رجل فقال لهم: أنتم مهاجرون حيث كنتم فارجعوا الى أموالكم، فرجعوا الى بلادهم.

وفيه من الحكمة و حسن السياسة ما لا يخفى.

وبايعه رجل منهم اسمه خزاعة على قومه فلم يجدهم كما ظن فلم يرجع، فقال رسول الله ﷺ لحسان: اذكر خزاعياً و لا تهجه فقال أبياتاً أوّلها :

---

(١) الطبقات الكبرى ١: ٢٩١ ـ ٣٥٩.

ألا أبـلغ خـزاعـياً رسـولا   بـأن الذم يـغسله الوفـاء

فقال: يا قوم قد خصّكم شاعر الرجل فاسلموا[١].

وفيه من الدعاء الى سبيل الله بالحكمة و من مزية الشعر ما هو ظاهر.

ووفد جهينة لما قدم المدينة و فيهم «عبدالعزى» بن بدر فسمّاه «عبدالله» وأخوه لأمّه أبو روعة فقال له: رعت العدو إن شاء الله. وقال: من أنتم؟ قالوا: بنو غيان، قال: أنتم بنو رشدان، وكان اسم واديهم «غوى» فسمّاه «راشداً» وخط لهم مسجدهم و هو أول مسجد خط بالمدينة[٢].

ووافد بني سعد بن بكر في رجب سنة خمس، أرسلوا وافداً إليهﷺ فأغلظ في المسألة، سأله عمّن أرسله وبما أرسله و عن شرائع الإسلام، فأجابه عن ذلك كلّه ،فرجع مسلماً فما أمسى في حاضره رجلاً و لا امرأة إلّا مسلماً، وبنوا المساجد وأذّنوا[٣].

ووفد أشجع سنة خمس ، مائة و قيل: سبعمائة وقيل: بعدما فرغ من بني قريظة نزلوا شعب سلع فخرج إليهم رسول اللهﷺ وأمر لهم بأحمال التمر ووادعهم ثم أسلموا[٤].

ووفد ثعلبة سنة ثمان، أربعة نفر فأمر لهم بضيافة وأجازهم[٥].

ووفد بني قشير بن كعب سنة ثمان بعد حنين فأسلموا فاقطع بعضهم وأعطى بعضهم وكساه برداً وولّاه صدقات قومه و اسمه قرة بن هبيرة، فقال:

حباها رسول الله إذ نزلت به   وأمكنها من نائل غير منفذ

(١) الطبقات الكبرى ١: ٢٩١.

(٢) المصدر السابق ١: ٣٣٣.

(٣) المصدر السابق ١: ٢٩٩.

(٤) الطبقات الكبرى ١: ٣٠٦.

(٥) المصدر السابق ١: ٢٩٨.

فأصبحت بروض الخضر وهي حثيثة　　وقد أنجحت حاجاتها من محمّد
عليها فتى لا يردف الذم خلفه　　تروك لأمر العاجز المتردد[(١)]

ووفد باهلة بعد الفتح سنة ثمان فأسلم وأخذ لقومه أماناً وكتب له رسول‌الله ﷺ كتاباً فيه فرائض الصدقات، وقدم عليه آخر منهم فأسلم، وكتب له ولمن أسلم من قومه كتاباً فيه شرائع الإسلام[(٢)].

ووفد أسد أوّل سنة تسع، وكانوا عشرة، قال له بعضهم: أتيناك نتدرّع الليل البهيم في سنة شهباء و لم تبعث إلينا بعثا[(٣)] . فنزل فيهم : ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾[(٤)].

ووفد تميم[(٥)] سنة تسع: تسعون أو ثمانون من رؤسائهم، فيهم عطارد بن حاجب و الزبرقان بن بدر و قيس بن عاصم و الأقرع بن حابس وعمرو بن الأهتم و غيرهم، وكان ﷺ أرسل رجلاً على صدقات بني كعب من خزاعة، فاستنكر ذلك بنو تميم وأرادوا المحاربة، فقدم المصدق على النبيّ ﷺ فأخبره فأرسل إليهم خمسين فارساً من العرب فأسروا منهم و سبوا، فجاء رؤساؤهم إليه ﷺ في فكاك أسراهم، فنادوا: يا محمّد أُخرج إلينا، فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ ٱلْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[(٦)] فقال الأقرع بن حابس: يا محمّد، إئذن لي فوالله إن مدحي لزين وإن ذمي لشين، فقال: كذبت، ذاك الله تبارك وتعالى، وخطب خطيبهم عطارد بن حاجب، فقال ﷺ لثابت بن

(١) الطبقات الكبرىٰ ١: ٣٠٣.
(٢) المصدر السابق ١: ٣٠٧.
(٣) المصدر السابق ١: ٢٩٢.
(٤) الحجرات: ١٧.
(٥) الطبقات الكُبرى ١: ٢٩٣ ـ ٢٩٥.
(٦) الحجرات: ٤.

قيس بن شماس: أجبه، فأجابه. ثم قالوا: يا محمّد إئذن لشاعرنا، فأذن له فقام الزبرقان ابن بدر فأنشد، فقال ﷺ لحسان: أجبه، فأجابه، فقالوا: والله لخطيبه أبلغ من خطيبنا وشاعره أشعر من شاعرنا وهم أحلم منّا، و قال ﷺ في قيس بن عاصم: هذا سيد أهل الوبر، وردّ عليهم الأسرى والسبي وأجازهم .

ووفد عبس تسعة، قالوا له: أخبرنا قراؤنا أنه لا إسلام لمن لا هجرة له ولنا أموال ومواش هي معاشنا فإن كان كذلك بعناها و هاجرنا، فقال ﷺ: اتقوا الله حيث كنتم فلن يلتكم من أعمالكم شيئاً، و سألهم عن خالد بن سنان، فقالوا: لا عقب له، فقال: نبي ضيّعه قومه[١].

ووفد فزارة سنة تسع: بضعة عشر رجلاً، سأل ﷺ وفد بني فزارة عن بلادهم، فقال أحدهم: أسنتت بلادنا و هلكت مواشينا وأجدب جنابنا وغرث عيالنا فادع لنا ربّك، فدعا لهم فَسُقُوا[٢].

ووفد مرّة سنة تسع: ثلاثة عشر رجلاً، سأل ﷺ رأس وفد مرّة أين ترك أهله؟ فأخبره، قال: وكيف البلاد؟ قال: والله إنّا لمسنّتون فادع الله لنا فدعا لهم فَسُقُوا[٣].

ووفد محارب سنة عشر: عشرة نفر فأنزلهم دار رملة بنت الحارث وأضافهم فأسلموا و تكّفلوا إسلام من وراءهم فأجازهم[٤].

ووفد كلاب سنة تسع: ثلاثة عشر رجلاً، فأنزلهم دار رملة بنت الحارث ورحّب بهم كعب بن مالك أحد الصحابة وذهب معهم الى رسول الله ﷺ

---

(١) الطبقات الكبرى ١: ٢٩٥ .

(٢) المصدر السابق ١: ٢٩٧ .

(٣) الطبقات الكُبرى ١: ٢٩٧ .

(٤) الطبقات الكبرىٰ ١: ٢٩٩ .

فسلّموا عليه بسلام الإسلام، وأخبروه أن الذي أرسله إليهم سار فيهم بالكتاب والسنة كما أمره وأخذ الصدقة من أغنيائهم فرّدها على فقرائهم(١).

ووافد بني رؤاس بن كلاب واسمه «عمرو بن مالك» : جاءه ﷺ فأسلم ودعا قومه الى الإسلام، فقالوا: حتى نصيب ثأرنا من بني فلان، فحاربوهم وقتل عمرو رجلاً منهم ثم ندم وغلّ يده الى عنقه وخرج يريد النبيّ ﷺ فأتاه عن يمينه فأعرض عنه، فأتاه عن يساره فأعرض عنه، فأتاه من قبل وجهه وقال: يا رسول الله، إنّ الرب ليرتضى فيرضي فارض عنّي، رضي الله عنك، قال: قد رضيت عنك(٢).

ووفد عقيل بن كعب سبعة في عدّة دفعات منهم ثلاثة، فبايعوا وأسلموا وبايعوه عمّن وراءهم من قومهم، فأعطاهم العقيق أرضاً فيها عيون و نخل وكتب لهم به كتاباً في أديم أحمر، ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وسمعوا وأطاعوا ولم يعطهم حقاً لمسلم، ووفد عليه منهم لقيط بن عامر، فأعطاه ماء يقال له: «النظيم» وبايعه على قومه . و قدم عليه منهم أبو حرب بن خويلد فقرأ عليه القرآن، فقال: أما أيم الله! لقد لقيت الله أو لقيت من لقيه وأنك لتقول قولاً لا نحسن مثله و ضرب قداحه على الإسلام والكفر فخرج عليه سهم الكفر، وقدم أخوه عقال على رسول الله ﷺ فقال له: أتشهد أن محمّداً رسول الله ؟ فقال: أشهد أن هبيرة ابن النفاضة نعم الفارس يوم كذا، ثم قال: أتشهد أن محمّداً رسول الله؟ فقال: أشهد أن الصريح تحت الرغوة، ثم قال له

---

(١) المصدر السابق ١: ٣٠٠.

(٢) المصدر السابق ١: ٣٠٠.

الثالثة فأسلم[١]. فيه فضل الحلم و عدم اليأس .

ووفد بني البكاء سنة تسع: ثلاثة نفر، فأمر لهم بمنزل وضيافة وأجازهم، وقال له ـ أحدهم و عمره مائة سنة ـ إنّي أتبرك بمسك وابني هذا برّ بي فامسح وجهه، ففعل وأعطى الابن أعنزاً عفراً و برّك عليهن، فقال حفيده من أبيات :

وأبي الذي مسح الرسول برأسه ودعا له بالخير والبركات[٢]

ووفد كنانة وفد عليه ﷺ واثلة بن الأسقع الليثي من بني كنانة و هو يتجهز الى تبوك، فقال: أتيتك لأؤمن بالله و رسوله فبايع عليَّ ما أحببت وكرهت، فبايعه و رجع الى أهله فأخبرهم فحلف أبوه لا يكلمه وأسلمت أُخته وجهزته، فرجع فوجد النبيّ ﷺ قد خرج الى تبوك، فقال: من يحملني وله سهمي، فحمله رجل وبعثه رسول الله ﷺ مع من بعث الى أُكيدر فغنم و جاء بسهمه للذي حمله، فأبى أن يأخذه و قال: إنّما حملتك لله[٣].

ووفد سُليم قدم عليه ﷺ قيس بن نسيبة من بني سُليم و سأله عمّا شاء، فأجابه ودعاه الى الإسلام، فأسلم و رجع الى قومه، فقال لهم: قد سمعت ترجمة الروم و هينمة[٤] فارس وأشعار العرب وكهنة الكاهن وكلام مقاول حمير، فما يشبه كلام محمّد شيئاً من كلامهم، فلمّا كان عام الفتح خرج منهم سبعمائة الى رسول الله ﷺ فلقوه بقديد وأسلموا وكانوا في مقدمته .

وأعطى راشد بن عبد ربه أرضاً يقال لها: «رهاط» فيها عين يقال لها: «عين الرسول» وكان راشد يسدن صنماً لبني سليم فرأى يوماً ثعلبين يبولان

---

(١) الطبقات الكبرى ١: ٣٠١.

(٢) المصدر السابق ١: ٣٠٤.

(٣) المصدر السابق ١: ٣٠٥.

(٤) الهيمنة: الصوت الخفي، المنجد: مادة «هيم».

عليه، فقال :

أربٌّ يبول الثعلبان برأسه   لقد ذلّ من بالت عليه الثعالب

ثمّ شدّ عليه فكسره وأتى النبيّ ﷺ فقال: ما اسمك؟ فقال: غاوي بن عبد العزّى، فقال: أنت راشد بن عبد ربه، فأسلم .

ووفد عليه ﷺ منهم قدر بن عمّار فأسلم و عاهده أن يأتيه بألف منهم على الخيل، فخرج معه تسعمائة، وخلف مائة في الحي فمات في الطريق فأمر على كل ثلاثمائة أميراً، وقال: ائتوا هذا الرجل حتى تقضوا العهد الذي في عنقي، فسألهم ﷺ عن المائة العاشرة، فقالوا: خلّفها في الحي مخافة حرب كان بيننا وبين كنانة، فقال: ابعثوا إليها فلا بأس عليكم، فبعثوا إليها فجاءت[١].

ووفد هلال بن عامر وفد عليه ﷺ قبيصة بن المخارق من بني هلال بن عامر، فقال: إنّي حملت عن قومي حمالة فأعنّي فيها، قال: هي لك في الصدقات إن جاءت .

ووفد عليه ﷺ منهم زياد بن عبد الله و هو شاب وكانت ميمونة بنت الحارث زوجة النبيّ ﷺ خالته، فأُمّه غرّة بنت الحارث، فلمّا رآه ﷺ عندها غضب ورجع، فقالت: هذا ابن أُختي، فرجع وأخذه معه الى المسجد و دعا له ومسح على رأسه ووجهه الى طرف أنفه ،فقال بعض الشعراء في ابنه عليّ:

يا ابن الذي مسح النبيّ برأسه   و دعا له بالخير عند المسجد

ما زال ذاك النور في عرنينه   حتى تبوأ بيته في الملحد[٢]

---

(١) الطبقات الكبرى ١: ٣٠٧ـ٣٠٨.

(٢) الطبقات الكبرى: ٣٠ـ ٣١.

ووفد عامر بن صعصعة فسلّموا عليه ﷺ فقال: من أنتم؟ قالوا: بنو عامر بن صعصعة، قال: مرحباً بكم أنتم مني و أنا منكم.

وهذا حُسنُ خلقٍ لا مثيل له.

وكان فيهم عامر بن الطفيل، فقال: يا محمّد، ما لي إن أسلمت؟ قال: لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم، قال أتجعل لي الأمر من بعد ك؟ قال: ليس ذلك لك، قال: أفتجعل لي الوبر ولك المدر؟ قال: لا، ولكني أجعل لك أعنة الخيل فإنّك امرؤٌ فارس، قال: أوليست لي لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً فدعا عليه، فهلك، أصابه داء في رقبته فمال الى بيت امرأة من سلول، وقال: غدة كغدة البكر وموت في بيت سلوليه.

طلب ما لا يمكن، فلم يجبه ﷺ ولم يؤيسه، بل عرض عليه ماهو قريب من مطلوبه ومن الغاية التي يتوخاها وهي الرئاسة بأن يكون أمير الجيش وذلك سياسة كبرى وحكمة بالغة.

وفيهم أيضاً عبدالله بن الشخير فقال: يا رسول الله، أنت سيدنا وذو الطول علينا، فقال: السيد الله لا يستهوينكم الشيطان.

هذا تواضع منه ﷺ.

وقدم عليه منهم علقمة بن علاثة وعمر جالس الى جانب النبيّ، فقال له ﷺ: أوسع لعلقمة. فأوسع له فجلس الى جنبه ﷺ، فقصّ عليه شرائع الإسلام وقرأ عليه قرآناً، فقال: يا محمّد، إنّ ربّك لكريم وقد آمنت بك[1].

---

(١) الطبقات الكبرى ١: ٣١٠.

ولعلّ احترامه وإجلاسه له الى جانبه كان معيناً على إسلامه.

وجاء رجلان من ثقيف الى النبيّ ﷺ، فسألهم عن مالك بن عوف، وقال: خبروه أنه إن أتاني مسلماً رددت إليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل، فقدم عليه فأعطاه ذلك.

وجاءه ﷺ وفد منهم سبعون رجلاً وقيل: بضعة عشر رجلاً، فنزل بعضهم على المغيرة بن شعبة وبعضهم ضرب لهم النبيّ ﷺ قبة في المسجد، فكان يأتيهم كل ليلة بعد العشاء فيقف عليهم ويحدثهم، ثم عُلّموا القرآن، واستعفت ثقيف من هدم اللات والعزى، فأعفاهم(١).

ووفد عبدالقيس، كتب رسول الله ﷺ الى أهل البحرين أن يقدم عليه عشرون رجلاً منهم، فقدموا وهم من عبدالقيس من ربيعة، فقيل: يا رسول الله، هؤلاء وفد عبدالقيس، قال: مرحباً بهم نعم القوم عبدالقيس، اللهمّ اغفر لعبدالقيس أتوني لا يسألوني مالاً، هم خير أهل المشرق، ورئيسهم عبدالله بن عوف الأشج وكان دميماً، فقال لهم رسول الله ﷺ: إنّما يحتاج من الرجل الى أصغريه قلبه ولسانه، وقال له: فيك خصلتان يحبهما الله: الحلم والأناة، وأنزلهم في دار رملة بنت الحارث وكان ينزل فيها الوفود وأجرى عليهم ضيافة وأقاموا عشرة أيام، وكان عبدالله الأشج يسأل رسول الله ﷺ عن الفقه والقرآن، وأمر لهم بجوائز وفضّل عبدالله فأعطاه اثنتي عشر أوقية ونشأ(٢)...

ووفد بكر بن وائل، فقال له رجل منهم: هل تعرف قيس بن ساعدة؟ فقال ﷺ: ليس هو منكم هذا رجل من إياد تحنّف في الجاهلية فوافى عكاظ والناس

---

(١) الطبقات الكبرى ١: ٣١٢.

(٢) المصدر السابق ١: ٣١٤ ـ ٣١٥.

مجتمعون فيُكلّمهم بكلامه الذي حفظ عنه[١].

ووفد تغلب ستة عشر رجلاً، قدموا عليه ﷺ مسلمين ونصارى عليهم صلب الذهب، فصالح النصارى على أن يقرّهم على دينهم على أن لا يصبغوا أولادهم في النصرانية وأجاز المسلمين بجوائزهم[٢].

ووفد بني حنيفة: بضعة عشر رجلاً فيهم مسيلمة بن حبيب الذي تنبّأ، فأُنزلوا دار رملة بنت الحارث وأُجريت عليهم ضيافة، فكانوا يؤتون بغداء وعشاء، مرّة خبزاً ولحماً ومرّة خبزاً ولبناً، ومرّة خبزاً وسمناً، ومرّة تمراً نثر لهم، فاسلموا وأجازهم رسول الله بجوائز[٣].

ووفد شيبان وفد عليه ﷺ حرملة بن عبدالله من بني كعب من بلعنبر من بني شيبان، فقال: يا رسول الله، ما تأمرني أن أعمل؟ فقال: ائت المعروف واجتنب المنكر وانصرف، ثم رجع وقال: يا رسول الله، ما تأمرني أن أعمل؟ قال: ائت المعروف واجتنب المنكر، وانظر الذي تحب أُذُنك إذا قمت من عند القوم أن يقولوه لك فأْته، والذي تكره أن يقولوه لك إذا قمت من عندهم فاجتنبه[٤].

ووفد طيء: خمسة عشر رجلاً رأسهم زيد الخيل بن مهلهل من بني نبهان فأسلموا وأجازهم بخمس أواق فضة كل واحد، وأعطى زيد الخيل اثنتي عشرة أوقية ونشأ، وقال رسول الله ﷺ: ما ذكر لي رجل من العرب إلّا رأيته دون ما ذكر لي إلّا زيداً فإنّه لم يبلغ كل ما فيه. وسمّاه «زيد الخير» وقطع له فيداً

(١) الطبقات الكبرى ١: ٣١٥.

(٢) المصدر السابق ١: ٣١٦.

(٣) المصدر السابق ١: ٣١٦.

(٤) المصدر السابق ١: ٣١٧.

وأرضين[١].

ووفد تجيب سنة تسع: ثلاثة عشر رجلاً ساقوا معهم صدقات أموالهم المفروضة، فسرّ رسول الله ﷺ بهم وقال: مرحباً بكم وأكرم منزلهم وحباهم وأمر بلالاً أن يحسن ضيافتهم وجوائزهم وأعطاهم أكثر ممّا كان يجيز به الوفد، وقال: هل بقي منكم أحد؟ قالوا: غلام خلفناه على رحالنا، فأرسلوه فقال: اقض حاجتي، قال: وما حاجتك؟ قال: تسأل الله أن يغفر لي ويرحمني ويجعل غناي في قلبي، فدعا له بذلك وأمر له بمثل ما أمر به لأحدهم[٢].

ووفد مراد، وفد عليه ﷺ منهم فروة بن مسيك المرادي، فنزل على سعد ابن عبادة وكان يتعلّم القرآن وفرائض الإسلام وشرائعه، وأجازه رسول الله ﷺ باثنتي عشرة أوقية وحمله على بعير نجيب، وأعطاه حلة من نسيج عمان، واستعمله على مراد وزبيد ومذحج، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقات، وكتب له كتاباً فيه فرائض الصدقة ولم يزل على الصدقة حتّى توفي رسول الله ﷺ[٣].

ووفد سعد هذيم، أسلموا وبايعوا، فأمر ﷺ بهم فأُنزلوا وضيّفهم ثلاثاً، ثمّ جاءوا يودّعونه، فقال: أمّروا عليكم أحدكم. وأمر بلالاً فأجازهم بأواق من فضة ورجعوا الى قومهم فأسلموا[٤].

ووفد بليّ في ربيع الأوّل سنة تسع فأنزلهم رويفع بن ثابت البلوي في منزله، ثم جاءوا الى رسول الله ﷺ وأسلموا، وسألوه عن الضيافة وعن

(١) الطبقات الكبرى ١: ٣٢١.

(٢) المصدر السابق ١: ٣٢٣.

(٣) المصدر السابق ١: ٣٢٧.

(٤) المصدر السابق ١: ٣٢٩.

أشياء من أمر دينهم، فأجابهم وأتى رسول الله ﷺ بحمل تمر، وقال: استعن بهذا التمر، فكانوا يأكلون منه ومن غيره، وأمر لهم بجوائز لمّا ودّعوه(١).

ووفد بهراء من اليمن: ثلاثة عشر رجلاً، فانتهوا الى باب المقداد بن عمرو، فرحّب بهم وأنزلهم وأتوا النبيّ ﷺ فأسلموا وتعلّموا الفرائض، وأمر ﷺ لهم بجوائزهم لما ودّعوه(٢).

ووفد عذرة سنة تسع: اثنا عشر رجلاً، فنزلوا دار رملة بنت الحارث النجارية وجاءوا الى النبيّ ﷺ فسلّموا بسلام الجاهلية، فقال ﷺ: مرحباً بكم وأهلاً، ما منعكم من تحية الإسلام؟ قالوا: قدمنا مرتادين، وسألوا عن أشياء من أمر دينهم، فأجابهم وأسلموا وأجازهم كما كان يجيز الوفد، وكسا أحدهم برداً(٣).

ووفد عليه ﷺ رسول ملك حمير سنة تسع بكتابهم وإسلامهم، فأمر بلالاً أن يُنزله ويُكرّمه ويُضيّفه، وكتب إليه جواب كتابهم(٤).

ووفد سلامان سبعة: سنة عشر فقالوا: السلام عليك يا رسول الله، فقال: وعليكم السلام، من أنتم؟ قالوا: من سلامان قدمنا لنبايعك على الإسلام ونحن على من ورائنا من قومنا، فقال لغلامه ثوبان: أنزلهم حيث ينزل الوفد، وسألوه عن أمر الصلاة وشرائع الإسلام والرقي وأسلموا، وأعطى كل واحد منهم خمس أواق(٥).

ووفد خولان في شعبان سنة عشر وهم عشرة، فسألوه عن أشياء من أمر

---

(١) الطبقات الكُبرى ١: ٣٣٠.

(٢) المصدر السابق ١: ٣٣١.

(٣) المصدر السابق:

(٤) المصدر السابق ١: ٣٥٦.

(٥) المصدر السابق ١: ٣٣٢.

دينهم وأمر من يعلّمهم القرآن والسنن، وأُنزلوا دار رملة بنت الحارث، وأمر بضيافة فأُجريت عليهم وأمر لهم بجوائز اثنتي عشرة أوقية ونشّ[١].

ووفد جرم، فقالوا له: من يصلّي بنا؟ فقال: **ليصل بكم أكثركم جمعاً أو أخذاً للقرآن**[٢].

ووفد الأزد فأسلموا، فقال: **مرحباً بكم أحسن الناس وجوهاً وأصدقه لقاء وأطيبه كلاماً وأعظمه أمانة، أنتم منّي وأنا منكم**. وجعل شعارهم مبروراً[٣].

ووفد غسان سنة عشر: ثلاثة نفر، فنزلوا دار رملة بنت الحارث وأسلموا وأجازهم رسول الله ﷺ بجوائز، وقدموا على قومهم فلم يستجيبوا لهم فكتموا إسلامهم[٤].

ووفد همدان، وفدوا عليه ﷺ وعليهم مقطعات الحبرة مكففة بالديباج، فقال: **نعم الحي همدان ما أسرعها الى النصر وأصبرها على الجهد ومنهم أبدال وأوتاد الإسلام**، فأسلموا[٥].

ووفد الرهاويين ـ حي من مذحج ـ سنة عشر: خمسة عشر رجلاً فنزلوا دار رملة بنت الحارث، فأتاهم ﷺ فتحدّث عندهم طويلاً وأهدوا له هدايا، منها فرس يقال له: «المرواح» وأمر به فشوّر بين يديه فأعجبه، فأسلموا وتعلّموا القرآن والفرائض وأجازهم كما يجيز الوفد، أرفعهم اثنتا عشرة أوقية ونش وأخفضهم خمس أواق[٦].

---

(١) الطبقات الكُبرى ١: ٣٢٤.

(٢) المصدر السابق ١: ٣٣٥.

(٣) المصدر السابق ١: ٣٣٥.

(٤) المصدر السابق ١: ٣٣٨.

(٥) المصدر السابق ١: ٣٤٠.

(٦) الطبقات الكُبرى ١: ٣٤٤.

ووفد غامد: عشرة، نزلوا ببقيع الغرقد، ثم لبسوا من صالح ثيابهم وانطلقوا الى رسول الله ﷺ فأسلموا، وكتب لهم كتاباً فيه شرائع الإسلام وأتوا أُبي بن كعب فعلّمهم قرآناً، وأجازهم رسول الله ﷺ كما يجيز الوفد[١].

ووفد النخع: رجلان بعثهما قومهما إليه ﷺ وافدين بإسلامهم فبايعاه على قومهما، فأعجب رسول الله ﷺ شأنهما وحسن هيئتهما، فقال: **هل وراءكما من قومكما مثلكما؟** قالا: يا رسول الله، قد خلّفنا من قومنا سبعين رجلاً كلّهم أفضل منا، فقال: **اللهم بارك في النخع.**

وقدم عليه وفد النخع من اليمن سنة إحدى عشرة وهم مائتا رجل فنزلوا دار رملة بنت الحارث وهم آخر من قدم من الوفد على رسول الله ﷺ، فجاءوا مقرّين بالإسلام وكانوا بايعوا معاذ بن جبل باليمن[٢].

ووفد حضرموت، قدموا مع وفد كندة وهم ملوك حضرموت، فمنهم وائل ابن حجر الحضرمي من ملوك حضرموت وقال: جئت راغباً في الإسلام والهجرة، فدعا له ونودي بالصلاة جامعة سروراً بقدومه. قال ابن سعد: وأمر رسول الله ﷺ معاوية بن أبي سفيان أن يُنزله فمشى معه ووائل راكب، فقال له معاوية: ألق إليّ نعلك؟ قال: لا لأني لم أكن لألبسها وقد لبستها، قال: فاردفني، قال: لست من أرادف الملوك، قال: إن الرمضاء قد أحرقت قدمي، قال: امشِ في ظل ناقتي كفاك به شرفاً[٣].

ووفد غافق، فقالوا: يا رسول الله، نحن الكواهل من قومنا وقد أسلمنا

---

(١) الطبقات الكبرىٰ ١: ٣٤٥.

(٢) المصدر السابق ١: ٣٤٦.

(٣) المصدر السابق ١: ٣٤٩.

وصدقاتنا محبوسة بافنيتنا، فقال: لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم[١].

ووفد أسلم، فقالوا: قد آمنا بالله ورسوله واتبعنا منهاجك، فقال صلى الله عليه وآله: أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها، وكتب لهم كتاباً فيه ذكر الصدقة والفرائض في المواشي[٢].

ووفد نجران، كتب صلى الله عليه وآله الى أهل نجران، فخرج إليه وفدهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم نصارى فيهم العاقب وهو عبدالمسيح من كندة وهو أميرهم، وهو الذي يصدرون عن رأيه، وأبوالحارث بن علقمة من بني ربيعة وهو أُسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم وأخواه كرز والسيد وهو صاحب رحلتهم، فتقدّمهم كرز وهو يقول:

إليك تغدو قلقاً وضينها　　معترضاً في بطنها جنينها

مخالفاً دين النصارى دينها

ثم قدم الوفد بعده فدخلوا المسجد عليهم ثياب الحبرة وأردية مكفوفة بالحرير، فقاموا يصلون في المسجد نحو المشرق، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: دعوهم، وأعرض عنهم ولم يكلّمهم من أجل زيّهم، فجاءوا من الغد بزي الرهبان فسلّموا عليه فردّ عليهم ودعاهم الى الإسلام فأبوا، فدعاهم الى المباهلة ثم صالحوه على جزية معينة، ووقع بعد ذلك منهم ناس بالعراق فنزلوا النجرانية التي بناحية الكوفة[٣].

ويأتي خبر المباهلة مفصلاً في أحوال أمير المؤمنين عليه السلام.

---

(١) الطبقات الكُبرى ١: ٣٥٢.

(٢) المصدر السابق ١: ٣٥٤.

(٣) المصدر السابق ١: ٣٥٧.

ووفد جيشان فسألوه عن أشربة تكون باليمن البتع من العسل والمرز من الشعير، فقال: هل تسكرون منها؟ قالوا: إن أكثرنا سكرنا، فقال: فحرام قليل ما أسكر كثيره، وقال: كل مسكر حرام[١].

كُتبه الى الملوك يدعوهم الى الإسلام

ننقلها من الطبقات الكبرىٰ لمحمد بن سعد كاتب الواقدي وقد نقل بعض الأخبار من السيرة الحلبية.

روى ابن سعد في الطبقات أن رسول الله ﷺ لما رجع من الحديبية في ذي الحجة سنة ست، أرسل الرسل الى الملوك يدعوهم الى الإسلام. وكتب إليهم كتباً، فقيل: يا رسول الله، إن الملوك لا يقرأون كتاباً إلّا مختوماً، فاتخذ يومئذٍ خاتماً من فضة فصه منه نقشه ثلاثة أسطر: «**محمّد رسول الله** ﷺ» فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد وذلك في المحرم سنة سبع[٢].

كتابه الى النجاشي ملك الحبشة

فكان أوّل رسول بعثه رسول الله ﷺ عمرو بن أُمية الضمري الى النجاشي يدعوه الى الإسلام ويتلو عليه القرآن،وكتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمّد رسول الله الى النجاشي ملك الحبشة.

---

(١) الطبقات الكُبرى ١: ٣٥٩.

(٢) المصدر السابق ١: ٢٥٨.

سلام أنت[١] فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله، وكلمته ألقاها الى مريم البتول الطيّبة الحصينة فحملت بعيسى حملته من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده، وأني أدعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته، وأن تتبعني وتوقن بالذي جاءني فإني رسول الله، وأني أدعوك وجنودك الى الله عزّ وجلّ وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي، والسلام على مَن اتّبع الهدى[٢].

كتابه الى قيصر ملك الروم المدعو هرقل

أرسله مع دحية بن خليفة الكلبي وهو أحد الستة المتقدمة سنة سبع من الهجرة، وأمره أن يدفعه الى عظيم بصرى الحارث ملك غسان، ليدفعه الى قيصر.

قال صاحب السيرة الحلبية: فأرسل الحارث معه عدي بن حاتم ليوصله الى قيصر[٣].

وقال ابن سعد: فدفعه عظيم بصرى الى قيصر وهو يومئذٍ بحمص ماشٍ في نذر عليه إن ظهرت الروم على فارس أن يمشي من القسطنطينية الى إيلياء القدس[٤]، فلمّا أخذ قيصر الكتاب وجد عليه عنوان كتب العرب، فدعا ترجمان العربية فقرأه، فإذا فيه:

---

(١) سلام هنا بمعنى سالم ـ (المؤلّف).

(٢) الطبقات الكبرى ١: ٢٥٨، السيرة الحلبية ٣: ٢٤٨.

(٣) السيرة الحلبية ٣: ٢٤٢.

(٤) الطبقات الكبرى ١: ٢٥٩.

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمّد بن عبدالله الى هرقل عظيم الروم.

سلام على مَن اتّبع الهدى...

أما بعد، فإنّي أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنّما عليك إثم الأكارين[١] ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوا فَقُولُوا ٱشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[٢].

وقال قيصر: انظروا لنا من قومه أحداً نسأله عنه، وكان أبو سفيان بغزة مع رجال من قريش في تجارة زمن هدنة الحديبية، قال: فأتانا رسول قيصر فانطلق بنا إليه وهو في بيت المقدس وعليه التاج وعظماء الروم حوله، فقال لترجمانه: سلهم أيهم أقرب نسباً لهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، فقال أبوسفيان: أنا، فقال: ما قرابتك منه؟ قال: ابن عمّي، قال: ادن مني، ثم أمر بأصحابي فجعلوا خلف ظهري، وقال لهم: إنّما جعلتكم خلف ظهره لتردّوا عليه إذاكذب، قال أبو سفيان: فوالله لولا الحياء أن يردّوا عليّ لكذبت، فصدقت وأناكاره لبغضي إياه ومحبّتي نقصه، ثم قال لترجمانه: قل له: كيف نسب هذا الرجل فيكم؟ قلت: هو منّا ذو نسب، قال: هل قال هذا القول أحد منكم قبله؟ قلت: لا، قال: هل كنتم تتهمونه بالكذب؟ قلت: لا، قال: هل كان من آبائه ملك؟ قلت: لا، قال: كيف عقله ورأيه؟ قلت: لم نعب عليه عقلاً ولا رأياً قط، قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفائهم، قال:

---

(١) جمع أكّار ـ بالتشديد ـ وهو الفلاح، وخصّهم لأنّهم أسرع إنقياداً. (المؤلّف).

(٢) آل عمران: ٦٤.

فهل يزيدون أو ينقصون؟ قلت: بل يزيدون، قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه؟ قلت: لا، قال: فهل يغدر إذا عاهد؟ قلت: لا ونحن الآن منه في ذمة، قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم، قال: فكيف حربكم وحربه؟ قلت: دول وسجال، قال: فما يأمركم به؟ قلت: أمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً، ويأمرنا بالصلاة والزكاة، ويأمرنا بالوفاء بالعهد وأداء الأمانة. فقال لترجمانه: قل له: إني سألتك عن نسبه فزعمت أنه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك هل هذا القول قاله أحد منكم قبله، فزعمت أن لا، فلو كان أحد منكم قال هذا القول قبله لقلت هو يأتم بقول قيل قبله، وسألتك هل تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فزعمت أن لا، فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله، وسألتك هل كان من آبائه ملك، فقلت لا، فلو كان من آبائه ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم، فقلت ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل لأن الغالب أن أتباع الرسل هم أهل الاستكانة، وسألتك هل يزيدون أو ينقصون، فزعمت أنهم يزيدون وكذلك الإيمان حتى يتم، وسألتك هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه، فزعمت أن لا، وكذلك الإيمان إذا حصل به انشراح الصدور، وسألتك هل يغدر، فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك هل قاتلتموه، فقلت نعم وأن حربكم وحربه دول وسجال، وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة، وسألتك ماذا يأمركم به، فزعمت أنه يأمركم بالصلاة والصدقة والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة، فعلمت أنه نبي[1].

---

(١) السيرة الحلبية ٣: ٢٤٢ ـ ٢٤٤.

كتابه الى كسرى ملك الفرس

أرسله مختوماً مع عبدالله بن حذافة السهمي وهو أحد الستّة المتقدمة، وقيل مع غيره، فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمّد رسول الله الى كسرى عظيم فارس.

سلام على مَن اتّبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأن محمّداً عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الله فإني أنا رسول الله الى الناس كافة لأُنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس الذين هم أتباعك[1].

قال عبدالله: فأتيت الى بابه وطلبت الإذن عليه حتى وصلت إليه فدفعت إليه كتاب رسول الله ﷺ فقُرئ عليه فأخذه ومزّقه[2].

كتابه الى المقوقس ملك القبط

واسمه جريح بن مينا أرسله مع حاطب بن أبي بلتعة اللخمي أحد الستّة المتقدّمين منصرفة من الحديبية، وفيه:

(١) السيرة الحلبية ٣: ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

(٢) الطبقات الكُبرى ١: ٢٦٠.

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمّد بن عبدالله الى المقوقس عظيم القبط.

سلام على مَن اتبع الهدى...

أما بعد، فإنّي أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنّما عليك إثم القبط، ﴿ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بينا وبينكم أن لانعبد إلّا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾(١).

وختم الكتاب وجاء به حاطب حتى دخل على المقوقس بالاسكندرية، فلمّا قرأه قال: ما منعه ـ إن كان نبياً ـ أن يدعو من خالفه أن يسلّط عليهم؟ فقال له حاطب: ألست تشهد أن عيسى بن مريم رسول الله فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يقتلوه أن لا يكون دعا عليهم؟ قال: أحسنت أنت حكيم جاء من عند حكيم، وأكرم حاطباً وأهدى الى النبيّ ﷺ جاريتين «مارية» أُمّ إبراهيم، و«سيرين» وبغلة بيضاء وهي دلدل ولم يكن في العرب يومئذٍ غيرها، وكتب الى النبيّ ﷺ: قد علمت أن نبيّاً قد بقي وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم وأهديت لك كسوة وبغلة تركبها، ولم يزد على هذا ولم يسلم وقارب ووضع كتاب النبيّ ﷺ في حق من عاج وختم عليه ودفعه الى جارية له(٢).

---

(١) آل عمران: ٦٤.

(٢) السيرة الحلبية ٣: ٢٤٩ ـ ٢٥٠.

كتابه الى الحارث بن أبي شمر الغساني

أرسله إليه مع شجاع بن وهب الأسدي وهو أحد الستة المتقدمة وكان بغوطة دمشق مشغولاً بتهيئة الأنزال والألطاف لقيصر وقد جاء من حمص الى إيلياء بيت المقدس ليفي نذره كما مرّ، وكان فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمّد رسول الله الى الحارث بن أبي شمر.

سلام على مَن اتّبع الهدى وآمن به وصدق، وأني أدعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك. وختم الكتاب.

فقرأه ثم رمى به وقال: من ينزع مني ملكي أنا سائر إليه، عليّ بالناس! فلم يزل جالساً يعرض عليه العسكر حتى الليل وأمر بالخيل أن تنعل، ثم قال لي: أخبر صاحبك بما ترى، وكتب الى قيصر بالخبر فكتب إليه أن لا تسير إليه وأله عنه، فأمر لي حينئذٍ بمائة مثقال ذهب[١].

كتابه الى هوذة بن عليّ الحنفي صاحب اليمامة

أرسله مع سليط بن عمرو العامري وهو أحد الستّة المتقدمة، وفيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمّد رسول الله الى هوذة بن عليّ.

---

(١) السيرة الحلبية ٢: ٢٥٥، الطبقات الكبرى ١: ٢٦١.

سلام على مَن اتّبع الهدى، واعلم أن ديني سيظهر الى منتهى الخف والحافر، فأسلم تسلم واجعل لك ما تحت يديك.

فسلمه سليط الكتاب مختوماً وقرأه عليه، فأكرم سليطاً وأجازه وكساه، وكتب الى النبيّ ﷺ: ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب مكاني فاجعل لي بعض الأمر أتبعك، فقال النبيّ ﷺ: **لو سألني سيابة**(١) ـ أي قطعة من الأرض ـ **ما فعلت**(٢).

كتابه الى جيفر وعبد ابني الجلندي في عمان اليمن

وهما من الأزد والملك منها جيفر أرسله مع عمرو بن العاص في ذي القعدة سنة ثمان، وفيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمّد بن عبدالله الى جيفر وعبد ابني الجلندي سلام على مَن اتّبع الهدى...

أما بعد، فإني أدعوكما بدعاية الإسلام أسلما تسلما، أني رسول الله الى الناس كافة لأُنذر من كان حيّاً ويحق القول على الكافرين، وأنكما إن أقررتما بالإسلام ولّيتكما، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما وخيلي تحل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما، وختم الكتاب.

قال عمرو: فخرجت حتى انتهيت الى عمان، فعمدت الى عبد وكان أحلم

---

(١) السيابة: البلح هو البسر الأخضر، لسان العرب ١: ٤٧٩ [مادة: سيب].

(٢) عيون الأثر ٢: ٣٣٧، سبل الهدى والرشاد ١١: ٣٥٧.

الرجلين وأسهلهما خلقاً، فقلت: إنّي رسول محمدﷺ إليك، فقال: أخي المتقدم بالسن والملك وأنا أُوصلك إليه، ثم سأله عن أبيه العاص ما صنع، ثم قال له في جملة كلامه:

فأخبرني ما الذي يأمر به وينهى عنه؟ قلت: يأمر بطاعة الله عزّ وجلّ، وينهى عن معصيته، ويأمر بالبر وصلة الرحم، وينهى عن الظلم والعدوان وعن الزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب، فقال: ما أحسن هذا الذي يدعو إليه لو كان أخي يتبعني لآمنا به ولكنه أضن بملكه من أن يدعه ويصير ذنباً، ثم أدخله على أخيه ودفع إليه الكتاب وقرأه ثم دفعه الى أخيه فقرأه وجعل يسأله عن قريش ما صنعت، ثم قال له: إنّي فكرت فيما دعوتني إليه فإذا أنا أضعف العرب إن ملّكت رجلاً ما في يدي، قال عمرو فقلت: أنا خارج غداً، فلمّا أيقن بمخرجي خلا به أخوه فأصبح وقد أسلم هو وأخوه وخلّيا بيني وبين الصدقة(١).

كتابه الى المنذر بن ساوى العبدي بالبحرين

كتب إليه النبيّﷺ أولاً مع العلاء بن الحضرمي يدعوه الى الإسلام، والظاهر أنه كان على المجوسية ولم يذكر أحد نسخة ذلك الكتاب، فقبح عنده العلاء دين المجوسية، وكان فيما قال له: ليست بعديم عقل ولا رأي فانظر هل ينبغي لمن لا يكذب في الدنيا أن لا نصدقه ولمن لا يخون أن لا نأتمنه ولمن لا يخلف أن لا نثق به، فإن كان هذا هكذا فهذا هو النبيّ الأُمّي الذي

(١) السيرة الحلبية ٣: ٢٥٢ ـ ٢٥٣.

والله لا يستطيع ذو عقل أن يقول ليت ما أمر به نهى عنه أو ما نهى عنه أمر به، فأسلم وحسن إسلامه، وكتب الى النبيّ ﷺ يقول:

أما بعد، يا رسول الله فإني قرأت كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس ويهود فأحدث لي في ذلك أمرك، فكتب إليه النبيّ ﷺ جواب كتابه مع العلاء بن الحضرمي يقول:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمّد رسول الله الى المنذر بن ساوى.

سلام عليك، فإنّي أحمد الله إليك الذي لا إله إلّا الله وأن محمّداً عبده ورسوله..

أما بعد، فإني أُذكرك الله عزّ وجل فإنّه من ينصح فإنّما ينصح لنفسه وأنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي، وأن رسلي قد أثنوا عليك خيراً، وأني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم وأنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية(١).

حروبه و غزواته و سراياه

روى ابن سعد في الطبقات الكبرى أن عدد مغازي رسول الله ﷺ التي غزاها بنفسه كانت سبعاً و عشرين غزوة و سراياه التي بعث بها سبعاً وأربعين

(١) السيرة الحلبية ٣: ٢٥٢.

سرية و ما قاتل فيه من المغازي تسع غزوات... الخ[١].

وفي السيرة الحلبية قال: إن المغازي سبع وعشرون، ولكنه عدها ثمان وعشرين وهي (١)بواط (٢) العشيرة (٣) سفوان (٤) بدر الكبرى (٥) بني سليم (٦)بني قينقاع (٧) السويق (٨)قرقرة الكدر (٩) غطفان أو ذي أمر (١٠) بحران الحجاز (١١) أُحد (١٢) حمراء الأسد (١٣) بني النضير (١٤)ذات الرقاع (١٥) بدر الآخرة أو بدر الموعد (١٦) دومة الجندل (١٧)بني المصطلق، أو المريسيع (١٨)الخندق (١٩)بني قريظة (٢٠)بني لحيان (٢١) الحديبية (٢٢) ذي قرد (٢٣) خيبر (٢٤)وادي القرى (٢٥)عمرة القضاء (٢٦) فتح مكة (٢٧)حنين والطائف (٢٨) تبوك[٢].

وعدّها بعضهم تسعاً وعشرين وزاد في أوّلها غزوة ودّان.

وأما المغازي التسع فهي على ما في طبقات ابن سعد: (١)بدر القتال(٢) أُحد (٣)المريسيع (٤)الخندق (٥)قريظة (٦)خيبر (٧)فتح مكة (٨)حنين (٩)الطائف.

قال: فهذا ما اجتمع لنا عليه وفي بعض رواياتهم أنه قاتل في بني النضير ووادي القرى والغابة... الخ[٣].

غزوة ودّان أو الأبواء

ودّان ـ بفتح الواو وتشديد الدال المهملة ـ قرية جامعة من أعمال الفرع،

---

(١) الطبقات الكبرى ٢: ٥ـ٦.

(٢) السيرة الحلبية ٢: ١٢١ـ١٢٢.

(٣) الطبقات الكبرى ٢: ٦.

ويقال: غزوة الأبواء وهما متقاربان في وادي الفرع بينهما ستة أميال، وكانت في صفر لاثنتي عشرة ليلة مضت منه على رأس اثني عشر شهراً من مقدمة المدينة، وهي أوّل غزواته ﷺ بنفسه خرج في ستين راكباً من المهاجرين يريد عيراً لقريش فلم يلق كيداً، ووادع في طريقه بني ضمرة وكتب بينه وبينهم كتاباً وكانت غيبته خمس عشرة ليلة. قال ابن سعد: كان لواؤه مع حمزة بن عبد المطلب[1]، ولكن المفيد في الإرشاد روى بسنده عن أبي البختري القرشي أن النبيّ ﷺ أعطى عليّ بن أبي طالب الراية في غزاة ودّان وهي أوّل غزاة حمل فيها راية في الإسلام مع النبيّ ﷺ... الخ[2].

غزوة بُواط

بضم الباء وفتحها وتخفيف الواو: جبل من جبال جهينة قرب ينبع، وكانت في ربيع الأوّل على رأس ثلاثة عشر شهراً من الهجرة، وكان في مائتين من أصحابه به يعترض عيراً لقريش مائتين وخمسين بعيراً فيها أُمية بن خلف ومائة من قريش، فرجع ولم يلق حرباً[3].

غزوة سَفوان

بفتح السين المهملة والفاء آخره نون، ويقال لها: غزوة «بدر الأُولى» وكانت في ربيع الأوّل على رأس ثلاثة عشر شهراً من الهجرة ولواؤه مع

---

(١) الطبقات الكبرى ٢: ٨.

(٢) الارشاد ١: ٧٩.

(٣) الطبقات الكبرى ٢: ٨.

عليّ بن أبي طالب وهو لواء أبيض، وسببها أن كرز بن جابر الفهري أغار على سرح المدينة فاستاقه فطلبه رسول الله ﷺ حتى بلغ وادياً يقال له: «سفوان» من ناحية بدر ففاته، ولذا يقال لها: غزوة «بدر الأُولى» فرجع وبعضهم يقول إنّها بعد غزوة العشيرة[1].

غزوة العُشيرة أو ذي العشيرة

بضم العين المهملة مصغراً: موضع لبني مدلج بينبع، وكانت في جمادى الآخرة على رأس ستة عشر شهراً من الهجرة، خرج في مائة وخمسين رجلاً من المهاجرين أو مائتين معهم ثلاثون بعيراً يعتقبونها يريد عير قريش التي صدرت من مكة، وكانت ألف بعير فيها خمسون ألف دينار وهي التي كانت بسببها وقعة بدر حين رجعت من الشام ولواؤه مع حمزة بن عبد المطلب وهو أبيض ففاتته العير ولم يلق كيداً، ووادع فيها بني مدلج وحلفاءهم ورجع[2].

---

(١) السيرة الحلبية ٢: ١٢٨.

(٢) الطبقات الكبرى ٢: ٨ـ٩.

غزوة بدر الكبرى

ويقال: «بدر القتال» فالكبرى مقابل الصغرى وهي غزوة سفوان المتقدمة وبدر القتال لأن الأُولى لم يقع فيها قتال[١]، وكانت في رمضان يوم تسعة عشر أو سبعة عشر منه على رأس تسعة عشر شهراً من مهاجره ﷺ[٢]، و«بدر» اسم بئر كانت لرجل يدعى «بدراً»[٣] وسببها أن رسول الله ﷺ كان قد عرض لعير قريش التي فيها تجارتهم وهي ذاهبة الى الشام مع أبي سفيان بن حرب وأصحابه على رأس ستة عشر شهراً من مهاجره ﷺ ففاتته ـ كما مرّ ـ فلما رجعت العير ندب أصحابه إليها فخف بعضهم وثقل بعضهم، فخرجوا لا يريدون إلّا أبا سفيان والركب ولا يرون إلّا أنها غنيمة لهم ولم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقي حرباً ولا كيداً وكان في العير أربعون راكباً من قريش[٤] وهي أوّل غزوات رسول الله ﷺ المهمة وبها تمهدت قواعد الدين وأعزّ الله الإسلام وأذل جبابرة قريش وقتلت فيها رؤساؤهم ووقعت الهيبة من المسلمين في قلوب العرب واليهود وغيرهم وأنزل الله تعالى فيها سورة الأنفال أكثرها وغيرها من السور.

فخرج ﷺ في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ومعهم فرسان وسبعون بعيراً، فكان الرجلان منهم والأكثر يتعاقبان بعيراً واحداً حتى أن النبيّ ﷺ لم

---

(١) الطبقات الكبرى ٢: ١١.

(٢) تاريخ الخميس ١: ٣٦٨.

(٣) الطبقات الكبرى ٢: ٢٧، معجم البلدان ١: ٣٥٧.

(٤) بحار الأنوار ١٩: ٢١٥.

يختص ببعير وحده فكان يتعاقب هو وعليّ بن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد على بعير لمرثد[١] وكان كثير من أصحابه كارهين للخروج خوفاً من قريش وكثرتها كما قال تعالى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ* يُجَادِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ﴾ ووعد الله تعالى رسوله إحدى الطائفتين: العير أو النفير، وكانوا يودون العير وأن لا تكون حرب حباً بالعاجل وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾[٢] وبلغ خروجهم أبا سفيان وأصحابه فأرسلوا «ضمضم بن عمرو الغفاري» يستصرخ قريشاً بمكة. ورأت عاتكة بنت عبد المطلب ـ قبل مجيء ضمضم بثلاث ـ في منامها راكباً أقبل حتى وقف بالأبطح، فصرخ بأعلى صوته: «يا آل غُدْر، انفروا الى مصارعكم في ثلاث» فصرخ بها ثلاثاً، فاجتمع الناس إليه ثم دخل المسجد وهم يتبعونه إذ مثل به بعيره على ظهر الكعبة فصرخ مثلها ثلاثاً، ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها ثلاثاً، ثم أخذ صخرة من أبي قبيس فأرسلها فأقبلت تهوي حتى إذا كانت في أسفل الجبل ارفضّت فما بقي بيت من بيوت مكة إلّا دخلته منها فلذة. وبلغ ذلك أبا جهل، فقال: ما رضيتم يا بني عبد المطلب بأن تتنبأ رجالكم حتى تنبأت نساؤكم، فلما كان اليوم الثالث والعباس يخاصم أبا جهل في ذلك إذ جاء ضمضم وهو يقول يا معشر قريش يا آل لؤي بن غالب، اللطيمة اللطيمة العير العير! قد عرض لها محمّد في

---

(١) بحار الأنوار ١٩: ٢١٧.

(٢) الأنفال: ٧.

أصحابه، الغوث الغوث! والله ما أرى أن تدركوها وقد جدع أُذني بعيره وشق قميصه قبلاً ودبراً وحول رحله وهذه كانت علامة المستصرخ ، وشبيهها باقٍ في عرب الحجاز الى اليوم[١].

فتجهّز الناس ومن لم يخرج أرسل رجلاً مكانه وأشفقت قريش لرؤيا عاتكة وسرّ بنو هاشم ولم يخرج أبولهب معهم[٢] ـ وهذا هو العير والنفير الذي يقال فيه: « فلان لا في العير ولا في النفير» وخرجت قريش بالقيان والدفوف في تسعمائة وخمسين أو عشرين مقاتلاً[٣] وقادوا مائتي فرس وقيل: أربعمائة[٤] والإبل سبعمائة بعير وبات أبو سفيان من وراء بدر[٥]، وأرسل رسول الله ﷺ رجلين يتجسسان الأخبار وهما «بسبس» و«عدي» فأناخا بعيريهما قريباً من الماء ثم استقيا منه، فسمعا جاريتين من جهينة تلزم إحداهما صاحبتها في درهم لها عليها وصاحبتها تقول: إنما العير غداً أو بعد غد قد نزلت، فقال رجل صدقت، فلما سمعا ذلك رجعا الى النبيّ ﷺ وأخبراه وأصبح أبو سفيان ببدر قد تقدم العير وهو خائف فسأل رجلاً اسمه مجدي هل أحسست أحداً؟ قال: لا إلّا أني رأيت راكبين أتيا هذا المكان فأناخا به واستقيا ثم انصرفا، فجاء أبو سفيان مناخهما ففتّ البعر فاذا فيه نوى، فقال: هذه والله علائف يثرب هذه عيون «محمّد» وأصحابه ما أراهم إلّا قريباً،

(١) المغازي للواقدي ١: ٢٨ ـ ٣٣.
(٢) المصدر السابق ١: ٣٩.
(٣) بحار الأنوار ١٩: ٢٢٤.
(٤) المغازي للواقدي ١: ٣٩.
(٥) المصدر السابق ١: ٤٠.

فضرب وجه عيره فساحل بها وانطلق سريعاً، وأقبلت قريش تنزل المناهل وتنحر الجزر، وتخلّف عتبة وأخوه شيبة في الطريق وتردّدا وهمّا بالرجوع فحمسهما أبوجهل فمضيا كارهين، ورجعت بنو زهرة وبنو عدي بن كعب، وأرسل أبوسفيان الى قريش أن يرجعوا وإلّا فليردوا القيان، فأراد عتبة الرجوع فأبى أبوجهل وقومه، وردوا القيان من الجحفة وكأنه أراد برد القيان أن لا يقعوا في أسر المسلمين وبلغه آباؤهم، فقال: وا قوماه! وا قوماه! وهذا يدل على وقوع الهيبة من المسلمين في قلبه بما رأى من جرأتهم وبان له من أحوالهم مع أنّه لم يسبق لقومه معهم حرب.

وقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نرد بدراً فنقيم بها ثلاثاً ونطعم الطعام ونسقي الخمور وتعزف علينا القيان وننحر الجزور وتسمع العرب بمسيرنا فلا تزال تهابنا.

وكانت بدر موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كل عام[١]، ولما وصل رسول الله ﷺ قريب بدر أُخبر بمسير قريش فأخبر الناس بذلك واستشارهم فنهاه بعض المهاجرين عن المسير وقال: إنها قريش وخيلاؤها ما آمنت منذ كفرت، وقال المقداد: والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لنبيها: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾[٢] ولكن اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا معكم مقاتلون، فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له، ثم قال: أشيروا عليَّ وإنّما يريد الأنصار لظنه أنهم لا ينصرونه إلّا في الدار لشرطهم أن يمنعوه

---

(١) المغازي للواقدي ١: ٤٠ ـ ٤٤.

(٢) المائدة: ٢٤.

مما يمنعون منه أنفسهم، فأجابه سعد بن عبادة وسعد بن معاذ عنهم بالسمع والطاعة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «سيروا على بركة الله فإنّ الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأنّي أنظر الى مصارع القوم»(١) وعقد رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثة ألوية وبات الفريقان قريباً، ولا يعلم أحدهما بالآخر(٢)، وأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله علياً والزبير وجماعة يتجسسون على الماء، فوجدوا روايا قريش فيها سقاؤهم فأسروهم وأفلت بعضهم فأخبر قريشاً فأستاؤوا وباتوا يتحارسون إلّا أبا جهل فأنحاز بقومه بدون حرس، وجاءوا بالسقاء والنبيّ صلى الله عليه وآله يصلي فسألوهم، فقالوا: نحن سقاء قريش فكرهوا ذلك وأحبوا أن يكونوا سقاء أبي سفيان فضربوهم، فقالوا: نحن سقاء أبي سفيان فأمسكوا عنهم، فسلم رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: إن صدقوكم ضربتموهم وإن كذبوكم تركتموهم، ثم قال لهم: أين قريش؟ قالوا: خلف هذا الكثيب، قال: كم عددهم؟ قالوا: لا ندري وهم كثير، قال: كم ينحرون كل يوم؟ قالوا: يوماً عشرة أباعر ويوماً تسعة، فقال: هم ما بين الألف والتسعمائة، وقال صلى الله عليه وآله: هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها(٣). وغشيهم النعاس ليلة بدر فناموا وبعث الله المطر تلك الليلة فأصاب المسلمين ما لبد الأرض وأصاب قريشاً ما آذاهم وبينهم مسافة قليلة وهو قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾(٤) وأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله عمّار بن ياسر وعبد الله بن مسعود فأطافا

---

(١) بحار الأنوار ١٩: ٢١٧ ـ ٢١٨.

(٢) المغازي للواقدي ١: ٥٠.

(٣) المغازي للواقدي ١: ٥١ ـ ٥٣.

(٤) الأنفال: ١١.

بالقوم ثم رجعا فأخبرا بأنهم مذعورون فزعون[١] وبُني لرسول الله ﷺ عريش من جريد وقام سعد بن معاذ متوشحاً سيفه على بابه فدخله النبيّ ﷺ وأبوبكر[٢][٣]. وصف رسول الله ﷺ أصحابه فطلعت قريش وهو يصفهم وقد ملأوا حوضاً كانوا يضعون فيه الماء من السحر[٤] ومتح[٥] فيه عليّ بن أبي طالب كثيراً[٦] وقُذفت فيه الآنية، ودفع رسول الله ﷺ رايته الى عليّ بن أبي طالب وتسمى «العقاب»[٧] ولواء المهاجرين الى مصعب بن عمير ولواء الخزرج الى الحباب بن المنذر ولواء الأوس الى سعد بن معاذ[٨] هذا هو الصواب.

وما في الطبعة الأُولى من أنّه أعطى رايته مصعب بن عمير خطأ محض.

[و] في السيرة الحلبية: جاء عن ابن عباس أن النبيّ ﷺ اعطى علياً الراية يوم بدر وهو ابن عشرين سنة[٩].

وفي السيرة النبوية لدحلان: عقد ﷺ يوم بدر لواء أبيض ودفعه لمصعب

---

(١) المغازي للواقدي ١: ٥٤.

(٢) المصدر السابق ١: ٥٥.

(٣) قال ابن أبي‌الحديد في شرح نهج البلاغة معلقاً: قلت لا عجب من أمر العريش، من أين كان لهم، أو معهم من سعف النخل ما يبنون به عريشاً، وليس تلك الأرض ـ أعني أرض بدر ـ أرض نخل. شرح نهج البلاغة: ١٤: ١١٨.

(٤) المغازي للواقدي ١: ٥٦.

(٥) متح الماء: نزعه. المنجد «مادة متح».

(٦) المغازي للواقدي ١: ٥٧.

(٧) السيرة النبوية لابن هشام ١: ٦١٣.

(٨) المغازي للواقدي ١: ٥٨.

(٩) السيرة الحلبية ٢: ١٤٧.

ابن عمير وكان أمامهﷺ رايتان سوداوان إحداهما مع علىّ بن أبي طالب والأُخرى مع سعد بن معاذ وقيل مع الحباب بن المنذر[١].

وفي السيرة الحلبية: أن النبيّ ﷺ دفع اللواء يوم بدر وكان أبيض الى مصعب بن عمير وكان أمامه رايتان سوداوان إحداهما مع عليّ بن أبي طالب ويقال لها «العقاب»[٢].

وفيها أيضاً، عن الأمتاع: أن النبيّ ﷺ عقد الألوية يوم بدر وهي ثلاثة، لواء يحمله مصعب بن عمير، ورايتان سوداوان إحداهما مع عليّ والأُخرى مع رجل من الأنصار...الخ[٣].

وذكرنا في غزوة أُحد أن الراية هي العلم الأكبر واللواء دونها، وأن ما يتوهم من كلام بعض أهل اللغة من اتحاد الراية واللواء ليس بصواب[٤]. كما أن ما يحكى عن ابن إسحاق وابن سعد من أن الرايات حدثت يوم خيبر مردود بهذه الروايات.

فتحصل ممّا مرّ أن الراية وهي العلم الأكبر كانت مع عليّ عليه السلام يوم بدر وأن مصعب بن عمير وهو مهاجري كان معه لواء المهاجرين، هذه حال المهاجرين .

أما الأنصار فالظاهر أن لواء الأوس كان مع الحباب بن المنذر ولواء

---

(١) السيرة النبوية بهامش السيرة الحلبية ١: ٣٧٠.

(٢) السيرة الحلبية ٢: ١٤٧.

(٣) المصدر السابق ٢: ١٤٨.

(٤) راجع الصفحة ١٩٥ من هذا الكتاب.

الخزرج مع سعد بن معاذ. وفي السيرة الحلبية[١]، عن الهدى التصريح بذلك ولا ينافي ذلك ما ذكر في وقعة بدر من أن سعد بن معاذ كان واقفاً بالسلاح على باب العريش لجواز أن يكون حمل اللواء في الطريق فقط.

وحينئذٍ، فتكون الألوية ثلاثة والراية واحدة وهو الموافق للاعتبار، فإن الراية العظمى يجب أن تكون بيد عليّ لأنها لا تعطى إلّا لمتميز في الشجاعة، وعليّ وإن كان من المهاجرين إلّا أن كونه صاحب الراية يجعله الرئيس على الجميع، فاستحسن أن يكون للمهاجرين لواء أيضاً فأُعطي لمصعب بن عمير وهو الذي أُعطي اللواء يوم أُحد لأنه من بني عبد الدار، لأن لواء المشركين كان مع بني عبد الدار فقتل مصعب وأُعطي عليّ اللواء مع الراية، وجعل للأنصار لواءان: أحدهما للأوس مع الحباب والآخر للخزرج مع سعد.

واستقبل رسول الله ﷺ المغرب وجعل الشمس خلفه، وأقبل المشركون فاستقبلوا الشمس ونزل بالعدوة الدنيا من الوادي ونزلوا بالعدوة القصوى[٢]، ونظرت قريش الى قلة المسلمين فقال أبو جهل: ما هم إلّا أكلة رأس لو بعثنا إليهم عبيدنا لأخذوهم أخذاً باليد، فقال عتبة بن ربيعة: أترى لهم كميناً أو مدداً، فبعثوا عمير بن وهب الجمحي وكان فارساً شجاعاً فجال بفرسه حول عسكر رسول الله ﷺ ثم رجع، فقال: القوم ثلاثمائة، إن زادوا زادوا قليلاً، معهم سبعون بعيراً وفرسان ليس لهم كمين ولا مدد ولكن الولايا[٣] تحمل المنايا نواضح يثرب تحمل الموت الناقع، قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ إلّا

(١) السيرة الحلبية ٢: ١٤٧.

(٢) المغازي للواقدي ١: ٥٦.

(٣) الولايا جمع ولية كغنية وهي البرذعة.

سيوفهم ألا ترونهم خرساً لا يتكلمون يتلمظون تلمظ الأفاعي[١] ما أرى أنهم يُولّون حتى يُقتلوا ولا يُقتلون حتى يُقتلوا بعددهم، فقال له أبو جهل كذبت وجبنت فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾[٢] فبعث إليهم رسول الله ﷺ أن ارجعوا «فلأن يلي هذا الأمر مني غيركم أحبُ إليّ» فقال عتبة ما ردّ هذا قوم قط فافلحوا، ثم ركب جملاً له أحمر فنظر إليه رسول الله ﷺ وهو يجول بين العسكرين وينهى عن القتال، فقال: إن يكن عند أحد خير فعند صاحب الجمل الأحمر وإن يطيعوه يرشدوا وخطب عتبة، فقال في خطبته: يا معشر قريش، أطيعوني اليوم واعصوني الدهر، أن محمّداً له إل وذمّة وهو ابن عمّكم فخلّوه والعرب فإن يك صادقاً فأنتم أعلا عيناً به وإن يك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره ، وتحمّل عتبة دم الحضرمي الذي قتله المسلمون بنخلة على أن يرجعوا، فأبى أبو جهل، وقال لعتبة: جبنت فانتفخ سحرك، فقال: يا مصفرّ استه مثلي يجبن[٣] .

واصطفوا للقتال فقام رسول الله ﷺ يستغيث الله تعالى ويدعو ويقول: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض» وهو قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلائكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[٤] وأقسم الأسود بن عبدالأسد المخزومي ليردن حوضهم أو ليهدمنّه أو ليموتن دونه، فشدّ حتّى دنا من الحوض واستقبله حمزة بن عبد المطلب فضربه فأطنّ قدمه فزحف

(١) تلمظت الحيّة: أخرجت لسانها. المنجد «مادة لمظ».

(٢) الأنفال: ٦١.

(٣) مجمع البيان ٤: ٤٤٠.

(٤) مجمع البيان: ٤: ٤٣٧، الأنفال: ٩.

حتّى وقف في الحوض فهدمه برجله الصحيحة وشرب منه وقتله حمزة في الحوض. وكان شعار النبيّ ﷺ **يا منصور أمت**[١].

وبرز عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وابنه الوليد من الصف ودعوا الى المبارزة، فبرز إليهم فتيان ثلاثة من الأنصار وهم بنو عفراء معاذ ومعوذ وعوف بنو الحارث، فقالوا لهم ارجعوا فما لنا بكم من حاجة ثم نادى مناديهم يا محمّد! أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا، فقال النبيّ ﷺ لعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ولحمزة بن عبد المطلب ولعلي بن أبي طالب: «**قوموا فقاتلوا بحقكم الذي بعث الله به نبيكم إذ جاءوا بباطلهم ليطفئوا نور الله ويأبى الله إلّا أن يتم نوره**» فبرزوا فقال عتبة: تكلّموا نعرفكم فإن كنتم أكفاءنا قاتلناكم، وكان عليهم البيض فلم يعرفوهم، فقال حمزة: أنا حمزة بن عبدالمطلب أسد الله وأسد رسوله، فقال عتبة: كفؤ كريم وأنا أسد الحلفاء ـ أيّ الأحلاف أو الحلفاء أيّ الأجمّة[٢] ـ، ومن هذان معك؟ قال: عليّ بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث بن المطلب، قال: كفؤان كريمان فبارز عليّ الوليد وكانا أصغر القوم وعمر عليّ خمس وعشرون أو سبع وعشرون سنة، فاختلفا ضربتين أخطأت ضربة الوليد علياً عليه السلام وضربه عليّ على حبل عاتقه الأيسر[٣] فأخرج السيف من ابطه، وقيل: بل ضربه على يمينه فقطعها، قال عليّ: أخذ الوليد يمينه بيساره فضرب بها هامتي فظننت أن السماء وقعت

---

(١) المغازي للواقدي ١: ٦٨، ٧٢.

(٢) [الأجمة أي الشجر الكثير الملتف] (المؤلّف).

(٣) قال بعضهم: على حبل عاتقه الأيمن وهو غلط إنّما يضرب بيده اليُمنى ومقابل الأيمن هو الأيسر. (المؤلّف)

على الأرض ثم ضربه ضربة أُخرى فصرعه[١]. وبارز حمزة عتبة فتضاربا بالسيفين حتى انثلما واعتنقا، وقيل: لم يمهله حمزة أن قتله . وبارز عبيدة شيبة وهما أسنّ القوم ولعبيدة سبعون سنة فأختلفا ضربتين فضربه عبيدة على رأسه ضربة فلقت هامته وضربه شيبة على ساقه فقطعها وسقطا جميعاً، وقيل: إن حمزة بارز شيبة وعبيدة بارز عتبة وصاح المسلمون يا عليّ! أما ترى الكلب قد بهر عمّك حمزة وكان حمزة أطول من عتبة، فقال عليّ: يا عم طأطئ رأسك، فأدخل حمزة رأسه في صدر عتبة فضرب عليّ عتبة فطرح نصفه، وكرّ حمزة وعليّ على شيبة فأجهزا عليه وحملا عبيدة فألقياه بين يدى رسول الله ﷺ وأن مخ ساقه ليسيل، فاستعبر وقال: يا رسول الله، ألست شهيداً؟ قال: بلى، قال: لو كان أبو طالب حياً لعلم أني أحق بما قال، حين يقول:

كذبتم وبيت الله نخلي محمّداً ولما نطاعن دونه ونناضل
ونـنصره حتى نصرع حوله ونذهل عن ابنائنا والحلائل[٢]

ونزلت فيهم هذه الآية: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ ... الآية﴾[٣] وحمل عبيدة من مكانه فمات بالصفراء[٤] وذلت قريش بمقتل هؤلاء الثلاثة واستفتح أبو جهل، فقال: اللهم اقطعنا للرحم وآتانا بما لا يعلم فأحنه الغداة، فنزلت: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ... الآية﴾[٥] . وبرز حنظلة بن أبي سفيان الى عليّ عليه السلام فلما دنا منه ضربه عليّ ضربة بالسيف فسالت عيناه ولزم

---

(١) المغازي للواقدي ١: ٦٨، ٧٢.

(٢) المغازي للواقدي ١: ٦٩ ـ ٧٠ ، تفسير القمّي ١: ٢٦٤ ـ ٢٦٥.

(٣) المغازي للواقدي ١: ٧٠، مجمع البيان ٧: ١٣٩، الحج: ١٩.

(٤) الإرشاد ١: ٧٤، المغازي للواقدي ١: ١٤٧ .

(٥) مجمع البيان ٤: ٤٤٧، والمغازي للواقدي ١: ٧٠، الأنفال: ١٩.

الأرض[١]. وأقبل العاص بن سعيد بن العاص يبحث للقتال فلقيه عليه السلام فقتله[٢].

وروى المفيد في الإرشاد عن أبي بكر الهذلي، عن الزهري، عن صالح بن كيسان أن ابنه سعيد بن العاص دخل على عمر في خلافته فجلس ناحية، قال سعيد: فنظر الى عمر وقال: ما لي أراك كأنّ في نفسك عليّ شيئاً أتظن أني قتلت أباك؟ والله لوددت أنّي كنت قتلته ولو قتلته لم أعتذر من قتل كافر، ولكني مررت به يوم بدر فرأيته يبحث للقتال كما يبحث الثور بقرنه فهبته ورغت عنه، فقال إلى أين يا ابن الخطاب؟ وصمد له عليّ فتناوله فوالله ما رمت مكاني حتى قتله . وكان عليّ حاضراً في المجلس، فقال: اللهم غفراً ذهب الشرك بما فيه ومحا الإسلام ما تهدم، فما لك تهيج الناس عليّ؟ فكف عمر فقال سعيد: أما أنه ماكان يسرني أن يكون قاتل أبي غير ابن عمّه عليّبن أبي طالب[٣].

وأسر أُمية بن أبي خلف ؛ أسره عبد الرحمن بن عوف، فبصر به بلال وهو يعجن عجيناً له فترك العجين وقال: لا نجوت إن نجوت، وكان يُعذّبه بمكة يخرجه الى الرمضاء إذا حميت فيضجعه على ظهره ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع بحرارتها على صدره ويقول: لا تزال هكذا أو تفارق دين محمّد فيقول بلال : أحد أحد، فأحاطوا به فقتلوه[٤].

قال الواقدي: ولما رأت بنو مخزوم مقتل من قتل قالت : أبو الحكم لا يخلص إليه ـ يعنون أبا جهل ـ فإن ابني ربيعة ـ يعنون عتبة وشيبة ـ عجلا وبطرا فأحدقوا به وألبسوا لامته عبد الله بن المنذر، فصمد له عليّ فقتله وهو

---

(١) الإرشاد ١: ٧٥، وإعلام الورىٰ بأعلام الهُدىٰ ١: ١٧٠ .

(٢) المغازي للواقدي ١: ٩٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ١٤٤ باختلاف يسير، الإرشاد ١: ٧٦.

(٣) الإرشاد ١: ٧٥ ـ ٧٨ .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ١: ٦٣١ ـ ٦٣٢ .

يراه أبا جهل، ومضى وهو يقول: أنا ابن عبد المطلب، ثم ألبسوها أبا قيس بن الفاكه بن المغيرة، فصمد له حمزة وهو يراه أبا جهل فضربه فقتله وهو يقول: خذها وأنا ابن عبد المطلب، ثم ألبسوها حرملة بن عمرو، فصمد له عليّ فقتله، ثم أرادوا أن يلبسوها خالد بن الأعلى فأبى، قال معاذ بن عمرو بن الجموح: فصمدت لأبي جهل وضربته ضربة طرحت رجله من الساق فشبهتها النواة تنزو من تحت المراضخ، فضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي من العاتق وبقيت جلدة، فذهبت أسحبها بتلك الجلدة، فلما آذتني وضعت عليها رجلي ثم تمطيت عليها فقطعتها .

وأمر رسول الله ﷺ أن يُلتمس أبو جهل، قال ابن مسعود: فوجدته في آخر رمق فوضعت رجلي على عنقه فقلت: الحمد لله الذي أخزاك، فقال: إنما أخزى الله العبد ابن أُمّ عبد، لقد ارتقيت يا رويعي الغنم مرتقى صعباً لمن الدبرة؟ قلت: لله ولرسوله، قال: فاقلع بيضته عن قفاه، وقلت: إني قاتلك، قال: لست بأوّل عبد قتل سيده أما أن أشد ما لقيته اليوم لقتلك إيّاي وأن لا يكون ولي قتلي رجل من الأحلاف أو من المطيبين، فضربه عبد الله ضربة وقع رأسه بين يديه ثم سلبه وأقبل بسلاحه فوضعه بين يدي رسول الله ﷺ فقال: أبشر يا نبي الله بقتل عدوالله أبي جهل، فقال: **لهو أحب إليّ من حمر النعم.**

وقال رسول الله ﷺ: **اللهم اكفني نوفل بن العدوية**، وهو نوفل بن خويلد من بني أسد بن عبد العزى، فأسره جبار بن صخر ورأى علياً مقبلاً نحوه، فقال لجبار: من هذا؟ واللات والعزى، إني لأرى رجلاً يريدني، قال: هذا عليّ بن أبي طالب، فصمد له عليّ فضربه فنشب سيفه في جحفته فنزعه وضرب به ساقيه فقطعهما ثم أجهز عليه فقتله، فقال رسول الله ﷺ: **من له علم بنوفل بن خويلد؟** قال عليّ: أنا قتلته، فكبر رسول الله ﷺ وقال: **الحمد لله الذي أجاب**

دعوتي فيه[(١)] .

وروى محمّد بن إسحاق أن طعيمة بن عدي قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام شجره بالرمح وقال: والله لا تخاصمنا في الله بعد اليوم أبداً[(٢)] . وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله كفاً من البطحاء فرماهم بها وقال: **شاهت الوجوه اللهم ارعب قلوبهم وزلزل أقدامهم**، فانهزم المشركون لا يلوون على شيء والمسلمون يتبعونهم يقتلون ويأسرون وجعلت قريش تطرح الدروع والمسلمون يتبعونهم ويلقطون ما طرحوا[(٣)].

أسماء المقتولين من المشركين يوم بدر ومن قتلهم

منقولة عن الواقدي، فمن بني عبد شمس بن عبد مناف ومواليهم اثنا عشر: (١) حنظلة بن أبي سفيان، قتله عليّ بن أبي طالب، (٢) الحارث بن الحضرمي، قتله عمّار بن ياسر، (٣) عمّار بن الحضرمي، قتله عاصم بن ثابت، (٤)و(٥) عمير بن أبي عمير وابنه موليان لهم، قتل عميراً سالم مولى أبي حذيفة، (٦) عبيدة بن سعيد بن العاص، قتله الزبير بن العوام، (٧) العاص بن سعيد بن العاص، قتله عليّ بن أبي طالب، (٨) عقبة بن أبي معيط ، قتله عليّ بن أبي طالب، أو عاصم بن ثابت صبراً بالسيف بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله، (٩) عتبة بن ربيعة، قتله حمزة بن عبد المطلب، (١٠) شيبة ابن ربيعة، اشترك في قتله عبيدة بن الحارث وحمزة وعليّ بن أبي طالب، (١١) الوليد بن عتبة بن ربيعة، قتله عليّ بن أبي طالب، (١٢) عامر بن عبد الله

---

(١) المغازي للواقدي ١: ٨٦ ـ ٩٢.

(٢) الإرشاد ١: ٧٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ١٤٥.

(٣) إمتاع الأسماع ١: ١٠٨، الإرشاد ١: ٦٩، المغازي للواقدي ١: ٩٦.

حليف لهم من أنمار، قتله عليّ بن أبي طالب، وقيل: سعد بن معاذ.

ومن بني نوفل بن عبد مناف اثنان: (١) الحارث بن نوفل، قتله حبيب ابن يساف، (٢) طعيمة بن عدي، قتله حمزة بن عبد المطلب في رواية الواقدي، وعليّ بن أبي طالب في رواية محمّد بن إسحاق[١].

ومن بني أسد بن عبد العزى خمسة: (١) زمعة بن الأسود، قتله أبودجانة، وقيل: ثابت بن الجذع، (٢) الحارث بن زمعة بن الأسود، قتله عليّ بن أبي‌طالب، (٣) عقيل بن الأسود بن المطلب، قتله عليّ بن أبي طالب، وقيل اشترك في قتله عليّ وحمزة، وقيل: قتله أبو داود المازني، (٤) أبو البختري العاص بن هشام، قتله المجذر بن زياد، وقيل: أبو اليسر، (٥) نوفل بن خويلد ابن أسد بن عبد العزى، قتله عليّ بن أبي طالب.

ومن بني عبد الدار بن قصي اثنان: (١) النضر بن الحارث بن كلدة، قتله عليّ بن أبي طالب صبراً بالسيف بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله ، (٢) زيد بن مليص، قتله عليّ بن أبي طالب، وقيل: بلال.

ومن بني تيم بن مرّة اثنان: (١) عمير بن عثمان، قتله عليّ بن أبي طالب، (٢) عثمان بن مالك، قتله صهيب.

ومن بني مخزوم ثلاثة: (١) أبو جهل عمروبن المغيرة، ضربه معاذ ومعوذ وعوف أبناء عفراء ودفف[٢] عليه عبد الله بن مسعود، (٢)العاص بن هشام بن المغيرة خال عمر بن الخطاب، قتله عمروبن يزيد التميمي، (٣) حليف لهم، قتله عمّار بن ياسر، وقيل: عليّ بن أبي طالب.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١: ٧٠٩.

(٢) دفّف الجريح: أجهز عليه وأتمّ قتله. المنجد مادة «دفّ».

ومن بني الوليد بن المغيرة رجل واحد: أبو قيس بن الوليد أخو خالد بن الوليد، قتله عليّ بن أبي طالب.

ومن بني الفاكه بن المغيرة رجل واحد: أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، قتله حمزة بن عبد المطلب، وقيل: الخباب بن المنذر.

ومن بني أُمية بن المغيرة رجل واحد: مسعود بن أبي أُمية، قتله عليّ بن أبي طالب .

ومن بني عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم خمسة: (١) أُمية بن عائذ، قتله سعد بن الربيع، (٢)أبو المنذر بن أبي رفاعة، قتله معن بن عدي العجلاني، (٣)عبد الله بن أبي رفاعة، قتله عليّ بن أبي طالب، (٤) زهير بن أبي رفاعة، قتله أبو أُسيد الساعدي، (٥) السائب بن أبي رفاعة، قتله عبد الرحمن بن عوف.

ومن بني أبي السائب المخزومي أربعة: (١)سائب بن السائب، قتله الزبيربن العوام، (٢)الأسود بن عبد الأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، قتله حمزة بن عبد المطلب، (٣)حليف لهم عمروبن شيبان الطائي، قتله يزيد بن قيس، (٤) حليف آخر جبار بن سفيان، قتله أبو بردة.

ومن بني عمران بن مخزوم ثلاثة: (١)حاجز بن السائب، قتله عليّ بن أبي طالب، (٢) أخوه عويمر بن السائب، قتله عليّ بن أبي طالب ـ رواه البلاذري[١] ، (٣) عويمر بن عمروبن عائد، قتله النعمان بن مالك.

ومن بني جمح بن عمروبن هصيص ثلاثة: (١)أُمية بن خلف شرك قتله خبيب بن يساف وبلال، وقيل: قتله أبو رفاعة بن رافع، (٢)عليّ بن أُمية بن

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ١: ٣٥٩.

خلف، قتله عمّار بن ياسر، (٣) أوس بن المغيرة بن لوذان، قتله عليّ بن أبي طالب، وعثمان بن مظعون شركا فيه.

ومن بني سهم خمسة : (١)منبه بن الحجاج، قتله عليّ بن أبي طالب، وقيل: أبو أُسيد الساعدي، (٢)نبيه بن الحجاج، قتله عليّ بن أبي طالب، (٣) العاص بن منبه بن الحجاج، قتله عليّ بن أبي طالب، (٤)أبو العاص بن قيس، قتله عليّ بن أبي طالب، وقيل: أبو دجانة، (٥)العاص بن أبي عوف، قتله أبو دجانة .

ومن بني عامر بن لؤي اثنان: (١)معاوية بن عبد قيس حليف لهم، قتله عكاشة بن محصن، (٢)معبد بن وهب حليف لهم من كلب، قتله أبو دجانة...الخ[١] .

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: فجميع من قتل ببدر ـ في رواية الواقدي ـ من المشركين في الحرب وصبراً، «اثنان وخمسون» رجلاً، قتل عليّ منهم مع الذين شرك في قتلهم أربعة وعشرين رجلاً، وقد كثرت الرواية أن المقتولين ببدر كانوا سبعين، ولكن الذين عرفوا وحفظت أسماؤهم ممن ذكرناه، وفي رواية الشيعة أن زمعة بن الأسود بن المطلب قتله عليّ والأشهر في الرواية أنه قتل الحارث بن زمعة وأن زمعة، قتله أبو دجانة... الخ[٢].

أقول يأتي في سيرة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام عن المفيد أن الذين قتلهم أمير المؤمنين عليه السلام ببدر من المشركين على اتفاق الرواة خمسة وثلاثون رجلاً سوى من اختلف فيه أو شرك في قتله وأن بعضهم قال: إنه

---

(١) المغازي للواقدي ١: ١٤٧ ـ ١٥٢ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ٢١٢ .

قتل ستة وثلاثين[١].

وذكر الدكتور محمّد حسين هيكل في كتابه حياة محمّد وقعة بدر فلم يزد عند ذكر عليّ فيها على قوله: لم يمهل حمزة شيبة ولا أمهل عليّ الوليد أن قتلاهما ثمّ أعانا عبيدة وقد ثبت له عتبة ، وقوله: وخاض حمزة وعليّ وأبطال المسلمين وطيس المعركة وقد نسي كل منهم نفسه ونسي قلة أصحابه وكثرة عدوه فثار النقع وجعلت هام قريش تطير والمسلمون يزدادون بإيمانهم قوة، وأمدهم الله بالملائكة يبشرونهم ويزيدونهم تثبيتاً وإيماناً، حتى لكان الواحد منهم إذ يرفع يده إنّما تحركها قوة الله. ثم قال: إن كل واحد منهم امتلأت بنفحة من أمر الله نفسه فلم يكن هو الذي يقتل العدو ولا كان هو الذي يأسر من يأسر لولا هذه النفحة التي ضاعفت قوته المعنوية بما ضاعفت قوته المادية...الخ[٢] .

فترى أنه لم يُميّز علياً عن غيره في هذه الوقعة بشيء فإن ذكر أنه قتل الوليد فقد ذكر أن معاذ بن عمرو قتل أبا جهل وإن ذكر أنه خاض وطيس المعركة، فقد قال: إنّه شاركه في ذلك أبطال المسلمين ولم يذكر ما يدل على أنه امتاز عليهم بشيء «فقد نسي كل منهم نفسه وكان الواحد منهم إذ يرفع يده إنّما تحرّكها قوة الله، وكل واحد منهم امتلأت نفسه بنفحة من أمر الله» وإذا كان كلّ واحد منهم قد نسي نفسه ـ كما يقول ـ وامتلأت نفسه بنفحة من أمر الله، وكأنه إذ يرفع يده إنما تحركها قوة الله.

فلماذا لم يؤثر عن بعضهم أنه قتل أحداً؟ والحال أنه قد نسي نفسه ونسي

---

(١) الإرشاد ١: ٧٠ ـ ٧٣.

(٢) حياة محمّد: ٢٢٩ ـ ٢٣٢.

قلة أصحابه وكثرة عدوه وامتلأت نفسه بتلك النفحة الإلهية وكانت قوة الله كأنها تُحرّك يده وتضاعفت قوته المعنوية وقد بشّرته الملائكة وزادته تثبيتاً وإيماناً، وكان المسلمون محتاجين الى نصره وقتاله معهم لقلتهم وكثرة عدوهم فقد كان المسلمون أقل من الثلث، وقد قال عن بعضهم : أن مثله في الملائكة كمثل ميكائيل وفي الأنبياء كمثل إبراهيم وعيسى، وعن آخر أن مثله في الملائكة كمثل جبرئيل وفي الأنبياء كمثل نوح وموسى[١].

إذن لا نكون مخطئين إذا قلنا أن الدكتور قد غمط عليّ بن أبي طالب حقه في هذه الوقعة التي عليها بني أساس الإسلام وقامت بسيف عليّ بن أبي طالب، حتى قتل عليّ فيها نصف المقتولين[٢] وقتل سائر الناس والملائكة المسوّمون الباقي.

واستشهد من المسلمين في هذه الوقعة أربعة عشر: ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار[٣] ولم يؤسر أحد، وأُسر من المشركين سبعون[٤] لكن المعروفين منهم تسعة وأربعون[٥] . وفي قتل عتبة وشيبة والوليد تقول هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان :

أيا عين جودي بدمع سرب ... على خير خندف لم ينقلب
تداعى له رهطه غدوة ... بنو هاشم وبنو المطلب
يذيقونه حد أسيافهم ... يعرونه بعد ما قد شجب[٦]

---

(١) حياة محمد: ٢٣٨ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ٢١٢، مغازي الواقدي ١: ١٥٢، الإرشاد ١: ٧٠ـ ٧٣.

(٣) المغازي للواقدي ١: ١٤٥ .

(٤) إعلام الورى بأعلام الهدى ١: ١٦٩، الطبقات الكبرى ٢: ٢٢.

(٥) إمتاع الأسماع ١: ١٢٠ .

(٦) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٢٨ .

وأمر رسول الله ﷺ بالقتلى فطرحوا كلّهم في قليب بدر ـ وكأنه فعل ذلك لئلا تتأذى الناس بروائحهم ـ إلّا أُمية بن خلف كان قد انتفخ وتزايل لحمه فترك وألقوا عليه التراب والحجارة، هكذا ذكر المؤرخون[١].

والظاهر أن القليب الذي طرحوا فيه هو قليب الماء ، وقال الدكتور محمّد حسين هيكل في كتابه حياة محمّد: إن المسلمين أقاموا ببدر الى آخر النهار، ثم جمعوا قتلى قريش فحفروا لهم قليباً فدفنوهم فيه[٢]...الخ. ولو كان كذلك لقال: حفروا لهم حفيرة فدفنوهم فيها ولم يعبر بالقليب لأنه بئر الماء عرفاً مع أن الحفر لا ذكر له، وإنما قالوا: فأمر ﷺ بهم فطرحوا في قليب بدر، مع أنهم كانوا بما أصابهم من التعب وممارسة الحرب في شغل عن حفر القلبان، وكأنه استبعد إلقاءهم في قليب الماء لأنه يوجب فساد ماء البئر زماناً طويلاً وهي بئر تستقي منها الأعراب النازلون عندها والسابلة، ويرفع الاستبعاد احتمال أن تكون تلك البئر لا يحتاج إليها كثيراً لوجود غيرها في بدر أو نواحيها.

ثم وقف ﷺ على أهل القليب فناداهم رجلاً رجلاً: **يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبة ابن ربيعة، ويا أُمية بن خلف، ويا أبا جهل بن هشام! هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً، بئس القوم كنتم لنبيكم كذبتموني وصدقني الناس وأخرجتموني وآواني الناس وقاتلتموني ونصرني الناس.** فقالوا: يا رسول الله، أتنادي قوماً قد ماتوا؟ فقال: لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق . وكان انهزام قريش عند الظهر فأمر ﷺ بجمع الغنائم وصلى العصر ببدر[٣].

---

(١) إمتاع الأسماع ١: ١١٥، المغازي للواقدي ١: ١١١.

(٢) حياة محمّد: ٢٣٣ .

(٣) المغازي للواقدي ١: ١١٢ ـ ١١٣ .

ثم راح فمر بالأُثيل[١] قبل غروب الشمس فبات به[٢]، وكان في الأسرى النضر بن الحارث بن كلدة الثقفي أحد بني عبد الدار[٣]، فأمر النبيّ ﷺ عليّ بن أبي طالب فقتله بالأُثيل[٤]، فقالت ابنته وقيل أُخته قتيلة ترثيه :

يا راكباً إنّ الأُثيل مظِنة | من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ به ميتاً فإن تحية | ما إن تزال بها الركائب تخفق
مني إليه وعبرة مسفوحة | جادت لماتحها وأُخرى تخنق
فليسمعنّ النضر إن ناديته | إن كان يسمع ميت أو ينطق
ظلّت سيوف بني أبيه تنوشه | لله أرحام هناك تشقّق
صبراً يقاد الى المنية راغماً | رسف المقيد وهو عان موثق
أُمحمّد ولأنت ضنْء نجيبة | في قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربّما | مَنّ الفتى وهو المغيظ المحنق
والنضر أقرب من أصبت وسيلة[٥] | وأحقّهم إن كان عتق يعتق

فلما بلغ شعرها النبيّ ﷺ رقّ لها وبكى، وقال لو بلغني شعرها قبل قتله

---

(١) موضع قرب المدينة بين بدر ووادي الصفراء. معجم البلدان ١: ٩٤.

(٢) إمتاع الأسماع ١: ١١٦.

(٣) في عيون الأنباء: إنّه كان من أطباء العرب كما كان أبوه الحارث بن كلدة المشهور بطبيب العرب، وتعلّم النضر من أبيه ما كان يعلمه من الطب وغيره، وكان النضر ابن خالة النبيّ ﷺ، إلّا أنه كان يؤاتي أبا سفيان في عداوة النبيّ ﷺ، وكان كثير الأذى والحسد للنبي ﷺ ويتكلم فيه بأشياء كثيرة كيما يحبط من قدره عند أهل مكة... الخ .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ١: ٦٤٤.

(٥) وذلك لأنه كان ابن خالة النبيّ ﷺ كما سمعت.

لعفوت عنه[١].

قال أبو الفرج الإصبهاني[٢] : **فيقال إن شعرها أكرم شعر موتورة وأعفه وأكفه وأحلمه... الخ**[٣].

فلما بلغ الى مكان يسمى «عرق الظبية» أمر ﷺ عليّ بن أبي طالب ـ وقيل عاصم بن ثابت ـ بضرب عنق عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أُمية بن عبد شمس، فجعل يقول: يا ويلي! علامَ أُقتل من بين مَن هاهنا ؟ فقال رسول الله ﷺ : **لعداوتك لله ولرسوله ، فقال : يا محمّد من للصبية ؟ فقال : النار ، قدّمه فاضرب عنقه، فقدّمه فضرب عنقه**[٤].

واستشار رسول الله ﷺ أصحابه في الأسرى فغلظ عليهم عمر غلظة شديدة، فقال: يا رسول الله أطعني فيما أُشير به عليك : قدم عمّك العباس

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٤٢ ـ ٤٣، معجم البلدان ١: ٩٤.

(٢) الأغاني ١: ٢٤.

(٣) شعرها هذا في الطبقة العالية، وقد أورده أبو تمام في ديوان الحماسة، وقد أثر في نفس النبيﷺ بما فيه من الأساليب البديعة حتى قال: «لو سمعته قبل أن أقتله ما قتلته» مع ماكان عليه النضر من شدة الأذى والعداوة لرسول الله ﷺ الذي استحق به القتل، وفيه دلالة على مكانة الشعر.

وهذه المرأة تعد من فضليات النساء بشاعريتها وكمال أدبها وعقلها، وقد صدق من قال: «إن شعرها أكرم شعر موتورة وأعفه وأكفه وأحلمه» فإنها لم تزد عند وصف قتله وذكر قاتليه، وعلى أن قالت:

ظلت سيوف بني أبيه تنوشه ... لله أرحام هناك تشقق

صبراً يقاد الى المنيةراغماً ... رسف المقيد وهو عان موثق

فلم تذكر قاتليه بشيء من السوء ولم تنطق فيهم بكلمة سب أو شتم أو ما دون ذلك.

وكذلك لما ذكرت النبيﷺ وهي كافرة لم تسلم بعد مدحته بطيب الأصل وكرم المنسبين فقالت:

أُمحمّد ولأنت ضنؤ نجيبة ... في قومها والفحل فحل معرق

والعادة قاضية بأن الموتور تهيج به هائجة الغضب والحنق على واتره فيخرجه ذلك الى الكلام القبيح في حقه، فحقاً أن شعرها أكرم شعر موتور وأعفه وأكفه وأحلمه. (المؤلّف).

(٤) السيرة النبوية ١: ٦٤٤.

واضرب عنقه بيدك، وقدم عقيلاً الى أخيه عليّ يضرب عنقه، وقدم كل أسير الى أقرب الناس إليه يقتله ، فكره رسول الله ﷺ ذلك ولم يعجبه، كأنه كره تسليم كل أسير الى الأقرب إليه لما فيه من الجفاء(١). ورغب المسلمون في فداء الأُسارى دون قتلهم ليتقووا بالمال، فقبل رسول الله ﷺ الفداء أكثره أربعة آلاف درهم وأقله ألف(٢)، وأطلق رسول الله ﷺ جماعة بغير فداء فعاتبهم الله تعالى بقوله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ* لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ* فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٣).

وكان ﷺ نهى في أوّل الوقعة أن يقتل أحد من بني هاشم، وقال: إني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أُخرجوا كرهاً، ونهى أن يقتل العباس بن عبد المطلب وقال: إنه خرج مستكرهاً(٤). ولا يفسر ذلك بمحاباة من النبيّ ﷺ لبني هاشم، فقد بيّن علة ذلك بأنهم أُخرجوا كرهاً وذلك لأنهم كانوا مسلمين في الباطن ومع ذلك فقد أخذ منهم الفداء ولم يحابهم فيه، وأخذ من العباس فداء نفسه وابني أخيه وحليفه(٥) لأنه كان غنياً وكانوا فقراء ، على أن بني هاشم ـ عدىٰ أبي لهب ـ قاموا بنصرة رسول الله ﷺ في مكة وحاموا عنه فاستحقوا الجزاء.

وكذلك أوصى النبيّ ﷺ بجماعة من المشركين أن لا يقتلوا، جزاءً

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ١٨٣ .

(٢) إمتاع الأسماع ١: ١١٥ و ١١٨، السيرة النبوية لابن هشام ١: ٦٦٠ .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ١: ٦٧٦، الأنفال: ٦٧ ـ ٦٩ .

(٤) المصدر السابق ١: ٦٢٩ .

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ١٨٤ .

لإحسانهم الى المسلمين بمكة وقيامهم في نقض الصحيفة منهم أبو البختري، لكن أبا البختري قاتل فقتل[١].

وأغضبت وصاية النبيّ ﷺ ببني هاشم أبا حذيفة بن عتبة وكان مسلماً فقال: أنقتل آباءنا وإخواننا وعشائرنا ونترك العباس، والله إن لقيته لألجمنه السيف، فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنقه بالسيف فوالله لقد نافق، فلم يصغ رسول الله ﷺ الى ذلك[٢]. فأُسر يومئذٍ العباس وعقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث بن المطلب وحليف لبني هاشم اسمه عقبة بن عمرو[٣]، فلما أمسى القوم والأُسارى محبوسون في الوثاق بات رسول الله ﷺ تلك الليلة ساهراً فقال له أصحابه: ما لك لا تنام يا رسول الله ؟ قال: **سمعت أنين العباس من وثاقه ،** فقاموا إليه فاطلقوه فنام رسول الله ﷺ[٤].

ولما قدم بالأسرى الى المدينة، قال رسول الله ﷺ: **افد نفسك يا عباس وابني أخويك عقيلاً ونوفلاً وحليفك عقبة**[٥] **فإنّك ذومال**، فقال: يا رسول الله، إني كنت مسلماً، ولكن القوم استكرهوني، قال: **الله أعلم بإسلامك ، وأما ظاهر أمرك فقد كان علينا،** وقد كان أخذ منه عشرين أوقية من ذهب وجدت معه ، فقال: يا رسول الله احسبها من فدائي، قال: **ذلك شيء أعطانا الله منك**، قال: إنه ليس لي مال، قال: **فأين المال الذي وضعته عند أُم الفضل وقلت لها إن أصبت فللفضل كذا ولعبد الله كذا ولقثم كذا ؟** ثم فدى نفسه وابني أخويه وحليفه[٦].

---

(١) المغازي للواقدي ١: ٨٠، امتاع الأسماع ١: ١٠٨.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١: ٦٢٩.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ١٨٤.

(٤) المصدر السابق ١٤: ١٨٢.

(٥) في جميع المصادر «عتبة» بدل «عقبة».

(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ١٨٤، الطبقات الكبرى ٤: ١٣.

وقدم رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة أمامه يبشران الناس فجعلوا لا يصدقون، وقال المنافقون: ما جاء زيد وإلّا فلا . ثم قدم بالأسرى عليهم شقران ولقي الناس رسول الله ﷺ بالروحاء يهنئونه[١].

وكان في الأسرى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس، وكان من رجال قريش المعدودين مالاً وأمانة وتجارة، وأُمّه هالة بنت خويلد أُخت خديجة أُمّ المؤمنين فسألت خديجة رسول الله ﷺ أن يزوجه ابنته زينب وكان لا يخالفها، ففعل وذلك قبل الإسلام، فلما أكرم الله رسوله ﷺ بالنبوة آمنت به زينب وسائر بناته وبقي أبو العاص على شركه، وكان رسول الله ﷺ قد زوّج إحدى بنتيه رقية أو أُمّ كلثوم عتبة بن أبي لهب، فقالت قريش: قد فرّغتم محمّداً من همّه أخذتم عنه بناته ردوهن عليه واشغلوه بهن، فقالوا لأبي العاص: فارق بنت محمّد ونحن نزوّجك أي امرأة شئت من قريش، فأبى. فكان رسول الله ﷺ يثني عليه خيراً في صهره ، وقالوا مثل ذلك لعتبة، ففارقها قبل أن يدخل بها فأخرجها الله من يده كرامة لها وهواناً له، وكان الإسلام قد فرق بين زينب وأبي العاص لكن رسول الله ﷺ كان بمكة مغلوباً على أمره، فلما سارت قريش الى بدر سار أبو العاص معها فأُسر، فبعثت زينب في فداء بعلها بمال وكان فيما بعثت به قلادة كانت أُمّها خديجة أدخلتها بها عليه ليلة زفافها، فلما رآها رسول الله ﷺ رقّ لها رقة شديدة وقال للمسلمين: **إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردّوا عليها ما بعثت به، فقالوا: نعم يا رسول الله نفديك بأنفسنا وأموالنا، فردّوا عليها ما بعثت به وأطلقوا لها أبا العاص بغير فداء، فعاد الى مكة وبعث رسول الله ﷺ بعد بدر بشهرين زيد بن حارثة**

(١) المغازي للواقدي ١: ١١٤ ـ ١١٦ .

ورجلاً من الأنصار، فقال لهما: كونا بمكان كذا حتى تمر بكما زينب فتأتياني بها ، فيظهر من هذا أن رسول الله ﷺ كان قد اشترط على أبي العاص حين أطلقه، أو أن أبا العاص وعده ابتداء أن يحمل إليه زينب الى المدينة فجهزها أبو العاص وبعثها مع أخيه كنانة ابن الربيع في هودج نهاراً، فخرج يقود بعيرها ومعه قوسه وكنانته وتلاومت قريش في ذلك فخرجوا في طلبها سراعاً حتى أدركوها بذي طوى، فسبق إليها هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي فروّعها بالرمح وهي في الهودج، وكانت حاملاً فلما رجعت أسقطت فاهدر رسول الله ﷺ دم هبار . وبرك حموها كنانة ونثل كنانته بين يديه ووضع منها سهماً في كبد قوسه وحلف لا يدنو منها أحد إلّا وضعت فيه سهماً فكرّ الناس عنه . فقال له أبو سفيان: كف نبلك حتى نكلمك فكف ، فقال إنك لم تحسن ولم تصب خرجت بها علانية وقد عرفت مصيبتنا من محمّد فيظن الناس أن ذلك عن ذلّ منّا وما لنا في حبسها عن أبيها من حاجة ولا فيها من ثار فارجع بها حتى إذا هدأت الأصوات وتحدث الناس برجوعها اخرج بها خفية فرجع بها الى مكة، ثم خرج بها ليلاً بعد أيام حتى سلّمها الى زيد بن حارثة وصاحبه(١).

فلما كان قبيل فتح مكة خرج أبو العاص تاجراً الى الشام بمال له وأموال لقريش أبضعوه بها، فلما رجع لقيته سرية لرسول الله ﷺ فأصابوا ما معه وهرب هو فقدموا بالمال على رسول الله ﷺ، وخرج أبو العاص تحت الليل حتى قدم على زينب منزلها فاستجار بها فأجارته، وإنما قدم في طلب ماله، فلمّا كبر رسول الله ﷺ في صلاة الصبح صرخت زينب من صفة النساء: أني

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١: ٦٥١ ـ ٦٥٥.

قد أجرت أبا العاص، فلما سلم رسول الله ﷺ قـال: والذي نفس محمّد بيده! ما علمت بشيء مما كان حتى سمعتم، أنه يجير على الناس أدناهم ، وقال لزينب: أي بنية، أكرمي مثواه وأحسني قراه ولا يصلن إليك فلا تحلينّ له، ثم بعث الى السرية فقال: إن هذا الرجل منا بحيث علمتم فان تحسنوا وتردّوا عليه ماله فإنّا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فيء الله أفاءه عليكم، فقالوا: بـل نـردّه، فـردّوه حـتى الحـبل والشـنة والأداوة والشظاظ، فذهب به الى مكة وأدى الى كلّ ذي مال ماله ، ثم قال: هـل بـقي لأحد شيء؟ قالوا: لا، فجزاك الله خيراً لقد وجـدناك وفـياً كـريماً، قـال: فـإني أشهد: «أن لا إله إلّا الله وأن محمّداً رسول الله» والله ما منعني مـن الإسـلام إلّا مخافة أن تظنوا أني أردت أن آكـل أمـوالكـم ، ثـم خـرج الى المـدينة وردّ النبيّ ﷺ عليه زوجته بعد ست سنين[١].

وفي بعض الروايات أنه ردّها عليه بالنكاح الأوّل[٢]، ولا يكاد يصح لما تضافرت به الروايات من أن من أسلمت زوجته ولم يسلم قبل انقضاء العدة فقد بانت منه .

غزوة بني سليم

في السيرة الحلبية : أنه ﷺ لما قدم المدينة من بدر لم يقم إلّا سبع ليـال حتى غزا بنفسه يريد بني سليم، فلما بلغ ماء من مياههم يقال له: «الكدر» لأن به طيراً في ألوانها كدرة، فأقام ﷺ على ذلك ثلاث ليال ثم رجع الى المـدينة ولم يلق حرباً، وكان لواءه أبيض حمله عليّ بن أبي طالب...الخ[٣].

---

(١) بحار الأنوار ١٩: ٣٥٢ ـ ٣٥٤، ذخائر العقبى: ١٥٩ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١: ٦٥٧ ـ ٦٥٩ .

(٣) السيرة الحلبية ٢: ٢٠٥ .

ومرّ أن غزاة بدر كانت في السابع عشر من رمضان على رأس تسعة عشر شهراً من الهجرة فتكون هذه في الرابع والعشرين منه، ولم يذكرها ابن سعد في الطبقات، بل ذكر غزوتين أُخريين لبني سليم: إحداهما غزوة قرقرة الكدر للنصف من المحرم على رأس ثلاثة وعشرين شهراً من الهجرة، والأُخرى غزوة بني سليم ببحران في جمادى الأُولى على رأس سبعة وعشرين شهراً من الهجرة[١]، وبمقتضى اختلاف هذه التواريخ يكون له ثلاث غزوات لبني سليم كما في السيرة الحلبية[٢] وغزوتان كما في الطبقات، واحتمل بعضهم أن يكون الثلاثة غزوة واحدة، ولا وجه له .

غزوة بني قينُقاع

بضم النون وفتحها وكسرها والضم أشهر وكانت يوم السبت للنصف من شوال على رأس عشرين شهراً من الهجرة . وكان بالمدينة ثلاثة أبطن من اليهود بنو النضير وقريظة وقينقاع، وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد ومدّة، وكان بنو قينقاع حلفاء لعبد الله بن أُبي بن سلول وكانوا أشجع اليهود وكانوا صاغة فوادعوا النبيّ ﷺ، فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغي والحسد . كذا في طبقات ابن سعد[٣] .

وفي السيرة الحلبية: ان امرأة من العرب كانت زوجة لبعض الأنصار فقدمت بجلب وهو ما يجلب ليباع من إبل وغنم وغيرهما فباعته بسوق بني قينقاع، فجلست الى صائغ منهم فجعل جماعة منهم يراودونها عن كشف

(١) الطبقات الكبرى ٢: ٣١ و ٣٥.

(٢) السيرة الحلبية ٢: ٢١٣ .

(٣) الطبقات الكبرى ٢: ٢٨ ـ ٢٩ .

وجهها فأبت، فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فخاطه بشوكة الى ظهرها وهي لا تشعر، فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا منها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وشدت اليهود على المسلم فقتلوه[١].

قال ابن سعد: فأنزل الله تعالى على نبيّه: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾[٢] فسار إليهم ولواءه مع حمزة بن عبدالمطلب وهو لواء أبيض، قال: ولم تكن الرايات يومئذٍ، فحاصرهم خمس عشرة ليلة الى هلال ذي القعدة أشد الحصار ، وكانوا أوّل من غدر من اليهود وقذف الله في قلوبهم الرعب وكانوا أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع، فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ أن يخلي سبيلهم وأن يجلوا من المدينة ولهم النساء والذرّية ولرسول الله ﷺ الأموال ومنها السلاح ولحقوا بأذرعات[٣].

غزوة السويق

كانت لخمس خلون من ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهراً من الهجرة، وسببها: أن أبا سفيان بن حرب بعد وقعة بدر حرم على نفسه النساء والطيب. وقال ابن سعد[٤] حرم الدهن حتى يثأر من محمّد وأصحابه، فخرج في مائتي راكب ـ وقيل في أربعين ـ فجاءوا بني النضير ليلاً فطرقوا حيي بن أخطب ليستخبروه من أخبار رسول الله ﷺ فأبى أن يفتح لهم، وطرقوا سلام بن مشكم ففتح لهم وقراهم وسقاهم خمراً وأخبرهم من أخبار رسول الله ﷺ

---

(١) السيرة الحلبية ٢: ٢٠٨ .

(٢) الأنفال: ٥٨ .

(٣) الطبقات الكبرى ٢: ٢٩ .

(٤) المصدر السابق ٢: ٢٩ .

فلمّا كان السحر خرج أبو سفيان فمرّ بالعريض وبينه وبين المدينة نحو من ثلاثة أميال، فقتل به رجلاً من الأنصار وأجيراً له وحرق أبياتاً وتبناً ورأى أن يمينه قد حلت ثم ولى هارباً، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج في مائتي رجل من المهاجرين والأنصار في أثرهم، وجعل أبو سفيان وأصحابه يتخففون فيلقون السويق وهي عامة أزوادهم والسويق قمح أو شعير يقلّى ثم يطحن ليسف بماء أو سمن أو عسل وسمن، فجعل المسلمون يأخذونها فسميت «غزوة السويق» ولم يلحقوهم وانصرف رسول الله ﷺ الى المدينة بعد غياب خمسة أيام(١).

غزوة قرقرة الكدر

ويقال قرارة الكدر وهي أرض ملساء لبني سليم فيها طيور في ألوانها كدرة أي غبرة، و«القرقر» الأرض المستوية، وهي المكان الذي فيه هذه الطيور. وكانت للنصف من المحرم على رأس ثلاثة وعشرين شهراً من الهجرة بلغه أن بهذا الموضع جمعاً من سليم وغطفان، فسار إليهم في مائتي رجل فلم يجد أحداً وكان لواءه مع عليّ بن أبي طالب ووجد رعاء فيهم غلام يقال له: «يسار» فسأله عن الناس، فقال: لا علم لي بهم إنّما أورد الخمس وهذا يوم ربعي والناس قد ارتفعوا الى المياه ونحن عزاب في النعم، فانحدر رسول الله ﷺ بالنعم الى المدينة وكانت خمسمائة بعير فأخرج خمسها وقسّم الباقي، فأصاب كل واحد بعيران وكان غيابه خمس عشرة ليلة(٢).

---

(١) الطبقات الكبرى ٢: ٣٠.

(٢) الطبقات الكبرى ٢: ٣١، السيرة الحلبية ٢: ٢١٢.

غزوة بحران

(بفتح الموحدة وتضم) : موضع بناحية الفرع وسمّاها ابن سعد في الطبقات غزوة بني سليم، فقال: وغزوة بني سليم ببحران لست خلون من جمادى الأُولى على رأس سبعة وعشرين شهراً من مهاجره، وذلك أنه بلغه أن بها جمعاً من بني سليم كثيراً فخرج في ثلاثمائة رجل من أصحابه وأغذّ السير حتى ورد بحران فوجدهم قد تفرّقوا في مياههم، فرجع ولم يلق كيداً، وكانت غيبته عشر ليال[١].

غزوة أُحد

نأخذها من المنقول عن كتاب الواقدي[٢] ومن طبقات ابن سعد[٣] وتاريخ الطبري[٤] وسيرة بن هشام[٥] والسيرة الحلبية[٦] وارشاد المفيد[٧] والمستدرك للحاكم[٨] وغيرها من كتب السير والآثار والحديث المشهورة المعتمدة.

وكانت في شوال لسبع خلون منه، وقيل: للنصف منه يوم السبت سنة

---

(١) الطبقات الكبرى ٢: ٣٥ ـ ٣٦.

(٢) المغازي للواقدي ١: ١٩٩ ـ ٣٣٤.

(٣) الطبقات الكبرى ٢: ٣٦ ـ ٤٨.

(٤) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٥٨ ـ ٧٤.

(٥) السيرة النبوية ٢: ٦٠ ـ ١٠٠.

(٦) السيرة الحلبية ٢: ٢١٦ ـ ٢٥٦.

(٧) الإرشاد ١: ٧٨ ـ ٩٢.

(٨) المستدرك للحاكم ٣: ٢٤ ـ ٢٩.

ثلاث من الهجرة على رأس اثنين وثلاثين شهراً من مهاجره ﷺ . وأُحد جبل من جبال المدينة على نحو ميلين أو ثلاثة منها، وورد فيه عنه ﷺ :**«أن أُحداً هذا جبل يحبنا ونحبه»**[١].

وكان السبب فيها: أنه لما أصاب قريشاً يوم بدر ما أصابها ورجع من حضرها منهم الى مكة وجدوا العير التي قدم بها أبو سفيان والتي كانت وقعة بدر بسببها موقوفة في دار الندوة لم تعط لأربابها، فمشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أُمية وغيرهم من أشراف قريش ممن أُصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر الى أبي سفيان والى من كان له من قريش تجارة في تلك العير، فقالوا : يا معشر قريش إن محمّداً قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال وعلى حربه لعلناندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا ونحن طيبوا النفوس أن تجهّزوا بربح هذه العير جيشاً الى محمّد، فقال أبوسفيان: أنا أوّل من أجاب الى ذلك وبنو عبد مناف معي وكانت العير ألف بعير، فباعوا أموالها فصارت ذهباً خمسين ألف دينار فجعلوا لذلك ربح المال فقط وسلّموا لأهلها رؤوس أموالهم وكانوا يربحون في تجارتهم الدينار ديناراً، فكان ربحها خمسة وعشرين ألف دينار وكان متجرهم من الشام غزة لا يعدونها، وفيهم نزلت: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ**﴾[٢] وأرسلت قريش رسلها يسيرون في العرب يدعونهم الى نصرهم فأوعبوا . قال الواقدي :كانوا أربعة: عمرو بن العاص وهبيرة بن وهب وابن الزبعري

---

(١) السيرة الحلبية ٢: ٢١٦، البداية والنهاية ٣: ١٣٤، تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٥٩، معجم البلدان ١: ١٠٩.

(٢) الأنفال: ٣٦.

وأبا غرّة الجمحي[١].

وقال غيره كان فيهم من الشعراء أبو غرّة عمرو بن عبد الله الجمحي ومسافع بن عبد الله الجمحي، وكان أبو غرة أسر يوم بدر فمنّ عليه رسول الله ﷺ، فقال له صفوان بن أُمية: إنّك شاعر فأعنّا بلسانك ولك عليّ أن رجعت أن أُغنيك وإن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتي، فقال: إن محمّداً قد منَّ عليّ وأخذ عليّ عهداً أن لا أُظاهر عليه أحداً، قال: بلى فأعنّا بلسانك فلم يزالوا به حتى قبل، فخرج أبو غرة يسير في تهامة ويدعو بني كنانة ويحضهم بشعره، وخرج مسافع الى بني مالك بن كنانة يحرّضهم بشعره ويُذكّرهم الحلف مع قريش، ثم ظفر رسول الله ﷺ بأبي غرّة بحمراء الأسد[٢].

وقال ابن سعد: أُسر يوم أُحد ولم يأخذ أسير غيره فأمر بضرب عنقه، فقال: مُنّ عليّ يا محمّد، فقال ﷺ: **إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين لا ترجع الى مكّة تمسح عارضيك تقول سخرت بمحمّد مرّتين.** فقتل[٣]، وتألب من كانوا مع قريش من العرب وحضروا[٤].

واختلفت قريش بينها في إخراج الظعن ـ أي النساء ـ معها ليُذكّرنّهم قتلى بدر ويثرن حفائظهم ويُحرّضنّهم على القتال وعدم الهزيمة، فأشار به صفوان بن أُمية وعكرمة بن أبي جهل وعمرو بن العاص ولم يرض به نوفل بن معاوية الدؤلي، فجاء الى أبي سفيان فقال له ذلك، فصاحت هند بنت عتبة: إنّك والله سلمت يوم بدر فرجعت الى نسائك نعم نخرج فنشهد القتال، فقال

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ١٩٩، السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٦٠.

(٢) السيرة الحلبية ٢: ٢١٦، تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٥٨.

(٣) الطبقات الكبرى ٢: ٤٣.

(٤) المغازي للواقدي ١: ٢٠١.

أبوسفيان: لست أُخالف قريشاً فخرجوا بالظعن[١] وهن خمس عشرة امرأة من قريش مع أزواجهن منهن: هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان وأُمّ حكيم بنت الحارث بن هشام زوجة عكرمة بن أبي جهل وسلافة بنت سعد زوجة طلحةبن أبي طلحة، فقُتل زوجها وأربعة أولاد لها، وريطة بنت منبه بن الحجاج زوجة عمروبن العاص، وخناس بنت مالك مع ابنها أبي عزيز بن عمير، وكان ابنها مصعب بن عمير مع المسلمين فقُتل، وعمرة بنت الحارث الكنانية[٢] زوجة غراب بن سفيان وهي التي رفعت لواء قريش حين سقط حتى تراجعت قريش الى لوائها[٣]، وفيها يقول حسان:

ولولا لواء الحــــارثية أصــبحوا يباعون فيالأسواق بالثمنالبخس[٤]

وخرج جماعة غير هؤلاء بنسائهم وتجهّزت قريش بأحابيشها[٥] ومن والاها من قبائل كنانة وأهل تهامة.

فلمّا أجمعوا على المسير كتب العباس بن عبد المطلب الى النبيّ ﷺ كتاباً يخبره بذلك ويذكر له عددهم واستعدادهم، وأرسله مع رجل أستاجره من بنيغفار وشرط، عليه أن يأتي المدينة في ثلاثة أيام، ففعل ووجد النبيّ ﷺ

(١) الظعن جمع ظعينة: وهي المرأة في الهودج. لسان العرب ١٣: ٢٧١ [مادة: ظعن].

(٢) سيأتي إنها عمرة بنت علقمة الحارثية، والظاهر إنها عمرة بنت علقمة بن الحارث الكنانية، فتارة نسبت الى جدها وقبيلتها، فقيل: عمرة بنت الحارث الكنانية، والنسبة الى الجد كثيرة؛ وتارة أُضيفت الى أبيها وجدها وتركت النسبة للقبيلة، فقيل: عمرة بنت علقمة الحارثية. (المؤلّف)

(٣) المغازي للواقدي ١: ٢٠١ ـ ٢٠٣، السيرة الحلبية ٢: ٢١٧.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٧٩.

(٥) الأحابيش الذين حالفوا قريشاً وهم بنو المصطلق وبنو الهرن ابن خزيمة، اجتمعوا عند حبشي ـ جبل بأسفل مكة ـ وتحالفوا على أنهم مع قريش يداً واحدة على غيرهم ما سجى ليل ووضح نهار، وما رسا حبشي مكانه فسموا أحابيش باسم الجبل، وقيل: سموا بذلك لتحبشهم وتجمعهم. (المؤلّف)

بقبا على باب المسجد، فدفع إليه الكتاب فقرأه عليه أبي بن كعب فاستكتم أُبياً ودخل منزل سعد بن الربيع، فقال: أفي البيت أحد؟ قال: لا، فأخبره واستكتمه، فقال: والله إني لأرجو أن يكون في ذلك خير، فلما خرج قالت له امرأته: ما قال لك رسول الله ﷺ ؟ قال: ما لك ولذلك لا أُمّ لك؟ قالت: كنت استمع عليكم وأخبرته الخبر فاسترجع وأخذ بيدها ولحقه ﷺ فأخبره خبرها وقال: خفت أن يفشو الخبر فترى أني أنا المفشي له، فقال: خل عنها . وأرجفت يهود المدينة والمنافقون وقالوا ما جاء محمّداً شيء يحبه وشاع الخبر في الناس بمسير قريش [١].

وكان رجل من الأوس من رؤسائهم يكنى أبا عامر وكان يسمى في الجاهلية الراهب لزهده واسمه عبد عمرو[٢] وقيل: عمرو بن صيفي[٣]، خرج من المدينة حين دخلها النبيّ ﷺ في خمسين وقيل: في سبعين رجلاً[٤] من قومه الى مكّة يحرضهم ويعلّمهم أنهم على حقّ وما جاء به محمّد باطل، فسمّاه رسول الله ﷺ أبا عامر الفاسق، فلما سارت قريش الى بدر لم يسرّ معها فلما سارت الى أُحد سار معها بالخمسين أو السبعين الذين معه وكان يمني قريشاً نصرة قومه فلم يفعلوا[٥]، وهو والد حنظلة غسيل الملائكة المقتول مع المسلمين بأُحد[٦] يُخرج الحي من الميت!

---

(١) المغازي للواقدي ١: ٢٠٣ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٦٧ .

(٣) الاستيعاب ١: ٤٣٢ .

(٤) السيرة الحلبية ٢: ٢١٨ .

(٥) المغازي للواقدي ٢: ٢٠٦ .

(٦) السيرة النبوية بهامش السيرة الحلبية لزيني دحلان ٢: ٢١ .

وخرجت قريش بحدها وجدها وقائدها أبو سفيان بن حرب[١]، وكانوا مع من انضم إليهم ثلاثة آلاف رجل معهم مائتا فرس قد جنبوها، وثلاثة آلاف بعير وفيهم سبعمائة دارع والظعن خمس عشرة امرأة، وخرجوا بعدة وسلاح كثير . فساروا حتى أتوا الأبواء الموضع الذي فيه قبر آمنة أُمّ النبيّ ﷺ فأرادوا نبش قبرها، أشارت بذلك هند بنت عتبة، فمنع منه ذوو الرأي منهم وقالوا: لو فعلنا نبشت بنو بكر وخزاعة موتانا عند مجيئهم[٢] وكانوا حلفاء رسول الله ﷺ.

وساروا حتى نزلوا مقابل المدينة بذي الحليفة وهو ميقات أهل المدينة الذي يحرمون منه وذلك في يوم الخميس لخمس مضين من شوال صبيحة عشر من مخرجهم من مكة، فرعوا زروع أهل المدينة يوم الخميس، فلما أمسوا جمعوا الإبل وقصلوا عليها وقصلوا على خيولهم ليلة الجمعة، فلما أصبحوا يوم الجمعة خلوا ظهرهم وخيلهم في الزرع حتى تركوا العرض ليس به خضراء، وبعث رسول الله ﷺ ليلة الخميس عينين له أنساً ومؤنسا ابني فضالة الظفرين، فاعترضا لقريش بالعقيق فسار معهم حتى نزلوا فأتوه بخبرهم وأنهم خلوا إبلهم وخيلهم في الزرع الذي بالعريض حتى تركوه ليس به خضراء، فلمّا نزلوا بعث الحباب بن المنذر بن الجموح إليهم سراً وقال له: إذا رجعت فلا تخبرني بين الناس إلّا أن ترى فيهم قلة ، فذهب حتى دخل بينهم وحزرهم ونظر الى جميع ما يريد ورجع فأخبره خالياً وقال: حزرتهم ثلاثة آلاف يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً والخيل مائتي فرس، ورأيت

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٦١.

(٢) المغازي للواقدي ١: ٢٠٣، ٢٠٦. السيرة الحلبية ٢: ٢١٨.

دروعاً ظاهرة أي فوق الثياب حزرتها سبعمائة ، فقال ﷺ: **لا تذكر من شأنهم حرفاً، حسبنا الله ونعم الوكيل، اللهم بك أحول وبك أُصول.**

وباتت وجوه الأوس والخزرج، سعد بن معاذ وأُسيد بن حضير وسعد بن عبادة ليلة الجمعة وعليهم السلاح في المسجد بباب رسول الله ﷺ حتى أصبحوا خوفاً من تبييت المشركين ، وحُرست المدينة تلك الليلة، فلما كان الصباح صعد النبيّ ﷺ المنبر وقال: **رأيت البارحة في منامي أني أدخلت يدي في درع حصينة ورأيت بقراً تذبح ورأيت في ذباب سيفي ثلماً وأني أردفت كبشاً، وأولتها : أما الدرع الحصينة فالمدينة، وأما البقر فناس من أصحابي يقتلون، وأما الثلم فرجل من أهل بيتي يقتل[1]، وأما الكبش فكبش الكتيبة يقتله الله[2]. فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها فأنا أعلم بها منهم، وكانوا قد شبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية فهي كالحصن.** فكان رأي رسول الله ﷺ أن لا يخرج من المدينة لهذه الرؤيا فأحب أن يوافق على رأيه، فاستشار أصحابه في الخروج فأشار عليه عبد الله بن أُبي بن سلول أن لا يخرج، فقال: يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج فوالله ما خرجنا منها الى عدو لنا قط، إلّا أصاب منا ولا دخلها، إلّا أصبنا منه، فدعهم يا رسول الله فإن أقاموا أقاموا بشر مجلس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم الصبيان بالحجارة من ورائهم، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا . وكان ذلك رأي كبار المهاجرين والأنصار .

وقال رجال ـ غالبهم فتيان أحداث لم يشهدوا بدراً وفيهم بعض

---

(١) فكان عمه حمزة. (المؤلّف)

(٢) وكان ذلك طلحة ابن أبي طلحة وكان يسمى كبش الكتيبة قتله عليّ بن أبي طالب،كما ستعرف. (المؤلّف)

الشيوخ ـ : أُخرج بنا الى أعدائنا لا يرون أنا جبنّا عنهم والله لا تطمع العرب في أن تدخل علينا منازلنا . وقال أويس بن أوس من بنى عبد الأشهل : إنّي يا رسول الله لا أُحب أن ترجع قريش الى قومها فتقول حصرنا محمّداً في صياصي يثرب وآطامها فتكون هذه جرأة لقريش وقد وطئوا سعفنا، فإذا لم نذب عن عرضنا فلم ندرع وقدكنا يا رسول الله في جاهليتنا والعرب يأتوننا فلا يطمعون بهذا منا حتى نخرج إليهم بأسيافنا فنذبهم عنا، فنحن اليوم أحقّ إذ أمدنا الله بك وعرفنا مصيرنا لا نحصر أنفسنا في بيوتنا.

وقام خيثمة أبو سعد بن خيثمة، وكان شيخاً كبيراً قتل ابنه سعد ببدر، فقال يا رسول الله، إن قريشاً مكثت حولاً تجمع الجموع وتستجلب العرب في بواديها ثم جاءونا قد قادوا الخيل وامتطوا الإبل حتى نزلوا بساحتنا فيحصرونا في بيوتنا وصياصينا ثم يرجعون وافرين لم يكلموا، فيجرأُهم ذلك علينا مع ما قد صنعوا بحروثنا وتجترئ علينا العرب حولنا حتى يطمعوا فينا إذا رأونا لم نخرج إليهم، فنذبهم عن حريمنا وعسى الله أن يظفرنا بهم، فتلك عادة الله عندنا أو تكون الأُخرى فهي الشهادة، لقد أخطأتني وقعة بدر وكنت عليها حريصاً، لقد بلغ من حرصي أني ساهمت ابني في الخروج فخرج سهمه فرزق الشهادة... الى آخر كلامه[١]. كل ذلك ورسول الله ﷺ كاره للخروج، فلم يزالوا به حتى وافق عليه.

أقول: وذلك لأنه رأى المصلحة في الموافقة لكونه رأي الأكثر، وإن كانت المصلحة من جهة أُخرى في الاقامة.

فصلّى الجمعة بالناس ثم وعظهم وأمرهم بالجد والجهاد، وأخبرهم أن

---

(١) المغازي للواقدي ١: ٢٠٦ ـ ٢١٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ٢٢٣ ـ ٢٢٤.

النصر لهم ما صبروا وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم فـفرح النـاس بـالشخوص، ثـم صلّى بهم العصر وقد حشدوا وحضر أهل العوالي، وقد مات رجل من الأنصار يقال له: «مالك بن عمرو» من بني النجار فصلّى عـليه[١] ، ثـم دخـل مـنزله وصَفّ الناس له ينتظرون خروجه فقال لهم سعد بن معاذ وأُسيد بن حضير: استكرهتم رسول الله ﷺ على الخروج فردّوا الأمر إليه، وخرج رسول الله ﷺ وقد تعمم ولبس لامته وظاهر بين درعين وأظهر الدرع وحزم وسطها بمنطقة من أدم من حمائل سيفه، وتقلد السيف وتنكب القـوس وألقـى التـرس فـي ظهره[٢] وقد ندم الناس فقالوا: يا رسول الله استكرهناك ولم يكن ذلك لنا فإن شئت فاقعد، فقال: ما ينبغي لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل[٣].

واستخلف على المدينة ابن أُمّ مكتوم على الصـلاة، ودعـا بـثلاثة رمـاح وعقد ثلاثة ألوية: لواء المهاجرين بيد عليّ بن أبي طالب، ولواء الأوس بـيد أُسيد بن حضير، ولواء الخزرج بيد الحباب بن المـنذر، وقـيل بـيد سـعد بـن عبادة[٤].

وركب ﷺ فرسه وأخذ بيده قناة زجّـها فـي شـبه وخـرج فـي ألف مـن أصحابه[٥] فيهم مائة دارع ومعهم فرسان: فرس لرسول الله ﷺ وفرس لأبـي بردة بن نبار، والظاهر أنهم خرجوا مشاة، هكذا ذكر الطبري[٦] وغيره أنه كان معهم فرسان، ولكنه ذكر بعد ذلك ـ كما يأتي ـ أنه أمر الزبير على الخيل ومعه

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٦٢.

(٢) السيرة الحلبية ٢: ٢١٩.

(٣) المغازي للواقدي ١: ٢١٣ ـ ٢١٤.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ٢٢٦، الطبقات الكبرى ٢: ٣٩، المغازي للواقدي ١: ٢١٥.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٦٣.

(٦) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٦٠، المغازي للواقدي ١: ٢١٥، عيون الأثر ١: ٤١٢.

المقداد وبعثه وقال: **استقبل خالداً فكن بازائه، وأمر بخيل أُخرى فكانوا من جانب آخر**[١]، وهو صريح في أنه كان معهم عدة خيول . وخرج السعدان أمامه يعدوان: سعد بن معاذ وسعد بن عبادة والناس عن يمينه وشماله، فلما انتهى الى رأس الثنية التفت فنظر الى كتيبة خشاء لها زجل خلفه، فقال: **ما هذه؟** قيل: حلفاء ابن أُبي من اليهود، فقال: **لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك، فرجعت** . ومضى حتى أتى الشيخين وهما أُطُمان[٢] كانا في الجاهلية فيهما شيخ أعمى وعجوز عمياء يهوديان يتحدثان، فسمى الأطمأن «الشيخين» فعرض عسكره بالشيخين، فرد غلماناً استصغرهم منهم عبد الله بن عمر وزيد بن ثابت وأُسامة بن زيد والنعمان بن بشير وزيد بن أرقم والبراء بن عازب وعرابة بن أوس، الذي يقول فيه الشماخ :

رأيت عرابة الأوسي يسمو الى الخيرات منقطع القرين
إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين[٣]

وأبو سعيد الخدري وسمرة بن جندب ورافع بن خديج فقيل له: إن رافعاً رام، قال رافع: فجعلت أتطاول وعليَّ خفان لي، فأجازني رسول الله ﷺ ، فقال سمرة بن جندب لزوج أُمّه مُريّ بن سنان: يا أبة، أجاز رسول الله ﷺ رافعاً وردّني وأنا أصرعه، فقال: يا رسول الله، رددت ابني وأجزت رافعاً وابني يصرعه، فقال ﷺ: **تصارعا! فصرعه سمرة فأجازه** .

وفرغ رسول الله ﷺ من عرض الجيش وغابت الشمس فأذّن بلال

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٦٢ .

(٢) تثنية أُطم ـ بضم الهمزة ـ وسكون الطاء، أو بضمها ـ وهو الحصن. (المؤلّف)

(٣) عيون الأثر ٢: ١٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ٢٢٧ .

بالمغرب ثم العشاء، فصلّى بهم النبيّ ﷺ وبات هناك ورسول الله ﷺ نازل في بني النجار، واستعمل على الحرس محمّد بن مسلمة في خمسين رجلاً يطيفون بالعسكر، وقام ذكوان بن عبد القيس يحرس رسول الله ﷺ تلك الليلة فلما كان السحر أدلج رسول الله فحانت صلاة الصبح بالشوط، حائط ـ أي بستان ـ بين المدينة وأُحد، فأذّن بلال وصلّى بأصحابه صفوفاً[١]، ومن ذلك المكان انخزل عبد الله بن أُبي بن سلول ومن معه من أهل النفاق وهم ثلثمائة[٢]، وهو يقول: عصاني وأطاع الولدان ومن لا رأي له سيعلم: ما ندري علا مَ نقتل أنفسنا؟ ارجعوا أيها الناس[٣] فرجعوا، فبقي رسول الله ﷺ في سبعمائة[٤] ، وتبعهم عبداللهبن عمروبن حزام والد جابر بن عبد الله ،وكان في الخزرج كعبدالله ابنأُبي من رؤسائهم يقول : يا قوم، أُذكركم الله أن تخذلوا قومكم ونبيكم وقد شرطتم له أن تمنعوه مما تمنعون منه أنفسكم وأولادكم ونساءكم، فقال ابن أُبي مخادعة واستهزاء! ما أرى أنه يكون بينهم قتال وإن أطعتني يا أبا جابر لترجعن، فلمّا أبوا ودخلوا أزقة المدينة قال لهم: أبعدكم الله! إن الله سيغني النبيّ والمؤمنين عن نصركم ورجع يركض، فلما أُصيب أصحاب رسول الله ﷺ سرّ ابن أُبي وأظهر الشماتة[٥] ، ولما رجع ابن أُبي بمن معه اختلفت طائفتان من الأنصار بينهم وهما بنو حارثة من الأوس وبنو سلمة من الخزرج، قالت إحداهما: نقتلهم وخالفتها الأُخرى، فنزلت[٦] ﴿فَمَا لَكُمْ فِي

---

(١) المغازي للواقدي ١: ٢١٥ ـ ٢١٩ .

(٢) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٦٠ .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ١: ٦٤ .

(٤) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٦٠ .

(٥) المغازي للواقدي ١: ٢١٩ .

(٦) أسباب النزول للواحدي: ١١٢، جامع البيان ٤: ١٩٤ .

ٱلْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾[١] وقيل: لما رأى بنو سلمة وبنو حارثة ابن أُبي قد خذل هموا بالانصراف وكانوا جناحين من العسكر ثم عصمهما الله، فنزلت[٢] ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا...الآية﴾[٣].

وسار رسول الله ﷺ من الشوط فقال: **من يدلنا على الطريق ويخرجنا على القوم من كثب؟**. فقال أبو حثمة الحارثي: أنا يا رسول الله، فسلك بهم في بني حارثة ثم أُخذ في الأموال، حتى مر بحائط مربع بن قيظي وكان أعمى البصر منافقاً، فقام يحثو التراب في وجوه المسلمين ويقول: إن كنت رسول الله فلا تدخل حائطي فلا أُحلّه لك، وأخذ حفنة من تراب وقال: والله لو أعلم أني لا أُصيب بها غيرك يا محمّد لضربت بها وجهك، فضربه سعد بن زيد الأشهلي بقوس في يده فشجه في رأسه وأرادوا قتله، فقال ﷺ: **دعوه فإنه أعمى البصر أعمى القلب**[٤]، فغضب له بعض بني حارثة فأجابه أُسيد بن حضير فنهاهم النبيّ ﷺ عن الكلام فأسكتوا.

ومضى رسول الله ﷺ، فبينما هو في مسيره إذ ذب فرس أبي برده بن نيار بذنبه فأصاب كلاب سيفه فسلّه، فقال ﷺ: يا صاحب السيف، شم سيفك فإني أخال السيوف ستسلّ اليوم فيكثر سلّها، وكان ﷺ يحب الفال ويكره الطيرة.

ولبس ﷺ من الشيخين درعاً واحداً حتى انتهى الى أُحد فلبس درعاً أُخرى ومغفراً وبيضة فوق المغفر، فلما نهض من الشيخين زحف المشركون

---

(١) النساء: ٨٨.

(٢) المغازي للواقدي ١: ٣١٩.

(٣) آل عمران: ١٢٢.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٦٥.

على تعبية، وجعل رسول الله ﷺ أُحداً خلف ظهره واستقبل المدينة، وأقبل المشركون فاستدبروا المدينة في الوادي واستقبلوا أُحداً وصفوا صفوفهم، واستعملوا على الميمنة خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل ولهم مجنّبتان(١) مائتا فرس مائة في الميمنة ومائة في الميسرة، وجعلوا على الخيل صفوان بن أُمية ـ ويقال عمروبن العاص ـ وعلى الرماة عبد الله بن أبي ربيعة وكانوا مائة رام، ودفعوا اللواء الى طلحة بن أبي طلحة واسم أبي طلحة عثمان من بني عبد الدار لأن لواء قريش كان لهم في الجاهلية لا يحمله غيرهم، وصاح أبو سفيان : «يا بني عبد الدار! نحن نعرف أنكم أحق باللواء منا وإنما أتينا يوم بدر من اللواء، وإنما يؤتى القوم من قبل لوائهم فالزموا لواءكم وحافظوا عليه أو خلّوا بيننا وبينه»، يحرّضهم بذلك على القتال ، فغضبت بنوعبد الدار وقالوا: نحن نُسلّم لواءنا لاكان هذا أبداً، فقال أبو سفيان: فنجعل لواء آخر، قالوا: نعم ولا يحمله إلّا رجل من بني عبد الدار، لاكان غير ذلك أبداً(٢).

وعبّأ رسول الله ﷺ أصحابه وجعل ميمنة وميسرة، وجعل يمشي على رجليه يسوي الصفوف ويبوئ أصحابه مقاعد للقتال ، يقول تقدّم يا فلان وتأخّر يا فلان حتى أنه ليرى منكب الرجل خارجاً فيؤخره فهو يقوّمهم كما تقوّم القداح، فلما استوت الصفوف سأل من يحمل لواء المشركين؟ قيل: بنوعبد الدار ، قال نحن أحق بالوفاء منهم وكان اللواء مع عليّ عليه السلام فأعطاه مصعب بن عمير(٣) لأنه من بني عبد الدار(٤) فلما قتل مصعب ردّه

(١) المجنّبتان من الجيش: ميمنته وميسرته. المنجد: مادة: «جنب».

(٢) المغازي للواقدي: ٢١٨ ـ ٢٢١ .

(٣) المصدر السابق.

(٤) دلائل النبوة ٣: ٢٢٦ .

الى عليّ عليه السلام .

قال المفيد :كانت راية رسول الله صلى الله عليه وآله في هذه الغزاة بيد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام كماكانت بيده يوم بدر ثم صار اللواء إليه فكان صاحب الراية واللواء جميعاً... الخ[١]. والراية هي العلم الأكبر واللواء دونها، في المصباح المنير[٢]: لواء الجيش علمه وهو دون الراية...الخ[٣].

ويأتي في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام زيادة على هذا في أمر الراية واللواء.

ووقف النبيّ صلى الله عليه وآله تحت راية الأنصار وفيه من السياسة وحسن التدبير ومعرفة الحقّ لأهله ما لا يخفى، قال الطبري: وأمر الزبير على الخيل ومعه يومئذٍ المقداد بن الأسود الكندي، وخرج حمزة بالجيش بين يديه وأقبل خالدبن الوليد على خيل المشركين ومعه عكرمة بن أبي جهل، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله الزبير وقال استقبل خالد بن الوليد فكن بإزائه حتى أُوذنك، وأمر بخيل أُخرى فكانوا من جانب آخر وقال لا تبرحن حتى أُوذنكم...الخ[٤]. وهذا ينافي ما مرّ أنه لم يكن معه صلى الله عليه وآله غير فرسين.

وأرسل أبو سفيان الى الأنصار يقول: خلّوا بيننا وبين ابن عمّنا فننصرف عنكم فلا حاجة لنا الى قتالكم، فردّوا عليه ما يكره[٥].

وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله الرماة خلف العسكر على جبل هناك عند فم الشعب وكانوا خمسين رجلاً، وأمّر عليهم عبد الله بن جبير، وقال إنضح الخيل عنّا بالنبل

---

(١) الإرشاد ١: ٧٨.

(٢) المصباح المنير للفيومي ٢: ٥٦١.

(٣) هذا لا ينافي ما يظهر من القاموس وغيره من كتب اللغة من اتحاد الراية واللواء، فإنه مبني على ما تعارف بين اللغويين من التفسير بالأعم. (المؤلّف)

(٤) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٦٢.

(٥) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٦٤، السيرة الحلبية ٢: ٢٢٣.

لا يأتوننا من خلفنا فإن الخيل لا تقدم على النبل وأثبت مكانك إن كانت لنا أو علينا[١]، فإنّا لا نزال غالبين ما مكثتم مكانكم[٢]. وفي رواية: إن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا، وإن رأيتمونا تقتل فلا تنصرونا[٣]، وفي أُخرى : إن رأيتمونا قد هزمناهم حتى أدخلناهم مكة فلا تبرحوا من هذا المكان وإن رأيتموهم قد هزمونا حتى أدخلونا المدينة فلا تبرحوا والزموا مراكزكم...الخ[٤].

ومنه يعلم كيف بالغ النبيّ ﷺ في إيصائهم بعدم إخلاء مراكزهم غاية المبالغة، وما في ذلك من التدبير الحربي العظيم، وكيف كانت المصيبة العظمى يوم أُحد بسبب مخالفتهم النبيّ ﷺ ، ولولا ذلك لتمت لهم النصرة على المشركين .

ثمّ إنّه ﷺ قام فخطب الناس خطبة اقتصرنا منها على ما له علاقة بالحرب فقط، فقال : أيها الناس، أُوصيكم بما أوصاني به الله في كتابه من العمل بطاعته والتناهي عن محارمه، أنكم اليوم بمنزل أجر وذخر لمن ذكر الذي عليه ثم وطن نفسه على الصبر واليقين والجد والنشاط، فإن جهاد العدو شديد، شديد كربه قليل من يصبر عليه إلّا من عزم له على رشده، أن الله مع من أطاعه وأن الشيطان مع من عصاه، فاستفتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد والتمسوا بذلك ما وعدكم الله، وعليكم بالذي آمركم به فإني حريص على رشدكم، أن الاختلاف والتنازع والتثبيط من أمر العجز والضعف وهو مما لا يحبّه الله ولا يعطي عليه النصر والظفر، والمؤمن من المؤمن كالرأس من الجسد إذا اشتكى تداعى عليه

---

(١) البداية والنهاية ٤: ١٧ .

(٢) بحار الأنوار ٢٠: ٢٥، السيرة الحلبية ٢: ٢٢٢ .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ٢٣٩، السيرة الحلبية ٢: ٢٢٢.

(٤) تفسير القمّي ١: ١١٢، السيرة الحلبية ٢: ٢٢٢.

سائر الجسد، والسلام عليكم[١].

وأخرج ﷺ سيفاً مكتوباً في إحدى صفحتيه :

في الجبن عار وفي الإقبال مكرمة والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

وقال: من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام جماعة فلم يعطه لهم، فقام أبودجانة الأنصاري فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: تضرب به في وجه العدو حتى ينحني قال: أنا آخذه بحقه، فدفعه إليه وكان يختال عند الحرب، فقال ﷺ: إنها لمشية يبغضها الله إلّا في هذا الموطن[٢].

وجعلت هند ومن معها من نساء المشركين قبل أن يلتقي الجمعان يقفن أمام صفوف المشركين يضربن بالطبول والدفوف ثم يرجعن الى مؤخر الصف حتى إذا دنوا من المسلمين تأخر النساء فقمن خلف الصفوف، وكلّما ولّى رجل حرّضنْه وذكّرنْه قتلى بدر[٣]، وهند تقول وهي ومن معها يضربن بالطبول والدفوف خلف الصفوف :

نحن بنات طارق نمشي على النمارق
مشي القطا البوارق المسك في المفارق
والدرّ في المخانق إن تقبلوا نعانق
أوتدبروا نفارق فراق غير وامق[٤]

وفي لسان العرب، عن ابن بري: إن الشعر لهند بنت بياضة بن رباح بن طارق الأيادي قالته يوم أُحد تحض على الحرب، وهو قولها : نحن

(١) المغازي للواقدي ١: ٢٢١ ـ ٢٢٣ .

(٢) السيرة الحلبية ٢: ٢٢٢ ـ ٢٢٣.

(٣) المغازي للواقدي ٢: ٢٢٣ .

(٤) الكامل في التاريخ ٢: ١٠٦ .

بنات طارق[١].

وأوّل من انشب الحرب بينهم أبو عامر الراهب، طلع في خمسين من قومه معه عبيد قريش، فنادى بالأوس، قال: أنا أبو عامر، قالوا: لا مرحباً بك ولا أهلاً يا فاسق! قال لقد أصاب قومي بعدي شر فتراموا بالحجارة والسهام هم والمسلمون، ثم ولى أبو عامر وأصحابه . ثم دنا القوم بعضهم من بعض والرماة يرشقون خيل المشركين بالنبل فترجع .

وبرز طلحة بن أبي طلحة صاحب لواء المشركين، فصاح: من يبارز؟ فبرز إليه عليّ بن أبي طالب عليه السلام فبدره عليّ بضربة على رأسه فمضى السيف حتى فلق هامته إلى أن انتهى الى لحيته فوقع، وفي رواية: تأتي إن علياً ضربه على فخذيه فقطعهما فسقط وانصرف عليّ عليه السلام ، فقيل له: هلّا دففت عليه؟ فقال: إنه لما صرع استقبلني بعورته فعطفتني عليه الرحم، وقد علمت أن الله سيقتله هو كبش الكتيبة ـ يشير الى رؤيا النبيّ ﷺ المتقدمة ـ . فلما قتل طلحة سر رسول الله ﷺ وكبّر تكبيراً عالياً وكبّر المسلمون، ثم شدّ أصحاب رسول الله ﷺ على كتائب المشركين حتى انتقضت صفوفهم[٢] .

وفي كيفية قتله روايات أُخر تأتي في سيرة عليّ عليه السلام إن شاء الله وفي ترتيب أسماء من أخذ اللواء بعد طلحة وعددهم ومن قتلهم بعض الاختلاف بين المؤرخين، لكنهم اتفقوا على أن طلحة قتله عليّ بن أبي طالب .

وقد أغرب الدكتور محمّد حسين هيكل في كتابه «حياة محمّد» في هذا المقام، فذكر أن طلحة قتله حمزة، مع اتفاق من رأينا كلامهم من المؤرخين

(١) لسان العرب لابن منظور ١٠: ٢١٧ [مادة: طرق].

(٢) المغازي للواقدي ١: ٢٢٣، ٢٢٥ ـ ٢٢٦ .

على أنه قتله عليّ عليه السلام[١] ثم إنه لم يأت على ذكر عليّ في هذا المقام أصلاً، ونسب انهزام المشركين الى قتال حمزة وأبي دجانة، مع أنك ستعرف أن انهزامهم بقتل طلحة الذي قتله عليّ وقتل أصحاب اللواء كلهم على أصح الروايات، ثم استمر على عدم ذكر عليّ بشيء حتى ذكر أمر الهزيمة، فقال: وكان أكبر هم كل مسلم أن ينجو بنفسه إلّا من عصم الله من أمثال عليّ بن أبي طالب[٢] فساواه بغيره، مع أن الحق الذي لا يرتاب فيه أنه لم يكن له مماثل واحد فضلاً عن أمثال. ثم لم يذكر لعلي أثراً غير ذلك، سوى أنه أسرع الى النبيّ صلى الله عليه وآله لما وقع في الحفرة التي حفرها أبو عامر، فأخذ بيده ورفعه طلحة[٣] .

ثم ذكر أنه كان حول النبيّ صلى الله عليه وآله جماعة وعدّ منهم عليّ بن أبي طالب[٤] غير مميز له بشيء ومسدلاً الستر على مميزاته وخصائصه التي انفرد بها في تلك الوقعة، مساوياً له بمن لا يساويه ولا يدانيه.

قال الواقدي: ثم حمل لواء المشركين بعد طلحة أخوه عثمان بن أبي طلحة، وقال:

إن علىٰ ربّ اللواء حقاً — أن تخضب الصعدة أو يندقا

فتقدّم باللواء والنسوة خلفه يحرضن ويضربن بالدفوف، فحمل عليه حمزة بن عبد المطلب فضربه بالسيف على كاهله فقطع يده وكتفه حتى انتهى الى مؤزره، فبدا سحره ـ أي رئته ـ ورجع فقال: أنا ابن ساقي الحجيج.

---

(١) حياة محمّد: ٢٦٠.

(٢) المصدر السابق: ٢٦٤.

(٣) المصدر السابق: ٢٦٥.

(٤) المصدر السابق: ٢٦٦.

ثم حمل اللواء أخوهما أبو سعد أو أبو سعيد بن أبي طلحة، فرماه سعد بن أبي وقاص فأصاب حنجرته فأدلع لسانه فقتله، قال سعد : وأخذت سلبه درعه، فنهض الى سبيع بن عبد عوف ونفر معه فمنعوني، وكان أجود سلب رجل من المشركين: درع فضفاضة ـ أي واسعة ـ ومغفر وسيف جيد، ولكن حيل بيني وبينه[١].

قال ابن أبي الحديد: شتان بين عليّ وسعد! هذا يجاحش على السلب ويتأسف على فواته، وذلك يقتل عمروبن عبد ود يوم الخندق وهو فارس قريش وصنديدها، ومبارزه، فيعرض عن سلبه فيقال له: كيف تركت سلبه وهو أنفس سلب! فقال: كرهت أن أبزّ السلب ثيابه، فكأن حبيباً عناه بقوله:

إن الأُسود أُسود الغاب همّتها　　يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

ثم حمل لواء المشركين بعد أبي سعد مسافع بن طلحة بن أبي طلحة، فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح فقتله، فنذرت أُمّه سلافة وكانت مع النساء أن تشرب في قحف رأس عاصم الخمر، وجعلت لمن جاءها به مائة من الإبل، فلما قتله المشركون يوم الرجيع أرادوا أن يأخذوا رأسه فيحملوه الى سلافة فحمته الدبر يومه ذلك فتركوه الى الليل لظنهم أن الدبر لا تحميه ليلاً فجاء سيل عظيم فذهب برأسه وبدنه. اتفق على ذلك المؤرخون[٢].

ثم حمله أخوه الحارث بن طلحة بن أبي طلحة فرماه عاصم بن ثابت فقتله ثم حمله أخوهما كلاب بن طلحة بن أبي طلحة فقتله الزبير بن العوام[٣] . وقال ابن الأثير: قتله عاصم بن ثابت[٤] ثم حمله أخوهم

(١) المغازي للواقدي ١: ٢٢٦ ـ ٢٢٧ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ٢٣٧ .

(٣) الطبقات الكُبرى ٢: ٤١.

(٤) الكامل في التاريخ ٢: ١٠٨ .

الجلاس بن طلحة بن أبي طلحة فقتله طلحة بن عبيد الله .

ثم حمله أرطأة بن شرحبيل فقتله عليّ بن أبي طالب، ثم حمله شريح بن قارظ ـ أو فارط ـ بن شريح بن عثمان بن عبد الدار ـ ويروي قاسط، بالسين والطاء المهملتين ـ فقتل، قال الواقدي: لا يدرى من قتله[١]، وقال البلاذري: قتله عليّ بن أبي طالب[٢].

ثم حمله غلام لهم اسمه صواب فقتله عليّ بن أبي طالب، فسقط اللواء، فلم يزل مطروحاً حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته لقريش فلاذوا به[٣].

وفي إرشاد المفيد، بسنده الآتي عن ابن مسعود: إن الذي أخذ اللواء بعد طلحة أخ له يقال له: «مصعب» فرماه عاصم بن ثابت بسهم فقتله، ثم أخذه أخ له يقال له: «عثمان» فرماه عاصم أيضاً بسهم فقتله، فأخذه عبد لهم يقال له: «صواب» وكان من أشدّ الناس فضربه عليّ عليه السلام على يده فقطعها، فأخذ اللواء بيده اليسرى فضربه عليّ عليه السلام على يده اليسرى فقطعها، فأخذ اللواء على صدره وجمع يديه وهما مقطوعتان عليه، فضربه عليّ عليه السلام على أُمّ رأسه فسقط صريعاً... الخ[٤].

هذا، ولكن الطبري روى ما يدل على أن الذي قتل أصحاب الألوية هو عليّ بن أبي طالب . قال: حدّثنا أبو كريب حدّثنا عثمان بن سعيد، حدّثنا

---

(١) المغازي للواقدي ١: ٢٢٨ .

(٢) أنساب الأشراف ١٠: ٤٠٧ .

(٣) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ١٩٧، البداية والنهاية ٤: ٢٥، السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٥٩٦، في كل هذه المصادر المذكورة: بدل «فلاذوا به» «فلاثوا به» أي اجتمعوا حوله والتفوا به.

(٤) الإرشاد ١: ٨١.

حبان بن عليّ، عن محمّد بن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، عن جده قال: لما قتل عليّ بن أبي طالب أصحاب الألوية بصر رسول الله ﷺ جماعة من المشركين فقال لعلي: احمل عليهم، فحمل عليهم ففرّق جمعهم وقتل عمرو بن عبد الله الجمحي، ثم أبصر ﷺ جماعة من المشركين فقال لعلي: احمل عليهم، فحمل عليهم ففرّق جماعتهم وقتل شيبة بن مالك أحد بني عامر بن لؤي[١].

وفي إرشاد المفيد : روى الحسن بن محبوب، حدّثنا جميل بن صالح، عن أبي عبيدة، عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد، عن أبيه عليه السلام قال :كان أصحاب اللواء يوم أُحد تسعة قتلهم عليّ بن أبي طالب عن آخرهم وانهزم القوم وطارت مخزوم، فضحَها عليّ يومئذٍ[٢] «السند صحيح» .

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم، قال :كانت راية قريش مع طلحة بن أبي طلحة العبدري من بني عبد الدار فبرز ونادى: يا محمّد! تزعمون أنكم تجهزوننا بأسيافكم الى النار ونجهزكم بأسيافنا الى الجنة فمن شاء أن يلحق بجنته فليبرز إليّ، فبرز إليه أمير المؤمنين، فقال له طلحة: من أنت يا غلام؟ قال: أنا عليّ بن أبي طالب، قال: قد علمت يا قضيم[٣] أنه لا يجسر عليّ أحد

(١) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٦٥ .

(٢) الإرشاد ١: ٨٨.

(٣) روى عليّ بن إبراهيم بسنده عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن معنى قول طلحة: «يا قضيم» فقال: إن رسول الله ﷺ كان بمكة لم يجسر عليه أحد لمكان أبي طالب وأغروا به الصبيان، فكان إذا خرج يرمونه بالحجارة والتراب، فشكا ذلك الى عليّ عليه السلام فقال: بأبي أنت وأُمي يا رسول الله، إذا خرجت فأخرجني معك، فخرج معه فتعرض له الصبيان كعادتهم، فحمل عليهم عليّ عليه السلام وكان يقضمهم في وجوههم وآنافهم وآذانهم، فكان الصبيان يرجعون باكين الى آبائهم ويقولون: قضمنا عليّ، فسمي لذلك: القضيم. (المؤلّف)

غيرك، وشدّ عليه طلحة فضربه فاتّقاه عليّ عليه السلام بالجحفة ثم ضربه عليّ عليه السلام على فخذيه فقطعهما فسقط على ظهره وسقطت الراية، فذهب عليّ ليجهز عليه فحلّفه بالرحم فانصرف عنه، فقال المسلمون: ألا أجهزت عليه؟ قال: قد ضربته ضربة لا يعيش معها أبداً، ثم أخذ الراية أبو سعيد بن أبي طلحة فقتله عليّ عليه السلام وسقطت رايته الى الأرض، فأخذها عثمان بن أبي طلحة فقتله عليّ عليه السلام وسقطت الراية الى الأرض فأخذها مسافع بن أبي طلحة فقتله عليّ عليه السلام وسقطت الراية الى الأرض، فأخذها الحارث بن أبي طلحة فقتله عليّ عليه السلام وسقطت الراية الى الأرض، فأخذها أبو عزيز بن عثمان فقتله عليّ عليه السلام وسقطت الراية الى الأرض، فأخذها عبد الله بن أبي جميلة بن زهير فقتله عليّ عليه السلام وسقطت الراية الى الأرض، فقتل أمير المؤمنين عليه السلام التاسع[١] من بني عبد الدار وهو أرطأة بن شرحبيل فبارزه عليّ عليه السلام وقتله وسقطت الراية الى الأرض، فأخذها مولاهم صواب فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على يمينه فقطعها وسقطت الراية الى الأرض، فأخذها بشماله فضربه أمير المومنين عليه السلام على شماله فقطعها وسقطت الراية الى الأرض، فاحتضنها بيديه المقطوعتين، ثم قال: يا بني عبدالدار هل أعذرت فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على رأسه فقتله وسقطت الراية الى الأرض، فأخذتها عمرة بنت علقمة الحارثية ونظرت قريش في هزيمتها الى الراية قد رفعت فلاذوا بها...الخ[٢]. وفي رواية المفيد عن محمّد بن إسحاق ـ وتأتي بسندها في سيرة عليّ عليه السلام ـ أنه قتل خالد بن أبي طلحة بعد طلحة وأبي سعيد[٣]. وخالد هذا لم يرد له ذكر في غير هذه الرواية،

(١) عدّه تاسعاً باعتبار عدّ صواب عبدهم معهم. (المؤلّف)

(٢) تفسير القمّي ١: ١١٢ ـ ١١٣.

(٣) الارشاد ١: ٩١.

ولعله هو أبو عزيز بن عثمان المذكور في رواية عليّ بن إبراهيم.

وبعد ما رأينا اختلاف المؤرخين فيمن عدّ طلحة بن أبي طلحة من أصحاب اللواء في عددهم وفيمن قتلهم وترتيب قتلهم بحيث لا يكاد يتفق اثنان منهم كابن سعد والطبري والواقدي وابن الأثير وغيرهم كما عرفت وستعرف، لا نستبعد أن يكون التحامل على عليّ بن أبي طالب الذي هو فاش في الناس في كل عصر حمل البعض على نقل ما ينافي قتله جميع أصحاب اللواء، وما علينا إلّا أن نأخذ بالرواية المتقدمة عن الباقر عليه السلام أنه عليه السلام قتل أصحاب اللواء التسعة لصحة سندها.

قال ابن الأثير : وبرز عبد الرحمن بن أبي بكر وكان مع المشركين وطلب المبارزة فأراد أبو بكر أن يبرز إليه فقال له رسول الله ﷺ: **شم سيفك وامتعنا بك**[١].

وقال أبو سفيان لخالد بن الوليد وهو في مائتي فارس : إذا رأيتمونا قد اختلطنا بهم فاخرجوا عليهم من هذا الشعب حتى تكونوا من ورائهم[٢] ، وكان خالد بن الوليد كلما أتى من قبل يسرة النبيّ ﷺ ليجوز حتى يأتيهم من قبل السفح ردّه الرماة حتى فعل وفعلوا ذلك مراراً[٣].

قال الطبري: واقتتل الناس حتى حميت الحرب، وقاتل أبو دجانة حتى أمعن في الناس وحمزة بن عبد المطلب وعليّ بن أبي طالب في رجال من المسلمين، فأنزل الله عزّ وجلّ عليهم نصره وصدقهم وعده فحسوهم[٤]

---

(١) الكامل في التاريخ ٢: ١٠٨.

(٢) تفسير القمّي ١: ١١٢، بحار الأنوار ٢٠: ٤٩.

(٣) المغازي للواقدي ١: ٢٢٩.

(٤) الحَسّ: القتل.

بالسيوف حتى كشفوهم وكانت الهزيمة لا شك فيه... الخ[١].

فلما قتل أصحاب اللواء انكشف المشركون منهزمين لا يلوون على شيء وانتقضت صفوفهم ونساؤهم يدعين بالويل بعد الفرح وضرب الدفوف.

قال الزبير: والله لقد رأيتني انظر الى خدم[٢] هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير، وقال البراء: حتى رأيت النساء قد رفعن عن سوقهن وبدت خلاخيلهن[٣].

قال الواقدي: وقالوا ما ظفر الله تعالى نبيه في موطن قط ما ظفره وأصحابه يوم أُحد حتى عصوا الرسولﷺ، ولما انهزم المشركون تبعهم المسلمون يضعون السلاح فيهم حيث شاءوا حتى أخرجوهم عن المعسكر ووقعوا ينتهبونه ويأخذون ما فيه من الغنائم، فلما رآهم الرماة قال بعضهم لبعض: لم تقيمون هاهنا في غير شيء قد هزم الله العدو وهؤلاء إخوانكم ينتهبون عسكرهم فادخلوا عسكر المشركين فاغنموا معهم، فقال بعضهم: ألم تعلموا أن رسول اللهﷺ قال لكم احموا ظهورنا وإن غنمنا فلا تشركونا؟. فقال الآخرون: لم يُرد رسول الله هذا وقد أذلّ الله المشركين وهزمهم، فلما اختلفوا خطبهم أميرهم عبد الله بن جبير وأمرهم بطاعة الرسولﷺ فعصوه وانطلقوا، فلم يبق معه إلّا نفر ما يبلغون العشرة، منهم الحارث بن أنس يقول: يا قوم، اذكروا عهد نبيّكم إليكم وأطيعوا أميركم، فأبوا وذهبوا الى عسكر المشركين ينهبون وخلوا الجبل، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٦٤.

(٢) الخدم ـ بفتح الخاء والدال ـ جمع خدمة محركة، وهي الخلخال والساق (المؤلّف).

(٣) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٦٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ٢٣٩.

﴿تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[١] فنظر خالد بن الوليد الى خلاء الجبل وقلة أهله فكرّ بالخيل وتبعه عكرمة، فانطلقا الى موضع الرماة فحملوا عليهم فراماهم القوم حتى أُصيبوا، وراماهم عبد الله بن جبير حتى فنيت نبله، ثم طاعن بالرمح حتى انكسر، ثم كسر جفن سيفه فقاتل حتى قتل[٢].

ولما رأى المشركون خيلهم تقاتل رجعوا من هزيمتهم وكرّوا على المسلمين من أمامهم وهم غارون آمنون مشتغلون بالنهب وجعلوا المسلمين في مثل الحلقة، وانتقضت صفوف المسلمين وجعل يضرب بعضهم بعضاً من العجلة والدهش حتى قُتل اليمان أبو حذيفة، قتله المسلمون خطأً وابنه يصيح أبي أبي! فلم يسمعوه، وكان رسول الله ﷺ خلّفه بالمدينة هو وثابت بن وقش لأنهما شيخان كبيران، فقال أحدهما للآخر: أفلا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله ﷺ؟ فجاءا حتى دخلا من قبل المشركين، أما ثابت فقتله المشركون، وأما اليمان فقتله المسلمون وهم لا يعرفونه، فتصدّق حذيفة بديته على المسلمين، وقُتل المسلمون قتلاً ذريعاً حتى قُتل منهم سبعون رجلاً بعدد من قُتل من المشركين يوم بدر أو أكثر، وتفرّقوا في كل وجه وتركوا ما انتهبوا فأخذه المشركون وتركوا ما بايديهم من أُسراء المشركين[٣].

---

(١) آل عمران: ١٥٢.

(٢) المغازي للواقدي ١: ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

(٣) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٢: ٦٦، المغازي للواقدي ١: ٢٣٢ ـ ٢٣٤، الطبقات الكبرى ٢: ٤١ ـ ٤٢، السيرة الحلبية ٢: ٢٢٦.

وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ﷺ ومعه لواءُه حتى قتل، قتله ابن قميئة الليثي وهو يظنه رسول الله ﷺ، فرجع الى قريش وهو يقول: «قتلت محمّداً» فجعل الناس يقولون: قتل محمّد! فلما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله ﷺ اللواء الى عليّ بن أبي طالب[١]، وتفرق أكثر أصحاب رسول الله ﷺ عنه وقصده المشركون وجعلوا يحملون عليه يريدون قتله وثبت رسول الله ﷺ ما يزول، يرمي عن قوسه حتى تكسرت[٢]. قال ابن الأثير: وقاتل رسول الله ﷺ يوم أُحد قتالاً شديداً، فرمى بالنبل حتى فني نبله وانكسرت سية قوسه وانقطع وتره[٣].

قال المفيد، فيما رواه بسنده عن ابن مسعود : وثبت معه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وأبو دجانة وسهل بن حنيف يدفعون عنه ﷺ ، ففتح عينيه وكان قد أُغمي عليه مما ناله، فقال: يا عليّ، ما فعل الناس ؟ قال: نقضوا العهد وولّوا الدبر، قال: اكفني هؤلاء الذين قد قصدوا قصدي، فحمل عليهم عليّ فكشفهم وعاد إليهم وقد حملوا عليه من ناحية أُخرى، فكرّ عليهم فكشفهم وأبو دجانة وسهل بن حنيف قائمان على رأسه، بيد كل واحد منهما سيف ليذبّ عنه...الخ[٤].

وأتى ابن قميئة الحارثي أحد بني الحارث بن عبد مناة، فرمى رسول الله ﷺ بحجر فكسر أنفه ورباعيته السفلى وشق شفته وشجه في وجهه

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٦٦، سيرة أعلام النبلاء ١: ١٤٨، السيرة النبوية بهامش السيرة الحلبية لزيني دحلان٢: ٣٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ٤: ١٩٧.

(٣) الكامل في التاريخ ٢: ١٠٩.

(٤) الارشاد ١: ٨٢.

فأثقله وعلاه بالسيف فلم يطق أن يقطع، وكلم[١] رسول الله ﷺ في وجنتيه حتى دخل فيهما من حلق المغفر وفي جبهته في أُصول شعره وجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسحه عن وجهه ويقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيّهم بالدم وهو يدعوهم الى الله عزّ وجلّ[٢]. قال الطبري: وتفرّق عن رسول الله ﷺ أصحابه ودخل بعضهم المدينة وانطلق بعضهم فوق الجبل الى الصخرة فقاموا عليها، وفشا في الناس أن رسول الله ﷺ قد قُتل، فقال بعض أصحاب الصخرة: ليت لنا رسول الى عبد الله بن أبي فيأخذ لنا أمنة من أبي سفيان، يا قوم! إن محمّداً قد قتل فارجعوا الى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم...الخ[٣]. وهذا يدل على أن القائل من المهاجرين.

قال الطبري فقال الله عزّ وجلّ للذين قالوا هذا القول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ...الآية﴾[٤].

قال الطبري وغيره: وفر عثمان بن عفان ومعه رجلان من الأنصار حتى بلغوا «الجلعب» جبلاً بناحية المدينة مما يلي الأغرض، فأقاموا به ثلاثاً، فقال لهم رسول الله ﷺ: **لقد ذهبتم فيها عريضة... الخ**[٥]. وفي رواية الواقدي: أنهم انتهوا الى مكان يسمى «الأغرض» فقال ﷺ لهم ذلك[٦].

وكانت هند بنت عتبة جعلت لوحشي جعلاً على أن يقتل رسول الله ﷺ، أو عليّ بن أبي طالب، أو حمزة، فقال: أما محمّد فلا حيلة لي فيه، لأن أصحابه

---

(١) كلم: أي جرح.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٦٥، ٦٧، المغازي للواقدي ١: ٢٤٤.

(٣) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٦٧ ـ ٦٨.

(٤) آل عمران: ١٤٤.

(٥) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٦٧ ـ ٦٩.

(٦) لم نقف عليه في النسخة المتوفرة لدينا من مغازي الواقدي، بل وجدناه في البداية والنهاية ٤: ٣٢.

يطيفون به، وأما عليّ فإنه إذا قاتل كان أحذر من الذئب، وأما حمزة فإني أطمع فيه، لأنه إذا غضب لم يبصر بين يديه . قال وحشي: والله إني لأنظر الى حمزة يهد الناس بسيفه ما يلقي أحداً يمر به إلّا قتله، فهززت حربتي فرميته فوقعت في إربيته[١] حتى خرجت من بين رجليه وأقبل نحوي فغلب فوقع فأمهلته حتى إذا مات جئت فأخذت حربتي ثم تنحيت الى العسكر[٢] وجاء وحشي بعد فتح مكة الى رسول الله ﷺ فأظهر الإسلام فعفا عنه رسول الله ﷺ وقال له لا ترني وجهك[٣] . قال ابن هشام: سكن حمص وغلبت عليه الخمرة وقال أيضاً: بلغني أنه لم يزل يحد في الخمر حتى خلع من الديوان...الخ[٤].

قال الطبري : حدّثنا ابن حميد، حدّثنا سلمة حدّثني محمّد بن إسحاق، حدّثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عدي بن النجار، قال: انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك الى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم ؟ قالوا : قتل محمّد رسول الله ، قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟! قوموا فموتوا على ما مات عليه، ثم قاتل حتى قُتل[٥].

قال ابن الأثير : وكانت أُمّ أيمن حاضنة رسول الله ﷺ ونساء من الأنصار يسقين الماء، فرماها حفانة بن العرقة بسهم فأصاب ذيلها فضحك، فدفع النبيّ ﷺ سهماً الى سعد بن أبي وقاص وقال: إرمه، فرماه فأصابه فضحك

(١) في القاموس: الأُربية بالضم: أصل الفخذ .
(٢) السيرة الحلبية ٣: ٢٢٦،كشف الغُمّة للأربلي ١: ١٩٢ .
(٣) تاريخ دمشق ٦٢: ٤٠٧، السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٧٢ .
(٤) السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٧٠.
(٥) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٦٦ .

النبيّ ﷺ[١].

قال الطبري: ووقعت هند وصواحبها على القتلى من أصحاب رسول الله ﷺ يمثلن بهم يَجْدَعْن الأذان والأُنوف حتى اتخذت هند من آذان الرجال وآنافهم خدماً[٢] وقلائد واعطت خدْمها وقلائدها وقرطتها وحشياً، وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها. وقطعت أنفه وأُذنيه وجعلت ذلك كالسوار في يديها وقلائد في عنقها حتى قدِمت مكة.

قال: ومرّ الحليس بن زبان بأبي سفيان وهو يضرب في شدق حمزة بزج الرمح وهو يقول: ذقْ عُقق ـ أي: يا عاق ـ فقال الحليس: يا بني كنانة، هذا سيد قريش يصنع بابن عمّه كما ترون لحماً، فقال: اكتمها فإنها زلّة[٣].

وأُصعد رسول الله ﷺ في الجبل مع جماعة من أصحابه فيهم عليّ بن أبي طالب[٤].

قال ابن هشام: وقع رسول الله ﷺ في حفرة من الحفر التي عملها أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون فشُجّت ركبته، فأخذ عليّ بن أبي طالب بيده ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً...الخ[٥].

وانطلق رسول الله ﷺ حتى انتهى الى أصحاب الصخرة فلما رأوه لم يعرفوه وأراد رجل أن يرميه بسهم، فقال: أنا رسول الله فعرفوه. وأراد أن يعلو الصخرة وقد ظاهر بين درعين فلم يستطع، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله

---

(١) الكامل في التاريخ ٢: ١١١.

(٢) الخدم: الخلاخيل. (المؤلّف)

(٣) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٧٠ ـ ٧١.

(٤) المغازي للواقدي ١: ٢٣٦.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٨٠.

فنهض حتى استوى عليها، وأقبل أُبي بن خلف الجمحي وقد حلف ليقتلن النبيّ ﷺ، فقال ﷺ: بل أنا اقتله، وشد أُبي عليه بحربة فأخذها رسول الله ﷺ منه وقتله بها، وروى أنه طعنه فجرح جرحاً خفيفاً فجزع جزعاً شديداً، فقيل له: ما يجزعك؟ فقال: أليس قال: لأقتلنك؟ فمات بعد يوم أو بضع يوم من ذلك الجرح(١).

قال ابن هشام : لما انتهى رسول الله ﷺ الى فم الشعب خرج عليّ بن أبي طالب حتى ملأ درقته ماء من المهراس، فجاء به الى رسول الله ﷺ ليشرب منه فوجد له ريحاً فعافه ولم يشرب منه، وغسل عن وجهه الدم وصب على رأسه(٢).

وقال ابن الأثير: لما جرح ﷺ جعل عليّ ينقل له الماء في درقته من المهراس ويغسله فلم ينقطع الدم، فأتت فاطمة وجعلت تعانقه وتبكي وأحرقت حصيراً وجعلت على الجرح من رماده فانقطع(٣).

وأشرف أبو سفيان على المسلمين فقال: أفيكم محمّد؟ فلم يجيبوه فظن أنه قتل، فقيل له أنه يسمع كلامك، فعلم أنه حي وأن ابن قميئة كاذب في دعوى قتله، فقال: أُعل هبل! فقال رسول الله ﷺ : الله أعلى وأجل، فقال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله ﷺ : الله مولانا ولا مولى لكم، ثم قال أبوسفيان هذا يوم بيوم بدر والحرب سجال وانصرف.

فلما انصرف أبو سفيان ومن معه بعث رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال: اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون، فإن كانوا قد اجتنبوا الخيل

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٦٨.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٨٦.

(٣) الكامل في التاريخ ٢: ١٠٩.

وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة، فوالذي نفسي بيده! لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنّهم ، قال عليّ: فخرجت في آثارهم فرأيتهم اجتنبوا الخيل وامتطوا الإبل .

وفرغ الناس لقتلاهم، فقال رسول الله ﷺ: من ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع ـ وهو من بني الحارث بن الخزرج ـ أفي الأحياء هو أم في الأموات؟ فقال رجل من الأنصار: أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل، فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رمق، فقال له: إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر له أفي الأحياء أنت أم في الأموات؟ قال أنا في الأموات فأبلغ رسول الله عني السلام وقل له: إن سعد بن الربيع يقول لك جزاك الله خير ما جزى نبي عن أُمته. وأبلغ عنّي قومك السلام وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص الى نبيكم وفيكم عين تطرف، ثم تنفس فخرج منه مثل دم الجزور ومات ، فجاء الأنصاري الى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال ﷺ: رحم الله سعداً نصرنا حياً وأوصى بنا ميتاً[١].

ثم قال: من له علم بعمّي حمزة ؟ فقال الحارث بن الصمة : أنا أعرف موضعه، فجاء حتى وقف عليه فكره أن يرجع الى رسول الله ﷺ فيخبره، فقال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: اطلب عمّك، فكره أن يرجع إليه، فخرج رسول الله بنفسه حتى وقف عليه، فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده ومثّل به فجدع أنفه وأُذناه، فلمّا رأى ما فعل به بكى، ثم قال: لن أُصاب بمثلك ، ما وقفت موقفاً قط أبغض عليّ من هذا الموقف ، وقال : رحمة الله عليك فإنك كنت ما علمتك فعولاً للخيرات وصولاً للرحم، ثم قال : لو لا أن تحزن صفية أو تكون سنة من بعدي لتركته حتى يكون في

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢ : ٧١ ـ ٧٢ .

أجواف السباع وحواصل الطير[١]، ولئن أظهرني الله على قريش لأُمثّلن بثلاثين ـ وفي رواية ـ بسبعين رجلاً منهم[٢]، وقال المسلمون: لنمثلنّ بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب، فأنزل الله تعالى : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَاعُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾، فعفا رسول الله ﷺ وصبر ونهى عن المُثلة[٣].

وفي السيرة الحلبية، عن ابن مسعود: ما رأينا رسول الله ﷺ باكياً أشدّ من بكائه على حمزة ، وضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وانتحب حتى نشق ـ أي شهق ـ حتى بلغ به الغشي، يقول ﷺ: **يا عمّ رسول الله وأسد الله وأسد رسول الله، يا حمزة! يا فاعل الخيرات، يا حمزة يا كاشف الكربات، يا حمزة يا ذاب يا مانع عن وجه رسول الله**، وألقى على حمزة بردة كانت عليه، فكانت إذا مدها على رأسه بدت رجلاه وإذا مدها على رجليه بدا رأسه، فمدها على رأسه وألقى على رجليه الحشيش . وأقبلت صفية بنت عبد المطلب لتنظر الى حمزة وكان أخاها لأبيها وأُمّها، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير بن العوام: القها فارجعها لا ترى ما بأخيها، فلقيها الزبير وأعلمها بأمر رسول الله ﷺ، فقالت: ولم ؟ وقد بلغني أنه مُثّل بأخي وذلك في الله قليل فما أرضانا بما كان من ذلك لأحتسبنّ لأصبرنّ، فقال: خلْ سبيلها[٤].

قال محمّد بن إسحاق : واحتمل ناس من المسلمين قتلاهم الى المدينة

---

(١) المقصود من تركه بغير دفن تأكله السباع والطيور أن لا يسكن الحزن عليه ليكون باعثاً على الأخذ بثأره، وقيل: ليشتد غضب الله على من فعل به ذلك، ولو أشكل بوجوب دفن الميت لأمكن دفعه بأن ذلك من الفرض الغير الواقع. (المؤلّف)

(٢) زاد المسير ٤: ٢٧٠، بحار الأنوار ٢٠: ١٣ .

(٣) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٧٢، السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٩٦، النحل: ١٢٦ ـ ١٢٧ .

(٤) السيرة الحلبية ٢: ٢٤٦ ـ ٢٤٧ .

فدفنوهم بها، ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذلك وقال: **ادفنوهم حيث صرعوا**[١] .

قال ابن الأثير: وأمر أن يدفن الإثنان والثلاثة في القبر الواحد وأن يقدم الى القبلة أكثرهم قرآناً وصلّى عليهم، فكان كلما أتى بشهيد جعل حمزة معه وصلّى عليهما، وقيل: كان يجمع تسعة من الشهداء وحمزة عاشرهم فيُصلّي عليهم[٢].

وقال ابن سعد في الطبقات: كان كلما أُتي بشهيد وضع الى جنب حمزة فصلّى عليه وعلى الشهيد، حتى صلّى عليه سبعين مرة...الخ[٣]. وفي خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام: **أنه خصه رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين تكبيرة**[٤].

وعليه، فيمكن أن يكون صلّى عليه أربع عشرة مرّة وكبّر في كلّ مرّة خمس مرات كما هو مذهب أهل البيت عليهم السلام ، ولعل رواية أنه صلّى عليه سبعين مرّة وقع فيها اشتباه بين سبعين مرة وسبعين تكبيرة.

ثم أمر بدفنه، وأمر أن يدفن عمرو بن الجموح وعبد الله بن حرام في قبر واحد وكانا متصافيين في الدنيا[٥]. فلما دفن الشهداء انصرف الى المدينة فلقيته ابنة عمّته حمنة ابنة جحش ـ أُخت زينب بنت جحش أُم المؤمنين وكانت أُمّها أُميمة بنت عبد المطلب بن هاشم ـ فقال لها احتسبي، قالت: من يارسول الله ؟ قال: **أخاك عبد الله**، فاسترجعت واستغفرت له وهنّأته الشهادة ، ثم قال لها: احتسبي ، قالت من يا رسول الله ؟ قال: **خالك حمزة بن عبد المطلب**،

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٩٨ .

(٢) الكامل في التاريخ ٢: ١١٣ .

(٣) الطبقات الكبرى ٢: ٤٤ .

(٤) نهج البلاغة: الكتاب ٢٨ .

(٥) السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٩٨ .

فاسترجعت واستغفرت له وهنّأته الشهادة ، ثم قال لها: احتسبي ، قالت: من يا رسول الله ؟ قال: زوجك مصعب بن عمير، فقالت: وا حزناه! وولولت وصاحت، فقال: إن زوج المرأة منها لبمكان ما هو لأحد[١].

قال الطبري : ومرّ ﷺ بدار من دور الأنصار فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم، فذرفت عيناه فبكى وقال: لكن حمزة لا بواكي له ، فرجع سعد بن معاذ وأُسيد بن حضير الى دور بني عبد الأشهل فأمرا نساءهم أن يتحزّمنَ ثم يذهبن فيبكين على حمزة[٢].

وفي السيرة الحلبية: أن يذهبن الى بيت رسول الله ﷺ يبكين حمزة، فلما رجع ﷺ من صلاة المغرب سمع البكاء فقال: ما هذا ؟ قيل: نساء الأنصار يبكين حمزة ، فقال: رضي الله عنكن وعن أولادكن، وأمر بردهن الى منازلهن. وفي رواية : فقال لهن: ارجعن رحمكن الله لقد واسيتنّ معي، رحم الله الأنصار فإن المواساة فيهم كما علمت قديمة[٣].

وقال ابن سعد في الطبقات : فهن الى اليوم إذا مات الميت من الأنصار بدا النساء فبكين على حمزة ثم بكين على ميتهن[٤].

وروى الطبري أنه ﷺ مرّ بامرأة من بني دينار وقد أُصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد، فلما نعوهم لها قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: بحمد الله هو كما تحبين، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، فلما رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل. قال الطبري : فلما انتهى رسول الله ﷺ

---

(١) المغازي للواقدي ١: ٢٩١، سبل الهدى والرشاد ٤: ٢٢٧.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٧٤.

(٣) السيرة الحلبية ٢: ٢٥٤.

(٤) الطبقات الكبرى ٢: ٤٤.

الى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة وقال: اغسلي عن هذا دمه يا بنية، وناولها عليّ عليه السلام سيفه فقال: وهذا فاغسلي عنه، فوالله لقد صدقني اليوم ، قال : وزعموا أن عليّ بن أبي طالب حين أعطى فاطمة عليها السلام سيفه قال :

أفاطم هاك السيف غير ذميم فلست برعديد ولا بمليم
لعمري لقد قاتلت في حب أحمد وطاعة رب بالعباد رحيم
وسيفي بكفي كالشهاب أهزّه أجذ به من عاتق وصميم
فما زلت حتى فضّ ربي جموعهم وحتى شفينا نفس كل حليم[1]

وفي إرشاد المفيد : وانصرف المسلمون مع النبيّ صلى الله عليه وآله الى المدينة فاستقبلته فاطمة عليها السلام ومعها إناء فيه ماء فغسل وجهه، ولحقه أمير المؤمنين عليه السلام وقد خضب الدم يده الى كتفه ومعه ذوالفقار فناوله فاطمة عليها السلام وقال لها: خذي هذا السيف فقد صدّقني اليوم وأنشا يقول :

أفاطم هاك السيف غير ذميم فلست برعديد ولا بمليم
لعمري لقد أعذرت في نصر أحمد وطاعة رب بالعباد عليم
أميطي دماء القوم عنه فإنّه سقى آل عبد الدار كأس حميم

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله خذيه يا فاطمة فقد أدى بعلك ما عليه وقد قتل الله بسيفه صناديد قريش... الخ[2].

وبات وجوه الأوس والخزرج تلك الليلة وهي ليلة الأحد في باب رسول الله صلى الله عليه وآله يحرسونه من البيات، فيهم: سعد بن عبادة وسعد بن معاذ والخباب بن المنذر وقتادة بن النعمان وغيرهم[3].

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٧٤.
(٢) الإرشاد ١: ٨٩ ـ ٩٠.
(٣) السيرة الحلبية ٢: ٢٥٥، سبل الهدى والرشاد ٤: ٣٠٨.

غزوة حمراء الأسد

لمّا انصرف رسول الله ﷺ من صلاة الصبح يوم الأحد لثمان ليال خلون من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهراً من مهاجره أمر بلالاً أن ينادي في الناس: أن رسول الله ﷺ يأمركم بطلب عدوكم ولا يخرج معنا إلّا من حضر يومنا بالأمس، فكلّمه جابر بن عبد الله فقال: إن أبي كان خلفني على أخوات لي سبع، وقال: يا بني، لا ينبغي لي ولك أن نترك هؤلاء النسوة ولست لُوثرك بالجهاد، فأذن له رسول الله ﷺ، فدعا ﷺ بلواءٍ معقود لم يحل، فدفعه الى عليّ بن أبي طالب[1] وإنما خرج ﷺ مرهباً للعدو وليبلغهم خروجه فيظنوا به قوة وأن الذي أصابهم لا يوهنهم عن عدوهم، وكان ذلك من التدابير الحربية العظيمة، فخرج المسلمون معه والجراح فيهم فاشية وعامتهم جرحى، منهم من فيه سبع جراحات، ومنهم تسع، ومنهم عشر، ومنهم ثلاث عشرة، حتى أن أخوين من الأنصار كانا جريحين وليس لهما دابة، فخرجا وقالا: كيف تفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ؟ وكلاهما جريحان ثقيلان، لكن أحدهما أخف جرحاً، فكان إذا أعيا أحدهما حمله أخوه، وخرج ﷺ وهو مجروح في وجهه وجبهته وشفته وركبتيه ومنكبه الأيمن متوهن بضربة ابن قميئة، إلى أن انتهى الى حمراء الأسد وهي مكان على ثمانية أميال من المدينة، فأقام بها ثلاثاً: (الاثنين والثلاثاء والأربعاء) ثم رجع الى المدينة ، وكان جل زادهم التمر، وحمل سعد بن عبادة ثلاثين بعيراً تمراً وساق جزراً فكان ينحر في يوم اثنين وفي يوم ثلاثة.

وبعث ﷺ ثلاثة نفر طليعة في آثار القوم، فانقطع أحدهم ولحق الاثنان

---

(١) الطبقات الكبرى ٢: ٤٩.

بقريش فبصروا بهما فقتلوهما، وانتهى ﷺ الى مصرعهما بحمراء الأسد فقبرهما.

وجاء معبد الخزاعي ـ وهو مشرك ـ الى النبيّ ﷺ وكانت خزاعة ـ مسلمهم ومشركهم ـ عيبة رسول الله ﷺ، فقال: يا محمّد، لقد عزّ علينا ما أصابك في أصحابك ونفسك، ولوددنا أن الله تعالى أعلى كعبك، وخرج من عند رسول الله ﷺ بحمراء الأسد حتى أتى أبا سفيان وأصحابه بالروحاء وقد أجمعوا الرجعة الى رسول الله ﷺ وأصحابه، فقال أبو سفيان: ما وراءك يا معبد؟ قال: قد خرج محمّد في أصحابه يطلبكم في جمع لم أرَ مثله يتحرقون عليكم تحرقاً، واجتمع معه من كان تخلّف عنه بالأمس، قال: ويلك! ما تقول؟ قال ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل، قال: لقد أجمعنا الكرّة عليهم لنستأصل بقيتهم، قال: فإني أنهاك عن ذلك، فوالله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيه أبياتاً من شعر، قالوا وما هي؟ فقال:

كادت تُهدّمنّ الأصوات راحلتي ... إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل

تردى بأُسْد كرام لا تنابلةٍ ... عند اللقاء ولا خُرق معازيل

فظلتُ عدواً أظن الأرض مائلة ... لما سمَوا برئيس غير مخذول

فقلتُ ويلَ ابن حرب من لقائكم ... لكل ذي إربة منهم ومعقول

فثنى ذلك أبا سفيان وأصحابه، ومرّ به ركب من عبد القيس، فقال: أين تريدون؟ قالوا المدينة نريد الميرة، قال: فهل أنتم مبلغون عني محمّداً رسالة وأحمل لكم إبلكم هذه غداً زبيباً بعكاظ؟ قالوا: نعم، قال: أخبروه أنّا قد أجمعنا المسير إليهم لنستأصل بقيتهم، فلما أخبروه، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: حسبنا الله ونعم الوكيل، ثم انصرف ﷺ الى المدينة[1].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢: ١٠١، سبل الهدى والرشاد ٤: ٣٠٩ ـ ٣١٠، تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٧٥ ـ ٧٦، المغازي للواقدي ١: ٣٣٤.

غزوة بني النضير

في ربيع الأوّل سنة أربع على رأس سبعة وثلاثين شهراً من مهاجره[١]. وقد عرفت أن اليهود الذين كانوا بنواحي المدينة ثلاثة أبطن: بنو النضير وقريظة وقينقاع وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد ومدّة فنقضوا عهدهم، وكان سبب ذلك في بني النضير في نقض عهدهم[٢] أن أبا براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنّة سيد بني عامر بن صعصعة قدم على رسول الله ﷺ فأهدى له هدية، فأبى أن يقبلها حتى يسلم فلم يسلم ولم يبعد وأعجبه الإسلام، وطلب من النبيّ ﷺ أن يرسل جماعة الى أهل نجد في جواره يدعونهم للإسلام، فأرسل معه سبعين راكباً فقتلهم عامر بن الطفيل ببئر معونة استصرخ عليهم القبائل ونجا منهم عمرو بن اُمية الضمري أطلقه بعد ما جزّ ناصيته، فخرج عمرو ونزل معه رجلان من بني عامر في ظل شجرة، وكان معهما عقد وجوار من رسول الله ﷺ لم يعلم به عمرو، فلما ناما قتلهما بمن قتله بنو عامر عند بئر معونة[٣] فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ عزم على أن يديهما، فانطلق الى بني النضير يستلفهم في ديتهما ومعه نفر من أصحابه فقالوا: نعم يا أبا القاسم وجلس الى جانب جدار من بيوتهم وتآمروا على قتله، فقالوا: من يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة يقتله بها ويريحنا منه، ونهاهم سلام بن مشكم وقال: ليُخبرنّ بما هممتم به وأنه نقض للعهد، فلم يقبلوا فاُنتدب لذلك رجل وصعد ليلقي الصخرة، فجاءه ﷺ الوحي

---

(١) الطبقات الكبرى ٢: ٥٧.

(٢) السيرة الحلبية ٢: ٢٦٣، تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٨٣.

(٣) الطبقات الكبرى ٢: ٥١ ـ ٥٣، السيرة النبوية لابن هشام ٣: ١٨٣ ـ ١٨٥.

بذلك فنهض سريعاً كأنه يريد حاجة، فتوجه الى المدينة ولحقه أصحابه فقالوا: أقمت ولم نشعر؟ قال: همّت يهود بالغدر وأخبرني الله بذلك فقمت.

وأرسل إليهم محمّد بن مسلمة فقال إذهب الى يهود فقل لهم: اخرجوا من بلدي فلا تساكنوني وقد هممتم بما هممتم به من الغدر وقد أجلّتكم عشراً فمن رئي بعد ذلك ضربت عنقه، فقالوا: نتحمّل، فأرسل إليهم عبد الله بن أُبي بن سلول لا تفعلوا فإن معي من العرب ومن قومي ألفين يدخلون معكم وقريظة وحلفاؤكم من غطفان يدخلون معكم، فطمع حيي بن أخطب سيد بني النضير في ذلك، ونهاه سلام بن مشكم أحد رؤسائهم وقال: إن ابن أُبي يريد أن يُورّطكم في الهلكة ويجلس في بيته، ألا تراه وعد بني قينقاع مثل ما وعدكم وهم حلفاؤه فلم يف لهم، فكيف يفي لنا ونحن حلفاء الأوس؟ فلم يقبل حيي وأرسل الى رسول الله ﷺ إنا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك، فكبّر ﷺ وكبّر المسلمون وقال حاربت يهود، وتجهّز لحربهم واستخلف على المدينة ابن أُمّ مكتوم وكان أعمى، فلذلك كان كثيراً ما يستخلفه على المدينة لأنه لا يقدر على القتال، ويقال: إنه كان يستخلفه على الصلاة فقط بناء على عدم جواز قضاء الأعمى ولم يثبت ، وأعطى رايته عليّ بن أبي طالب عليه السلام، واعتزلتهم قريظة فلم تعنهم، وخذلهم ابن أُبي وحلفاؤهم من غطفان وذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾[١] وقوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ﴾[٢] وسار ﷺ بالناس حتى نزل بهم فصلّى العصر

(١) الحشر: ١١ ـ ١٢.

(٢) الحشر: ١٦.

بفنائهم وقد تحصّنوا وقاموا على حصنهم يرمون بالنبل والحجارة[١].

قال صاحب السيرة الحلبية: وأمر بلالاً فضرب القبة، وهي من خشب عليها مسوح، وكان رجل من يهود اسمه عزور أو غزول، وكان أعسر رامياً يبلغ نبله ما لا يبلغه نبل غيره، فوصل نبله تلك القبة فأمر بها فحولت. وفقد عليّ قرب العشاء، فقال الناس: يا رسول الله ما نرى علياً ؟ فقال: دعوه فإنه في بعض شأنكم، فعن قليل جاء برأس غزول، كمن له على حين خرج يطلب غرّة من المسلمين ومعه جماعة فشد عليه فقتله وفرّ من كان معه، فأرسل رسول الله ﷺ مع عليّ أبا دجانة وسهل بن حنيف في عشرة فأدركوهم وقتلوهم، وذكر بعضهم أن أُولئك الجماعة كانوا عشرة وأنهم أتوا برؤوسهم فطرحت في بعض الآبار، وقال: وفي هذا ردّ على بعض الرافضة حيث ادعى أن علياً هو القاتل لأُولئك العشرة... الخ[٢] .

ونقول: لم يدّعِ أحد من الشيعة أن علياً هو القاتل لهم، وما الذي يدعوهم الى دعوى غير صحيحة، وتفوّق عليّ عليه السلام في الشجاعة أمر متواتر وفوق المتواتر فلا يحتاج من يريد إثباته الى الكذب، وإنّما يحتاج الى الكذب من يدعي شجاعة لمن لم يؤثر عنه أنه قتل أحداً في حرب من الحروب.

ثم ألا يكفي في بلوغ عليّ أعلى درجات الشجاعة خروجه ليلاً وحده لا يشعر به أحد لمقابلة عشرة من الشجعان أقدموا هذا الإقدام، وقتله رئيسهم واحضاره رأسه وهزيمته التسعة وإقدامه ثانياً مع عدّة عليهم حتى قتلوهم وجاءوا برؤوسهم؟ ولو لا مكانه ما اجترأوا عليهم، أفلا يكفي هذا كله حتى يدّعي أحد الشيعة أنه قتل العشرة وحده؟ مع أن شيخ الشيعة وقدوتها «محمّد ابن محمّد بن النعمان الملقب بالمفيد» ذكر في إرشاده نحواً مما ذكره

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ١٩١ ـ ١٩٥، المغازي للواقدي ١: ٣٦٣، السيرة الحلبية ٢: ٢٦٣ ـ ٢٦٥.

(٢) السيرة الحلبية ٢: ٢٦٥ .

صاحب السيرة الحلبية ولم يقل إن علياً قتل العشرة، فقال: لما توجّه رسول الله ﷺ الى بني النضير عمل على حصارهم فضرب قبته في أقصى بني حطمة من البطحاء، فلما أقبل الليل رماه رجل من بني النضير بسهم فأصاب القبة، فأمر ﷺ أن تُحوّل قبته الى السفح وأحاط بها المهاجرون والأنصار، فلما اختلط الظلام فقدوا علياً عليه السلام، فقال الناس: يا رسول الله، لا نرى علياً، فقال: أراه في بعض ما يصلح شأنكم، فلم يلبث أن جاء برأس اليهودي الذي رمى النبيّ ﷺ ويقال له عزور، فطرحه بين يدي النبيّ ﷺ، فقال: كيف صنعت؟ فقال: إنّي رأيت هذا الخبيث جريئاً شجاعاً، فكمنت له وقلت ما أحراه أن يخرج إذا اختلط الليل يطلب منا غرّة، فأقبل مصلتاً بسيفه في تسعة نفر من اليهود، فشددت عليه فقتلته وأفلت أصحابه ولم يبرحوا قريباً، فابعث معي نفراً فإني أرجو أن أظفر بهم، فبعث معه عشرة فيهم أبو دجانة سماك بن حرشة وسهل بن حنيف، فأدركوهم قبل أن يلجوا الحصن فقتلوهم وجاءوا برؤوسهم الى النبيّ ﷺ، فأمر أن تطرح في بعض آبار بني حطمة، وكان ذلك سبب فتح حصون بني النضير[1][2]...الخ. وفي ذلك يقول الحاج هاشم الكعبي[3] شاعر أهل البيت:

---

(١) قال المُفيد: وفي ذلك يقول حسّان بن ثابت:

لله أيّ كريهة أبليتها ... ببني قريظة والنفوس تطلع

أردى رئيسهم وآب بتسعةٍ ... طوراً يشلهم وطوراً يدفع

وهو صريح في أن ذلك أومثله وقع مع بني قريظة وقيل فيه الشعر فكيف أورده في بني النضير، لكن في البحار بني نضير عوض بني قريظة. (المؤلّف)

(٢) الارشاد ١: ٩٢ ـ ٩٣.

(٣) المتوفى سنة (١٣٣١ هـ)، له «ديوان الكعبي» فيه مدائح أهل البيت عليهم السلام. أُنظر الذريعة، للأقا بزرك الطهراني ٩: ٩١٢، القسم ٣.

وشللت عشراً فاقتنصت رئيسهم   وتركت تسعاً للفرار عبيدا

وحاصرهم ﷺ خمسة عشر يوماً وقيل: أكثر، وكان سعد بن عبادة في تلك المدة يبعث التمر الى المسلمين. وقطع ﷺ نخلهم وحرق لهم نخلاً بالبويرة، فنادوه: يا محمّد! كنت تنهى عن الفساد وتعيبه فما بال قطع النخل وتحريقها ؟ فأنزل الله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَاسِقِينَ[(١)]﴾[(٢)] ـ واللينة واحدة اللين وهو نوع من النخل ـ [(٣)]، ويروى أن جميع ما قطع وحرق من النخل ست نخلات[(٤)]. وقذف الله في قلوبهم الرعب، فقالوا: نخرج عن بلادك ، فقال: لا أقبله اليوم، ولكن اخرجوا ولكم دماؤكم وما حملت الإبل من أموالكم إلّا الحلقة ـ أي آلة الحرب ـ فنزلوا على ذلك، فكانوا يُخربون بيوتهم بأيديهم فيهدم الرجل بيته عما استحسن من باب ونجاف وغيرهما لئلّا ينتفع بها المسلمون، وكان المسلمون أيضاً يُخربون مما يليهم وذلك قوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِي أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ـ أي خروجاً مؤبداً ـ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَاهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَا أُو۟لِي ٱلْأَبْصَارِ * وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[(٥)] فخرجوا الى

(١) الحشر: ٥.

(٢) المغازي للواقدي ١: ٣٧٢، السيرة الحلبية ٢: ٢٦٥ ـ ٢٦٦، أسباب النزول للواحدي: ٢٧٩.

(٣) المنجد: [مادة لين].

(٤) السيرة الحلبية ٢: ٢٦٦.

(٥) الحشر: ٢ ـ ٤.

خيبر ومنهم من خرج الى الشام فمن الذين خرجوا الى خيبر حيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وتحمّلوا على ستمائة بعير ووجد رسول الله ﷺ عندهم خمسين درعاً وخمسين بيضة وثلثمائة وأربعين سيفاً فأخذها[١].

غزوة بدر الموعد

لهلال ذي القعدة على رأس خمسة وأربعين شهراً من مهاجره، ويقال: بدر الآخرة وبدر الصغرى مقابل بدر الأُولى الكبرى، وإنما سميت «بدر الموعد» لأن أبا سفيان لما أراد أن ينصرف يوم أُحد نادى: الموعد بيننا وبينكم بدر الصفراء رأس الحول. وكانت سوقاً للعرب تقوم لهلال ذي القعدة الى ثمان تخلوا منه. وبعضهم يقول: إن بدر الموعد كانت بعد ذات الرقاع الآتية[٢]، لكن ابن سعد قال: إنها قبلها[٣]، فلما دنا الموعد كره أبو سفيان الخروج وقدم نعيم ابن مسعود الأشجعي مكة وهو مشرك، فقال له أبو سفيان: نجعل لك عشرين بعيراً يضمنها لك سهيل بن عمرو على أن تخذل أصحاب محمّد، قال نعم: وحملوه على بعير، فأسرع السير فأخبرهم بجمع أبي سفيان لهم وما معه من العدة والسلاح، فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده! لأخرجنّ وإن لم يخرج معي أحد[٤]، وذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ

---

(١) المغازي للواقدي ١: ٣٧٣ ـ ٣٧٤، أسباب النزول للواحدي: ٢٧٨ .

(٢) المغازي للواقدي ١: ٣٨٤.

(٣) الطبقات الكبرى ٢: ٦١ .

(٤) المصدر السابق ١: ٥٩ .

إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[١] .

وهو من استعمال لفظ الجمع في المفرد أطلق الناس وأراد نعيم بن مسعود، وأمثاله في القرآن كثير[٢].

فخرج رسول الله ﷺ في ألف وخمسمائة والخيل عشرة أفراس، وحمل لواءه عليّ بن أبي طالب، وخرجوا ببضائع لهم وتجارات ووصلوا بدراً ليلة هلال ذي القعدة فباعوها، وربح الدرهم درهماً وانصرفوا وقد سمع الناس بمسيرهم، وذلك قوله تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾[٣] وقال أبو سفيان لقريش نخرج فنسير ليلة أو ليلتين ثم نرجع، فخرج في ألفين ومعهم خمسون فرساً حتى انتهوا الى مرّ الظهران، ثم قال: ارجعوا فإن هذا عام جدب ولا يصلحنا إلّا عام خصب، فرجعوا فسمى أهل مكة ذلك الجيش «جيش السويق»، يقولون خرجوا يشربون السويق[٤].

غزوة ذات الرقاع

في المحرم على رأس سبعة وأربعين شهراً من مهاجره ﷺ بلغه أن أنماراً وثعلبة قد جمعوا له الجموع بنجد، فخرج إليهم ليلة السبت لعشر خلون من المحرم في أربعمائة ـ وقيل سبعمائة ـ حتى أتى محالهم بذات الرقاع، وهو جبل فيه بقع حمرة وسواد وبياض فلذلك سميت ذات الرقاع، وقيل: لأن ستة من المسلمين كان بينهم بعير فنقبت أقدامهم فكانوا يلفون عليها الرقاع، ـ أي

---

(١) آل عمران: ١٧٣ .

(٢) الطبقات الكبرى ١: ٦٠، السيرة الحلبية ٢: ٢٧٦، أسباب النزول للواحدي: ٨٧ .

(٣) آل عمران: ١٧٣ .

(٤) الطبقات الكبرى ٢: ٥٩ ـ ٦٠، السيرة الحلبية ٢: ٢٧٥، المغازي للواقدي: ٣٨٧ ـ ٣٨٨ .

الخرق ـ فلم يجد في محالهم أحداً إلّا نسوة فأخذهن، وهربت الأعراب الى رؤوس الجبال، وحضرت الصلاة فصلّى بهم صلاة الخوف لأنه خاف من الهجوم عليه في الصلاة فكانت أوّل صلاة خوف صلاها، ثم رجع الى المدينة وغاب خمس عشرة ليلة[١]، وبعض قال إنها كانت قبل بدر الموعد[٢] كما مرّ.

غزوة دومة الجندل

في ربيع الأوّل على رأس تسعة وأربعين شهراً من مهاجرهﷺ، وهي بلدة بينها وبين دمشق خمس ليال وبينها وبين المدينة خمس أو ست عشرة ليلة بقرب تبوك، وهي أقرب بلاد الشام الى المدينة وهي التي تسمى اليوم الجوف، بلغه أن بها جمعاً كثيراً يظلمون من مرّ بهم، وأنهم يريدون أن يدنوا من المدينة، فخرج إليهم لخمس ليالٍ بقين من ربيع الأوّل في ألف من المسلمين، فكان يسير الليل ويكمن النهار ومعه دليل من بني عذرة اسمه «مذكور» فلما دنا منهم إذا آثار النعم والشاء، فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب، وجاء الخبر أهل دومة فتفرّقوا ونزل بساحتهم فلم يجد بها أحداً، وبث السرايا فرجعت ولم تصب أحداً، وجاءت كل سرية بإبل وأُخذ منهم رجل فسأله عنهم فقال: هربوا حيث سمعوا أنك أخذت نعمهم، فعرض فأسلم ورجعﷺ الى المدينة ولم يلق كيداً لعشر ليال بقين من ربيع الآخر[٣].

---

(١) الطبقات الكبرى ٢: ٦٠ ـ ٦١، عيون الأثر ٢: ٢٩ ـ ٣٠.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٢٠٣، السيرة الحلبية ٢: ٢٧٠، المغازي للواقدي ١: ٣٩٥.

(٣) الطبقات الكبرى ٢: ٦٢ ـ ٦٣.

غزوة بني المصطلق

في شعبان سنة خمس من مهاجره وهم من خزاعة، ويقال: «بلمصطلق»، بالتخفيف مثل: «بلعنبر» أي بني العنبر وغير ذلك، وتسمى أيضاً غزوة المريسيع وهو بئر لهم بينها وبين الفرع نحو من يوم، وكان رئيسهم الحارث ابن أبي ضرار دعا قومه ومن قدر عليه من العرب الى حرب رسول الله ﷺ فأجابوه وتهيّئوا، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فبعث بريدة بن الحصيب الأسلمي ليأتيه بخبرهم، واستأذنه أن يقول ما يتخلّص به من شرّهم، فأذن له فأتاهم فقالوا: من الرجل ؟ قال : رجل منكم قدمت لما بلغني من جمعكم لهذا الرجل فأسير في قومي ومن أطاعني فنكون يداً واحدة حتى نستأصلهم ، فقال له الحارث: فعجل علينا، فركب ورجع الى رسول الله ﷺ فأخبره خبرهم.

فندب رسول الله ﷺ الناس إليهم فأسرعوا وقادوا ثلاثين فرساً عشرة في المهاجرين وعشرين في الأنصار، وخرج يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان، وخرج معه بشر كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزاة مثلها قط خرجوا طمعاً في الغنائم مع قرب المسافة وأصاب عيناً للمشركين كان وجّهه الحارث ليأتيه بخبر رسول الله ﷺ، فسأله ﷺ عنهم فلم يذكر من شأنهم شيئاً، فعرض عليه الإسلام فأبى، فأمر ﷺ بقتله فقتل، وبلغ الحارث قتله فسيء بذلك ومن معه وخافوا خوفاً شديداً وتفرّق عنهم من كان معهم من العرب، وانتهى ﷺ الى المريسيع فضرب عليه قبته وكان معه عائشة وأُم سلمة وتهيّأوا للقتال، وصف رسول الله أصحابه ثم دعاهم الى الإسلام فأبوا فتراموا بالنبل ساعة، ثم أمر ﷺ أصحابه فحملوا حملة رجل واحد فما أفلت منهم إنسان وقتل عشرة منهم وأُسر سائرهم فكُتّفوا ولم يُقتل من المسلمين إلاّ رجل واحد قتله

المسلمون خطأً، وكان شعار المسلمين «يا منصور أمت» وأُسر النساء والذرية وغنم النعم وهي ألفا بعير وخمسة آلاف شاة والسبي مائتا أهل بيت، وأسهم ﷺ للفارس سهمين، للفرس سهم ولصاحبه سهم وللراجل سهم[١].

قال المفيد في الإرشاد: كان من بلاء عليّ عليه السلام ببني المصطلق ما اشتهر عند العلماء وكان الفتح له في هذه الغزاة بعد أن أُصيب يومئذٍ ناس من بني عبدالمطلب، فقتل عليّ عليه السلام رجلين من القوم وهما مالك وابنه وأصاب ﷺ منهم سبياً كثيراً قسّمه في المسلمين وكان ممن أُصيب من السبايا: جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سباها عليّ عليه السلام فجاء بها الى النبيّ ﷺ بعد إسلام بقية القوم، فقال الحارث: يا رسول الله، إن ابنتي لا تسبى لأنها امرأة كريمة، فقال له: إذهب فخيّرها، قال: أحسنت وأجملت، وجاء إليها أبوها فقال لها: يا بنية لا تفضحي قومك، قالت: قد اخترت الله ورسوله، فقال لها أبوها: فعل الله بك وفعل، فأعتقها رسول الله ﷺ وجعلها من أزواجه...[٢] وسمّاها «جويرية» وكان اسمها برّة[٣].

وفي سيرة ابن هشام قتل عليّ بن أبي طالب عليه السلام منهم رجلين مالكاً وابنه...[٤]

وقال ابن سعد: كان السبي منهم مَن منّ عليه رسول الله ﷺ بغير فداء ومنهم من افتدى، وقدموا المدينة ببعض السبي فقدم عليهم أهلوهم فافتدوهم

---

(١) الطبقات الكبرى ٢: ٦٤، السيرة الحلبية ٢: ٢٧٨، المغازي للواقدي ١: ٤٠٤.

(٢) الإرشاد ١: ١١٨.

(٣) عيون الأثر ٢: ٨٤.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٢٩٤.

فلم تبق امرأة من بني المصطلق إلّا رجعت الى قومها[١]. وفي رواية: أنه ﷺ لما تزوّج جويرية قال المسلمون: في بني المصطلق أصهار رسول الله فاعتقوا ما بأيديهم[٢].

ووقع في هذه الغزاة عدة أُمور غريبة، «منها»: أنه تنازع سنان بن وبر الجهني حليف بني سالم من الأنصار وجهجاه بن سعيد الغفاري على الماء، فضرب جهجاه سناناً بيده، فنادى سنان: يا للأنصار! ونادى جهجاه: يا لقريش يا لكنانة! فأقبلت قريش سراعاً وأقبلت الأوس والخزرج وشهروا السلاح، فتكلّم في ذلك ناس من المهاجرين والأنصار حتى ترك سنان حقه واصطلحوا،فقال عبد الله بن أُبي ـ وكان منافقاً وهو من الأنصار من الخزرج ـ: «لئن رجعنا الى المدينة ليُخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ» ثم أقبل على من حضره من قومه، فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم وفي رواية أنه قال: ما هؤلاء، إلّا كما قال الأوّل: «سمن كلبك يأكلك»، وسمع ذلك زيد بن أرقم فأبلغ النبيّ ﷺ قوله، فأمر بالرحيل ليشتغل الناس به عن ذلك، فتقدّم عبد الله بن عبد الله بن أُبي الناس وكان خالص الإيمان لم يكن كأبيه، ووقف لأبيه على الطريق فلما رآه أناخ به وقال: لا أُفارقك حتى تزعم أنك الذليل ورسول الله ﷺ العزيز، فمرّ به رسول الله ﷺ فقال: دعه فلعمري! لنحسنن صحبته ما دام بين أظهرنا[٣] وفيه نزلت: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٤] وفي رواية: أنّه لما

(١) الطبقات الكبرى ٢: ٢٩٤.

(٢) المغازي للواقدي ١: ٤١١، تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ١١١.

(٣) الطبقات الكبرى ٢: ٦٤ ـ ٦٥.

(٤) المنافقون: ٨.

نزلت سورة المنافقين وفيها تكذيب ابن أُبي قال له أصحابه: اذهب الى رسول الله يستغفر لك فلوى رأسه، فنزلت: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا...الآية[١]﴾[٢].

وفيها كان حديث الإفك وقول أهل الإفك في عائشة وغاب رسول الله ﷺ ثمانية وعشرين يوماً وقدم المدينة لهلال شهر رمضان[٣]

غزوة الخندق

وتسمى أيضاً غزوة «الأحزاب» في ذي القعدة، وقيل[٤] في شوال سنة خمس من مهاجره ﷺ.

قال المؤرّخون : لما أجلى رسول الله ﷺ بني النضير ساروا الى خيبر، فخرج نفر من أشرافهم الى مكة منهم حيي بن اخطب وسلام بن مشكم وكنانة ابن أبي الحقيق وغيرهم فألبوا قريشاً ودعوهم الى الخروج الى رسول الله ﷺ، فقال لهم أبو سفيان : مرحباً وأهلاً أحبُّ الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمّد، وقالت لهم قريش : أنتم أهل الكتاب الأوّل والعلم أخبرونا أديننا خير أم دين محمّد؟ فقالوا: بل دينكم وذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ ٱلْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَٱلطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَـٰؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً﴾[٥] وعاهدوهم على قتاله ﷺ ووعدوهم لذلك موعداً، ثم أتوا غطفان وسليما ففارقوهم على مثل ذلك.

---

(١) المنافقون: ٥.

(٢) أسباب النزول للواحدي: ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

(٣) الطبقات الكبرى ٢: ٦٥.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٢١٤، تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٩٠.

(٥) النساء: ٥١.

وتجهّزت قريش وجمعوا أحابيشهم ومن تبعهم من العرب فكانوا أربعة آلاف، وعقدوا اللواء في دار الندوة فحمله عثمان بن طلحة بن أبي طلحة من بني عبد الدار وكان لهم حمل لواء قريش في الجاهلية عند الحرب دون غيرهم، ومنهم بنو شيبة سدنة الكعبة وأبوه كان صاحب لوائهم يوم أُحد فقُتل، وقادوا ثلاثمائة فرس وكان معهم ألف وخمسمائة بعير، وخرجوا وقائدهم أبوسفيان بن حرب بن أُمية. ووافتهم بنو سليم بمرّ الظهران سبعمائة وقائدهم سفيان بن عبد شمس حليف حرب بن أُمية وهو أبو أبي الأعور السلمي الذي كان مع معاوية بصفين، وخرجت معهم بنو أسد يقودهم طلحة بن خويلد، وخرجت فزارة ألف يقودهم عيينة بن حصن، وخرجت أشجع أربعمائة يقودهم مسعود بن رخيلة، وبنو مرّة أربعمائة يقودهم الحارث بن عوف وغيرهم. فكان جميع من ورد الخندق عشرة آلاف وهم الأحزاب وكانوا ثلاثة عساكر ورئيس الكل أبو سفيان، ولما تهيّأوا للخروج أتى ركب من خزاعة في أربع ليال فأخبروا رسول الله ﷺ فأخبر الناس وندبهم وشاورهم، فأشار سلمان الفارسي بالخندق وقال: إنّا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا، فأعجب ذلك المسلمين، فقطعه رسول الله ﷺ أربعين ذراعاً بين كل عشرة، فاحتف المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي كل يقول منا ، فقال رسول الله ﷺ: «**سلمان منا أهل البيت**»، وجعلوا يعملون في الخندق مستعجلين يبادرون قدوم عدوهم ، وعمل رسول الله ﷺ معهم بيده تنشيطاً لهم ووكّل بكل جانب قوماً وفرغوا من حفرهِ في ستة أيام وقيل: أكثر، وكان رسول الله ﷺ يقول وهم يحفرون : **اللهم لا خير إلّا خير الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة**، فيجيبونه قائلين : **نحن الذين بايعوا محمّداً على الجهاد**

ما بقينا أبداً[١] .

ورفع المسلمون النساء والصبيان في الآطام ، ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش فنزلت بمجتمع الأسيال ، ونزلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد الى جانب أُحد، وخرج رسول الله ﷺ يوم الاثنين لثمان ليال مضين من ذي القعدة في ثلاثة آلاف، وعسكر بهم الى سفح سلع[٢] وهو جبل فوق المدينة في شمالها وجعل سلعاً خلف ظهره والخندق بينه وبين القوم[٣]، واستخلف على المدينة ابن أُمّ مكتوم[٤].

وكان اليهود كما مرّ ثلاثة بطون معاهدين له ﷺ، فنقض بطنان منهم العهد: بنو قينقاع وبنو النضير وبقيت قريظة، فدس أبو سفيان حيي بن أخطب الى بني قريظة لينقضوا العهد ويكونوا معهم ، فخرج حيي حتى أتى كعب بن أسد صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، فأغلق كعب باب الحصن دونه فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له، فناداه: ويحك يا كعب! افتح لي، قال: إنك امرئ مشؤوم وقد عاهدت محمّداً فلست بناقض ما بيني وبينه ولم أر منه إلّا وفاءً وصدقاً، قال: ويحك! افتح لي أُكلمك، قال: ما أنا بفاعل، قال: ما أغلقت

---

(١) السيرة الحلبية ٢: ٣٠٩، المغازي للواقدي ١: ٤٤٢، ٤٥٤، الطبقات الكبرى ٢: ٦٦ .

(٢) معجم البلدان ٣: ٢٣٦ .

(٣) الظاهر أن الخندق لم يكن على جميع جهات المدينة، بل على الجهة التي هي غيرجهة جبل سلع يدل على ذلك قول المؤرّخين إنه عسكر الى سفح سلع.

وقولهم: جعل سلعاً خلف ظهره والخندق بينه وبين القوم.

وقولهم: إن عمرو بن عبد ودّ ومن معه لما عبروا الخندق جالت بهم خيلهم بين الخندق وسلع.

وما في السيرة الحلبية عن بعضهم أن أحد جوانب المدينة كان عورة وسائر جوانبها مشبكة بالبنيان والنخيل لا يتمكن العدو منه فاختار ذلك الجانب للخندق... الخ. السيرة الحلبية ٢: ٣١٥. (المؤلّف)

(٤) الطبقات الكُبرى ٢: ٦٦ ـ ٦٧ .

باب الحصن إلّا خوفاً على طعامك أن آكل منه فاحفظه، ففتح له ، فقال : جئتك بعزّ الدهر وببحر طام ، جئتك بقريش على قادتها وسادتها وبغطفان على قادتها وسادتها، قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمّداً ومن معه! فقال له : جئتني والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماءه، فهو يرعد ويبرق ليس فيه شيء، فدعني وما أنا عليه فإني لم أر من محمّد إلّا صدقاً ووفاء ، فلم يزل حيي بكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له، على أن أعطاه عهداً وميثاقاً؛ لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمّداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك ، فنقض كعب بن أسد عهده ومحا الكتاب الذي فيه العهد وقيل شقه، فبلغ ذلك ـ رسول الله ﷺ فأرسل جماعة يأتونه بالخبر وأوصاهم إن كان ما بلغه حقاً لحَنوا له ولم يُصرّحوا، وان كانوا على الوفاء أخبروه جهاراً فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم فعادوا الى رسول الله ﷺ وقالوا : عضل و القارة ، أي كغدر عضل و القارة بأصحاب الرجيع، فقال ﷺ: **الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين.**

وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وخيف على الذراري والنساء وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كلّ الظنّ وخلص الى كل امرئ منهم الكرب ونجم النفاق، حتى قال بعض المنافقين : كان محمّد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب الى الغائط[١]. وكانوا كما قال الله تعالى: **﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ ٱلظُّنُونَا* هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالاً شَدِيداً* وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا**

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٢١٩ ـ ٢٢٠، المغازي للواقدي ١: ٤٥٤.

وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾[(١)] .

ثم إن نعيم بن مسعود من غطفان أتى رسول الله ﷺ فقال: إني أسلمت ولم يعلم قومي بإسلامي فمرني بما شئت، فقال ﷺ له: **إنّما أنت فينا رجل واحد فخذّل، عنّا ما استطعت فإن الحرب خدعة**، فخرج حتى أتى بني قريظة وكان لهم نديماً في الجاهلية، فقال: قد عرفتم ودي إياكم، قالوا: صدقت لست عندنا بمتّهم، فقال: إن قريشاً وغطفان جاءوا لحرب محمّد وقد ظاهرتموهم عليه وليسوا مثلكم، البلد بلدكم به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون، على أن تتحولوا منه الى غيره ، أما هم فإن رأوا فرصة وغنيمة أصابوها وإلّا لحقوا ببلادهم وخلّوا بينكم وبين الرجل ولا طاقة لكم به فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم ، فقالوا: لقد أشرت برأي ونصح. ثم خرج الى أبي سفيان وأصحابه وقال : قد عرفتم ودي إياكم وفراقي محمّداً، وقد بلغني أمر رأيت حقاً عليّ أن أبلغكموه نصحاً لكم فاكتموا عليّ، قالوا نفعل ، قال: إن اليهود قد ندموا على ما صنعوا بينهم وبين محمّد وأرسلوا إليه هل يرضيك عنا أن نأخذ من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فندفعهم إليك فتضرب أعناقهم ثم نكون معك؟ قال: نعم ، فإن بعث إليكم اليهود يطلبون رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم. ثم أتى غطفان فقال: أنتم أصلي وعشيرتي وأحب الناس إليّ ولا أراكم تتهموني، قالوا: صدقت قال: فاكتموا عليّ، قالوا: نفعل، ثم قال لهم: مثلما قال لقريش، فلماكانت ليلة السبت أرسل أبو سفيان ورووس غطفان الى بنى قريظة أن أعدوا للقتال حتى نناجز محمّداً فقالوا اليوم السبت ولا نعمل فيه شيئاً ولسنا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً من رجالكم فانّا نخشى إن

(١) الأحزاب: ١٠ ـ ١٢.

ضرستكم الحرب أن تشمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل ولا طاقة لنا بـه ، فقالت قريش الذي حدثكم نعيم بن مسعود حق ، فارسلوا الى بني قـريظة لا ندفع إليكم رجلاً واحداً، فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا. فقالت بنو قريظة: إن الذي قال لكم نعيم بن مسعود لحقّ، فارسلوا الى قريش وغطفان أنّا لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً وخذل الله بينهم[١].

فلما اشتد على الناس البلاء ورأى النبيّ ﷺ ضعف قلوب أكثر المسلمين من حصارهم لهم ووهنهم في حربهم، بعث الى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر والى الحارث بن عوف وهما قائدا غطفان فاعطاهما ثلث ثمار المدينة، على أن يرجعا بمن معهما، فجاءا مستخفيين من أبـي سـفيان وكـتبوا كـتاب الصلح ولم تقع الشـهادة ولا عـزيمة الصـلح ، فـبعث ﷺ الى سـعد بـن مـعاذ وسعدبن عبادة فأخبرهما ، فقالا: يا رسول الله أمراً تحبه فنصنعه أم شيء أمرك الله به لا بد لنا منه أم شيء تصنعه لنا ؟ فقال : بـل شـيء أصـنعه لكـم لأنـي رأيت العرب قد رموكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم مـن شـوكتهم، فقال له سعد بن معاذ : قدكنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك وعبادة الأوثان وهم لا يطمعون أن يأكلوا منّا تمرة إلّا قرى أو بيعاً، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وأعزّنا بك وبه نعطيهم أموالنـا؟ والله! لا نـعطيهم إلّا السـيف حـتى يحكم الله بيننا وبينهم ، قال ﷺ: فأنت وذاك ، فتناول سعد بـن مـعاذ الصـحيفة فـمحا مـا فـيها مـن الكـتاب ، فـأقام رسـول الله ﷺ والمسـلمون، وعـدوهم مـحاصرهم بـضعاً وعشـرين ليـلة وليس بـينهم قـتال إلّا التـرامـي بـالنبل

---

(١) المغازي للواقدي ١: ٤٨٠ ـ ٤٨٤ .

والحجارة[١]، فرمى حبان بن العرقة سعد بن معاذ بسهم فأصاب أكحله وقال: خذها وأنا ابن العرقة ، فقال رسول الله ﷺ ـ وقيل سعد ـ : عرق الله وجهك في النار ، وقال سعد : اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فابقني لها فإنه لا قوم أحب اليَّ أن أُجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه، وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة، ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة ، وكان مع المشركين وحشي قاتل حمزة فزرق الطفيل بن النعمان فقتله[٢].

وروى ابن هشام[٣] والطبري: أن صفية بنت عبد المطلب كانت في فارع حصن حسان بن ثابت ، قالت: وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان، فمرّ بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا، ورسول الله والمسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا إن أتانا آت، فقلت: يا حسان، إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن، وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من ورائنا من يهود، وقد شغل عنا رسول الله ﷺ وأصحابه فأنزل إليه فاقتله، فقال : يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب، والله لو عرفتِ ما أنا بصاحب هذا ـ وكان حسان جباناً ـ فلما لم أرَ عنده شيئاً احتجزتَ وأخذتَ عموداً ونزلت إليه فضربته بالعمود حتى قتلته ورجعت، فقلت لحسان : انزل إليه فاسلبه فلم يمنعني من سلبه إلّا أنه رجل ، قال: ما لي بسلبه من حاجة[٤].

---

(١) السيرةالنبوية لابن هشام ٣: ٢٢٣، الكامل في التاريخ ٢: ١٢٤.

(٢) السيرة الحلبية ٢: ٣٢١، الطبقات الكبرى ٢: ٦٧ ـ ٦٨.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٢٢٨.

(٤) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٩٦.

وما أحق صفية الهاشمية بقول القائل :

ولو أن النساء كمثل هذي لفضلت النساء على الرجال[١]

وجاء فوارس من قريش، منهم عمرو بن عبد ود وعكرمة بن أبي جهل ونوفل بن عبد الله بن المغيرة وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان وضرار بن الخطاب الفهري، فاقبلوا تعنق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق، فلما تأمّلوه قالوا: إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ، فقيل لهم: إن معه رجلاً فارسياً أشار عليه بذلك فصاروا الى مكان ضيق في الخندق كان قد أغفله المسلمون فضربوا خيولهم فاقتحمت منه فجالت بهم بين الخندق وسلع[٢].

قال ابن هشام[٣] والطبري وغيرهما : وخرج على بن أبي طالب عليه السلام في نفر معه من المسلمين حتى أخذ عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم. قالا: وقد كان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد أُحداً، فلما كان يوم الخندق خرج معلّماً ليرى مكانه[٤].

أقول : يظهر أنهم لما عبروا الخندق وتقدموا نحو معسكر المسلمين فجالت بهم خيلهم بين الخندق وجبل سلع الذي جعله النبيّ صلى الله عليه وآله خلف ظهره، بادر عليّ عليه السلام فرابط عند الثغرة التي أقحموا خيولهم منها ليمنع من يريد عبور الخندق من ذلك المكان، فإنّه لم يكن في الحسبان أن المشركين يعبرون الخندق، فلما رأوهم عبروه على حين غفلة بادر عليّ بمن معه ليمنعوا غيرهم

(١) شجرة طوبى ٢: ٢٤٩، اللمعة البيضاء: ٦٢.

(٢) تاريخ دمشق ٤٢: ٧٨، البداية والنهاية ٤: ١٢٠.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٢٢٤ ـ ٢٢٥.

(٤) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٩٤ ـ ٩٥.

وليقاتلوهم إذا أرادوا الرجوع ، وهذه منقبة إنفرد بها عليّ عليه السلام في هذه الغزاة بمبادرته لحماية الثغرة دون غيره حين بدههم هذا الأمر الذي لم يكن في الحسبان، وعلموا أن هؤلاء الذين اقتحموا الخندق بخيولهم وأقدموا على ما كان يخال أنه ليس بممكن من أشجع الشجعان .

ويقول المفيد : إن علياً عليه السلام بعد قتله عمراً، وهرب من معه، انصرف الى مقامه الأوّل ـ يعني الثغرة التي أقحموا خيولهم منها ـ وقد كادت نفوس الذين خرجوا معه الى الخندق تطير جزعاً[1] وهذا يدل على أن الذين كانوا معه بخروجه خرجوا وإليه استندوا وعليه اعتمدوا.

وحينئذٍ، يحتاج الى الجمع بين ما مرّ وبين ما يأتي، من أنه لما طلب عمرو المبارزة قام عليّ فقال: «أنا له يا رسول الله» فإنه يدل على أنه كان مع النبيّ ﷺ، فالظاهر أنه لما سمع عَمْراً يطلب المبارزة جاء الى النبيّ ﷺ فقام بين يديه وقال: «أنا له يا رسول الله» فإنه لم يكن ليبارزه بغير إذنه ﷺ .

قال صاحب السيرة الحلبية : فقال عمرو من يبارز ؟ فقام عليّ وقال: «أنا له يا نبي الله»، قال: اجلس أنه عمرو، ثم كرر النداء وجعل يوبخ المسلمين ويقول: أين جنتكم التي تزعمون أنه من قُتل منكم دخلها، أفلا يبرز إليّ رجل؟! وقال:

ولقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز
إنـي كـذلك لم أزل متسرّعاً نحو الهزاهز
إن الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائز

فقام عليّ وهو مقنع في الحديد فقال: «أنا له يا رسول الله» فقال: اجلس أنه

---

(١) الإرشاد ١: ٩٩.

عمرو، ثم نادى الثالثة، فقام عليّ، فقال: «أنا له يا رسول الله» فقال: إنه عمرو، فقال: وإن كان عمراً، وفي رواية أنه قال له: هذا عمرو بن عبد ود فارس يليل، فقال: «وأنا عليّ بن أبي طالب» فأذن له وأعطاه سيفه ذا الفقار وألبسه درعه وعمّمه بعمامته، وقال: اللهم أعنه عليه، وفي رواية: أنه رفع عمامته الى السماء وقال: إلهي أخذت عبيدة مني يوم بدر، وحمزة يوم أُحد، وهذا عليّ أخي وابن عمي فلا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين، فبرز إليه عليّ وهو يقول:

لا تعجلنّ فقد أتاك ... مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة ... والصدق منجي كل فائز
إني لأرجو أن أُقيم ... عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى ... صيتها بعد الهزاهز

فقال له عمرو، من أنت ؟ قال: أنا عليّ، قال: ابن مَن؟ قال: ابن عبد مناف، أنا عليّ بن أبي طالب، فقال: غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أشدّ منك فانصرف فإنّي أكره أن أُهريق دمك فإن أباك كان لي صديقاً وكنت له نديماً، قال عليّ: لكني والله ما أكره أن أهريق دمك فغضب، وفي رواية أنه قال: إني لأكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك فارجع وراءك خير لك[١].

قال ابن أبي الحديد: كان شيخنا أبو الخير يقول: إذا مررنا عليه في القراءة بهذا الموضع: والله ما أمره بالرجوع إبقاء عليه، بل خوفاً منه، فقد عرف قتلاه ببدر وأُحد، وعلم أنه إن ناهضه قتله فاستحيا أن يظهر الفشل، فأظهر الإبقاء والإرعاء وأنه لكاذب فيهما[٢].

---

(١) السيرة الحلبية ٢: ٣١٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٩: ٦٤.

قال ابن إسحاق : فقال له عليّ: يا عمرو، قد كنت تعاهد الله لقريش أن لا يدعوك رجل الى خلّتين إلّا قبلت منه إحداهما، قال: أجل، قال عليّ: فإني أدعوك الى الله عزّ وجلّ وإلى رسوله ﷺ والإسلام، فقال: لا حاجة لي في ذلك، قال: فإني أدعوك الى البراز(١).

وفي رواية: إنك كنت تقول لا يدعوني أحد الى واحدة من ثلاث إلّا قبلتها، قال: أجل، قال: فإني أدعوك أن تشهد أن لا إله إلّا الله، وأن محمّداً رسول الله، وتسلم لربّ العالمين، قال: يا ابن أخي، أخّر عني هذه، فقال له: أما إنها خير لك لو أخذتها، قال: وأُخرى ترجع الى بلادك، فإن يك محمّد صادقاً كنت أسعد الناس به، وإن يك كاذباً كان الذي تريد، قال: هذا ما لا تتحدث به نساء قريش أبداً، كيف وقد قدرت على استيفاء ما نذرت(٢)، قال فالثالثة؟ قال: البراز، قال: إن هذه لخصلة ما كنت أظن أن أحداً من العرب يرومني بها، ولم يا ابن أخي فوالله ما أُحب أن أقتلك، فقال عليّ ولكني والله أُحب أن أقتلك ،فحمى عمرو! فقال له عليّ: كيف أُقاتلك وأنت فارس ولكن انزل معي، فاقتحم عن فرسه فعقره أو ضرب وجهه وسل سيفه كأنه شعلة نار، وأقبل على عليّ فتنازلا وتجاولا، فاستقبله عليّ بدرقته فضربه عمرو فيها فقدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجّه، فضربه عليّ على حبل عاتقه فسقط. وكان جابر بن عبد الله الأنصاري قد تبع علياًعليه السلام لينظر ما يكون منه ومن عمرو، قال: فثارت غبرة فما رأيتهما فسمعت التكبير تحتها فعلمت أن علياً قد قتله(٣).

وفي رواية أنه لما قتله كبر المسلمون، فلما سمع رسول الله ﷺ التكبير

---

(١) المستدرك للحاكم ٣: ٣٢.

(٢) فإنّه نذر لما أفلت هارباً يوم بدر وقد جرح أن لا يمس رأسه دهناً حتى يقتل محمداً ﷺ .

(٣) سبل الهدى والرشاد ٤: ٣٧٨، السيرة الحلبية ٢: ٣١٩ ـ ٣٢٠.

عرف أن علياً قتل عمْراً، ولما قتل عمرو هرب الذين كانوا معه حتى اقتحمت خيلهم الخندق وتورطت بنوفل بن عبد الله بن المغيرة فرسه في الخندق فرموه بالحجارة ، فقال: يا معشر العرب قتلة أجمل من هذه ينزل إليَّ بعضكم أُقاتله فنزل إليه عليّ فقتله[١].

وروى ابن إسحاق في المغازي: أن المشركين بعثوا الى رسول الله ﷺ يشترون جيفة عمروبعشرة آلاف درهم، فقال هو لكم ولا نأكل ثمن الموتى[٢].

وفيه من التعليم على تشريف النفس والإباء وكرم الغلبة أمر ظاهر.

ولحق عليّ عليه السلام هبيرة فأعجزه وضرب قربوس سرحه فسقطت درع كانت له قد احتقبها وفرّ عكرمة وضرار[٣].

وفي إرشاد المفيد : روى يونس بن بكير، عن محمّد بن إسحاق، قال : لما قتل عليّ بن أبي طالب عمْراً أقبل نحو رسول الله ﷺ ووجهه يتهلل ، فقال له عمر بن الخطاب: هلّا سلبته ـ يا عليّ ـ درعه، فإنه ليس في العرب درع مثلها؟ فقال: إني استحييت أن أكشف سوأة ابن عمّي[٤]. وفي السيرة الحلبية، عن السهيلي نحوه[٥].

وفي الإرشاد: روى عمر بن الأزهر، عنه، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن أنّ علياً لما قتل عمرو بن عبد ود أخذ رأسه وحمله فألقاه بين يدي

---

(١) السيرة الحلبية ٢: ٣١٥، تاريخ اليعقوبي ١: ٣٦٩، تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٦٥.

(٢) راجع السيرة الحلبية ٢: ٣٢٠، سبل الهدى والرشاد ٤: ٣٧٩ .

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٢: ٣٢٦،كشف الغُمّة ١: ٢٠٤ .

(٤) الإرشاد ١: ١٠٤ .

(٥) السيرة الحلبية ٢: ٣٢٠.

النبيّ ﷺ، فقام أبو بكر وعمر فقبّلا رأس عليّ[١]، قال ورجع عليّ عليه السلام الى مقامه الأوّل وهو يقول :

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ونصرت ربّ محمّد بصواب
فضربته فتركته متجدّلاً كالجذع بين دكادك وروابي
وعففت عن أثوابه ولو أنني كنت المقطر بزّني أثوابي
لا تحسبن الله خاذل دينه ونبيه يا معشر الأحزاب[٢]

وكان مع عمرو ابنه حسل بن عمرو فقتله عليّ عليه السلام، رواه ابن هشام في سيرته عن ابن شهاب الزهري[٣]. قال جابر: فما شبهت قتل عليّ عمْراً إلّا بما قصّ الله من قصة قتل داود جالوت، حيث يقول الله جل شأنه: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ[٤]﴾[٥]، وفيما رواه الحاكم بسنده أن قائل ذلك يحيى ابن آدم[٦]. ولا مانع من أن يكون كل منهما قال ذلك.

وقال النبيّ ﷺ: **قَتْلُ عليّ لعمرو بن عبد ود أفضل من عبادة الثقلين**[٧]. وروى الحاكم في المستدرك بسنده أن النبيّ ﷺ قال : **لمبارزة عليّ بن أبي طالب لعمرو بن عبد ود يوم الخندق أفضل من أعمال أُمتي الى يوم القيامة**[٨]. وقال ابن تيمية ـ على عادته في إنكار البديهيات ورد المتواترات والمسلمات في الحديث الأوّل ـ :

---

(١) الإرشاد ١: ١٠٤ ـ ١٠٥.
(٢) السيرة الحلبية: ١٠٠.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٢٥٣.
(٤) البقرة: ٢٥١.
(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٩: ٦١ ـ ٦٢.
(٦) المستدرك للحاكم ٣: ٣٤.
(٧) السيرة الحلبية ٢: ٣٢٠.
(٨) المستدرك للحاكم ٣: ٣٢.

أنه حديث موضوع، وكيف يكون قتل كافر أفضل من عبادة الثقلين الإنس والجن ومنهم الأنبياء، بل إن عمرو بن عبد ود هذا لم يعرف له ذكر إلّا في هذه الغزوة...الخ[١].

وقال الذهبي في تلخيص المستدرك بعد نقل الحديث الثاني: قبح الله رافضياً افتراه[٢].

وأقول: قبح الله ناصبياً يرد حديث رسول الله ﷺ بالهوى والعداوة لأخيه وابن عمّه، ويزعم في ميزانه[٣] أن النصب قد ارتفع في عصره وليس عجيباً أن يتكلم الذهبي بذلك وهو تلميذ ابن تيمية .

وفي السيرة الحلبية : يرد قول ابن تيمية، أنه لم يعرف له ذكر إلّا في هذه الغزوة، ما روي من أنه قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد أُحداً فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مكانه[٤] .

أقول روى ذلك الحاكم في المستدرك بسنده الى ابن إسحاق، قال :كان عمروبن عبد ود ثالث قريش، وكان قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة ولم يشهد أُحداً، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مشهده[٥].

قال في السيرة الحلبية : ويردّه أيضاً ما مرّ من انّه نذر أن لا يمس رأسه دهناً حتى يقتل محمّداً[٦] .

أقول ويردّه أنه كان معروفاً «بفارس يليل» اسم مكان كانت له فيه وقعة

(١) منهاج السنّة لابن تيمية ٨: ١١٠ .

(٢) تلخيص المستدرك للذهبي بهامش المستدرك ٣: ٣٢ .

(٣) ميزان الاعتدال ١: ٧٥ .

(٤) السيرة الحلبية ٢: ٣٢٠ .

(٥) المستدرك للحاكم ٣: ٣٢ .

(٦) السيرة الحلبية ٢: ٣٢٠ .

مشهورة، وورد تسميته بذلك في شعر مسافع الآتي وفيما مرّ . وفيما رثي به عمرو ـ مما يأتي ـ ما يدل على نباهته وشجاعته، وأنه ذومقام عال في قريش، قال: واستدلاله بقوله: «وكيف يكون»، فيه نظر، لأن قتل هذا كان فيه نصرة للدين وخذلان للكافرين... الخ[١].

أقول : تأبى لابن تيمية حاله المعلومة، إلّا أن يصادم البديهة، فإن أقل نظرة يلقيها الإنسان على تلك الغزوة فيرى عشرة آلاف محاصرين للمدينة حنقين أشدّ الحنق على أهلها، وهم دون الثلث بينهم عدد كثير من المنافقين، وبنو قريظة الى جنبهم يخافون منهم على ذراريهم ونسائهم، وما أصاب المسلمين من الخوف والهلع الذي اضطر النبيّ ﷺ أن يصانع غطفان بنصف ثمار المدينة، وتعظيم الله تعالى ذلك في القرآن الكريم بقوله: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ * هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالاً شَدِيداً﴾[٢] ووقوف عمرو ينادي بالمسلمين ويقرعهم ويطلب البراز ولا يجيبه أحد إلّا عليّ فيقتل عمراً وينهزم المشركون بقتله ويرتفع البلاء ويأتي الفرج. أقل نظرة يلقيها الإنسان على تلك الحال توصله الى اليقين بأن ضربة عليّ يومئذٍ أفضل من عبادة الجن والإنس والملائكة وملايين من العوالم أمثالهم لو كانت، سواء أجاء الحديث بذلك عن رسول الله ﷺ أم لم يجيء ومتى احتاج النهار الى دليل؟! ولولا تلك الضربة لما عُبد الله، بل عُبدت الأوثان .

وقد يسأل سائل هنا، فيقول : لما عبر عمرو والأربعة[٣] معه الخندق.

---

(١) السيرة الحلبية ٢: ٣٢٠.

(٢) الأحزاب: ١٠ ـ ١١.

(٣) الثلاثة الأوّلون ارتدّوا وماتوا على الردّة والأشعث ارتدّ فأُتي به إلىٰ أبي بكر ﷺ أسيراً فعاد إلى الإسلام←

لماذا لم يقم إليهم المسلمون فيقتلوهم وهم خمسة نفر والمسلمون ثلاثة آلاف، والمشركون يصعب عليهم إنجادهم لوجود الخندق؟

والجواب: إن المسلمين كان قد استولى عليهم الخوف والهلع وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وذهبت بهم الظنون، وكان عبور المشركين من ثغرة الخندق غير مأمون، ولذلك بدر عليّ قبل قتله عمْراً الى الثغرة مع جماعة فحماها، وقد كادت نفوس الذين معه تطير جزعاً ـ كما مرّ ـ ورجع بعد قتل عمرو فحماها أيضاً.

كل ذلك يدل على أن عبور الخندق كان محل الخوف والخطر، وأن علياً وحده كان الثابت الجنان في هذه المواقف الرهيبة.

قال المفيد في الإرشاد: وروى قيس بن الربيع حدّثنا أبو هارون العبدي عن ربيعة السعدي، قال: أتيت حذيفة بن اليمان فقلت له: يا أبا عبد الله، إنّا لنتحدّث عن عليّ ومناقبه، فيقول لنا أهل البصرة: إنكم تفرطون في عليّ، فهل أنت محدّثي بحديث فيه؟ فقال: حذيفة يا ربيعة، وما تسألني عن عليّ، فوالذي نفسي بيده لو وضع جميع أعمال أصحاب محمّدﷺ في كفة الميزان منذ بعث الله محمّداًﷺ الى يوم القيامة ووضع عمل عليّ في الكفة الأُخرى، لرجح عمل عليّ على جميع أعمالهم، فقال ربيعة: هذا الذي لا يقام له ولا يقعد ولا يحمل، فقال حذيفة: يا لكع! وكيف لا يحمل؟ وأين كان فلان وفلان وحذيفة وجميع أصحاب محمّدﷺ يوم عمرو بن عبد ود وقد دعا الى المبارزة؟! فأحجم الناس كلهم ما خلا علياً، فإنه برز إليه وقتله الله على يده، والذي نفس حذيفة بيده، لعمله ذلك أعظم أجراً من أعمال أصحاب محمّد الى

← وزوّجه أخته وكانت عوراء فأولدها محمّداً أحد قتلة الحسينعليه السلام. (المؤلّف)

يوم القيامة...الخ[١].

قال الحاكم في المستدرك : ثم أقبل عليّ نحو رسول الله ﷺ ووجهه يتهلل، فقال عمر بن الخطاب: هلّا سلبته درعه فليس للعرب درع خير منها؟ فقال: ضربته فأتقاني بسوءته واستحييت ابن عمّي أن استلبه...الخ[٢].

قال الرازي في تفسيره : أنه ﷺ قال لعلي بعد قتله لعمرو بن عبد ود: كيف وجدت نفسك معه يا عليّ ؟ قال: وجدتها لو كان أهل المدينة كلهم في جانب وأنا في جانب لقدرت عليهم[٣].

قال المفيد : وكان قتل عليّ عليه السلام عمْراً ونوفلاً سبب هزيمة المشركين، وقال رسول الله ﷺ بعد قتله هؤلاء النفر : الآن نغزوهم ولا يغزوننا[٤]، وذلك قوله تعالى : ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْراً وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزاً﴾[٥] .

وفي الإرشاد : وروى عليّ بن الحكيم الأودي، قال: سمعت أبا بكر بن عياش يقول : لقد ضرب عليّ ضربة ماكان في الإسلام أعزّ منها ـ يعني ضربة عمرو بن عبد ود ـ ولقد ضُرب عليه السلام ضربة ما ضُرب في الإسلام أشأم منها يعني ضربة ابن ملجم[٦].

وفيه: روى أحمد بن عبد العزيز، حدّثنا سليمان بن أيوب عن أبي الحسن المدائني قال: لما قتل عليّ بن أبي طالب عمرو بن عبد ود نُعي الى أُخته،

(١) الإرشاد ١: ١٠٣.

(٢) المستدرك للحاكم ٣: ٣٣.

(٣) لم نقف عليه في التفسير الكبير للرازي، ونقله عنه الحلبي في السيرةالحلبية ٢: ٣٢٠.

(٤) الإرشاد ١: ١٠٥.

(٥) الأحزاب: ٢٥ .

(٦) الإرشاد ١: ١٠٥.

واسمها عمرة وكنيتها أُمّ كلثوم، فقالت: من ذا الذي اجترأ عليه؟ فقالوا: ابن أبي طالب، فقالت: لم يعد موته؛ إن كان عليّ يد كفؤ كريم لا رقأت دمعتي إن هرقتها عليه، قتل الأبطال وبارز الأقران وكانت منيته على يد كفؤ كريم من قومه ما سمعت بأفخر من هذا يا بني عامر، ثم أنشات تقول :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... لكنت أبكي عليه آخر الأبد
لكن قاتل عمرو لا يعاب به ... من كان يدعى قديماً بيضة البلد[1]

وتتمة الأبيات :

من هاشم ذراها وهي صاعدة ... الى السماء تميت الناس بالحسد
قوم أبى الله إلّا أن يكون لهم ... كرامة الدين والدنيا بلا لدد
يا أُمّ كلثوم إبكيه ولا تدعي ... بكاء معولة حرّى على ولد[2]

وقالت أيضا في قتل أخيها وذكر عليّ بن أبي طالب :

أسدان في ضيق المكر تصاولا ... وكلاهما كفؤ كريم باسل
فتخالسا مهج النفوس كلاهما ... وسط المذاد مخاتل ومقاتل
وكلاهما حضر القراع حفيظة ... لم يثنه عن ذاك شغل شاغل
فاذهب ـ عليّ ـ فما ظفرت بمثله ... قول سديد ليس فيه تحامل
ذلّت قريش بعد مهلك فارس ... فالذّل مهلكها وخزي شامل

ثم قالت: والله، لا ثأرت قريش بأخي ما حنت النيب[3] .

قال: وفي قتل عمرو بن عبد ود يقول حسان بن ثابت :

---

(١) الإرشاد ١: ١٠٨ .

(٢) جواهر المطالب لابن الدمشقي ٢: ١٦٨ .

(٣) الإرشاد ١: ١٠٨ ـ ١٠٩، الفصول المختارة: ٢٣٧، والنيب جمع ناب وهو الإبل المسنّة، عن هامش الإرشاد.

أمسى الفتى عمرو بن عبد يبتغي ... بجنوب يثرب غارة لم تنظر
ولقد وجدت سيوفنا مشهورة ... ولقد وجدت جيادنا لم تقصر
ولقد رأيت غداة بدر عصبة ... ضربوك ضرباً غير ضرب الحسّر
أصبحت لا تدعي ليوم عظيمة ... يا عمرو أو لجسيم أمر منكر

فلما بلغ شعر حسان بني عامر أجابه فتى منهم، فقال ـ يرد عليه في افتخاره بالأنصار ـ :

كذبتم وبيت الله لا تقتلوننا ... ولكن بسيف الهاشميين فافخروا
بسيف ابن عبد الله أحمد في الوغى ... بكف عليّ نلتم ذاك فاقصروا
ولم تقتلوا عمرو بن عبد بباسكم ... ولكنه الكفو الهزبر الغضنفر
عليّ الذي في الفخر طال بناؤه ... فلا تكثروا الدعوى علينا فتحقروا
ببدر خرجتم للبراز فردّكم ... شيوخ قريش جهرة وتأخّروا
فلما أتاهم حمزة وعبيدة ... وجاء عليّ بالمهند يخطر
فقالوا نعم أكفاء صدق فأقبلوا ... إليهم سراعاً إذ بغوا وتجبروا
فجال عليّ جولة هاشمية ... فدمّرهم لما عتوا وتكبروا
فليس لكم فخر علينا بغيرنا ... وليس لكم فخر يعد فيذكر(١)

وقال مسافع بن عبد مناف بن وهب الجمحي ـ يبكي عمروبن عبد ود، ويذكر قتل عليّ بن أبي طالب إياه ـ أورده ابن هشام :

عمرو بن عبد كان أوّل فارس ... جزع المذاد وكان فارس يليل(٢)

---

(١) الإرشاد ١: ١٠٦ ـ ١٠٧.

(٢) جزع ـ بالجيم والزاي والعين المهملة ـ كنع، يقال: جزع الأرض والوادي إذ قطعه، أو قطعه عرضاً.

والمذاذ ـ بفتح الميم والذال المعجمة بعدها ألف فدال مهمة ـ قال ابن الأعرابي: موضع بالمدينة حيث حفر ←

ولقــد تكـنّفت الأسـنة فـارساً بـجنوب سـلع غـير نكس أمـيل
يسـل النـزال عـلى فـارس غـالب بـجنوب سـلع ليـته لم يـنزل
فـاذهب عـليّ فـما ظـفرت بـمثله فخراً فـلا لاقـيت مـثل المـعضل[١]

وقال هبيرة بن أبي وهب الذي كان مع عمرو وهرب يرثي عـمرو بـن عبدود ويذكر قتل عليّ إيّاه أورده ابن هشام:

فلا تـبعدن يـا عـمرو حـياً وهـالكا فقد بنت محمود الثنا ماجد الأصـل
فــمن لطــراد الخـيل تـقرع بـالقنا ولـلـفخر يــوماً عـند قـرقرة البـزل
هــنالك لو كــان ابــن عـبد لزارهـا وفـرجـها حـقّا فـتى غـير مـا وغـل
فـعنك عــليّ لا أرى مــثل مـوقف وقـفت عـلى نـجد المـقدم كـالفحل
فــما ظــفرت كــفاك فــخراً بـمثله أمنت به ما عشت مـن زلة النـعل[٢]

قال ابن هشام[٣] والطبري: وبعث الله عـلى المشـركين الريـح فـي ليـال شاتية شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح أبنيتهم، وذلك قوله تعالى: ﴿يـا أيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾[٤] فلما انتهى الى رسول الله ﷺ ما اختلف مـن أمـرهم ومـا فرّق الله من جماعتهم، قال: من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع -

---

← النبيّ ﷺ الخندق.

ويليل: ـ بمثناتين تحتيتين مفتوحتين ولامين أولاهما ساكنة ـ اسم وادكانت له فيه وقعة مشهورة.

وحاصل معنى البيت: أن عمرو بن عبد ودكان أوّل فارس عبر الخندق وكان فارس يليل، حتى كأنه لم يكن فيه فارس سواه على المبالغة. (المؤلّف)

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٢٨١.

(٢) المصدر السابق ٣: ٢٦٧ ـ ٢٦٨.

(٣) المصدر السابق ٣: ٢٣١ ـ ٢٣٣.

(٤) الأحزاب: ٩.

يشرط له رسول الله ﷺ الرجعة ـ وأسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة؟ فما قام رجل من شدة الخوف والجوع والبرد ، قال حذيفة بن اليمان: فلما لم يقم أحد دعاني فلم يكن لي بد من القيام، فقال: **إذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يصنعون ولا تحدثنّ شيئاً حتى تأتينا**، فذهبت فدخلت في القوم والريح تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء، فقام أبو سفيان فقال يا معشر قريش، لينظر امرؤ من جليسه ؟ فأخذت بيد الرجل الذي كان الى جنبي فقلت: من أنت ؟ قال: فلان ابن فلان ، ثم قال أبوسفيان: إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف واخلفتنا بنو قريظة ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فوالله ما أطلق عقاله إلّا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله ﷺ أن لا أحدث شيئاً حتى آتيه لقتلته، ثم رجعت الى رسول الله ﷺ فأخبرته .

وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين الى بلادهم، فلما كان الصباح انصرف رسول الله ﷺ بالمسلمين عن الخندق راجعاً الى المدينة ووضعوا السلاح(١).

غزوة بني قريظة

في ذي القعدة سنة خمس(٢) قد عرفت أن اليهود الذين كانوا بنواحي المدينة ثلاثة أبطن بنو النضير وبنو قينقاع وبنو قريظة وأنه كان بينهم وبين

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٢: ٩٧ ـ ٩٨ .

(٢) المغازي للواقدي ١: ٤٩٦ .

رسول الله ﷺ عهد ومدّة، فأوّل من نقض العهد منهم بنو قينقاع فأجلاهم رسول الله ﷺ الى أذرعات، ثم نقضه بنو النضير فأجلا بعضهم الى خيبر ومنهم حيي بن أخطب وبعضهم الى الشام وأن حيياً أتى بني قريظة يوم الخندق فلم يزل بهم حتى نقضوا العهد .

فلما كان الظهر من صبيحة اليوم الذي رجع فيه رسول الله ﷺ أمر بلالاً، فنادى في الناس: من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلّينّ العصر إلّا في بني قريظة، واستعمل على المدينة ابن أُم مكتوم[١] .

قال محمّد بن إسحاق: حدّثني أبي إسحاق بن يسار عن معبد بن كعب بن مالك الأنصاري، قال: قدّم رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب برايته الى بني قريظة وابتدرها الناس[٢]. وقال ابن سعد: دعا علياً فدفع إليه لواءه[٣].

وفي إرشاد المفيد: أنه ﷺ أرسل علياً إليهم في ثلاثين من الخزرج، فسار عليّ حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ ، فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق، فقال: يا رسول الله، لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث، قال: لِمَ؟ أظنك سمعت منهم لي أذى قال: نعم، قال: لو رأوني لم يقولوا من ذاك شيئاً، وفي رواية: دعوهم فإن الله سيمكن منهم .

قال المفيد: «قال عليّ: سرت حتى دنوت من سورهم فأشرفوا عليّ، فلما رأوني صاح صائح منهم: قد جاءكم قاتل عمرو، وقال آخر: قد أقبل عليكم قاتل عمرووجعل بعضهم يصيح ببعض ويقولون ذلك، وألقى الله في قلوبهم الرعب، حتى ركزت الراية في أصل الحصن فاستقبلوني في صياصيهم

(١) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٩٨.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٢٣٤.

(٣) الطبقات الكبرى ٢: ٧٤.

يَسبّون رسول الله ﷺ ، فلما سمعت سبّهم له كرهت أن يسمع فعملت على الرجوع إليه، فإذا به قد طلع وسمع سبّهم له، فناداهم: يا اخوة القردة والخنازير، إنا إذا حللنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين! فقالوا له : يا أبا القاسم، ماكنت جهولاً ولا سبّاباً ؛ فاستحيى ورجع القهقرى قليلاً، وأمر فضربت خيمته بازاء حصونهم»[١].

وتلاحق به الناس، فأتى رجال منهم من بعد العشاء الآخرة ولم يُصلّوا العصر، لقوله ﷺ : **لا يُصلّين أحد العصر إلّا في بني قريظة**، فصلّوا العصر بها بعد العشاء الآخرة، فما عابهم الله بذلك في كتابه ولا عنفهم رسول الله ﷺ ، وفي رواية: تخوف بعضهم فوات الوقت فصلّوا، وقال آخرون: لا نصلّي إلّا حيث أمرنا رسول الله ﷺ وإن فات الوقت، فما عنف ﷺ واحداً من الفريقين[٢] .

أقول: كان مراده ﷺ أن يسرعوا الى بني قريظة فيدركوا صلاة العصر هناك، لا أن صلاة العصر لا تصح منهم إذا تأخروا لمانع إلّا في بني قريظة، والذين لم يُصلّوا العصر كأنهم توهموا ذلك، فكانوا معذورين .

قال ابن سعد: سار إليهم ﷺ في المسلمين وهم ثلاثة آلاف والخيل ستة وثلاثون فرساً، وذلك يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة، فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة[٣]، وقيل خمسة عشر يوماً[٤]، ويوشك أن يكون صحف أحدهما بالآخر[٥] ، حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم

---

(١) الإرشاد ١: ١٠٩ ـ ١١٠.

(٢) المغازي للواقدي ١: ٥٠٠، الطبقات الكبرى ٢: ٧٦، السيرة الحلبية ٢: ٣٣٤.

(٣) الطبقات الكبرى ٢: ٧٦.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٢٣٥ .

(٥) وهو كذلك فإن قول الخمس والعشرين ليلة لابن هشام، وقول الخمسة عشر يوماً لابن سعد .

الرعب، وقد كان حيي بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما عاهده عليه، فلما أيقنوا أنه ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم، قال لهم كعب بن أسد: إني عارض عليكم خلالاً ثلاثاً فخذوا بما شئتم منها قالوا: وماهي؟ قال: نتابع هذا الرجل، فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل، قالوا: لا نفارق حكم التوراة ، قال : إذا أبيتم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج بأسيافنا فإن نهلك لم نترك وراءنا ما نخشى عليه، وإن نظهر لنجدن بدله ، قالوا : نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم ، قال: فإن أبيتم فالليلة السبت عسى أن يكون محمّد وأصحابه قد أمنوا فيها فانزلوا لعلنا نصيب منهم غرة ، قالوا نفسد علينا سبتنا ، قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أُمّه حازماً[١].

ثم إنهم بعثوا الى رسول الله ﷺ أن إبعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمروبن عوف من الأوس ـ وكان بنو قريظة حلفاءهم ـ لنستشيره، فأرسله إليهم، فقام إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه فرَقَّ لهم، فقالوا: يا أبا لبابة، أترى أن ننزل على حكم محمّد ؟ قال نعم ، وأشار بيده الى حلقه أنه الذبح ، قال: فوالله، ما زالت قدماي حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله ، ثم انطلق على وجهه ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد الى عمود من عمده ، وقال: لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله عليَّ، فنزلت فيه: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لَاتَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٢٣٥ ـ ٢٣٦، تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٩٩.

(٢) الأنفال: ٢٧.

قال ابن إسحاق : فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره، قال : **أما إنه لو جاءني لاستغفرت له، أما الآن فما أنا بالذي أطلقه حتى يتوب الله عليه.** فأقام مرتبطاً بالجذع ست ليال تأتيه امرأته في كل وقت صلاة فتحلّه للصلاة ثم يعود فيرتبط بالجذع، حتى نزلت توبته بقوله تعالى : ﴿وَآخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١]، فثار إليه الناس ليطلقوه فقال: لا والله حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقني بيده فأطلقه[٢]. واسطوانة أبي لبابة معروفة في المسجد النبوي الى اليوم .

فلما أصبح بنو قريظة نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فأمر بهم فكتّفوا ونُحوا ناحية وأُخرج النساء والذرية فكانوا ناحية ، وإنما نزلوا على حكمه بعد الذي سمعوه من أبي لبابة لأنهم لم يجدوا مناصاً، وأملوا النجاة بشفاعة الأوس حلفائهم . ووُجد في حصونهم ألف وخمسمائة سيف وثلاثمائة درع وألفا رمح وألف وخمسمائة ترس. فتواثبت الأوس وطلبوا من النبيّ ﷺ أن يهبهم إياهم لأنهم حلفاؤهم كما وهب بني قينقاع للخزرج حين نزلوا على حكمه لأنهم حلفاؤهم ، فقال ﷺ : **ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟** قالوا: بلى، قال **فذاك الى سعد بن معاذ،** وكان بعد قد أصابه سهم يوم الخندق في أكحله، فجعله رسول الله ﷺ في خيمة امرأة من أسلم يقال لها: «رفيدة» في مسجده ليكون قريباً منه، وكانت تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين، فلما حكمه رسول الله ﷺ حمله قومه على حمار وأقبلوا به الى رسول الله ﷺ وهم يقولون: يا أبا عمرو، أحسن في

(١) التوبة: ١٠٢.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٢٣٦ ـ ٢٣٨، السيرة الحلبية ٢: ٣٣٤ ـ ٣٣٧.

مواليك، فلما انتهى الى رسول الله قالﷺ : قوموا الى سيدكم فانزلوه، فقاموا إليه فقالوا: إن رسول الله قد ولّاك مواليك لتحكم فيهم ، قال: فإني أحكم فيهم بأن تُقتل الرجال وتُقسم الأموال وتُسبى الذراري والنساء وتكون الديار للمهاجرين دون الأنصار، فقال رسول اللهﷺ : حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع أرقعة. ثم استُنزلوا(١).

وانصرفﷺ يوم الخميس لسبع ليال خلون من ذي الحجة الى المدينة، وأمر بهم فأُدخلوا المدينة فحُبسوا في دار رملة بنت الحارث من بني النجار، وهي الدار التي كان النبيّﷺ يُنزل بها الوفود، ثم خرج رسول اللهﷺ الى موضع السوق فخندق فيه خنادق وخرج معه المسلمون، وأمر بهم أن يُخرجوا وتقدّم أن تُضرب أعناقهم في الخندق ، فأُخرجوا أرسالاً وقُتلوا وفيهم حيي بن أخطب ورئيسهم كعب بن أسد وكانوا بين الستمائة والسبعمائة، وبعضهم يقول بين الثمانمائة والتسعمائة ، وكان يُقتل منهم من أنبت، فقالوا لكعب بن أسد وهم يُذهب بهم: ياكعب، ما ترى يصنع بنا ؟ فقال في كل موطن لا تعقلون ، ألا ترون الداعي لا ينزع ومن ذهب به منكم لا يرجع ، وهو والله القتل!

وجِيء بحيي بن أخطب وعليه حُلّة قد شقّقها كموضع أنملة، لئلا يُسلبها مجموعة يداه الى عنقه بحبل، فلما نظر الى رسول اللهﷺ قال: أما والله ما لُمت نفسي في عداوتك ولكنه من يَخذُل الله يُخذل. ثم أقبل على الناس فقال : إنه لا بأس بأمر الله كتاب الله وقدره وملحمة قدكُتبت على بني إسرائيل(٢).

---

(١) المغازي للواقدي ١: ٥١٠ ـ ٥١٢، الطبقات الكُبرى ٢: ٧٥، السيرة الحلبية ٢: ٣٣٨.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك للطبري: ١٠١ ـ ١٠٢، المغازي للواقدي ٢: ٥١٣.

وقُتل من نسائهم امرأة واحدة كانت ألقت رحى على رجُل من المسلمين فشدخته وأسلم منهم اثنان فسلما، فلما قُتلوا انفجر جرح سعد بن معاذ فمات منه شهيداً[١]. وفي بني قريظة أنزل الله تعالى قوله: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً * وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾[٢][٣].

غزوة بني لحيان

في ربيع الأوّل وقيل[٤] في جمادى الأُولى سنة ست من الهجرة على رأس ستة أشهر من فتح بني قريظة، وكانوا بناحية عسفان، خرج ﷺ إليهم يطلب بأصحاب الرجيع ـ ويأتي ذكرهم في السرايا ـ وأظهر أنه يريد الشام ليصيب منهم غرّة، وعسكر غرّة ربيع الأوّل في مائتي رجل ومعهم عشرون فرساً، واستخلف على المدينة عبد الله بن أُمّ مكتوم، ثم أسرع السير حتى أتى بطن غُرَان، وهي منازل بني لحيان وبينها وبين عسفان خمسة أميال حيث قتل أصحاب الرجيع، فترحّم عليهم ودعا لهم، فسمعت به بنو لحيان فهربوا في رؤوس الجبال، فأقام يوماً أويومين، وبعث السرايا في كل ناحية فلم يقدروا على أحد، ثم خرج حتى أتى عسفان في مائتي راكب من أصحابه ليرى أهل مكة أنهم قد جاءوها، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٢٤٠ ـ ٢٤٢، الإرشاد ١: ١١٣.

(٢) الأحزاب: ٢٦ ـ ٢٧.

(٣) البداية والنهاية ٤: ١٠٧، السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٢٤٩.

(٤) الكامل في التاريخ ٢: ١٢٨، تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ١٠٥.

الغميم، ثم عاد الى المدينة وهو يقول : آئبون تائبون عابدون لربنا حامدون، وفي رواية: تائبون آئبون إن شاء الله حامدون لربنا عابدون، أعوذ بالله من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال. وغاب عن المدينة أربع عشرة ليلة[١].

غزوة ذي قَرَد

ويُقال: غزوة الغابة، في ربيع الأوّل سنة ست من الهجرة. وذوقَرَد بفتح القاف والراء ـ وقيل غير ذلك ـ: اسم ماء على بريد من المدينة في طريق الشام والقَرَد في الأصل الصوف الرديء والغابة الشجر الملتف[٢].

وسببها: أنه كان لرسول الله ﷺ عشرون لقحة ترعى بالغابة، واللقحة: القريبة الولادة[٣] وكان فيها أبو ذر ومعه ابنه وامرأته وثلاثة نفر فأغار عليها عيينة بن حصن ليلة الأربعاء في أربعين فارساً فاستاقوها وقتلوا ابن أبي ذر واحتملوا المرأة ونجا أبو ذر والثلاثة النفر، وأوّل من نذر بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي، غدا يريد الغابة حتى إذا علا ثنية الوداع نظر الى بعض خيولهم فأشرف ناحية سلع، ثم صرخ: وا صباحاه! ثلاثاً وقيل نادى: الفزع الفزع! ونودي يا خيل الله اركبي وكان أوّل ما نودي بها ، وركب رسول الله ﷺ فخرج غداة الأربعاء مقنعاً في الحديد فوقف، فكان أوّل من أقبل إليه المقداد بن عمرو وعليه الدرع والمغفر شاهراً سيفه فعقد له ﷺ لواء في رمحه، وقال: امض حتى تلحقك الخيول إنّا على أثرك، وهو الذي يُقال له: «المقداد ابن الأسود» لأنه كان في حجر الأسود بن عبد يغوث وتبنّاه فنُسب إليه،

---

(١) الطبقات الكبرى ٢: ٧٨ ـ ٨٠.

(٢) معجم البلدان ٤: ٣٢١.

(٣) معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ٣٥٦.

وتلاحقت به الفرسان، واستخلف على المدينة عبد الله بن أُم مكتوم، وخلّف سعد بن عبادة في ثلاثمائة من قومه يحرسون المدينة، أما سلمة فبعد ما صاح وأعلم الناس خرج يشتد في أثر القوم كالسبع وقد كاد يسبق الفرس جرياً وهو على رجليه حتى أدركهم، فجعل يراميهم بالنبل ويقول:

خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الوضع

أي يوم هلاك اللئام، فإذا وجهت الخيل نحوه انطلق هارباً، قال: كنت ألحق الرجل منهم فأرميه بسهم في رجليه فيعقره فإذا رجع الى فارس منهم أتيت شجرة فجلست في أصلها ثم أرميه فأعقره فيولي عني فإذا دخلت الخيل في بعض مضايق الجبل علوته ورميتهم بالحجارة، ولحق بهم رسول الله ﷺ وقسّم في كل مائة من أصحابه جزوراً ينحرونها وكانوا ـ خمسمائة ـ وقيل: سبعمائة ـ وبعث سعد بن عبادة بأحمال تمر وبعشر جزائر فوافت رسول الله ﷺ بذي قرد واستخلصوا منه عشر قلائص وفاتتهم عشر وقيل استخلصوا الجميع، وقُتل من المسلمين رجل اسمه «قمير» من الفرسان، وقُتل من المشركين جماعة، ورجعت زوجة أبي ذر هربت منهم ليلاً على بعض تلك القلائص، فقالت: يا رسول الله، إني نذرت أن أنحرها إن نجّاني الله عليها، قال: بئسما جزيتها لا نذر في معصية ولا فيما لا تملكين. وعاد ﷺ الى المدينة وقد غاب عنها خمس ليال[1].

ولم يذكروا أن علياً عليه السلام حضر هذه الغزاة فلعله كان غائبا عن المدينة أو له مانع، وإلّا فهو فارس الغزوات وصاحب راية رسول الله ﷺ لا يمكن أن يتأخر عن غزوة اختياراً أو يحضر ولا يبلي فيها بلاءً حسناً.

---

(١) السيرة الحلبية ٣: ٣ ـ ٨، تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ١٠٥ ـ ١٠٨، الطبقات الكُبرى ٢: ٨٠.

غزوة الحديبية أوصلح الحديبية[١]

نأخذها من طبقات ابن سعد وسيرة ابن هشام والسيرة الحلبية وغيرها .

خرج ﷺ للعمرة لا يريد حرباً يوم الاثنين غرّة ذي القعدة سنة ست من الهجرة، قال ابن سعد: استنفر أصحابه الى العمرة فأسرعوا[٢] .

وقال ابن هشام: استنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش أن يحاربوه أو يصدوه عن البيت، فأبطأ عليه كثير من الأعراب، فخرج بمن معه من المهاجرين والأنصار ودخل رسول الله ﷺ فاغتسل ولبس ثوبين وركب راحلته القصواء ومعه ألف وستمائة، أوألف وأربعمائة أوألف وخمسمائة وخمسة وعشرون، واستخلف على المدينة عبدالله بن أُمّ مكتوم[٣] .

قال المفيد في الإرشاد : وكان اللواء يومئذٍ الى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، كما كان إليه في المشاهد قبلها[٤].

ولم يخرج بسلاح إلّا السيوف في القُرُب، وساق سبعين بدنة هو وأصحابه فصلّى الظهر بذي الحليفة، ثم دعا بالبدن فجللت، ثم أشعر عدة منها

---

(١) الحديبية ـ في القاموس (١: ٥٣) ـ كدويهية (أي بالتخفيف): بئر قرب مكة... الخ.

وفي المصباح (١: ١٢٣) : إنها بئر قرب مكة على طريق جدة دون مرحلة... الخ.

وفي معجم البلدان (٢: ٢٢٩): هي قرية متوسطة سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها ـ يعني بيعة الرضوان ـ وقال الخطابي: سميت الحديبية بشجرة حدباء كانت في ذلك الموضع وبين الحديبية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل... الخ (المؤلّف).

(٢) الطبقات الكبرى ٢: ٩٥ .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٣٠٨ .

(٤) الإرشاد ١: ١١٩ .

في الشق الأيمن من سنامها ـ أي جرحها وقلّدها ـ أي علّق ـ في عنقها قطعة جلد أو نعلاً بالية، ليعلم أنها هدي فيُكف عنها ـ وأشعر أصحابه أيضاً ـ وهن موجهات الى القبلة وأحرم ولبّى، وقدم عباد بن بشر أمامه طليعة في عشرين فارساً من المهاجرين والأنصار، وبلغ المشركين خروجه فأجمع رأيهم على صده، وعسكروا ببلّدْح[1]. وقدموا مائتي فارس الى كراع الغميم عليهم خالد بن الوليد. ودخل بسر بن سفيان الخزاعي الكعبي مكة فعرف ما يريدون وجاء حتى لقيه وراء عسفان، فقال: يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل[2]

---

(١) وادي قبل مكة من جهة المغرب. معجم البلدان ١: ٤٨٠.

(٢) العوذ بالضم جمع عائذ: وهي الحديثة النتائج من الظباء والإبل والخيل وكل أنثى فاعل بمعنى مفعول لأن ولدها يعوذ بها، وقالوا: عائذ، لأنها عاطفة عليها كما قالوا تجارة رابحة وإن كانت مربوحاً فيها، لأنها في معنى نامية وزاكية، وقيل: هو على النسب مثل: (تامر ولابن) أي ذات عود. ويقال لها: عائذ الى سبعة أيام أوعشرة أوخمسة عشر.

ثم هي مطفل والجمع مطافيل أي ذوات أطفال، وفسرت العوذ المطافيل في حديث الحديبية بالنساء والصبيان، تشبيهاً بالنوق الوالدة.

وفسرها الزمخشري في الفائق بالنوق الحديثات النتاج ذوات الأطفال.

ويأتي ذكر العوذ المطافيل في كلام بديل بن ورقاء الخزاعي والموجود في جميع الكتب التي رأيناها العوذ المطافيل بدون (واو) سوى طبقات ابن سعد ففيها في كلام بديل العوذ المطافيل والنساء والصبيان، ولا يبعد كونه هو الصواب وما في غيره هو الاشتباه حصل لواحد وتبعه الباقون، إذ مقتضى كلام أهل اللغة ـ كما سمعت ـ أن العوذ غير المطافيل، فالعوذ الوالدة الى مدة وبعده تسمى (مطافيل) فالمناسب العطف المقتضي للمغايرة.

ثم إن تفسير العوذ المطافيل بالنساء والصبيان لا موجب له لإمكان بقائها على معناها الأصلي كما يومئ إليه ما مرّ عن الفائق، بل عرفت أنه لا يبعد كون الصواب العوذ والمطافيل والنساء والصبيان كما مرّ عن الطبقات، فالمراد أن معهم الجميع.

والغرض من ذكر ذلك أنهم جاءوا عازمين على الحرب جادين في ذلك، فجاءوا معهم بأموالهم ونساءهم ←

قد لبسوا جلود النمور[١]، وقد نزلوا بذي طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموا الى كراع الغميم، فقالﷺ : **يا ويح قريش! قد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر العرب، فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش؟ فوالله لا أزال أُجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره أو تنفرد هذه السالفة.** والسالفة صفحة العنق .

ودنا خالد حتى نظر الى أصحاب رسول الله، فأمرﷺ عباد بن بشر فتقدم في خيله فقام بازائه وصفﷺ أصحابه، وحانت صلاة الظهر فصلّىﷺ بهم صلاة الخوف، فلما أمسى قال لأصحابه: تيامنوا وأمرهم أن يسلكوا طريقاً تخرجهم على مهبط الحديبية من أسفل مكة، فسار في طريق وعرة حتى دنا من الحديبية، وهي طرف الحرم على تسعة أميال من مكة الى جهة الغرب من ناحية جدة، فلما رأت خيل قريش غبار الجيش قد خالفوا عن طريقهم رجعوا راكضين الى قريش ينذرونهم، فخرجوا بأجمعهم حتى نزلوا مياه الحديبية[٢]، فلما وقعت يدا راحلتهﷺ على الثنية التي تهبط على القوم بركت، فقال المسلمون: حَلْ حَل يزجرونها. فأبت أن تنبعث، فقالوا: خلأت[٣] القصواء، فقالﷺ : **ما خلأت وما هو لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة، أما والله لا يسألوني اليوم خطة فيها تعظيم حرمة الله.** وفي رواية فيها صلة

← وأولادهم ليكون أدعى لثباتهم، وخص العوذ المطافيل لبيان أنهم جاءوا بها ليشربوا ألبانها إذا طال عليهم المقام، أولأنها من أعز المال الذي يحامي عنه. (المؤلّف)

(١) كناية عن شدة العداوة. (المؤلّف)

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٣٠٩، طبقات الكُبرى ٢: ٩٥ .

(٣) الخلاء للنوق: كالإلحاح للجمال والحران للدواب، يقال: خلأت الناقة وألح الجمل وحرن الفرس. كذا في النهاية ٢: ٥٨ . (المؤلّف)

الرحم إلّا أعطيتهم إياها، ثم زجرها فقامت وانصرف عن القوم حتى نزل بالناس على ثمد[١] من أثماد الحديبية . وجاءه بديل بن ورقاء الخزاعي رئيس خزاعة في رجال من قومه، وكانت خزاعة ـ مسلمها وكافرها ـ عيبة نصح رسول الله ﷺ لا تُخفي عنه شيئاً من أمر قريش فسلّموا عليه، وقال بديل :جئناك من عند قومك كعب بن لؤي وعامر بن لؤي قد استنفروا لك الأحابيش ومن أطاعهم معهم العوذ المطافيل يقسمون بالله لا يخلون بينك وبين البيت حتى تبيد خضراؤهم، فقال رسول الله ﷺ : **لم نأت لقتال أحد، إنما جئنا لنطوف بهذا البيت.** وفي رواية: **فمن صدنا عنه قاتلناه،** فرجعوا الى قريش فقالوا: إنكم تعجلون على محمّد أنه لم يأت لقتال، وإنّما جاء زائراً لهذا البيت فاتهموهم وجبهوهم، وقالوا: وإن كان جاء لا يريد قتالاً فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبداً ولا تتحدث بذلك عنا العرب.

ثم بعثوا الحليس بن علقمة وكان يومئذٍ سيد الأحابيش وكان يتأله، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: **إن هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه،** فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي عليه القلائد وقد أكل أوباره من طول الحبس رجع ولم يصل الى رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأى فقال لهم ذلك، فقالوا: اجلس فإنّما أنت أعرابي لا علم لك، فغضب وقال: والله ما على هذا حالفناكم، أيُصد عن بيت الله من جاء معظماً له؟ والله، لتخلن بين محمّد وبين ما جاء له أولأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد! قالوا: فاكفف عنا حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

---

(١) ثمد: جمعه أثماد، الماء القليل الذي لا مادة له، وقيل: هو الذي يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف. لسان العرب ٣: ١٠٥ [مادة: ثمد].

ثم بعثوا عروة بن مسعود الثقفي، فجاء حتى جلس بين يدى رسول الله ﷺ فقال يا محمّد أجمعت أوشاب الناس ثم جئت بهم الى بيضتك لتفضها بهم، أنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل، قد لبسوا جلود النمور يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبداً، وجعل يتناول لحية رسول الله ﷺ وهو يكلمه والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله ﷺ في الحديد، فجعل يقرع يده ويقول: اكفف يدك عن وجه رسول الله ﷺ قبل أن لا نصل إليك، فقال عروة: ويحك! ما أفظك وأغلظك، ثم قال: أي غدر وهل غسلت سوأتك إلّا بالأمس، وكان المغيرة قتل قبل إسلامه ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك من ثقيف فوأدهم، عروة، فكلم رسول الله ﷺ عروة بنحو ما كلّم به أصحابه وأخبره أنه لا يريد حرباً ، فقام عروة من عنده وقد رأى ما يصنع به أصحابه لا يتوضأ إلّا ابتدروا وضوءه، ولا يسقط من شعره شيء إلّا أخذوه، فقال لقريش: إني قد جئت كسرى وقيصر والنجاشي في ملكهم، والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمّد في أصحابه، ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً. وكان رسول الله ﷺ أرسل خراش بن أُمية الخزاعي الى قريش ليخبرهم ما جاء له، فعقروا بعيره وأرادوا قتله فمنعه من هناك من قومه، فدعا عمر ليبعثه فقال: إني أخاف قريشاً على نفسي وليس من بني عدي أحد يمنعني، فبعث عثمان فقال: أخبرهم إنّا لم نأت لقتال، وإنما جئنا زوّاراً لهذا البيت معظمين لحرمته معنا الهدي ننحره وننصرف، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص فأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ، فقالوا: لا كان هذا أبداً ولا يدخلها علينا العام، واحتبسته قريش عندها ثلاثة أيام، فبلغ رسول الله ﷺ أن عثمان قد قُتل، فقال : لا نبرح حتى نناجز القوم، ودعا الى البيعة فكانت بيعة

الرضوان تحت الشجرة[1].

قال المفيد في الإرشاد : وكان من بلاء عليّ عليه السلام في ذلك اليوم عند صف القوم في الحرب والقتال ما ظهر خبره واستفاض ذكره، وذلك بعد البيعة التي أخذها النبيّ صلى الله عليه وآله على أصحابه والعهود عليهم في الصبر، وكان عليّ عليه السلام المبايع للنساء عن النبيّ صلى الله عليه وآله فكانت بيعته لهن يومئذٍ أن طرح ثوباً بينهن وبينه ثم مسحه بيده، فكانت مبايعتهن للنبي صلى الله عليه وآله مسح الثوب ورسول الله صلى الله عليه وآله يمسح ثوب عليّ عليه السلام مما يليه... الخ[2] .

وجعلت الرسل تختلف بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين قريش فأجمعوا على الصلح والموادعة، فبعثوا سهيل بن عمرو في عدة من رجالهم وجرى الصلح بينهما، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليّ بن أبي طالب ليكتب كتاب الصلح، فقال: «**أُكتب بسم الله الرحمن الرحيم**»، فقال سهيل: لا أعرف هذا ولكن، «أُكتب باسمك اللهم» فكتبها، ثم قال: **أُكتب هذا ما صالح محمّد رسول الله سهيل بن عمرو** فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أُقاتلك ولكن أُكتب اسمك واسم أبيك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : **أُكتب هذا ما صالح عليه محمّد بن عبد الله سهيل بن عمرو** ، فجعل عليّ يتلكأ ويأبى أن يكتب إلّا محمّد رسول الله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : **اكتب فإن لك مثلها تعطيها وأنت مضطهد**[3] .

وفي السيرة الحلبية: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: **امح رسول الله**، فقال عليّ: **والله لا أمحوه أبداً**، فقال أرنيه، فأراه إياه، فمحاه بيده وقال: **أنا والله رسول الله**

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٣١٣ ـ ٣١٥، الطبقات الكُبرى ٢: ٢٩٥ـ ٢٩٧ .

(٢) الإرشاد ١: ١١٩ ـ ١٢١ .

(٣) الطبقات الكبرى ٢: ٩٧، السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٣١٨ .

وإن كذبتموني[١].

وفي إرشاد المفيد، فقال له عليّ عليه السلام: **إنه والله لرسول الله على رغم أنفك**، فقال سهيل: اكتب اسمه يمض الشرط، فقال له عليّ عليه السلام: **ويلك يا سهيل! كف عن عنادك**[٢].

فكتب عليّ عليه السلام هذا ما صالح عليه محمّد بن عبد الله سهيل بن عمرو، اصطلحا على وضع الحرب عشر سنين، يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض، على أنه من أتى محمّداً من قريش بغير إذن وليه ردّه عليهم، ومن أتى قريشاً ممن مع محمّد لم يردّوه عليه، وأن بيننا عيبة مكفوفة[٣] وأنه لا إسلال ولا إغلال[٤]، وأن من أحب أن يدخل في عقد محمّد وعهده دخل فيه، وأن من أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمّد وعهده، وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم، وأنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً معك سلاح الراكب السيوف في القُرب لا تدخلها بغيرها، وشهد أبو بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعثمان بن عفان وأبوعبيدة بن الجراح ومحمّد بن مسلمة وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص ـ وكانا مشركين ـ وعليّ بن أبي طالب وكان هو كاتب الصحيفة، وكتب

---

(١) السيرة الحلبية ٣: ٣٢٠.

(٢) الإرشاد ١: ١٢٠.

(٣) العيبة: وعاء مخصوص، ومكفوفة: أي مقفلة على ما فيها، كنى بذلك عن أن الشر يكون مكفوفاً بينهم كما تكف العيبة على ما فيها من المتاع.

(٤) الإسلال: الغارة الظاهرة، والإغلال: الخيانة، أوالسرقة الخفية. (المؤلّف)

الكتاب نسختين إحداهما عند رسول الله ﷺ والأُخرى عند سهيل بن عمرو، وبينا هم يكتبون الكتاب اذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد قد انفلت من مكة الى رسول الله ﷺ ، وكان قد أسلم فقيدته قريش وعذبته، فلما رآه أبوه سهيل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتلبيبه، ثم قال: يا محمّد، قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا، قال: صدقت، وقال ﷺ : **يا أبا جندل، قد تم الصلح بيننا وبين القوم فاصبر حتى يجعل الله لك فَرَجاً ومخرجاً**. ثم انطلق سهيل بن عمروأصحابه ونحر رسول الله ﷺ هديه وحلق ونحر أصحابه وحلق عامتهم وقصر الآخرون، وأقام بالحديبية بضعة عشر يوماً ويقال عشرين يوماً، ثم انصرف(1).

وجاءه ﷺ وهو بالمدينة أبوبصير رجل من قريش واسمه عتبة، وكان ممن حبس بمكة، فأرسلت قريش الى رسول الله ﷺ رجلين في ردّه، فأمره بالرجوع، فقال: يا رسول الله، أتردّني الى المشركين يفتنونني عن ديني؟ قال: **إن الله سيجعل لك ولمن حولك من المسلمين فَرَجاً ومخرجاً**، فلما كان في بعض الطريق أخذ سيف أحدهما وقتله به وفر الآخر، وذهب أبو بصير الى محل من طريق الشام تمر به عير قريش، واجتمع إليه جمع من المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة صاروا يتسللون إليه، ومنهم أبو جندل الذي ردّه ﷺ يوم الحديبية فكانوا سبعين، وانضم إليهم ناس من قبائل العرب كانوا أسلموا حتى بلغوا ثلاثمائة، فقطعوا مادة قريش لا يظفرون بأحد إلّا قتلوه، ولا تمر بهم عير إلّا أخذوها، فكتبت قريش الى رسول الله ﷺ تسأله بالأرحام إلّا آواهم ولا حاجة لهم بهم، فآواهم رسول الله ﷺ فقدموا عليه المدينة، وهم الذين مر

---

(1) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٣١٨، المغازي للواقدي ١: ٦١١، الطبقات الكبرى ٢: ٩٧ ـ ٩٨.

بهم أبوالعاص بن الربيع من الشام في نفر من قريش فأسروهم وأخذوا ما معهم ولم يقتلوا منهم أحداً لصهر أبي العاص زوج زينب بنت رسول الله ﷺ ، وخلوا سبيل أبي العاص فقدم المدينة كما ذكرناه في أواخر وقعة بدر وأمنت قريش على عيرها وكان صلح الحديبية سبباً لكثرة المسلمين. وهاجر إليه بعض النساء فأبى أن يردّهن، وذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ... الآية[١]﴾[٢].

غزوة خيبر

في جمادى الأُولى، وقيل[٣]: في المحرم سنة سبع من الهجرة، وهي على ثمانية برد من المدينة مسير نحو ثمان وأربعين ساعة، سميت باسم رجل من العماليق نزلها وهو أخو يثرب الذي سميت باسمه المدينة، وقيل: خيبر بلسان اليهود الحصن، وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع ونخل كثير[٤].

ولم يذكر المؤرّخون أنه كان بين النبيّ ﷺ ويهود خيبر عهد، وإنما كان العهد بينه وبين البطون الثلاثة من اليهود المقدم ذكرهم الذين كانوا بنواحي المدينة وهم بنو قينقاع والنضير وقريظة، أما يهود خيبر فالظاهر أنه غزاهم يدعوهم الى الإسلام أوقبول الجزية أوالحرب، فلما لم يسلموا ولم يقبلوا الجزية حاربهم، ومع ذلك فقد ذكر ابن الأثير وغيره أن أهل خيبر كانوا

(١) الممتحنة: ١٠.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٣٢٣ ـ ٣٢٤، أسباب النزول للواحدي: ٢٨٤.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٣٢٨.

(٤) السيرة الحلبية ٣: ٣١، الطبقات الكُبرى ٢: ١٠٦.

مظاهرين لغطفان على رسول الله ﷺ وأن غطفان قصدت خيبر ليظاهروا اليهود، ثم خافوا المسلمين على أهليهم وأولادهم فرجعوا . وكان المسلمون في هذه الغزاة ألفاً وأربعمائة والخيل مائتي فرس(١).

قال ابن سعد : فلما نزل بساحتهم لم يتحرّكوا تلك الليلة حتى طلعت الشمس وأصبحوا وأفئدتهم تخفق وفتحوا حصونهم وغدوا الى أعمالهم، فلما نظروا الى رسول الله ﷺ قالوا: محمّد والخميس أي الجيش، وولّوا هاربين الى حصونهم، وجعل رسول الله ﷺ يقول: **الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين**، ووعظ رسول الله ﷺ الناس(٢).

قال ابن هشام: فحاصرهم بضع عشرة ليلة، فكان أوّل حصونهم أُفتتح حصن ناعم، ثم القموص ثم حصن الصعب بن معاذ، ثم الوطيح والسلالم وكانا آخر حصون خيبر إفتتاحاً(٣) .

ثم قال : «قال ابن إسحاق: وحدّثني بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي، عن أبيه سفيان، عن سلمة بن عمرو بن الأكوع قال: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق ﷺ برايته ـ وكانت بيضاء ـ الى بعض حصون خيبر يقاتل، فرجع ولم يك فتح وقد جهد ، ثم بعث الغد عمر بن الخطاب فقاتل، ثم رجع ولم يك فتح وقد جهد، فقال رسول الله ﷺ : **لأُعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرّار**»(٤) .

وفي السيرة الحلبية : في لفظ كرّار غير فرّار ، قال: وقد دفع ﷺ لواءه

---

(١) الكامل في التاريخ ٢: ١٤٧ .

(٢) الطبقات الكبرى ٢: ١٠٦ .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٣٣١ ـ ٣٣٢ .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٣٣٤.

لرجل من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئاً فدفعه الى آخر من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئاً[١].

قال ابن هشام : «يقول: سلمة فدعا رسول الله ﷺ علياً وهو أرمد فتفل في عينيه، ثم قال: **خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك**، قال سلمة: فخرج والله يهرول هرولة وإنّا لخلفه نتبع أثره حتى ركز رايته في رضم[٢] من حجارة تحت الحصن ، فاطّلع إليه يهودي من رأس الحصن فقال: من أنت ؟ قال: أنا عليّ بن أبي طالب، قال : يقول اليهودي علوتم ـ أوغلبتم ـ وما أُنزل على موسى، أوكما قال ، فما رجع حتى فتح الله على يديه»[٣]. ورواه أبو نعيم الاصبهاني في حلية الأولياء بسنده عن سلمة بن الأكوع مثله[٤] .

وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن سلمة بن عمروبن الأكوع قال: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه الى بعض حصون خيبر فقاتل وجهد ولم يكن فتح وبسنده عن أبي ليلى عن عليّ، أنه قال: **يا أبا ليلى، أماكنت معنا بخيبر؟** قال: بلى والله كنت معكم، قال: **فإن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر الى خيبر فسار بالناس وانهزم حتى رجع** . هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[٥]. أي لم يخرجه البخاري ومسلم .

وقال الذهبي في تلخيص المستدرك : صحيح[٦]، ولم يعقبه ومن عادته أن يتعقب المستدرك إذا لم يكن الحديث صحيحاً عنده .

---

(١) السيرة الحلبية ٣: ٣٧.

(٢) الرضم ـ بفتح الراء وسكون الضاد ويحرك ـ: صخور عظام يرضم بعضها فوق بعض. (المؤلّف)

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٣٣٤ ـ ٣٣٥.

(٤) حلية الأولياء: لم نعثر عليه.

(٥) المستدرك للحاكم ٣: ٣٧.

(٦) تلخيص المستدرك (هامش المستدرك) ٣: ٣٧.

وروى الحاكم في المستدرك أيضاً قال: أخبرنا أبو العباس محمّد بن أحمد المحبوبي بمرو، حدّثنا سعيد بن مسعود، حدّثنا عبيد الله بن موسى، حدّثنا نعيم بن حكيم، عن أبي موسى الحنفي، عن عليّ عليه السلام، قال: سار النبيّ ﷺ الى خيبر، فلما أتاها بعث عمر وبعث معه الناس الى مدينتهم أو قصرهم فقاتلوهم، فلم يلبثوا أن هزموا عمر وأصحابه فجاءوا يجبّنونه ويجبّنهم فسار النبيّ ﷺ ...الحديث. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه... الخ[1]. وقال الذهبي في تلخيص المستدرك: صحيح[2] ولم يتعقبه.

وبسنده عن جابر أن النبيّ ﷺ دفع الراية يوم خيبر الى عمر رضي الله عنه فانطلق فرجع يجبّن أصحابه ويجبّنونه. هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه[3]. وبسنده عن جابر بن عبد الله، قال: لما كان يوم خيبر بعث رسول الله ﷺ رجلاً فجبن (الى أن قال) ثم قال رسول الله ﷺ: لأبعثنّ غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبّانه، لا يولي الدبر يفتح الله على يديه، فتشوق لها الناس وعليّ يومئذٍ أرمد، فقال له رسول الله ﷺ: سرّ فقال: ما أبصر موضع، فتفل في عينيه وعقد له ودفع إليه الراية فقال: يا رسول الله علامَ أُقاتلهم؟ فقال: على أن يشهدوا أن لا اله إلّا الله وأني رسول الله، فإذا فعلوا ذلك حقنوا مني دماءهم وأموالهم إلّا بحقها وحسابهم على الله عزّ وجلّ، فلقيهم ففتح الله عليه[4].

وفي أُسد الغابة بسنده عن بريدة قال: لماكان يوم خيبر أخذ أبو بكر اللواء، فلمّا كان من الغد أخذه عمر، وقيل محمّد بن مسلمة، فقال رسول

---

(١) المستدرك للحاكم ٣: ٣٧.

(٢) تلخيص المستدرك (هامش المستدرك): ٣٧ .

(٣) المستدرك للحاكم ٣: ٣٨.

(٤) المستدرك للحاكم ٣: ٣٨.

الله ﷺ : **لأدفعن لوائي الى رجل لم يرجع حتى يفتح الله عليه**، فصلّى رسول الله ﷺ صلاة الغداة، ثم دعا باللواء، فدعا علياً وهو يشتكي عينيه فمسحهما، ثم دفع إليه اللواء ففتح. قال الراوي: فسمعت عبدالله بن بريدة يقول: حدّثني أبي أنه كان صاحب مرحب يعني علياً[١].

وروى الطبري في تاريخه، قال: حدّثنا ابن بشار، حدّثنا محمّد بن جعفر، حدّثنا عوف عن ميمون أبي عبد الله، أن عبد الله بن بريدة حدث عن بريدة الأسلمي قال: لما كان حين نزل رسول الله ﷺ بحصن أهل خيبر أعطى رسول الله ﷺ اللواء عمر بن الخطاب، ونهض من نهض معه من الناس فلقوا أهل خيبر فانكشف عمر وأصحابه، فرجعوا الى رسول الله ﷺ يجبّنه أصحابه ويجبّنهم، فقال رسول الله ﷺ : **لأعطين اللواء غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**، فلما كان من الغد تطاول لها أبو بكر وعمر، فدعا علياً عليه السلام وهو أرمد فتفل في عينيه وأعطاه اللواء ونهض معه من الناس من نهض، فلقى أهل خيبر فإذا مرحب يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرّب
أطعن أحياناً وحيناً أضرب إذا الليوث أقبلت تلتهب

فاختلف هو وعليّ ضربتين، فضربه عليٌّ على هامته حتى عض السيف منها بأضراسه، وسمع أهل العسكر صوت ضربته فما تتام[٢] آخر الناس مع

---

(١) أُسد الغابة ٤: ٢١ .

(٢) أتام الرجل يتام إذا ذبح تيمته. قال الحطيئة:

فما تتام جارة آل ولكن يضمنون لها قراها

يقول: جارتهم لا تحتاج أن تذبح تيمتها لأنهم يضمنون لها كفايتها (انظرلسان العرب: ١٢: ٧٦) .
والمقصود هنا أن عليّ بن أبي طالب عليه السلام كفاهم النصر بذبح أوّلهم.

عليّ عليه السلام حتى فتح الله لأوّلهم[١].

وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن عبد الله بن بريدة الأسلمي، أن رسول الله ﷺ لما نزل بحضرة خيبر، قال: «**لأعطينّ اللواء غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**» فلما كان من الغد تطاول له جماعة من أصحابه، فدعا علياً وهو أرمد فتفل في عينيه وأعطاه اللواء ومعه الناس، فلقوا أهل خيبر، فإذا مرحب بين أيديهم يرتجز وهو يقول:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرّب
إذا السيوف أقبلت تلتهب أطعن أحيانا وحينا أضرب

فاختلف هو وعلى بضربتين، فضربه عليٌّ على رأسه حتى عض السيف بأضراسه وسمع أهل العسكر صوت ضربته فقتله، فما أتى آخر الناس حتى فتح لأوّلهم[٢].

وروى الحاكم في المستدرك بسنده، عن إياس بن مسلمة، عن أبيه، قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ خيبر حين تفل رسول الله ﷺ في عيني عليّ فبرئ فأعطاه الراية، فبرز مرحب وهو يقول:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرّب
إذا الحروب أقبلت تلتهب

فبرز له عليّ وهو يقول:

أنا الذي سمتني أُمّي حيدرة كليث غابات كريه المنظره
أُوفيكم بالصاع كيل السندرة

(١) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ١٣٦ ـ ١٣٧.

(٢) المستدرك للحاكم ٣: ٣٨ ـ ٣٩.

فضرب مرحباً ففلق رأسه فقتله، وكان الفتح[١].

ثم قال الطبري حدّثنا أبو كريب، حدّثنا يونس بن بكير، حدّثنا المسيب بن مسلم الأودي، حدّثنا عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ ربما أخذته الشقيقة فلم يخرج الى الناس، وأن أبابكر أخذ راية رسول الله ﷺ ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً ثم رجع، فأخذها عمر فقاتل قتالاً شديدًا هو أشد من القتال الأوّل ثم رجع، فأُخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال: «**أما والله لأُعطينّها غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يأخذها عنوة**»، قال: وليس ثمّ عليّ عليه السلام، فتطاولت لها قريش ورجا كل واحد منهم أن يكون صاحب ذلك فأصبح، فجاء عليّ ﷺ على بعير له حتى أناخ قريباً من خباء رسول الله ﷺ وهو أرمد وقد عصب عينيه بشقة برد قطري، فقال رسول الله ﷺ : **ما لك؟** قال: رمدت بعد، فقال رسول الله ﷺ : **أُدن مني**، فدنا منه فتفل في عينيه، فما اشتكى وجعهما حتى مضى لسبيله، ثم أعطاه الراية فنهض بها معه وعليه حلة أُرجوان حمراء قد أُخرج خملها، فأتى مدينة خيبر وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر وبرد معصفر يمان وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه، وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب

فقال عليّ عليه السلام:

أنا الذي سمتني أُمّي حيدرة أكيلكم بالسيف كيل السندرة

ليث بغابات شديد قسوره

فاختلفا ضربتين فبدره على فضربه، فقدّ الحجر والمغفر ورأسه حتى وقع

(١) المستدرك للحاكم ٣: ٣٩.

السيف في الأضراس وأخذ المدينة[١].

وفي السيرة الحلبية: أن مرحباً كان رأى تلك الليلة كأنّ أسداً افترسه، فذكّره ذلك عليٌّ بقوله:

أنا الذي سمتني أُمّي حيدرة ليث بغابات شديد قسوره

لأن حيدرة من أسماء الأسد[٢].

وفي السيرة الحلبية: جاء أن مرحباً لما رأى أخاه قد قُتل، خرج سريعاً من الحصن في سلاحه وقد كان لبس درعين وتقلد بسيفين واعتم بعمامتين، ولبس فوقهما مغفراً وحجراً قد ثقبه قدر البيضة، ومعه رمح لسانه ثلاثة أشبار وهو يرتجز بما مرّ، فيروى أن علياً ضربه فتترس فوقع السيف على الترس، فقدّه وشق المغفر والحجر الذي تحته والعمامتين، وفلق هامته حتى أخذ السيف في الأضراس[٣].

وفي طبقات ابن سعد: أخبرنا عفان بن مسلم، حدّثنا وهيب، حدّثنا سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ يوم خيبر: «**لأدفعن الراية الى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ويفتح عليه**» قال عمر: فما أحببت الإمارة قبل يومئذٍ فتطاولت لها واستشرفت رجاء أن يدفعها إليّ، فلما كان الغد دعا علياً فدفعها إليه فقال قاتل ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك فسار قريباً ثم نادى: يا رسول الله، علامَ أُقاتل؟ قال: **حتى يشهدوا أن لا إله إلّا الله وأن محمّداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منّي دماءهم وأموالهم إلّا بحقها وحسابهم على الله**[٤].

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ١٣٧.

(٢) السيرة الحلبية ٣: ٣٨.

(٣) السيرة الحلبية ٣: ٣٧.

(٤) الطبقات الكبرى ٢: ١١.

وفي السيرة الحلبية : زاد في رواية : **وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم تتصدق بها في سبيل الله**[١] .

وروى ابن سعد بسنده عن سلمة بن الأكوع، أن عمّه عامراً بارز مرحباً يوم خيبر، فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر، وذهب عامر يسفل له فوقع السيف على ساق عامر فقطع أكحله فكانت فيها نفسه، قال سلمة: ثم إن نبي الله أرسلني الى عليّ، فقال: **لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»** فجئت به أقوده أرمد ، فتفل رسول الله ﷺ في عينيه ثم أعطاه الراية، فخرج مرحب يخطر بسيفه ويرتجز بما مرّ، فقال عليّ عليه السلام : وذكر الرجز السابق، ثم قال : ففلق رأس مرحب بالسيف وكان الفتح على يديه[٢] . وكذلك في السيرة الحلبية[٣].

وفي السيرة الحلبية أيضاً : في رواية أنه ﷺ ألبسه درعه الحديد وشدّ ذا الفقار في وسطه، وأعطاه الراية ووجهه الى الحصن، وخرج إليه أهل الحصن، وكان أوّل من خرج إليه منهم الحارث أخو مرحب وكان معروفاً بالشجاعة، فانكشف المسلمون وثبت عليّ فتضاربا فقتله عليّ وانهزم اليهود الى الحصن[٤].

وروى ابن هشام عن ابن إسحاق[٥] . وروى الطبري، عن ابن حميد، عن

---

(١) السيرة الحلبية ٢: ٣٧.

(٢) الطبقات الكبرى ٢: ١١٠ ـ ١١١ .

(٣) السيرة الحلبية ٣: ٣٢.

(٤) المصدر السابق ٣: ٣٧ .

(٥) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٣٣٥.

سلمة، عن محمّد بن إسحاق، حدثني عبد الله بن الحسن، عن بعض أهله، عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال: خرجنا مع عليّ بن أبي طالب حين بعثه رسول الله ﷺ برايته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه رجل من اليهود فطاح ترسه من يده، فتناول عليٌّ باباً كان عند الحصن فتترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتني في نفر سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه... الخ(١).

وفي السيرة الحلبية : ثم ألقاه وراء ظهره ثمانين شبراً(٢).

وكان اليهود قد خندقوا على أنفسهم كأنهم تعلموا ذلك من يوم الأحزاب فإن الخنادق لم تكن معروفة عند العرب كما مر، وكان اسم الحصن القموص وكان أعظم حصون خيبر وكان منيعاً(٣) .

قال المفيد : لما قتل عليّ عليه السلام مرحباً رجع من كان معه وأغلقوا باب الحصن عليهم دونه، فسار عليّ عليه السلام الى الباب فعالجه حتى فتحه وأكثر الناس من جانب الخندق، فأخذ باب الحصن فجعله على الخندق جسراً لهم حتى عبروا، فظفروا بالحصن ونالوا الغنائم، فلما انصرفوا من الحصن أخذه عليه السلام بيمناه فدحى به أذرعاً من الأرض وكان الباب يغلقه عشرون رجلاً منهم، واستأذن حسان بن ثابت رسول الله ﷺ أن يقول في ذلك شعراً، فأذن له فأنشأ يقول :

وكان عليّ أرمد العين يبتغي	دواء فلما لم يحس مداويا

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٢: ١٣٧ .

(٢) السيرة الحلبية ٣: ١٣٧ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٢: ٥٦ .

شفاه رسول الله منه بتفلة ... فبورك مرقياً وبورك راقيا
وقال: سأُعطي الراية اليوم صارماً ... كمياً محباً للرسول مواليا
يحب إلهي والإله يحبه ... به يفتح الله الحصون الأوابيا
فأصفى بها دون البرية كلها ... علياً وسماه الوزير المؤاخيا[١]

وفي ذلك يقول الشاعر أيضاً:

إن أمراً حمل للرتاج بخيبر ... يوم اليهود بقدرة لمؤيد
حمل الرتاج رتاج باب قموصها ... والمسلمون وأهل خيبر حشد
فرمى به ولقد تكلّف ردّه ... سبعون شخصاً كلهم متشدد
ردّوه بعد تكلّف ومشقة ... ومقال بعضهم لبعض اردد‌وا[٢]

قال المفيد: وفيه أيضاً، قال شاعر من شعراء الشيعة على ما رواه أبومحمّد الحسن بن محمّد بن جمهور قال: قرأت على أبي عثمان المازني:

بعث النبيّ براية منصورة ... في يوم خيبر في الدلام الأدلما
فمضى بها حتى إذا برزوا له ... دون القموص ثنى وهاب واحجما
فأتى النبيّ براية مردودة ... ألا تخوف عارها فتذمما
فبلى النبيّ له وأنبه بها ... ودعا أمرأ حسن البصيرة مقدما
فغدا بها في فيلق ودعا له ... أن لا يصد بها وأن لا يهزما
فزوى اليهود الى القموص وقدكسا ... كبش الكتيبة ذا غرار مخذما
وثنى بناس بعدهم فقراهم ... طلس الذباب وكل نسر قشعما
ساط الإله بحب آل محمّد ... ويحب من والاهم مني الدما[٣]

---

(١) الإرشاد ١: ١٢٧، ١٢٩.
(٢) الإرشاد ١: ١٢٧ ـ ١٢٩.
(٣) المصدر السابق ١: ١٢٩ ـ ١٣٠.

ولما قتل مرحب خرج أخوه ياسر وكان من مشاهر فرسان يهود وشجعانهم وهو يقول:

قد علمت خيبر أني ياسر   شاكي السلاح بطل مغاور

فبرز إليه عليّ عليه السلام فقتله، وقيل: قتله الزبير[١].

ولما فتح عليّ عليه السلام القموص حصن ابن أبي الحقيق أسّر صفية بنت حيي بن أخطب وأُخرى معها وأرسلهما الى رسول الله صلى الله عليه وآله مع بلال، فمرّ بهما بلال على قتلى يهود، فلما رأتهم التي مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها، فقال لبلال حين رأى من تلك اليهودية ما راى: أنزعت منك الرحمة يا بلال! حيث تمر بامرأتين على قتلى رجالهما[٢].

وفي السيرة الحلبية: قال بعضهم: الأخبار متواترة بأن علياً هو الذي قتل مرحباً وبه جزم مسلم في صحيحه[٣] وقال ابن الأثير: هو الصحيح الذي عليه أهل السير والحديث[٤]. وفي الاستيعاب: إنه الصحيح الذي عليه أكثر أهل السير والحديث...الخ[٥].

وقال الحاكم في المستدرك: إن الأخبار متواترة بأسناد كثيرة أن قاتل مرحب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب...الخ[٦]. فلا يلتفت الى الخبر الشاذ

(١) سبل الهدى والرشاد ٥: ١٢٥.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ١٣٧.

(٣) السيرة الحلبية ٣: ٣٨.

(٤) أُسد الغابة ٤: ٣٣١.

(٥) بل قاله في كتابه «الدرر في مختصر السير» نقله عنه النووي في شرح مسلم ١٢: ١٨٦. الاستيعاب ٣: ٢٠٣ هكذا: وهذه كلها آثار ثابتة.

(٦) المستدرك للحاكم ٣: ٤٣٧.

الذي رواه محمّد بن إسحاق من أن قاتله محمّد بن مسلمة[١].

والعجب من الدكتور محمّد حسين هيكل المصري! فإنه لم يذكر في كتابه «حياة محمّدﷺ»[٢] إلّا الخبر الشاذ الذي وضعه أعداء عليّ وحاسدوه، بأن مرحباً قتله محمّد بن مسلمة، وأعرض عن الخبر المتواتر بأن قاتل مرحب هو عليّ بن أبي طالب، ولم يشر إليه أصلاً مع حكم الحفاظ والنقاد من مؤرخي المسلمين ومحدثيهم بصحته وتواتره كما سمعت، ومع ظهور الحال في ذلك ظهوراً يجعله كالشمس الضاحية. ولا عجب فإنّا رأينا هذا الرجل في كتابه هذا يغمط عليا حقه في كل موضع ما استطاع.

وقدم على النبيّﷺ جعفر بن أبي طالب من الحبشة يوم فتح خيبر، فقبّل رسول اللهﷺ بين عينيه والتزمه وقال: **ما أدري بأيهما أنا أسرّ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر**[٣].

ولما فتحت خيبر قال الحجاج بن علاط ـ وكان قد أسلم ـ: يا رسول الله، إن لي مالاً بمكة متفرقاً في تجار أهل مكة، فأْذن لي في الخروج لأجله، ولا بد لي أن أقول ما لم يكن، فأذن له، قال: فلقيني رجال من قريش ولم يكونوا علموا بإسلامي، فقالوا: بلغنا أن القاطع سار الى خيبر وهي ريف الحجاز، قلت: عندي من الخبر ما يسرّكم، هُزم هزيمة لم يُسمع بمثلها، وقُتل أصحابه، وأسرّوا محمّداً أسراً، وقالوا: لا نقتله حتى نبعث به الى أهل مكة فيقتلوه بين أظهرهم بما أصاب منهم، فصرخوا وصاحوا بذلك في مكة، فقلت: أعينوني

---

(١) نقله عنه في السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٣٣٣.

(٢) حياة محمّد: ٣٥٨.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٣٥٩.

على جمع مالي بمكة فإني أُريد أن أقدم خيبر فأُصيب من فيء محمّد قبل أن يسبقني التجار، فجمعوا لي ذلك كله ، وسمع بذلك العباس فسألني، فقلت: احفظ عني حديثي ثلاثاً فإني أخشى الطلب ، قال: أفعل ، قلت: فتح ابن أخيك خيبر وأحرز ما فيها، وتركته عروساً على ابنة ملكهم وقد أسلمت، وما جئت إلّا لآخذ مالي، فلما كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له وتطيب وأخذ عصاه ثم خرج فطاف بالكعبة، فلما رأوه قالوا: يا أبا الفضل، هذا والله التجلد ، قال: كلا والذي حلفتم به، لقد افتتح محمّد خيبر وتزوّج ابنة ملكهم وأحرز أموالهم فأصبحت له ولأصحابه، قالوا: من أخبرك بهذا؟ قال: الذي أخبركم بما أخبركم ولقد جاء مسلماً، قالوا: انفلت عدو الله، ثما جاءهم الخبر بذلك[1].

وهذا يدلّ على أن قريشاً كسرت شوكتهم بعد وقعة الخندق، وإلّا لم يجسر العباس على ذلك،كما لم يجسر على التخلّف عنهم يوم بدر .

فدك

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فدك فبعثوا الى رسول الله ﷺ يصالحونه على النصف من فدك فقبل منهم ذلك، فكانت فدك لرسول الله ﷺ خالصة، لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب[2].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٣٤٥ ـ ٣٤٧، وتاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ١٣٩ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٢١، تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ١٤٠ .

غزوة وادي القرى

في جمادى الآخرة سنة سبع[١]. قال ياقوت: هو واد بين الشام والمدينة بين تيماء وخيبر، من أعمال المدينة كثيرة القرى، كانت قديماً منازل ثمود وعاد[٢].

لما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر توجه الى وادي القرى وأهله يهود، فدعاهم الى الإسلام فامتنعوا وقاتلوه، وبرز رجل منهم فقتله الزبير، وآخر، فقتله عليّ بن أبي طالب، وآخر فقتله أبودجانة، وقاتلهم المسلمون الى المساء، وقتل منهم أحد عشر رجلاً ، ففتحها رسول الله ﷺ عنوة فترك الأرض والنخيل في يد أهلها ، وعاملهم على نحو ما عامل عليه أهل خيبر[٣].

عمرة القضاء

وكانت في ذي القعدة سنة سبع، خرج ﷺ في الشهر الذي صدّوه فيه معتمراً مكان عمرته التي صدّوه عنها ولذلك سميت «عمرة القضاء» ويقال: «عمرة القصاص» وخرج معه المسلمون ممن كان صُدّ معه إلّا من مات أو قُتل، وخرج معهم غيرهم عماراً فكانوا ألفين، وحمل معه السلاح الدروع والبيض والرماح، وقاد مائة فرس وأحرم من ذي الحليفة هو وأصحابه، وساق

(١) تاريخ الخميس ٢: ٥٨ .

(٢) معجم البلدان ٤: ٣٣٨، ٥: ٣٤٥.

(٣) السيرة الحلبية ٣: ٥٩ .

ستين بدنة، وقدّم الخيل أمامه عليها محمّد بن مسلمة وعلى السلاح بشير بن سعد فإنهم لم يلبسوه، فقيل: يا رسول الله، حملت السلاح وقد شرطوا علينا أن لا ندخلها عليهم إلّا بسلاح المسافر السيوف في القرب، فقال صلى الله عليه وآله: **لا ندخل عليهم الحرم بالسلاح، ولكن يكون قريباً منا**، فلما سمع به أهل مكة خرج عنه كبراؤهم الى رؤوس الجبال حتى لا يروه يطوف بالبيت ، وتحدّثت قريش بينها أن محمّداً وأصحابه في عسرة وشدة، وصفوا له عند دار الندوة لينظروا إليه والى أصحابه، فقال صلى الله عليه وآله : **رحم الله امرئً أراهم اليوم من نفسه قوة**، فطاف بالبيت وأتم عمرته وأقام بمكة ثلاثاً ، وكان عمّه العباس قد زوجه ميمونة بنت الحارث أُخت زوجته أُم الفضل وأصدقها عنه أربعمائة درهم، فأرسلت إليه قريش في اليوم الثالث قد انقضى أجلك فاخْرج عنا، فقال صلى الله عليه وآله: **وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم وصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه**، قالوا: لا حاجة لنا في طعامك فاخْرج عنا ،كأنه أراد أن يكذب ما بلغهم أنه في عسرة وأن يتألفهم، فخرج وأخذ معه عمارة بنت حمزة بن عبد المطلب وأُمّها سلمى بنت عميس، فكانت عمارة عند جعفر من أجل أن خالتها أسماء بنت عميس عنده، ودخل المدينة في ذي الحجة، فأنزل الله تعالى : ﴿لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّـهُ رَسُولَهُ ٱلرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ[١]﴾[٢] .

---

(١) الفتح: ٢٧ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٣٧٢، المغازي للواقدي ٢: ٧٣٣، تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ١٤٢.

غزوة مؤتة

في جمادى الأُولى سنة ثمان من الهجرة بعد خيبر بشهرين، وحقّها أن تُسمّى سرّية كما في طبقات ابن سعد[١] لأن الغزوة عندهم ما غزاها رسول الله ﷺ بنفسه والسرّية بخلافها.

ومؤتة ـ بضم الميم وهمزة ساكنة ـ : موضع معروف عند الكرك بأدنى البلقاء[٢] .

وكان سببها: أن رسول الله ﷺ بعث الحارث بن عمير الأزدي بكتاب الى هرقل ملك الروم بالشام، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمروالغسّاني من أُمراء قيصر على الشام، فقال: أين تريد لعلك من رسل محمّد ؟ قال نعم، فأوثقه رباطاً ثم قدمه فضرب عنقه، ولم يُقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره، فلما بلغه ذلك اشتد الأمر عليه فجهّز ثلاثة آلاف من أصحابه وبعثهم الى بلاد الروم، وأمّر عليهم زيد بن حارثة، فإن أُصيب فجعفر بن أبي طالب، فإن أُصيب فعبد الله بن رواحة، هكذا ذكر أكثر المحدثين[٣]. ولكن في رواية أبان بن عثمان عن الصادق عليه السلام أنه استعمل عليهم جعفراً، فإن قُتل فزيد، فإن قتل فابن رواحة[٤].

---

(١) الطبقات الكبرى ٢: ١٢٨.

(٢) مفتاح الجنّات ١: ٥٤٤ .

(٣) السيرةالحلبية ٣: ٦٦، السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٣٧٣، تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ١٤٩، المغازي للواقدي ٢: ٧٥٥.

(٤) إعلام الورى ١: ٢١٢، تاريخ اليعقوبي ١: ٣٨٣، المناقب لابن شهرآشوب ١: ٢٠٥ .

قال ابن أبي الحديد: اتفق المحدثون على أن زيد بن حارثة كان هو الأمير الأوّل، وأنكرت الشيعة ذلك وقالوا: كان جعفر بن أبي طالب هو الأمير الأوّل، فإن قتل فزيد بن حارثة، فإن قُتل فعبد الله بن رواحة، ورووا في ذلك روايات، وقد وجدت في الأشعار التي ذكرها محمّد بن إسحاق في كتابه المغازي ما يشهد لقولهم، فمن ذلك ما رواه عن حسان بن ثابت:

فلا يبعدنّ الله قتلى تتابعوا ... بمؤتة منهم ذوالجناحين جعفر
وزيد وعبد الله حين تتابعوا ... جميعاً وأسياف المنية تقطر
غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم ... الى الموت ميمون النقيبة أزهر
أغر كضوء البدر من آل هاشم ... أبي إذا سيم الدنية أصعر
فطاعن حتى مال غير موسد ... بمعترك فيه القنا متكسر[١]

ومنها قول كعب بن مالك الأنصاري من قصيدة:

هدت العيون ودمع عينك يهمل ... سحّاً كما وكف الرباب المسبل
وجدا على النفر الذين تتابعوا ... قتلى بمؤتة اسندوا لم ينقلوا
ساروا أمام المسلمين كأنهم ... طود يقودهم الهزبر المشبل
إذ يهتدون بجعفر ولواءُه ... قدام أولهم ونعم الأوّل
حتى تقوضت الصفوف وجعفر ... حيث التقى جمع الغواة مجدل[٢]

وأمرهم النبيّ ﷺ أن يأتوا مقتل الحارث فيدعوهم الى الإسلام فإن أجابوا، وإلّا استعانوا الله عليهم، وودعهم رسول الله ﷺ وأوصاهم بتقوى الله،

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥: ٦٢ ـ ٦٣.

(٢) المصدر السابق ١٥: ٦٤.

وقال: اغزوا باسم الله فقاتلوا عدوالله وعدوكم بالشام، وستجدون فيها رجالاً في الصوامع معتزلين فلا تتعرضوا لهم ولا تقتلوا امرأة ولا صغيراً ولا كبيراً فانياً، ولا تقطعوا شجرة ولا تهدموا بناء،فلما فصلوا من المدينة سمع العدو بمسيرهم فجمعوا لهم، وقام فيهم شرحبيل بن عمرو فجمع أكثر من مائة ألف وقدم الطلائع أمامه، فساروا حتى نزلوا معان من أرض الشام، فبلغهم أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم ومائة ألف من العرب المتنصرة من بكر ولخم وجذام وغيرهم، فأقاموا بمعان ليلتين ينظرون في أمرهم هل يبعثون لرسول الله ﷺ ويخبرونه بعدد عدوهم؟ فإما أن يمدهم أو يأمرهم بأمر فيمضوا له، فشجّعهم عبد الله بن رواحة فقال: يا قوم، والله إن الذي تكرهون للذي خرجتم تطلبون الشهادة، ونحن ما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلّا بهذا الدين الذي أكرمنا الله تعالى به ،فإنّما هي إحدى الحسنيين: إما ظهور وإما شهادة، فقال الناس: صدق والله ابن رواحة، فمضوا للقتال[1]. وفي ذلك يقول ابن رواحة من أبيات :

فرحنا والجياد مسومات ... تنفّس في مناخرها السموم
أقامت ليلتين على معان ... فأعقب بعد فترتها جموم
فلا وأبي مآب لنأتينّها ... ولو كانت بها عرب وروم
بذي لجب كأنّ البيض فيه ... إذا برزت قوانسها النجوم[2]

فلما كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من

(١) السيرة الحلبية ٣: ٦٦ ـ ٦٧.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٣٧٦.

قرى البلقاء يقال لها: «مشارف» وهي التي تنسب إليها السيوف المشرفية، لأنها كانت تعمل بها. وانحاز المسلمون الى قرية يقال لها: «مؤتة» وعبّأوا جيشهم ميمنة وميسرة، والتقى الناس فاقتتلوا فقاتل الأُمراء يومئذٍ على أرجلهم، قاتل زيد بن حارثة براية رسول الله صلى الله عليه وآله وقاتل المسلمون معه على صفوفهم حتى شاط في رماح القوم ـ أي قُتل طعناً بالرماح ـ فأخذ الراية جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها، وكان أوّل من عقر فرسه في الإسلام، ثم قاتل فقطعت يمينه، فأخذ الراية بيساره فقطعت يساره، فاحتضن الراية وقاتل حتى قتل[١] . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : **إن الله أبدله بهما جناحين يطير بهما في الجنة مع الملائكة**، فرُوي أنه وجد ما بين صدره ومنكبيه وما أقبل منه تسعون جراحة ما بين ضربة وطعنة، وقيل وجد في بدنه اثنتان وسبعون ضربة وطعنة، ورُوي خمسون جراحة، وقيل: ضربه رومي فقطعه بنصفين فوجد في أحد نصفيه بضعة وثلاثون جرحاً.

فأخذ الراية عبد الله بن رواحة ثم تقدم بها وهو يتردد، بعض التردد، ثم قال :

أقسمت يا نفس لتنزلنّه طائعة أو فلتُكرهنّهْ

إن أجلب الناس وشدّوا الرنّهْ مالي أراك تكرهين الجنّهْ!

قد طالما قد كنت مطمئنّهْ هل أنت إلّا نطفة في شنّهْ!

وقال أيضاً :

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٣٧٧ ـ ٣٧٨، إعلام الورى بأعلام الهُدى ١: ٢١٣.

يـــا نــفس إلّا تُــقتلي تــموتي   هــذا حـمام المـوت قـد صـليتِ
ومــــا تــمنّيتِ فــقد أُعــطيتِ   إن تـــفعلي فـــعلهما هُــديتِ

ثم نزل فأتاه ابن عم له بعرق من لحم ـ أي عظم عليه لحم ـ فقال: شد بهذا صلبك فانتهس منه نهسة ثم سمع الحطمة في ناحية الناس فـقال: وأنت فـي الدنيا، وألقاه من يده، وتقدم فقاتل حتى قُتل[1].

ثم أخذ الراية خالد بن الوليد فانحاز بـالناس ورجـع، فـلقيهم المسـلمون يحثون في وجوههم التراب ويقولون: يا فُرارون فررتم في سبيل الله، فـقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **بل هم الكرّارون**، وكان الرجل يجيء الى أهل بيته يدق عـليهم الباب فيأبون أن يفتحوا له، حتى إن نفراً منهم جلسوا في بيوتهم استحياء كلما خرج واحد منهم صاحوا به[2].

وعن كتاب المحاسن: أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما انـتهى إليـه قَـتْلُ جـعفر بـن أبي‌طالب دخل على أسماء بنت عميس زوجـة جـعفر، فـقال لهـا: أيـن بـني؟ فدعت بهم وهم ثلاثة: عبد الله وعون ومحمّد، فمسح رسول الله صلى الله عليه وآله رؤوسهم، فقالت: إنك تمسح رؤوسهم كأنهم أيتام؟ فعجب من عقلها، فقال: **يا أسماء، ألم تعلمي أن جعفراً استشهد؟** فبكت، فقال لها: **لا تبكي فإن الله أخبرني أن له جناحين في الجنة من ياقوت أحمر**، فقالت يا رسول الله لو جمعت الناس وأخبرتهم بفضل جعفر لا ينسى فضله، فعجب رسول الله صلى الله عليه وآله من عقلها ثم قال: **ابعثوا الى أهل جعفر طعاماً**، فجرت به السنة.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٣٧٩، تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ١٥١.

(٢) السيرة الحلبية ٣: ٦٩ ـ ٧٠، المغازي للواقدي ٢: ٧٦٤ ـ ٧٦٥.

غزوة فتح مكة

في شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة(١)، وهي التي توطّد أمر الإسلام بها وتمهد الدين بما مَنّ الله سبحانه على نبيه ﷺ فيها، وكان الوعد بها قد تقدم في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجاً﴾ وقوله عزّوجلّ: قبلها بمدّة طويلة: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ...﴾ وكانت الأعين إليها ممتدة والرقاب متطاولة(٢).

وكان السبب فيها: أنه كان قد خرج في الجاهلية رجل تاجر يقال له: «مالك بن عبّاد من بني الحضرمي» حليف لبني بكر بن عبد مناة بن كنانة، فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه وأخذوا ماله، فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه، فعدت خزاعة على ثلاثة من أشراف بني بكر فقتلوهم وذلك قبل الإسلام، ثم حجز بينهم الإسلام وتشاغل الناس به، فلما كان صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ وقريش دخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ ودخلت بنو بكر في عقد قريش ـ كما مر ـ فاغتنمت بنو بكر الهدنة، فكلّم جماعة منهم أشراف قريش أن يعينوهم على خزاعة بالرجال والسلاح ليأخذوا بثأر الثلاثة الذين قتلتهم خزاعة من بني بكر، فأجابوهم ووافوهم بالوتير، ماء لخزاعة بأسفل مكة، متنكرين متنقبين، فيهم: صفوان بن أُمية

(١) المحاسن للبرقي ١: ٤٢٠.

(٢) الإرشاد ١: ١٣٠ ـ ١٣١.

وحويطب بن عبد العزى وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو، فاجتمعوا ليلاً هم وبنو بكر وبيّتوا خزاعة وهم على الوتير، فقتلوا منهم عشرين رجلاً، وذلك في شعبان ، وندمت قريش على ما صنعت وعلموا أن هذا نقض للعهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ يوم الحديبية، فخرج عمروبن سالم الخزاعي ثم الكعبي في أربعين راكباً من خزاعة، حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة، فوقف عليه وهو جالس في المسجد وأنشأ يقول من أبيات :

لا هـمّ إنـي نـاشد مـحمّداً حـلف أبـينا وأبـيك الأتـلدا
إن قـريشاً أخـلفوك الـموعدا ونـقضوا مـيثاقك المـؤكّدا
هـم بـيّتونا بـالوتير هـجّدا وقـتلونا ركّـعاً وسـجداً[١]

وكـان بـين خـزاعـة وعـبد المـطلب حـلف قـبل الإسلام وذلك قـوله : «حـلف أبـينا وأبـيك الأتـلدا» ولا بـأس بـذكر صـورة الحـلف بـين عبدالمطلب وخزاعة، فإنّه من الآثار العربية القديمة التي تـتطلع النـفوس الى معرفتها :

صورة كتاب الحلف الذي كتبه عبد المطلب بن هاشم لخزاعة

باسمك اللهم: هذا حلف عبد المطلب بن هـاشم لخـزاعـة إذ أقـدم عـليه سرواتهم، وأهل الرأي منهم غائبهم يقرّ بما قـاضى عـليه شـاهدهم، أن بـيننا وبينكم عهود الله وميثاقه وما لا ينسى أبداً، اليد واحدة والنصر واحد ما أشرق ثبير وثبت حراء مكانه، وما بلّ بحر صوفة[٢].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٣٨٩ ـ ٣٩٠، الطبقات الكبرى ٢: ١٣٤، تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ١٥٢ ـ ١٥٣.

(٢) السيرة الحلبية ٣: ٧٠.

صورة محالفة أُخرى بين عبد المطلب وخزاعة

باسمك اللهم: هذا ما تحالف عليه عبد المطلب بن هاشم ورجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة، تحالفوا على التناصر والمواساة ما بلّ بحر صوفة، حلفاً جامعاً غير مفرق الأشياخ على الأشياخ والأصاغر على الأصاغر والشاهد على الغائب، وتعاهدوا وتعاقدوا أوكد عهد وأوثق عقد، لا ينقض ولا ينكث ما أشرقت شمس على ثبير وحن بفلاة بعير وما أقام الأخشبان وعمّر بمكة إنسان، حلف أبد لطول أمد يزيده طلوع الشمس شداً وظلام الليل مداً، وأن عبدالمطلب وولده ومن معهم ورجال خزاعة متكافئون متظاهرون متعاونون، فعلى عبد المطلب النصرة لهم بمن تابعه على كل طالب وعلى خزاعة النصرة لعبد المطلب وولده ومن معهم على جميع العرب في شرق أوغرب أوحزن أوسهل، وجعلوا الله على ذلك كفيلاً وكفى به جميلاً...الخ[1].

فقام ﷺ يجر رداءه وهو يقول: لا نصرت إن لم أنصر خزاعة مما انصر منه نفسي[2].

ثم خرج بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله ﷺ المدينة فأخبروه بما أُصيب منهم وبمظاهرة قريش عليهم، ثم انصرفوا الى مكة، وبعثت قريش أباسفيان ليجدد العقد ويزيد في المدة فلقى بديلاً وأصحابه في الطريق، فقال له أبو سفيان: من أين أقبلت ؟ وقد ظن أنه

---

(١) السيرة الحلبية ٣: ٧١.

(٢) المغازي للواقدي ٢: ٧٩١، السيرة الحلبية ٣: ٧١.

أتى النبيّ ﷺ، قال: سرت في خزاعة في هذا الوادي، قال: ما أتيت محمّداً؟ قال: لا، فلما راح بديل عمد أبوسفيان الى مبرك ناقته ففتّ البعر فرأى فيه النوى، فقال: أحلف بالله لقد جاء بديل محمّداً، وكان رسول الله ﷺ قال للناس كأنكم بأبي سفيان قد جاء ليشدد العقد ويزيد في المدة، وجاء أبو سفيان المدينة فدخل على ابنته أُم حبيبة زوجة النبيّ ﷺ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه، فقال: يا بنية ما أدري أرغبت بي عنه أم رغبت به عني؟ قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجس مشرك، قال: لقد أصابك يا بنية بعدي شرّ، ثم أتى رسول الله ﷺ فقال: إني كنت غائباً في صلح الحديبية فاشدد لنا العهد وامدد لنا في المدة، قال: **هل كان فيكم من حدث؟** قال: معاذ الله! فقال ﷺ: **نحن على مدتنا وصلحنا**، فأعاد أبو سفيان القول فلم يردد عليه شيئاً، ثم قال لأبي بكر أن يكلم له رسول الله ﷺ، فقال: ما أنا بفاعل، ثم أتى عمر فكان أشدّ، ثم دخل على عليّ بن أبي طالب وعنده فاطمة وعندها ابنها الحسن غلام يدب بين يديها، فقال: يا عليّ، إنك أمسّ القوم بي رحماً وقد جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائباً، اشفع لنا عند محمّد، فقال: **لقد عزم رسول الله على أمر ما نستطيع أن نكلّمه فيه**، فقال لفاطمة: يا بنت محمّد، هل لك أن تأمري بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر؟ قالت: **ما بلغ بني أن يجير بين الناس وما يجير على رسول الله أحد**، قال: يا أبا الحسن، إني أرى الأُمور قد اشتدت (فسدت خ ل) عليَّ فانصحني، قال: **ما أعلم شيئاً يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فاجر بين الناس ثم ألحق بأرضك**، قال: أوترى ذلك مغنياً عني شيئاً؟ قال: لا أظن ولكن لا أجد لك غير ذلك، فقام

أبوسفيان في المسجد فقال : أيها الناس إنّي قد جرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق ، فسألته قريش ما وراءك؟ قال: جئت محمّداً فكلمته فوالله ما ردّ عليّ شيئاً، ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجد عنده خيراً، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أعدى القوم، ثم جئت عليّ بن أبيطالب فوجدته ألين القوم وقد أشار عليَّ بشيء صنعته ما أدري يغنيني شيئاً أم لا ، أمرني أن أجير بين الناس . قالوا: فهل أجاز ذلك محمّد؟ قال : لا ، قالوا: ما زاد على أن لعب بك رواه. الطبري في تاريخه(١).

وتجهز رسول الله ﷺ وأخفى أمره أوّلاً وقال: **اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها**، وأخذ بالأنقاب ـ أي الطرق ـ فأوقف بكل طريق جماعة ليعرف من عبر بها، وقال: **لهم لا تدعوا أحداً يمر بكم تنكرونه إلّا رددتموه**، ثم أخبر جماعة بمسيره الى مكة وبقي الأمر مكتوماً عن الأكثر، فمن قائل يريد مكة وقائل يريد هوازن وقائل يريد ثقيفاً، فكتب حاطب ابن أبي بلتعة ـ وكان من أهل مكة وقد شهد بدراً مع رسول الله ﷺ ـ الى قريش يخبرهم بذلك فيمكن أن يكون قد أطلع على جلية الأمر ويمكن أن يكون ظن ظناً، ودفع الكتاب الى امرأة سوداء وردت المدينة تستميح بها الناس وجعل لها جعلاً على أن توصله إليهم، فجعلته في رأسها ثم فتلت عليه قرانها وسارت على غير الطريق، فنزل الوحي على النبيّ ﷺ بذلك فدعا علياً وقال له: **إن بعض أصحابي كتب الى أهل مكة يخبرهم بخبرنا، وقدكنت سألت الله عزّ وجلّ أن يعمي أخبارنا عليهم، والكتاب مع امرأة سوداء قد أخذت على غير الطريق فخذ سيفك**

(١) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ١٥٤ .

والحقها وانتزع الكتاب منها وخلّ سبيلها، ثم استدعى الزبير بن العوام فأرسله معه، فأدركا المرأة فسبق إليها الزبير فسألها عن الكتاب فأنكرته وحلفت أنه لا شيء معها وبكت، فقال الزبير: ما أرى يا أبا الحسن معها كتاباً فارجع بنا الى رسول الله ﷺ لنخبره ببراءة ساحتها، فقال له عليّ عليه السلام: **يخبرني رسول الله ﷺ أن معها كتاباً ويأمرني بأخذه منها وتقول أنت إنه لاكتاب معها**، ثم اخترط السيف وتقدم إليها، فقال **أما والله! لئن لم تخرجي الكتاب لأكشفنّك ثم لأضربنّ عنقك**، فقالت له: فاعرض بوجهك عني، فأعرض بوجهه عنها، فكشفت قناعها وأخرجت الكتاب من عقيصتها فأخذه عليّ عليه السلام وسار به الى رسول الله ﷺ[1].

واختصر الدكتور هيكل هذه القصة اختصاراً قلل من ميزة عليّ على الزبير فيها، فقال: إنهما استنزلاها فالتمسا في رحلها فلم يجدا شيئاً، فأنذرها عليّ إن لم تخرج الكتاب ليكشفنها، ولم يذكر سبق الزبير إليها ورجوعه وجواب عليّ له[2].

فأمر النبيّ ﷺ أن ينادى الصلاة جامعة، فاجتمع الناس حتى امتلأ بهم المسجد، ثم صعد المنبر والكتاب بيده وقال: **أيها الناس! إني كنت سألت الله أن يخفي أخبارنا عن قريش، وأن رجلاً منكم كتب الى أهل مكة يخبرهم بخبرنا فليقم صاحب الكتاب وإلّا فضحه الوحي**، فلم يقم أحد، فأعاد مقالته ثانية، فقام حاطب بن أبي بلتعة وهو يرعد كالسعفة في يوم الريح العاصف، فقال: أنا يا رسول الله صاحب الكتاب وما أحدثت نفاقاً بعد إسلامي ولا شكاً بعد يقيني، فقال له

(١) السيرة الحلبية ٣: ٧٤ ـ ٧٥، الإرشاد ١: ٥٦ ـ ٥٧.

(٢) حياة محمد: ٣٨٤ ـ ٣٨٥.

رسول الله ﷺ : **فما الذي حملك على ذلك ؟** قال: إن لي أهلاً بمكة وليس لي بها عشيرة فأشفقت أن تكون الدائرة لهم علينا فيكون كتابي هذا كفاً لهم عن أهلي ويداً لي عندهم، ولم أفعل ذلك لشك مني في الدين ، فقال عمر يا رسول الله، مرني بقتله فقد نافق ، فقال ﷺ : **إنه من أهل بدر ولعل الله اطلع عليهم فغفر لهم أخرجوه من المسجد** ، فجعل الناس يدفعون في ظهره حتى أخرجوه وهو يلتفت الى النبيّ ﷺ فأمر بردّه، وقال: **قد عفوت عنك فاستغفر ربك ولا تعد لمثل ما جئت**[١]، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ (الى قوله) وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا...[٢]﴾[٣] .

وبعث رسول الله ﷺ الى من حوله من العرب، فمنهم من وفاه بالمدينة، ومنهم من لحقه بالطريق، واستخلف على المدينة عبد الله بن أُمّ مكتوم، وقيل: غيره، وخرج ﷺ يوم الأربعاء لعشر ليال خلون من شهر رمضان بعد العصر في عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار ومن انضم إليهم في الطريق من الأعراب، وجلهم أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع وسليم فسبعت سليم وألفت مزينة، وكان المهاجرون سبعمائة ومعهم ثلثمائة فرس والأنصار أربعة آلاف ومعهم خمسمائة فرس، ومزينة ألفاً وثلاثة نفر وفيها مائة فرس، وأسلم أربعمائة ومعها ثلاثون فرساً، وجهينة ثمانمائة وقيل: ألف وأربعمائة، والباقي من سائر العرب تميم وقيس وأسد وغيرهم ، فلما كان ﷺ بقديد عقد الألوية والرايات ودفعها الى القبائل، ثم نزل مرّ الظهران عشاء فأمر أصحابه

---

(١) الإرشاد: ٥٨ ـ ٥٩ .

(٢) الممتحنة: ١ ـ ٤ .

(٣) المغازي للواقدي ١: ٧٩٨، السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٣٩٩.

فأوقدوا عشرة آلاف نار، ولم يبلغ قريشاً مسيره وهم مغتمون لما يخافون من غزوه إياهم، فبعثوا أبا سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الأخبار، فلما رأوا العسكر أفزعهم .

وكان العباس بن عبد المطلب قد هاجر الى المدينة في ذلك الوقت فلقي النبيّ ﷺ بالسقيا وهو متوجه الى مكة، فأرسل أهله وثقله الى المدينة ورجع مع النبيّ ﷺ ، فلما نزل مرّ الظهران قال العباس: يا صباح قريش! والله لئن بغتها رسول الله ﷺ في بلادها، فدخل مكة عنوة أنه لهلاك قريش آخر الدهر، فجلس على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء وقال: أخرُج الى الأراك لعلّي أرى حطاباً أو داخلاً يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله فيأتونه فيستأمنونه.

قال: فخرجت فسمعت صوت أبي سفيان فقلت : أبا حنظلة ، فقال أبو الفضل ، قلت نعم ، قال: لبيك فداك أبي وأُمّي ما وراءك؟ قلت: هذا رسول الله قد دلف إليكم بعشرة آلاف من المسلمين، قال: فما تأمرني؟ قلت: تركب عجز هذه البغلة فأستأمن لك رسول الله ﷺ ، والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فردفته فخرجت به أركض، فكلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا: عمّ رسول الله على بغلة رسول الله، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال : أبو سفيان! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ، ثم اشتد نحو النبيّ ﷺ وركضت البغلة فسبقته فدخل على رسول الله ﷺ وقال : هذا أبو سفيان عدو الله قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد فدعني أضرب عنقه ، فقلت: يا رسول الله قد أجرته ، ثم جلست الى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه فقلت: والله لا يناجيه اليوم أحد دوني، فقال رسول الله ﷺ : اذهب فقد آمنّاه حتى

تغدوبه عليّ، فلما أصبح غدا به على رسول الله ﷺ ، فلما رآه قال: ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلّا الله؟ فقال: بأبي أنت وأُمّي، ما أوصلك وأحلمك وأكرمك، والله لقد ظننت أن لوكان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً ، فقال: ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟ قال: أما هذه ففي النفس منها شيء ، قال العباس : فقلت له ويلك! تشهّد شهادة الحق قبل والله أن تُضرب عنقك، فتشهّد، فقال رسول الله ﷺ : انصرف فاحبسه عند خطم الجبل بمضيق الوادي حتى تمرّ عليه جنود الله، فقلت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً يكون في قومه ، قال: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، فخرجت حتى حبسته عند خطم الجبل بمضيق الوادي، فمرّت عليه القبائل فيقول: من هؤلاء يا عباس؟ فأقول: سليم، فيقول: ما لي ولسليم، فتمرّ به قبيلة فيقول: من هؤلاء؟ فأقول: أسلم، فيقول: مالي ولأسلم، وتمرّ جهينة فيقول: مالي ولجهينة، حتى مرّ رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء من المهاجرين والأنصار في الحديد، لا يرى منهم إلّا الحدق، فقال: من هؤلاء يا أبا الفضل؟ فقلت هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار ، فقال : يا أبا الفضل، لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً، فقلت: ويحك إنها النبوة، فقال: نعم ، فقلت: إلحق الآن بقومك فحذّرهم، فخرج سريعاً حتى أتى مكة، فصرخ في المسجد: يا معشر قريش، هذا محمّد قد جاءكم بما لا قِبل لكم به، قالوا: فمه! قال: من دخل داري فهو آمن، قالوا: وما تغني عنا دارك؟ قال: ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن. فقامت إليه زوجته هند بنت عتبة أُمّ معاوية فأخذت بلحيته ونادت: يا آل غالب، اقتلوا

هذا الشيخ الأحمق، هلّا قاتلتم ودفعتم عن أنفسكم وبلادكم؟ فقال لها: ويحك! أسلمي وادخلي بيتك، وقال: لا تغرّنكم هذه من أنفسكم فقد جاءكم ما لا قِبل لكم به.

وكان ممن لقيه ﷺ في الطريق ابن عمّه وأخوه من الرضاعة أبوسفيان بن الحارث بن عبد المطلب اسمه كنيته، وقيل: اسمه المغيرة، وابن عمّته عاتكة بنت عبد المطلب عبد الله بن أبي أُمية المخزومي أخو أُم سلمة لأبيها، فأستأذنا عليه، فأعرض عنهما، فقالت أُمّ سلمة: يا رسول الله، ابن عمّك وابن عمّتك وصهرك، فقال: لا حاجة لي بهما أما ابن عمّي فهتك عرضي وكان يهجو رسول الله ﷺ، وأما ابن عمّتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال يعني قوله له: والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلّماً الى السماء فتعرج فيه وأنا انظر ثم تأتي بصك وأربعة من الملائكة يشهدون أن الله أرسلك، فقالت له أُمّ سلمة: لا يكن ابن عمّك وابن عمّتك اشقى الناس بك، فقال أبو سفيان: والله ليأذنن لي أولآخذن بيد ابني هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً، فرقّ لهما النبيّ ﷺ فدخلا عليه وأسلما، وقال عليّ عليه السلام لأبي سفيان: **ائت من قبل وجهه فقل له ما قال أخوه يوسف: ﴿تالله لقد آثرك الله علينا﴾، فقال له ﷺ: ﴿لا تثريب عليكم اليوم... الآية﴾** وقال أبو سفيان، معتذراً مما كان منه من أبيات:

لعمرك إني يوم أحمل راية لتغلب خيل اللات خيل محمّد
لك المُدلج الحيران أظلم ليله فهذا أواني حين أهدى واهتدى[1]

---

(١) السيرة الحلبية ٣: ٧٨ ـ ٨١ الطبقات الكبرى ٢: ١٣٥، السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٣٩٥ ـ ٤٠١، تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ١٥٥ ـ ١٥٨.

وأمـر رسـول الله ﷺ الزبـير أن يـدخل مكـة مـن أعـلاها فـيغرز رايـته بالحجون، وأمر خالد بن الوليد أن يدخل من أسفل مكة، ونهى عن القتال إلّا لمن قاتلهم، ودخل هو ﷺ من أعلى مكة وكانت الراية مع سعد بن عبادة(١) .

قال المفيد : لما أمر رسول الله ﷺ سعد بن عبادة بدخول مكة بالراية غلظ على القوم وأظهر ما في نفسه من الحنق عليهم، ودخل وهو يقول :

اليـــوم يـــوم المـــلحمة اليـــوم تســـبى الحـــرمة

فسمعها العبّاس فقال للنبي ﷺ : أما تسمع يا رسول الله ما يقول سعد وإنّي لا آمن أن يكون له في قريش صولة، فقال النـبيّ ﷺ لعـليّ: **أدرك سعداً فـخذ الراية منه وكن أنت الذي تدخل بها مكة**، فأدركه عليّ عليه السلام فأخذها مـنه ولم يـمتنع سعد من دفعها إليه(٢) .

وذكر الطبري أن سعداً قال حين وجّه داخلاً الى مكة :

اليـــوم يـــوم المـــلحمة اليـــوم تُســـتحلّ الحـــرمة

فسمعها رجل من المهاجرين، فقال يا رسول الله : اسمع ما قال سعد بـن عبادة وما نأمن أن تكون له في قريش صولة، فقال رسـول الله ﷺ لعـليّ بـن أبي طالب: **أدركه فخذ الراية فكن أنت الذي تدخل بها**(٣).

والدكتور هيكل على عادته لم يذكر دفع الراية الى عليّ أصلاً(٤).

وكان صفوان بن أُمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمر وقد جمعوا

(١) المغازي للواقدي ٢: ٨٢٥، تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ١٥٨ ـ ١٥٩ .

(٢) الإرشاد ١: ٦٠ ـ ٦١ .

(٣) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ١٥٩ .

(٤) حياة محمّد: ٣٩.

ناساً بالخندمة وهو جبل بمكة ليُقاتلوا، وكان حماس بن قيس من بني بكر يعد سلاحاً قبل أن يدخل رسول الله ﷺ مكة ويصلح منها، فقالت له امرأته: لماذا تعد ما أرى ؟ قال: لمحمد وأصحابه ، قالت: والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شيء ، قال :والله، إني لأرجو أن أخدمك بعضهم ، فأقبل خالد بن الوليد من ناحية الخندمة فمنعوه من الدخول وناوشوه القتال وقاتلهم فانهزموا وكان حماس معهم فخرج منهزماً حتى دخل بيته ثم قال لامرأته: أغلقي عليَّ بابي، قالت: فأين ماكنت تقول؟ أين الخادم ؟ فقال :

إنك لو شهدت يوم الخندمة إذ فرّ صفوان وفرّ عكرمه

وبو يزيد قائم كالمؤتمة واستقبلتنا بالسيوف المسلمه

يقطعن كل ساعد وجمجمة ضرباً فلا تسمع إلّا غمغمه لهم

نهيت خلفنا وهمهمه لم تنطقي في اللوم أدنى كلمة[1]

ودخل رسول الله ﷺ مكة من ناحية كداء على ناقته القصواء بكرة يوم الجمعة، واضعاً رأسه الشريف على الرحل تواضعاً لله تعالى، ثم قال: **اللهم إن العيش عيش الآخرة**، فقيل له يا رسول الله، ألا تنزل دارك ؟ فقال: **وهل أبقى عقيل لنا داراً**، ثم ضربت له قبة في الأبطح فنزل فيها ومعه زوجتاه أُم سلمة وميمونة[2] .

وأمر بقتل جماعة ولو كانوا تحت أستار الكعبة ، قيل: ستة رجال وأربع نساء، وقيل: أحد عشر رجلاً، فمن الرجال: عبدالله بن أبي سرح كان قد أسلم

---

(١) المغازي للواقدي ٢: ٨٢٥ـ٨٢٨.

(٢) السيرة الحلبية ٣: ٨٣ـ ٨٤.

فارتد مشركاً ففر الى عثمان وكان أخاه من الرضاعة، فغيبه ثم أتى به رسول الله ﷺ فاستأمن له، فصمت ﷺ طويلاً ثم قال: نعم، فلما انصرف به قال ﷺ: لقد صمتّ ليقوم إليه بعضكم فيقتله، فقال أنصاريٌّ: هلّا أومأت إليّ؟ قال: إن النبيّ لا يُقتل بالإشارة.

وعبد الله بن خطل كان قد أسلم فبعثه رسول الله ﷺ مصدقاً وكان معه مولى مسلم يخدمه، فأمر المولى أن يذبح له تيساً ويصنع له طعاماً، فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً فعدا عليه فقتله وارتدّ مشركاً، وكان شاعراً يهجو رسول الله ﷺ قتله سعيد بن حريث المخزومي وأبو برزة الأسلمي اشتركا في دمه.

والحويرث بن نقيد كان يؤذيه بمكة قتله عليّ بن أبي طالب.

ومقيس بن صبابة كان له أخ يسمى هشام قتله رجل من الأنصار خطأ في غزوة ذي قَرَد وهو يظنّه من العدو، فأعطاه النبيّ ﷺ ديته ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ورجع الى قريش مرتدّاً، قتله نميلة بن عبد الله رجل من قومه.

وعكرمة بن أبي جهل، فهرب الى اليمن وأسلمت امرأته أُمّ حكيم بنت عمه الحارث بن هشام، فاستأمنت له رسول الله ﷺ فأمنه، فخرجت في طلبه حتى أتت به رسول الله ﷺ فأسلم.

ووحشي قاتل حمزة استؤمن له فأمنه، وقال: لا تريني وجهك، فمات بحمص وكان لا يزال سكران.

وكعب بن زهير بن أبي سلمى كان يهجو رسول الله ﷺ، هرب فاستؤمن له فأمنه، فمدحه بـ(بانت سعاد) القصيدة المشهورة.

وهبّار بن الأسود الذي روع زينب بنت رسول الله ﷺ، والحارث بن هشام أخو أبي جهل لأبويه، وزهير بن أُمية. وصفوان بن أُمية، وهؤلاء أسلموا فعفا عنهم.

ومن النساء: هند بنت عتبة أسلمت وبايعت، وقينتان لعبد الله بن خطل «فرتنا وقريبة» كانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ الذي يصنعه لهما، فقُتلت قريبة وهربت فرتنا، فاستؤمن لها رسول الله ﷺ فأمنها فعاشت الى خلافة عثمان.

وسارة مولاة عمرو بن هاشم بن عبد المطلب قُتلت يومئذٍ، وقيل: استؤمن لها رسول الله ﷺ فأوطاها رجل فرسه في خلافة عمر بالأبطح فقتلها[١].

وأقبل ﷺ الى الكعبة فاستلم الحجر الأسود وطاف بالبيت على راحلته، وعلى الكعبة وفي رواية حولها ثلاثمائة وستون صنماً لكل حي من أحياء العرب صنم، فجعل كلّما يمرّ بصنم منها يشير إليه بقضيب في يده ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً» فما أشار لصنم من ناحية وجهه إلّا وقع لقفاه ولا أشار لقفاه إلّا وقع لوجهه حتى مرّ عليها كلها، وكان أعظمها هبل وهو تجاه الكعبة[٢]، وفي رواية: إنّه جعل يطعن في عينه بقوس في يده ويقرأ هذه الآية ثم أمر به فكُسر، وكان المقام لاصقاً بالكعبة فصلّى خلفه ركعتين، ثم أمر به فوضع في مكانه، ثم جلس ناحية من المسجد وأرسل بلالاً

---

(١) السيرة الحلبية ٣: ٩٠ـ ٩٤، المغازي للواقدي ٢: ٨٥٥ـ ٨٦٢.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٤١١ـ ٤١٢، السيرة الحلبية ٣: ٨٥ .

الى عثمان بن طلحة أن يأتي بمفتاح الكعبة، فجاء به ففتح رسول الله ﷺ باب الكعبة وصلّى فيها ركعتين، وخرج فأخذ بعضادتي الباب والمفتاح معه، فخطب الناس فقال: «لا اله إلّا الله وحده لا شريك له، صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ألاكل مأثرة أودم أومال يُدعى فهو تحت قدمي هاتين إلّا سدانة البيت وسقاية الحاج ، ثم قال: يامعشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم وآدم خلق من تراب ثم تلا: ﴿يا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ... الآية﴾[1]، يا معشر قريش ويا أهل مكة، ما ترون إني فاعل بكم؟ قالوا أخ كريم وابن اخ كريم ، ثم قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء»[2] فأعتقهم وقد كان أمكنه الله من رقابهم عنوة فبذلك سموا الطلقاء .

ثم دعا بعثمان بن طلحة فردّ إليه مفتاح الكعبة وقال خذوها يا بني أبي طلحة تالدة خالدة لا ينزعها منكم إلّا ظالم، وانتقلت سدانة الكعبة بعد عثمان الى أخيه شيبة، ثم توارثها أولاده الى اليوم ، وصاروا يعرفون ببني شيبة وهم من نسل طلحة بن أبي طلحة العبدري صاحب الراية يوم أُحد الذي قتله أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام، ودفع السقاية الى العباس بن عبد المطلب وكانت لأبيه عبد المطلب، ثم قام بها بعد العباس ابنه عبد الله وهي أحواض من جلد يوضع فيهاالماء العذب لسقاية الحاج ويطرح فيها التمر والزبيب في بعض الأوقات. وحانت صلاة الظهر فأذّن بلال فوق ظهر الكعبة ، وبث ﷺ السرايا الى

---

(١) الحجرات: ١٣ .

(٢) الطبقات الكبرى: ٢ / ٣٧ ـ ١٣٨ .

الأصنام التي حول مكة فكسرها، ونادى مناديه: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنماً إلّا كسره[١] .

وأتى الصفا يدعو الله تعالى ويذكره، فقال الأنصار فيما بينهم: أترون أن رسول الله إذ فتح الله أرضه وبلده يقيم بها؟ فلما فرغ من دعائه قال: **معاذ الله! المحيا محياكم والممات مماتكم**[٢].

وجلس رسول الله ﷺ على الصفا ـ وقيل: في المسجد[٣] ـ يبايع الناس الرجال والنساء، فيبايع الرجال على الإسلام، شهادة أن لا إله إلّا الله وأن محمّداً عبده ورسوله، وعلى السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا . ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وجاءه رجل فأخذته الرعدة فقال: هون عليك فإني لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد[٤].

ولما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء، فكانت بيعته لهن على نحوين: كان يوضع بين يديه إناء فيه ماء فإذا أخذ عليهن وأعطينه غمس يده في الإناء ثم أخرجها فغمس النساء يديهن فيه، وبعد ذلك كان يبايعهن بالكلام وحده[٥] . فهذا مما ساوى فيه الإسلام بين الرجال والنساء في الأُمور العامة المهمة وهي البيعة، فقرأ عليهن ما أنزل الله من شروط البيعة عليهن .

وقيل: وضع على يده ثوباً فبايعهن[٦]، على أن لا يشركن بالله شيئاً، ولا

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٤١٦ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨: ٩ .

(٣) دلائل النبوّة ٥: ٩٤ .

(٤) السيرة الحلبية ٣: ٩٤ .

(٥) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ١٦٢ .

(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨: ٩ .

يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن، ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف لا يقتلن أولادهن بوادٍ ولا إسقاط ، ولا يأتين ببهتان يفترينه بكذب يكذبنه في مولود بين أيديهن وأرجلهن فلا يلحقن بأزواجهن غير أولادهم . عن ابن عباس: وكانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدي منك فذلك البهتان المفترى بين أيديهن وأرجلهن، وذلك أن الولد إذا وضعته الأُم سقط بين يديها ورجليها، وليس المعنى على أن يأتين بولد من الزنا فينسبنَه الى الأزواج، لأن الشرط بنهي الزنا قد تقدم ولا يعصينَك في معروف وهو جميع ما يأمرهن به، لأنه لا يأمر إلّا بمعروف. وقيل: النهي عن النوح وتمزيق الثياب وجز الشعور وشق الجيوب وخمش الوجوه والدعاء بالويل. وكان في النساء هند بنت عتبة متنقبة متنكرة لخوفها ، فلما قال : على أن لا يشركن بالله شيئاً ، قالت هند : والله إنك لتأخذ علينا أمراً ما تأخذه على الرجال وسنؤتيكه ، فلما قال : ولا يسرقن ، قالت : إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلّا ما أخذت منه وهو لا يعلم ، فقال: وإنك لهند ؟ قالت : أنا هند فاعف عمّا سلف عفا الله عنك ، فقال: خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف، فلما قال ولا يزنين ، قالت : أوتزني الحرة؟ فتبسم بعض من حضر لما كان بينه وبينها في الجاهلية، فلما قال : ولا يقتلن أولادهن ، قالت: ربيناهم صغاراً وقتلتهم يوم بدر كباراً، فلما قال : ولا يأتين ببهتان... الخ. قالت: إن إتيان البهتان لقبيح ، فلما قال : ولا يعصينك في معروف ، قالت: ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن نعصيك

في معروف[١].

ولما كان الغد من يوم الفتح خطب رسول الله ﷺ بعد الظهر فقال: إن الله قد حرّم مكة يوم خلق السماوات والأرض فهي حرام الى يوم القيامة ولم تحلّ لي إلّا ساعة من نهار ثم رجعت كحرمتها بالأمس، فليبلغ شاهدكم غائبكم ولا يحل لنا من غنائمها شيء[٢].

وهرب صفوان بن أُمية الى جدة ليركب منها الى اليمن، فقال عمير بن وهب يا نبي الله، إن صفوان بن أُمية سيد قومه وقد خرج هارباً منك ليقذف نفسه بالبحر، فأمّنه صلّى الله عليك، قال: هو آمن، قال: أعطني شيئاً يعرف به أمانك، فأعطاه عمامته التي دخل بها مكة، فخرج بها فقال: يا صفوان، فداك أبي وأُمي أُذكرك الله في نفسك أن تُهلكها فهذا أمان من رسول الله ﷺ، قال: ويلك! اغرب عني لا تُكلّمني، قال: أي صفوان، فداك أبي وأمّي! أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس ابن عمّتك، عزّه عزّك وشرفه شرفك وملكه ملكك، قال: إني أخافه على نفسي، قال: هو أحلم من ذلك وأكرم، فرجع به، فقال صفوان لرسول الله ﷺ: إن هذا زعم أنك آمنتني، قال: صدق، قال: فاجعلني في أمري بالخيار شهرين، قال: أنت فيه بالخيار أربعة أشهر[٣].

وهذا منه ﷺ نهاية الحلم وكرم الأخلاق وحسن السياسة، ومن عمير الغاية في حسن الوساطة.

قال المفيد: وبلغ علياً عليه السلام أن أُخته أُم هانئ قد آوت أُناساً من بني مخزوم

---

(١) السيرة الحلبية ٣: ٩٦، بحار الأنوار ٢١: ٩٧.

(٢) الطبقات الكبرى ٢: ١٣٧.

(٣) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ١٦٢، السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٤١٧.

أقرباء زوجها هبيرة بن أبي وهب المخزومي، منهم: الحارث بن هشام وقيس بن السائب، فقصد نحو دارها مقنعاً بالحديد، فقال: اخرجوا من آويتم فجعلوا يذرقون كما تذرق الحبارى خوفاً منه، فخرجت إليه أم هانئ وهي لا تعرفه، فقالت: يا عبد الله أنا أُمّ هانئ ابنة عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وأُخت عليّ بن أبي طالب انصرف عن داري، فقال: اخرجوهم، فقالت: والله لأشكونّك الى رسول الله ،فنزع المغفر عن رأسه فعرفته، فجاءت تشتد حتى التزمته وقالت: فديتك، حلفت لأشكونك الى رسول الله، فقال لها: اذهبي فبري قسمك فإنه بأعلى الوادي، قالت: فجئت إليه وهو في قبة يغتسل وفاطمة تستره، فلما سمع كلامي قال: مرحباً بك يا أُم هانئ وأهلاً ،قلت: بأبي أنت وأُمي أشكو إليك اليوم ما لقيت من عليّ بن أبي طالب، فقال قد أجرت من أجرت، فقالت فاطمة: إنما جئت يا أُمّ هانئ تشكين علياً في أنه أخاف أعداء الله وأعداء رسوله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لقد شكر الله لعلي سعيه وأجرت من أجارت أُمّ هانئ لمكانها من عليّ...الخ[1].

وأسلمت أُم هانئ وهرب زوجها هبيرة بن أبي وهب المخزومي الى نجران[2].

وكان فتح مكة يوم الجمعة لعشر بقين من شهر رمضان[3].

وروى ابن سعد في الطبقات: أن رسول الله صلى الله عليه وآله أقام بمكة لما افتتحها خمس عشرة ليلة يصلّي ركعتين ركعتين أي يقصر الصلاة، لأنه لم

---

(١) الإرشاد ١: ١٣٧ ـ ١٣٨.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ١٦٢، ١٦٣.

(٣) المغازي للواقدي ٢: ٨٨٩، بحار الأنوار ٢١: ٤٣.

ينوِ الاقامة(١).

وروى الطبري بسنده قال: أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة(٢).

قال ابن سعد: استعمل رسول الله ﷺ على سوق مكة حين افتتحها سعيد بن سعيد بن العاص بن أُمية، فلما أراد الخروج الى الطائف استخلف على مكة هبيرة بن شبل الثقفي، فلما رجع من الطائف وأراد الخروج الى المدينة استعمل عتاب بن أُسيد على مكة وعلى الحج(٣) . وقال غيره: إنه استعمله على الصلاة وجعل له كل يوم درهماً وعمره إحدى وعشرون سنة ومعاذ بن جبل يعلمهم السنن والفقه(٤).

يوم الغميصاء لخالد بن الوليد في بني جذيمة

في شوال سنة ثمان من الهجرة بعثه رسول الله ﷺ وهو مقيم بمكة الى بني جذيمة بن عامر من كنانة داعياً الى الإسلام ولم يبعثه مقاتلاً، فخرج في ثلاثمائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار، فيهم: عبد الرحمن بن عوف وبني سليم، فنزلوا على الغميصاء ماء من مياه بني جذيمة، وكان بنوجذيمة في الجاهلية قد أصابوا نسوة من بني المغيرة وقتلوا عوفاً أبا عبدالرحمن بن عوف والفاكه بن المغيرة، وكانا أقبلا تاجرين من اليمن حتى

(١) الطبقات الكبرى ٢: ١٣٧ .

(٢) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ١٦٥.

(٣) الطبقات الكبرى ٢: ١٤٥ .

(٤) السيرة الحلبية ٣: ١٠٤ ـ ١٠٥، السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٥٠٠ .

إذا نزلا بهم قتلوهما وأخذوا أموالهما ومع عوف ابنه عبد الرحمن فقتل قاتل أبيه، فلما كان الإسلام وبعث رسول الله ﷺ خالداً إليهم أخذوا السلاح، فقال: ما أنتم ؟ قالوا: مسلمون قال: فما بال السلاح عليكم ؟ قالوا: إن بيننا وبين قوم من العرب عداوة فخفنا أن تكونوا هم، فقال ضعوا السلاح، فقال رجل منهم اسمه «جحدم»: يا بني جذيمة، إنه خالد ، والله ما بعد وضع السلاح إلّا الإسار وما بعد الإسار إلّا ضرب الأعناق، والله لا أضع سلاحي أبداً، فما زالوا به حتى نزعوا سلاحه ونزع القوم سلاحهم، فأمر بهم خالد فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقُتل منهم من قُتل، ويقال: فرّقهم في أصحابه، فلما كان السحر أمرهم بقتلهم، فأما بنو سليم فقتلوا من بأيديهم، وأما المهاجرون والأنصار فأرسلوا أُساراهم[١].

وروى الطبري[٢] وابن هشام بسنديهما، أنه كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف كلام في ذلك، فقال له عبد الرحمن: عملت بأمر الجاهلية في الإسلام فقال خالد: إنّما ثأرت بأبيك، فقال عبد الرحمن: كذّبت قد قتلت قاتل أبي ولكنك إنما ثأرت بعمّك الفاكه بن المغيرة، حتى كان بينهما شرّ، فلما انتهى الخبر الى رسول الله ﷺ رفع يديه الى السماء، ثم قال: **اللهم إنّي أبرأ إليك ممّا صنع خالد** ، ثم دعا عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: **يا علي، أُخرج الى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك**، فخرج حتى جاءهم ومعه مال قد بعثه رسول الله ﷺ به، فودي لهم الدماء وما أُصيب من الأموال،

---

(١) المغازي للواقدي ٢: ٨٧٥ ـ ٨٧٦، الطبقات الكبرى ٢: ١٤٧.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ١٦٤ ـ ١٦٥.

حتى أنه ليدي ميلغة الكلب، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلّا وداه، بقيت معه بقية من المال، فقال لهم عليّ عليه السلام حين فرغ منهم: هل بقي لكم دم أومال لم يُود إليكم؟ قالوا: لا، قال: فإني أعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله صلى الله عليه وآله مما لا يعلم ولا تعلمون، ففعل ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره الخبر، فقال: أصبت وأحسنت، ثم قام فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتى إنه ليرى بياض ما تحت منكبيه، وهو يقول: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد. ثلاث مرات... الخ[١].

غزوة حنين

وهي غزوة هوازن، في شوال سنة ثمان من الهجرة وحنين وادٍ بينه وبين مكة ثلاث ليال الى جنب ذي المجاز قريب من الطائف[٢].

وسببها: أنه لما فتح الله تعالى على رسول مكة أطاعته قبائل العرب إلّا هوازن وثقيفاً فإنهم كانوا طغاة عتاة مردة، فلما سمعت هوازن بفتح مكة على رسول الله صلى الله عليه وآله جمعها رئيسها مالك بن عوف النصري وهو ابن ثلاثين سنة، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها واجتمعت نصر وجشم كلها، وكانوا اجتمعوا حين بلغهم خروجه صلى الله عليه وآله من المدينة فظنوا أنه إنما يريدهم، فلما بلغهم أنه أتى مكة عمدوا لحربه بعد مقامه بمكة نصف شهر، فجاءوا حتى نزلوا بحنين وكانوا ثلاثين ألفاً، كما في السيرة النبوية لدحلان[٣] وحط مالك معهم

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٤٣٠ ـ ٤٣١.

(٢) الطبقات ٢: ١٤٩، سبل الهدى والرشاد ٥: ٣١٥.

(٣) السيرة النبوية لدحلان بهامش السيرة الحلبية ٢: ٢٩٤، الطبقات الكُبرى ٢: ١٥٠.

النساء والصبيان والأموال. وفي ثقيف رئيسان لهم : قارب بن الأسود وذوالخمار سبيع بن الحارث وفي جشم: دريد بن الصمة شيخ كبير أعمى ـ المُكثر يقول بلغ المائتين والمقل المائة والعشرين ـ ليس فيه شيء الا التيمّن برأيه ومعرفته بالحرب وتجربته، وجِماع أمر الناس الى مالك بن عوف ، ودريد في شجار أي هودج له يقاد به، فلما نزل بأوطاس وهو مكان بقرب حنين، قال دريد: بأي وادٍ أنتم؟ قالوا بأوطاس، قال: نعم مجال الخيل لا حَزن ضرس ولا سهل دهس[١] ، ما لي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار[٢] الشاة وخوار البقر؟ قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، وكان توافق معه أن لا يخالفه، فإن دريداً قال له: إنك تقاتل رجلاً كريماً قد أوطأ العرب وخافته العجم وأجلى يهود الحجاز، فقال له: لم فعلت هذا ؟ قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليُقاتل عنهم فأنقض[٣] به وقال: راعيَ ضأنٍ والله! ما له وللحرب، هل يرد المنهزم شيء؟ إن كانت لك لم ينفعك إلّا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك، ثم قال: ما فعلت كعب وكلاب؟ قالوا: لم يشهدها منهم أحد، قال: غاب الحد والجد[٤]، لو كان يوم علاء ورفعة ما غابا ولوددت أنكم فعلتم ما فعلا، فمن شهدها منكم؟ قالوا: عمروبن عامر وعوف

---

(١) الحزن مقابل السهل، والضرس بالكسر فالسكون: الأكمة الخشنة. والدهس بالفتح فالسكون: المكان السهل ليس برمل ولا تراب.

(٢) يعار الشاة بمنزلة رغاء البعير ونحوه.

(٣) انقض من باب أفعل، في النهاية: أي نقر بلسانه في فِيْه كما يزجر الحمار فعله استجهالاً له. وقال الخطابي: أنقض به أي صفق بإحدى يديه على الأُخرى حتى يسمع لها نقيض أي صوت... الخ. انظر النهاية في غريب الحديث ٥: ١٠٧.

(٤) الحد: القوة، والجد: الحظ.

بن عامر، فقال: ذانك الجذعان[١] من بني عامر لا ينفعان ولا يضران، يا مالك إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن[٢] الى نحور الخيل شيئاً أرفعهم الى متمنّع بلادهم وعُليّا قومهم[٣] ثم القَ الصباة على منون الخيل[٤]، فإن كانت لك لحق بك مَن وراءك، وإن كانت عليك ألفاك ذلك، وقد أحرزت أهلك ومالك، قال: لا والله لا أفعل ذلك، إنك قد كبرت وكبر علمك[٥]، والله لتطيعني يا معشر هوازن أولأتكئنّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري، وكره أن يكون لدريد بن الصمة فيها ذكر أورأي، قالوا: أطعناك، فقال دريد: هذا يوم لم أشهده ولم يفتُني:

يا ليتني فيها جذع[٦] أخب[٧] فيها وأضع[٨]
أقود وطفاء الزَّمع[٩] كأنها شاة صَدع[١٠][١١]

(١) الجذع بالتحريك: الصغير السن.

(٢) البيضة: جماعة القوم، وأراد هنا ما جمعه من نسائهم وأطفالهم وأموالهم.

(٣) أشار عليه بردّ النساء والأطفال والأموال الى المكان الحصين من بلادهم.

(٤) أراد بالصباة، المسلمين كان يسميهم المشركون الصباة، لأنهم صبوا ومالوا عن دينهم، أشار عليه بأن يحارب بالفرسان فقط فإن كان له الغلبة لحقه من وراءه من الرجالة وغيرهم، وإن كانت عليه، أصابه ذلك وأهله وأمواله سالمة.

(٥) ويروى: وكبر عقلك، أي كبرت فهرمت وضعفت، وهرم عقلك وضعف .

(٦) شاب.

(٧) الخب: نوع من السير السريع .

(٨) وضعت الناقة في سيرها، وأوضعت أسرعت.

(٩) الزمع جمع زمعة بفتحتين فيهما: وهي الشعرات المدلاة فيمؤخر رجل الشاة والظبي والأرنب (الوطف) كثرة شعر الحاجب، وأراد هنا بوطفاء الزمع الخيل، وإن كان لا يقال لما في يديها زمع ولا لكثرة شعره وطف لكنه من المجاز.

(١٠) الصدع محركة من الأوعال، والظباء الفتى الشاب القوي. (المؤلّف)

(١١) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٤٣٧ ـ ٤٣٩، المغازي للواقدي ٢: ٨٨٥ ـ ٨٨٩، السيرة الحلبية ٣: ١٠٥ ـ ١٠٦ .

وبلغ رسول الله ﷺ ما أجمعت عليه هوازن من حربه فتهيأ للقائهم، وذُكر له أن عند صفوان بن أُمية أدراعاً وسلاحاً، فأرسل إليه وهو يومئذٍ مشرك، لأنه كان استمهله شهرين ـ كما مرّ ـ فقال: يا أبا أُمية أعرنا سلاحك هذا نلقَ فيه عدونا غداً، فقال صفوان: أغصباً يا محمّد؟ قال: بل عارية مضمونة حتى نؤديها إليك، قال: ليس بهذا بأس، فأعطاه مائة درع بما يصلحها من السلاح، وسأله أن يكفيه حملها ففعل[١]. وكنّاه في خطابه تألفاً له وحسن سياسة.

وخرج رسول الله ﷺ الى حنين يوم السبت لثلاث خلون من شوال ومعه اثنا عشر ألفاً، عشرة آلاف من أصحابه الذين فتح بهم مكة وألفان من مسلمة الفتح[٢].

قال ابن سعد وغيره: فقال أبوبكر: لا نغلب اليوم من قلة، وخرج معه كثير من المشركين، قيل: كانوا ثمانين، منهم صفوان بن أُمية وسهل بن عمرو لأنه كان استمهله شهرين كما مرّ، واستعمل على مكة عتاب بن أُسيد، ووصل الى حنين مساء ليلة الثلاثاء لعشر ليال خلون من شوال، فبعث مالك بن عوف ثلاثة نفر من رجاله عيوناً لينظروا أصحاب النبيّ ﷺ فعادوا إليه وقد تقطعت أوصالهم من الخوف، فقال: ويلكم! ما شأنكم؟ قالوا: رأينا رجالاً بيضاً على خيل بلق، فوالله! ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى فما ردّه ذلك عن وجهه ومضى على ما يريد، ووجّه رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي فدخل عسكرهم فطاف به وجاءه بخبرهم، قال الحارث بن مالك: خرجنا مع رسول الله ﷺ الى حنين ونحن حديثوا عهد بالجاهلية، وكانت

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ١٦٧، السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٤٣٩ ـ ٤٤٠.

(٢) المغازي للواقدي ٢: ٨٨٩.

لقريش ومن سواهم سدرة عظيمة خضراء تسمى «ذات أنواط» يأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها ويذبحون عندها، فلما رأيناها تنادينا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، قال: الله أكبر! قلتم كما قال قوم موسى: «اجعل لنا إلٰهاً كما لهم آلهة» قال: إنكم قوم تجهلون، إنها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم، فلما كان من الليل عمد مالك بن عوف الى أصحابه فعبأهم في وادي حنين، وكمنوا في شعاب الوادي بإشارة دريد بن الصمة فإنه قال لمالك: اجعل لك كميناً، إن حمل عليك القوم جاءهم الكمين من خلفهم وكررت أنت بمن معك، وإن كانت الحملة لك لم يفلت من القوم أحد، وقال لهم: إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ثم شدّوا شدّة رجل واحد.

وعبّأ رسول الله ﷺ أصحابه في السحر وصفّهم صفوفاً، ووضع الألوية والرايات في أهلها مع المهاجرين، لواء يحمله عليّ بن أبي طالب وراية يحملها سعد بن أبي وقاص، ومع الأنصار لواء للأوس مع أُسيد بن حضير، ولواء للخزرج مع سعد بن عبادة، ومع قبائل العرب ألوية ورايات، وانحدر رسول الله ﷺ في وادي حنين على تعبئة، وركب بغلته البيضاء دلدل ولبس درعين والمغفر والبيضة[1].

قال جابر بن عبد الله الأنصاري: لما استقبلنا وادي حنين انحدرنا في وادٍ من أودية تهامة أجوف حطوط، إنما ننحدر فيه انحداراً وذلك في عماية الصبح، وكان القوم قد سبقونا إليه فكمنوا لنا في شعابه وأحنائه ومضايقه، فما راعنا ونحن منحطون إلّا الكتائب قد شدّوا علينا شدّة رجل واحد، وانهزم

---

(١) الطبقات الكبرى ٢: ١٥٠، السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٤٤٠ ـ ٤٤٢، السيرة الحلبية ٣: ١٠٧ ـ ١٠٨.

الناس فانشمروا لا يلوي أحد على أحد، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين ثم قال: **أيها الناس، هلموا إليّ، أنا رسول الله محمّد بن عبد الله فلا يأتيه أحد**(١).

قال ابن قتيبة في المعارف: وكان الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ يوم حنين بعد هزيمة الناس عليّ بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب وابنه، والفضل ابن العباس بن عبد المطلب، وأيمن بن عبيد وهو ابن أُم أيمن مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته وقتل يومئذٍ، وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وأُسامة بن زيد بن حارثة. وقال العباس بن عبد المطلب:

نصرنا رسول الله في الحرب سبعة وقد فرّ من قد فر منهم وأقشعوا
وثامننا لاقى الحمام بسيفه بما مسه في الله لا يتوجع

يعني أيمن بن عبيدة...الخ(٢).

وقال المفيد: لم يبقَ مع النبيّ ﷺ إلّا عشرة نفر، تسعة من بني هاشم خاصة والعاشر أيمن ابن أُمّ أيمن فقُتل أيمن، وثبت التسعة الهاشميون حتى ثاب الى رسول الله ﷺ من كان انهزم، فرجعوا أولاً فأولاً حتى تلاحقوا وكانت لهم الكرة على المشركين، وفي ذلك أنزل الله تعالى قوله: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾(٣).

قال المفيد: يعني بالمؤمنين علياً ومن ثبت معه من بني هاشم...الخ(٤). أو عامة المؤمنين الذين رجعوا بعد الهزيمة وكان رجوعهم بثباته ﷺ ومن معه

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٤٤٢، تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ١٦٧.
(٢) المعارف: ٩٦.
(٣) التوبة: ٢٥ـ ٢٦.
(٤) الإرشاد ١: ١٤٠ـ ١٤١.

ومحاماته عن النبيّ ﷺ وحفظه من القتل .

قال وهم ثمانية، عليّ عليه السلام تاسعهم يضرب بين يديه بالسيف، والعباس بن عبد المطلب عن يمين رسول الله ﷺ والفضل بن العباس عن يساره، وأبوسفيان بن الحارث بن عبد المطلب ممسك بسرجه عند نفور بغلته، والباقون حوله ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن الزبير بن عبدالمطلب وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب. قال: وقد فرّت الكافة مدبرين سوى من ذكرناه... الخ[١] .

قال ابن هشام: اسم أبي سفيان بن الحارث : «المغيرة» وعدّ فيهم ابناً لأبي سفيان اسمه «جعفر» قال: وبعض الناس يعد فيهم قثم بن العباس ولا يعد ابن أبي سفيان بن الحارث[٢].

وفي السيرة الحلبية : وقد وصلت الهزيمة الى مكة وسرّ بذلك قوم من مكة وأظهروا الشماتة، وقال قائل منهم: ترجع العرب الى دين آبائها[٣]. وفيها أيضاً في رواية : لما فرّ الناس يوم حنين عن النبيّ ﷺ لم يبقَ معه إلاّ أربعة: ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم عليّ بن أبي طالب والعباس وهما بين يديه، وأبو سفيان بن الحارث أخذ بالعنان، وابن مسعود من جانبه الأيسر، ولا يقبل أحد من المشركين جهته ﷺ إلاّ قُتل...الخ[٤] .

وما في بعض الكتب من أنه ثبت معه بعض من لم يؤثر عنه شجاعة ولا ثبات في الحرب لعله من دس الدساسين.

---

(١) الإرشاد ١: ١٤١، وفيه: عند ثغر بغلته.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٤٤٣ .

(٣) السيرة الحلبية ٣: ١١١ .

(٤) المصدر السابق ٣: ١٠٩ .

وقال النبيّ ﷺ للعباس ـ وكان صيتاً جهوري الصوت ـ: ناد القوم وذكّرهم العهد، فنادى بأعلى صوته: يا أهل بيعة الشجرة، يا أصحاب سورة البقرة! الى أين تفرّون؟ اُذكروا العهد الذي عاهدتم عليه رسول الله ﷺ ، والقوم على وجوههم قد ولّوا مدبرين وكانت ليلة ظلماء ورسول الله ﷺ في الوادي والمشركون قد خرجوا عليه من شعاب الوادي وجنباته ومضايقه مِصْلتين سيوفهم وعمدهم وقسيهم، فنظر رسول الله ﷺ الى الناس ببعض وجهه في الظلماء كأنه القمر في ليلة البدر، ثم نادى المسلمين: أين ما عاهدتم الله عليه؟ فاسمع أوّلهم وآخرهم فلم يسمعها رجل إلّا رمى بنفسه الى الأرض، فانحدروا الى حيث كانوا من الوادي حتى لحقوا بالعدو فقاتلوه[١].

قال الطبري: لما انهزم الناس ورأى من كان مع رسول الله ﷺ من جفاة أهل مكة الهزيمة تكلّم رجال منهم بما في أنفسهم من الضغن، فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر ، والأزلام معه في كنانته، وقال رجل: ألا بطل السحر اليوم[٢]... الى غير ذلك .

قال المفيد : وفي ثبات من ثبت مع النبيّ ﷺ يقول مالك بن عبادة الغافقي:

لم يواس النبيّ غير بني ها	شم عند السيوف يوم حنين
هرب الناس غير تسعة رهط	فهم يهتفون بالناس أين
ثم قاموا مع النبيّ على المو	ت فأتوا زيناً لنا غير شين
وثوى أيمن الأمين من القو	م شهيداً فاعتاض قرة عين

(١) الإرشاد ١: ١٤٢، تاريخ اليعقوبي ٢: ٦٢.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ١٦٨ .

وقال العباس بن عبد المطلب في هذا المقام، ومرّ له بيتان منها برواية أُخرى:

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة وقد فرّ من قد فرّ عنه فأقشعوا
وقولي إذا ما الفضل شدّ بسيفه على القوم أُخرى يا بني ليرجعوا
وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه لما ناله في الله لا يتوجع

يعنى به أيمن ابن أُمّ أيمن[1].

قال المفيد في الإرشاد: وأقبل رجل من هوازن على جمل له أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل أمام القوم، إذا أدرك ظفراً من المسلمين أكبّ عليهم، وإذا فاته الناس رفعه لمن وراءه من المشركين، فاتّبعوه وهو يرتجز ويقول:

أنا أبو جرول لا براح حتى نبيح القوم أونباح

فصمد له عليّ عليه السلام فضرب عجز بعيره فصرعه ثم ضربه فقطره، ثم قال:

قد علم القوم لدى الصباح أني في الهيجاء ذونطاح

فكانت هزيمة المشركين بقتل أبي جرول، ثم التأم الناس وصفّوا للعدو، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«اللهم إنك أذقت أوّل قريش نكالاً فأذق آخرها ذلك»** وتجالد المسلمون والمشركون، فلما رآهم النبيّ صلى الله عليه وآله قام في رِكابيّ السرج حتى أشرف على جماعتهم، ثم قال: الآن حمى الوطيس:

أنا النبيّ لاكذب أنا ابن عبد المطلب

فماكان بأسرع من أن ولّى القوم على أدبارهم، وجيء بالأُسارى الى رسول الله صلى الله عليه وآله مكتفين، ولما قتل عليّ عليه السلام أبا جرول وخُذل القوم بقتله وضع

---

(١) الارشاد ١: ١٤١ ـ ١٤٤.

المسلمون سيوفهم فيهم وعليّ عليه السلام يقدمهم حتى قتل أربعين رجلاً من القوم، ثم كانت الهزيمة والأسر حينئذٍ، وما زال المسلمون يقتلون ويأسرون منهم حتى ارتفع النهار[١].

ولدرك ربيعة بن رفيع دريد بن الصمة، فأخذ بخطام جمله وهو يظنه امرأة لأنه كان في هودج، فإذا شيخ كبير أعمى ولا يعرفه الغلام، فقال له دريد: ما تريد؟ قال: أقتلك، قال: ومن أنت؟ قال: أنا ربيعة بن رفيع السلمي ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئاً، فقال له: بئس ما سلحتك أُمّك! خذ سيفي هذا من مؤخرة الرحل ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ، فإني كذلك كنت أضرب الرجال، وإذا أتيت أُمّك فاخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة، فربّ يوم قد منعت فيه نساءك ،فلما رجع ربيعة الى أُمّه أخبرها بقتله إياه، فقالت: والله! لقد أعتق أُمّهات لك ثلاثاً، أُمه وجدتيه[٢]. وقيل: إن دريداً قتل يوم أوطاس .

قال ابن إسحاق: ولما انهزم المشركون أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف، وعسكر بعضهم بأوطاس وتوجه بعضهم نحو نخلة[٣].

ثم جمعت الى رسول الله ﷺ سبايا حنين وأموالها فأمر رسول الله ﷺ بالسبايا والأموال الى الجعرانة فحُبست بها، وأخّر قسمتها حتى رجع من حصار الطائف[٤].

ومضى الدكتور محمّد حسين هيكل المصري في كتابه «حياة محمّد ﷺ» على عادته في غمط حق عليّ بن أبي طالب لما لا يعلمه إلّا الله، فلم يورد له

---

(١) الإرشاد: ١٤١ ـ ١٤٤.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٤٥٣.

(٣) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ١٧٠.

(٤) الطبقات الكبرى ٢: ١٥٢.

في هذه الغزاة اسماً، فضلاً عن أن يسند إليه جهاداً أوعملاً، فلم يـذكر أنّ لواء المهاجرين كان معه واقتصر على قوله: «يتقدم كل قبيلة عَـلَمها» ولم يـذكر اسمه في الذين ثبتوا مع النبيّ ﷺ حـين انـهزم النـاس، واقـتصر عـلى قـوله: «وثبت محمّد مكانه وأحاط به جماعة من المهاجرين والأنصار وأهل بيته». مع أنك قد عرفت أنه لم يكن مع أهل بيته إلّا «أيمن» وبعضهم قال: «اُسامة» وبعضهم قال: «ابن مسعود» وما رُوي غـير ذلك لا أصـل له، ومـع ذلك فـقد ذكرهم أخيراً ولم يذكر اسـم عـليّ الذي كـان يـضرب بـالسيف بـين يـدي النبيّ ﷺ وهل يمكن أن لا يكون كذلك لو لم ترد به رواية؟ أليس هذا غمطاً لحقه؟

ثم لما ذكر خبر أبي جرول لم يزد عـلى قـوله: «انـحدرت هـوازن مـن مكامنها يتقدّمها رجل على جمل له أحمر بيده رايـة سـوداء فـي رأس رمـح طويل وهو كلما أدرك المسلمين طعن برمحه». ولم يذكر قُتل عليّ له واتّباعه المشركين، ولا ذكر قتل عليّ أربعين من المشركين ولا تعرّض لشـيء مـن ذلك أصلاً.

ومما لا يكاد ينقضي منه العجب قوله في ذكر هذه الغـزوة : «وثـارت بمحمد حميته فأراد أن يندفع ببغلته البيضاء في صدر هذا السيل الدافـق مـن رجـال العـدووليكن بـعد ذلك أمـر الله، لكـن أبـا سـفيان بـن الحـارث بـن عبدالمطلب أمسك بخطام بـغلته وحـال دون تـقدّمها... الخ». فـقد نسب الى النبيّ ﷺ التهور وعدم التعقل!

وحاشاه بإرادة الاندفاع بـبغلته وليس مـعه إلّا تسـعة نـفر أو أربـعة عـلى ثلاثين ألفاً من هوازن، وأنّ أبا سفيان بن الحارث كان أكثر منه تعقلاً ونـظراً

في العواقب، فأمسك بخطام البغلة وحال دون تقدّمها[١]. مع أنك قد عرفت أنه أمسك بسرجها عند نفورها .

غزوة أوطاس والطائف

قالالمفيد في الإرشاد: لما فضّ الله جمع المشركين بحنين تفرقوا فرقتين، فأخذت الأعراب ومن تبعهم الى أوطاس وأخذت ثقيف ومن تبعها الى الطائف، فبعث النبيّ ﷺ أبا عامر الأشعري الى أوطاس في جماعة منهم أبوموسى الأشعري، وبعث أبا سفيان صخر بن حرب الى الطائف، فأما أبو عامر فإنّه تقدم بالراية وقاتل حتّى قُتل دونها، فقال المسلمون لأبي موسى أنت ابن عمّ الأمير وقد قُتل فخذ الراية حتى تقاتل دونها، فأخذها أبو موسى فقاتل هو والمسلمون حتى فتح الله عليهم، وأما أبو سفيان فإنّه لقيته ثقيف فضربوه على وجهه فانهزم ورجع الى النبيّ ﷺ ، فقال: بعثتني مع قوم لا يُدفع بهم البلاء ولا يُرفع بهم الدلاء من هذيل والأعراب فما أغنوا عنّي شيئاً، فسكت النبيّ ﷺ وأبو سفيان الذي اغتبط بهزيمة المسلمين يوم حنين لم يكن يسعى لنصرهم يوم الطائف .

قال المفيد : ثم سار النبيّ ﷺ بنفسه الى الطائف فحاصرهم أياماً وأنفذ علياًعليه السلام في خيل وأمره أن يطأ ما وجده ويكسر كل صنم وجده فخرج حتى لقيته خيل خثعم في جمع كثير، فبرز له رجل من القوم يقال له: «شهاب» في غبش من الصبح، فقال هل من مبارز؟ فقال أمير المؤمنينعليه السلام: من له، فلم يقم إليه أحد فقام إليه أمير المؤمنينعليه السلام فوثب أبو العاص بن الربيع زوج زينب

(١) حياة محمّد: ٣٩٩-٤٠٣.

بنت النبيّ ﷺ فقال: تكفاه أيها الأمير؟ فقال: **لا ولكن إن قتلت فأنت على الناس** فبرز إليه عليّ عليه السلام وهو يقول:

إنّ عـــلى كـــل رئــيس حـقاً أن يــروي الصــعدة أويــدقا

ثم ضربه وقتله، ومضى في تلك الخيل حتى كسر الأصنام وعاد الى رسول الله ﷺ وهو محاصر لأهل الطائف، فلما رآه النبيّ ﷺ كبّر للفتح وأخذ بيده فخلا به وناجاه طويلاً.

قال المفيد: فروى عبد الرحمن بن سيابة والأجلح جميعاً عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله الأنصاري: أنّ رسول الله ﷺ لما خلا بعلي يوم الطائف أتاه بعض[1] المهاجرين فقال: أتناجيه دوننا وتخلو به؟ فقال: **ما أنا انتجيته، بل الله انتجاه**، فأعرض وهو يقول: هذا كما قلت لنا قبل الحديبية: **﴿لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين﴾** فلم ندخله وصددنا عنه، فناداه النبيّ ﷺ: **لم أقل لكم إنكم تدخلونه من ذلك العام**.

قال: ثم خرج من حصن الطائف نافع بن غيلان بن متعب في خيل من ثقيف، فلقيه عليّ عليه السلام ببطن وج فقتله وانهزم المشركون ولحق القوم الرعب، فنزل منهم جماعة الى النبيّ ﷺ فأسلموا وكان حصار النبيّ ﷺ للطائف بضعة عشر يوماً... الخ[2] وكان مسيره الى الطائف من حنين.

ولم يذكر الدكتور هيكل غزوة أوطاس، ولا ذكر قتل عليّ شهاباً ونافعاً وكسره الأصنام، ولا شيئاً مما وقع في تلك الغزاة.

وروى الطبري: أنّ رسول الله ﷺ سار يوم حنين من فوره ذلك حتى نزل

---

(١) في المصدر المذكور (الإرشاد ١: ١٥٣): إنّ هذا البعض هو عمر بن الخطاب.

(٢) الإرشاد ١: ١٥١ ـ ١٥٣.

الطائف، فأقام نصف شهر يقاتلهم وأصحابه، وقاتلتهم ثقيف من وراء الحصن لم يخرج إليه في ذلك أحد منهم، وأسلم من حولهم من الناس كلهم وجاءته وفودهم، ثم رجع ولم يحاصرهم إلّا نصف شهر[١].

وسأل وفد هوازن عن مالك بن عوف رئيسهم وقائدهم يوم حنين ما فعل؟ فقالوا: هو بالطائف، وكان لما انهزم يوم حنين إلتجأ الى ثقيف بالطائف، فقال: **أخبروه أنّه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل،** فأخبروه بذلك، فخرج من الطائف إليه مستخفياً خوفاً من ثقيف أن يحبسوه إذا علموا، وأدركه بالجعرانة، فردّ عليه أهله وماله وأعطاه مائة من الإبل، وأسلم، فاستعمله على قومه وعلى من أسلم من القبائل حول الطائف[٢].

فلما عاد عليه السلام من حصار الطائف أتى الجعرانة وفيها الأموال والسبي كما مرّ، قال ابن سعد :كان السبي ستة آلاف رأس والإبل أربعة وعشرين ألف بعير، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة، وأربعة آلاف أُوقية فضة، فاستأنى رسول الله عليه السلام بالسبي أن يقدم عليه وفدهم، وبدأ بالأموال فقسمها وأعطى المؤلفة قلوبهم أوّل الناس، فأعطى أبا سفيان بن حرب أربعين أُوقية ومائة من الإبل ، قال : ابني يزيد، قال: **أعطوه مثل ذلك**، قال : ابني معاوية ، قال: **أعطوه مثل ذلك**، وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل، ثم سأله مائة أُخرى فأعطاه إياها، وأعطى النضير[٣] بن الحارث بن كلدة وأُسيد بن جارية الثقفي والحارث بن هشام وصفوان بن أُمية وقيس بن عدي وسهيل بن عمرووحويطب بن

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ١٧١.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٤٩١ .

(٣) النضير بالياء هو أخو النضر الذي مرّ في وقعة بدر أنّه قتل بالأثيل نصّ على ذلك الماوردي في أعلام النبوة وغيره ويوجد في بعض المواضع كتابه هذا بدون ياء وهو اشتباه.

عبدالعُزّى والأقرع بن حابس وعيينة بن حصن ومالك بن عوف كل واحد مائة من الإبل، وأعطى العلاء بن حارثة الثقفي ومخرمة بن نوفل وسعيد بن يربوع وعثمان بن وهب وهشام بن عمرو العامري كل واحد خمسين من الإبل، وأعطى العباس بن مرداس أربعين بعيراً... الخ[١].

قال الطبري: أعطاه أباعر فتسخطها وعاتب فيها رسول الله ﷺ فقال:

كانت نهاباً تلافيتها بكرّي على المهر في الأجرَع
وإيقاظي القوم أن يرقدوا إذا هجع الناس لم أهجع فأصبح
نهبي ونهب العبيد[٢] بين عيينة[٣] والأقرع[٤]
وقد كنت في الحرب ذاتُدرا[٥] فلم أعط شيئاً ولم أمنع
إلّا أفائل[٦] أعطيتها عديد قوائمها الأربع[٧]
وما كان حصن[٨] ولا حابس[٩] يفوقان مرداس في المَجمع
وما كنت دون امرئٍ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع[١٠]

قال المفيد: فبلغ النبيّ ﷺ قوله فاستحضره، وقال: **قم يا عليّ واقطع لسانه،** قال العباس بن مرداس: فوالله لهذه الكلمة كانت أشدّ عليّ من يوم خثعم حين

(١) الطبقات الكبرى ٢: ١٥٢ ـ ١٥٣.
(٢) العبيد بلفظ المصغر اسم فرسه.
(٣) ابن حصن.
(٤) ابن حابس.
(٥) بضم التاء وفتح الراء: مدافع ذو عزّة ومنعة.
(٦) جمع أفيل كأمير وهو الفصيل.
(٧) هذا يدل على أنها كانت أربعاً لا أربعين. ويأتي ما يدل عليه.
(٨) والد عيينة.
(٩) والد الأقرع. (المؤلّف).
(١٠) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٢: ١٧٥.

أتونا في ديارنا، فأخذ بيدي على بن أبي طالب فانطلق بي، ولو أدري أنّ أحداً يخلّصني منه لدعوته، فقلت: يا عليّ إنّك لقاطع لساني؟ قال: إنّي لممض فيك ما أُمرت ،فما زال بي حتى أدخلني الحظائر، فقال لي: اعتد ما بين أربع الى مائة، فقلت: بأبي أنت وأُمّي ما أكرمكم وأحلمكم وأعلمكم، فقال: إنّ رسول الله ﷺ أعطاك أربعاً وجعلك مع المهاجرين، فإن شئت فخذها وإن شئت فخذ المائة وكن مع أهل المائة قلت: أشر عليّ، قال: فإنّي آمرك أن تأخذ ما أعطاك رسول الله ﷺ وترضى، قلت: فإني أفعل (١).

ولم يسند الدكتور هيكل ذلك في كتابه الى علىّ، واقتصر على قوله: «اذهبوا به فاقطعوا عني لسانه فأعطوه حتى رضي وكان ذلك قطع لسانه».

ولما أعطى رسول الله ﷺ غنائم حنين قريشاً خاصة، وأجزل القسم للمؤلفة قلوبهم كأبي سفيان وابنه معاوية وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أُمية والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وزهير بن أبي أُمية وهشام بن المغيرة والأقرع بن حابس وعيينة بن حصن في أمثالهم، ولم يعط الأنصار شيئاً وقيل: أعطاهم شيئاً يسيراً غضب قوم من الأنصار وتكلّموا في ذلك وقالوا: لِقي رسول الله ﷺ قومه ، فبلغه ذلك فجمعهم وجاء يتبعه عليّ عليه السلام حتى جلس وسطهم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال : يا معشر الأنصار، ما مقالة بلغتني عنكم وموجدة وجدتموها، إني سائلكم عن أمر فأجيبوني، ألستم كنتم ضُلّالاً فهداكم الله بي؟ ألم تكونوا على شفا حفرة من النار فأنقذكم الله بي؟ ألم تكونوا قليلاً فكثركم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟ وأعداءً فألّف بين قلوبكم بي؟ قالوا: بلى والله، فلله ولرسوله المن والفضل ، ثم سكت هنيهة ثم قال: ألا تجيبوني بِم عندكم ؟ قالوا: بمَ نجيبك

(١) الإرشاد ١: ١٤٧ ـ ١٤٨.

فداك آباؤنا وأُمّهاتنا قد أجبناك بأنّ لك الفضل والمنّ والطول علينا، قال : **أما لو شئتم لقلتم فصدَقتم، وأنت قد جئتنا مكذَّباً فصدّقناك ومخذولاً فنصرناك وطريداً فآويناك وخائفاً فأمنّاك وعائلاً فآسيناك**، فارتفعت أصواتهم بالبكاء وقام شيوخهم وساداتهم إليه وقبّلوا يديه ورجليه، ثم قالوا: رضينا بالله وعنه وبرسوله وعنه، وهذه أموالنا بين يديك فإن شئت فاقسمها على قومك ، وإنّما قال من قال منا على غِيَر وغرّ صدر وغلّ في قلب، ولكنهم ظنوا سخطاً عليهم وتقصيراً بهم وقد استغفروا الله من ذنوبهم فاستغفر لهم يا رسول الله ، فقال : **اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار، يا معشر الأنصار أما ترضون أن يرجع غيركم بالشاء والنعم ورجعتم أنتم وفي سهمكم رسول الله ؟** قالوا: بلى رضينا ، فقال النبيّ ﷺ حينئذٍ: **الأنصار كرشي وعيبتي لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً، لسلكت شعب الأنصار**[١] . وهذا غاية حسن السياسة وتآلف القلوب .

وقدم عليه وفد هوازن أربعة عشر رجلاً وفيهم أبو ثروان ـ أو أبو برقان ـ عمّ رسول الله ﷺ من الرضاعة ورئيسهم زهير بن صرد، وذلك بعد ما قسّم الغنائم وقد أسلموا وأخبروا بإسلام من وراءهم، فقال له عمّه من الرضاعة: يا رسول الله، إنّما في هذه الحظائر من كان يكفلك من عمّاتك وخالاتك وحواضنك، وقد حضناك في حجورنا وأرضعناك بثدينا، ولقد رأيتك مرضعاً فما رأيت مرضعاً خيراً منك، ورأيتك فطيماً فما رأيت فطيماً خيراً منك، ثمّ رأيتك شاباً فما رأيت شاباً خيراً منك، وقد تكاملت فيك خلال الخير ونحن مع ذلك أصلك وعشيرتك، فامنن علينا منّ الله عليك. وقال زهير بن صرد: يا رسول الله، إنا أصل وعشيرة، وإنّما في هذه الحظائر عماتك وخالاتك، ولو

---

(١) المغازي للواقدي ٢: ٩٥٦ ـ ٩٥٨.

أنّا ملحنا[١] للحارث بن أبي شمر[٢] أوللنعمان بن المنذر[٣] ثم نزلا منا بمثل الذي نزلت به رجونا عطفهما وعائدتهما، فقال رسول الله ﷺ : **أحسن الحديث أصدقه، فأبناؤكم ونساؤكم أحبّ إليكم أم أموالكم؟** فقالوا: خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا، وما كنا لنعدل بالأحساب شيئاً، فردّ علينا أبناءنا ونساءنا، فقال: **أما مالي ولبني عبد المطلب فهو لكم وأسال لكم الناس،** فقال المهاجرون والأنصار: ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ ، فقال الأقرع بن حابس: وأما أنا وبنو تميم فلا، وقال عيينةبن حصن: أما أنا وبنو فزارة فلا، وقال العباس بن مرداس: أما أنا وبنوسليم فلا فقالت بنو سليم: ماكان لنا فهو لرسول الله ﷺ ، فقال العباس بن مرداس: وهنتموني، وقال رسول الله ﷺ للذين امتنعوا من الرد: **إنّ هؤلاء القوم جاءوا مسلمين، وقدكنت استأنيت بسبيهم وقد خيرتهم فلم يعدلوا بالنساء والأبناء شيئاً، فمن كان عنده منهم شيء فطابت نفسه أن يردّ فليردّ، ومن أبي فليردّ وليكن ذلك قرضاً علينا ست فرائض**[٤]، قالوا: رضينا وسلمنا فردّوا عليهم نساءهم وأبناءهم[٥].

وكان ﷺ انتهى الى الجعرانة ليلة الخميس لخمس ليالٍ خلون من ذيالقعدة فأقام بها ثلاث عشرة ليلة ثم خرج ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة ليلاً فأحرم بعمرة ودخل مكة فطاف وسعى وحلق راسه ورجع الى الجعرانة من ليلته كبائت ثم غدا يوم الخميس فانصرف الى المدينة[٦].

---

(١) ملحنا: أي أرضعنا، والملح عند العرب اللبن.

(٢) من ملوك غسّان بالشام.

(٣) ملك الحيرة بالعراق.

(٤) أي ستة من الإبل وسمّاها فرائض باعتبار أنها تكون فريضة فيالزكاة.

(٥) المغازي للواقدي ٢: ٩٤٩ ـ ٩٥٢، الطبقات الكبرى ٢: ١٥٣ ـ ١٥٤ .

(٦) السيرة الحلبية ٣: ١٢٩، إعلام الورى بأعلام الهُدى ١: ٢٤٢ .

ويلاحظ، أنّ غزوات النبيّ ﷺ المهمة التي وقع فيها حرب، وهي بدر وأُحد والخندق وخيبر وحنين كان المسلمون فيها على نحو الثلث من المشركين، ففي بدر كان المشركون (٩٥٠) والمسلمون (٣١٣) وفي أُحد كان المشركون (٣٠٠٠) والمسلمون (٧٠٠)، وفي الخندق كان المشركون عشرة آلاف والمسلمون (٣٠٠٠) وفي خيبر كان المسلمون (١٤٠٠) واليهود لم يذكر المؤرّخون عددهم، لكن الاعتبار يدل على أنهم كانوا كثيرين لكثرة حصونهم في خيبر مع من خرج إليهم من بني النضير، وفي حنين كان المشركون ثلاثين ألفاً والمسلمون اثني عشر ألفاً، وفي الجميع كان النصر للمسلمين حتى في أُحد لأن انهزامهم أخيراً كان من مخالفة أمر النبيّ ﷺ، وفي الجميع كان النصر بجهاد عليّ وثباته.

غزوة تبوك

في رجب سنة تسع من الهجرة، وكان سببها: أنه بلغه أنّ الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالشام، وأنّ هرقل قد رزق أصحابه لسنة، وأجلبت معه لخم وجذام وعاملة وغسّان وقدموا مقدماتهم الى البلقاء. وكان ﷺ قلّما يريد غزوة يغزوها إلّا ورّى بغيرها إلّا غزوة تبوك، فإنّه بيّنها للناس لبعد السفر وشدّة الحر وكثرة العدوّ، فأعلمهم ليتأهبوا وندب الناس الى الخروج، وبعث الى مكة والى قبائل العرب يستنفرهم وأمرهم بالصدقة، فتحملوا صدقات كثيرة وقووا في سبيل الله، وذلك في زمن عسرة من الناس وشدّة من الحر وجدب من البلاد، وحين طابت الثمار والناس يحبّون المقام فسمّى ذلك الجيش جيش العسرة[١].

---

(١) المغازي للواقدي ٢: ٩٩٠، السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٥١٦.

وقال الطبري : أمرهم بالجهاز وأخبرهم أنّه يريد الروم، فتجهّزوا على ما في أنفسهم من الكره لذلك مع ما عظموه من ذكر الروم وغزوهم[١]. وجاءه سبعة نفر يستحملونه وكانوا أهل حاجة، فقال: لا أجد ما أحملكم عليه فتولّوا وهم يبكون فسُمّوا البكائين، فنزل فيهم: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ(الى قوله) وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾. وجاءه اثنان وثمانون رجلاً من الأعراب فاعتذروا إليه، فلم يعذرهم. وتخلّف بضعة وثمانون رجلاً من المنافقين بغير علّة، وقيل: إنّهم استأذنوه في التخلّف فأذن لهم، فنزلت: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢].

المعذّرون المقصّرون الذين يعتذرون ولا عذر لهم، وقيل: الذين لهم عذر[٣].

وتخلف نفر من المسلمين من غير شكّ ولا إرتياب، منهم: أبو خيثمة السالمي فجاء الى أهله بعد أن سار رسول الله ﷺ أياماً في يوم حار فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائط قد رشت كل واحدة عريشها وبرّدت له فيه ماء وهيأت له طعاماً، فقام على باب العريشين فنظر الى امرأتيه وما صنعتا له فقال : رسول الله في الضح[٤] والريح، وأبو خيثمة في ظلال باردة وماء بارد وامرأة حسناء في ماله مقيم، ما هذا بالنصف، ثم قال: والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ ، فهيئا لي زاداً، ففعلتا، ثم قدم

(١) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ١٨١ ـ ١٨٢.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٥١٨، المغازي للواقدي ٢: ٩٩٤ ـ ٩٩٥. التوبة: ٩٠، ٩٢.

(٣) زاد المسير ٣: ٣٢٨.

(٤) الضح بالكسر: الشمس. (المؤلّف)

ناضحه فارتحله، ثم خرج حتى أدرك رسول الله ﷺ بتبوك، فقال: الناس يا رسول الله، هذا راكب على الطريق مقبل، فقال: كن أبا خيثمة، فقالوا: هو والله أبو خيثمة، فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير[١].

قال الطبري، قال ابن إسحاق: خلّف رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب على أهله وأمره بالإقامة فيهم، وخلّف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري[٢].

وقال ابن هشام: استعمل على المدينة محمّد بن مسلمة الأنصاري، وخلّف عليّ بن أبي طالب على أهله وأمره بالإقامة فيهم، فأرجف به المنافقون وقالوا ما خلّفه إلّا استثقالاً له وتخففاً منه، فلما قالوا ذلك أخذ عليّ سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف، فقال: يا نبي الله، زعم المنافقون أنّك إنّما خلفتني لأنّك استثقلتني وتخففت مني، فقال: كذبوا، **ولكن خلّفتك لما تركت ورائي فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضى يا عليّ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نبي بعدي،** فرجع عليّ الى المدينة[٣].

أما المفيد، فإنه لم يذكر استخلاف أحد غير عليّ عليه السلام على المدينة[٤] وهو الظاهر الموافق للاعتبار، فإنه لم يكن ليشرك أحداً معه في الولاية على المدينة مع ظهور شجاعته وكفاءته، وإذا كان يخلّف عليها في أكثر غزواته ـ كما عرفت ـ ابن أُمّ مكتوم وهو مكفوف البصر ويكتفي به أفلا يكون عليّ عليه السلام فيه الكفاءة للاستخلاف عليها مع اضطراب الرواية فيمن استخلفه غيره، فقيل: محمّد بن مسلمة وقيل سباع بن عرفطة كما مر وقيل ابن أُمّ مكتوم، حكاه في السيرة الحلبية وحكي عن ابن عبد البر أنه قال: الأثبت أنّه

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٥٢٠.
(٢) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ١٨٣.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٥١٩.
(٤) الإرشاد ١: ١٥٥.

عليّ بن أبي طالب...الخ[١].

وإنّما لم يستصحبه معه لما أخبره الله تعالى بأنه لا يلقى حرباً، فكان بقاؤه في المدينة أهم للخوف عليها من المنافقين والعرب الموتورين، وهذا أمر واضح جلي.

قال المفيد : لما أراد النبيّ ﷺ الخروج استخلف أمير المؤمنين عليه السلام في أهله وولده وأزواجه ومهاجره، وقال له: **يا عليّ، إنّ المدينة لا تصلح إلّا بي أوبك**، وذلك إنّه عليه السلام علم من خبث نيات الأعراب وكثير من أهل مكة ومن حولها ممن غزاهم وسفك دماءهم، فأشفق أن يطلبوا المدينة عند نأيه عنها وحصوله ببلاد الروم أو نحوها، فمتى لم يكن فيها من يقوم مقامه لم يؤمّن من معرتهم وإيقاع الفساد في دار هجرته والتخطي الى ما يشين أهله ومخلفيه، وعلمﷺ أنه لا يقوم مقامه في إرهاب العدو وحراسة دار الهجرة وحياطة من فيها إلّا أميرالمؤمنين عليه السلام فاستخلفه، وأن أهل النفاق لما علموا باستخلاف رسول الله ﷺ علياً عليه السلام على المدينة حسدوه لذلك وعظم عليهم مقامه فيها، وعلموا أنّها تتحرس به ولا يكون فيها للعدو مطمع فساءهم ذلك، وكانوا يؤثرون خروجه معه لما يرجونه من وقوع الفساد والاختلاط عند نأيه ﷺ عن المدينة وخلوها من مرهوب مخوف يحرسها، وغبطوه على الرفاهية والدعة بمقامه في أهله وتكلّف من خرج منهم المشاق بالسفر، فأرجفوا به وقالوا: لم يستخلفه إكراماً له وإجلالاً ومودّة، وإنّما خلّفه استثقالاً له فبهتوه بهذا الإرجاف وهم يعلمون ضده، فلما بلغه ذلك أراد تكذيبهم فلحق بالنبي ﷺ فأخبره قولهم، فقال له النبيّ ﷺ : **ارجع يا أخي الى مكانك فإنّ المدينة لا تصلح إلّا بي أوبك فأنت خليفتي في أهل بيتي ودار هجرتي وقومي أما ترضى أن تكون مني**

---

(١) السيرة الحلبية ٣: ١٣١ .

بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نبي بعدي. ولو علم الله أنّ لنبيه في هذه الغزاة حاجة الى الحرب والأنصار لما أذن له في تخليف أمير المؤمنين عنه، بل علم أنّ المصلحة في استخلافه وبقائه في دار هجرته(١).

ولم يذكر الدكتور هيكل هنا إلّا قوله: وخلّف عليّ بن أبي طالب على أهله وأمره بالإقامة فيهم(٢).

وأمر رسول الله ﷺ كل بطن من الأنصار والقبائل من العرب أن يتخذوا لواء أو راية وخرج ﷺ يوم الخميس وكان يستحب الخروج فيه في ثلاثين الفاً من الناس والخيل عشرة آلاف فرس حتى قدم تبوك(٣).

وكان عبد الله بن أُبي بن سلول قد عسكر على ثنية الوداع في حلفائه من اليهود والمنافقين. قال ابن سعد(٤)، وابن هشام(٥) وغيرهما: فكان يقال: ليس عسكره بأقل العسكرين، فلما سار تخلّف عبد الله بن أُبي ومن معه .

أقول وهذا يدل على ما مرّ عن المفيد من أنّه أبطأ أكثرهم عنه ﷺ ، قال ابن هشام(٦) والطبري فجعل يتخلّف عنه الرجل حتى قيل: تخلّف أبو ذر وأبطا به بعيره، فتلوم على بعيره، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحمله على ظهره، ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشياً، ونزل رسول الله ﷺ في بعض منازله، فنظر بعض المسلمين فقال: إنّ هذا الرجل يمشي على الطريق وحده، فقال ﷺ : كن أبا ذر، فلما تأمّلوه قالوا: هو أبو ذر، فقال ﷺ : «يرحم الله أبا ذر

---

(١) الإرشاد ١: ١٥٥ ـ ١٥٨ .

(٢) حياة محمد ﷺ : ٤٢٨ .

(٣) المغازي للواقدي ٢: ١٠٠٢ .

(٤) الطبقات الكبرى ٢: ١٦٥ .

(٥) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٥١٩ .

(٦) المصدر السابق ٣: ٥٢٣.

يمشي وحده ويموت وحده ويُبعث وحده»(١).

وكان رهط من المنافقين يسيرون مع رسول الله ﷺ وهو منطلق الى تبوك فقال بعضهم لبعض: أتحسبون قتال بني الأصفر كقتال غيرهم، والله لكأني بكم غداً مقرنين في الحبال، إرجافاً وترهيباً للمؤمنين فقال ﷺ لعمّار بن ياسر: **أدرك القوم فسلهم عما قالوا، فإن أنكروا، فقل: بلى قد قلتم كذا وكذا،** فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون، وقال بعضهم: كنا نخوض ونلعب، فنزل فيهم: ﴿**ولَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ...**﴾(٢).

فلمّا انتهى ﷺ الى تبوك أتاه يحنة بن روبة صاحب أيلة، فصالح رسول الله ﷺ وأعطاه الجزية، وجاءه أهل جرباء وأذرُح فأعطوه الجزية، وكتب لكل كتاباً فهو عندهم(٣).

ودعا خالد بن الوليد فبعثه الى أكيدر بن عبد الملك الكندي ملك دومة الجندل الجوف وكان نصرانياً، فقال له: إنّك ستجده يصيد البقر، فلما كان من حصنه بمنظرة العين في ليلة مقمرة صائفة وهو على سطح له ومعه امرأته فباتت البقر تحك بقرونها باب القصر، فقالت امرأته: هل رأيت مثل هذا قط؟ قال: لا والله، قالت: فمن يترك هذا؟ فنزل فأمر بفرسه فأسرج له، وركب معه نفر من أهل بيته فيهم أخوه حسّان، فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله ﷺ فاستأسر أكيدر فأُخذ وامتنع أخوه حسان، فقاتل حتى قُتل وهرب من معهما، وكان على حسّان قباء من ديباج محوص بالذهب فأخذه خالد فبعث به الى النبيّ ﷺ فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ويتعجبون منه، وقدم خالد

(١) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ١٨٤.

(٢) السيرة الحلبية ٣: ١٣١ ـ ١٣٢، المغازي للواقدي ٢: ١٠٠٣ ـ ١٠٠٤، التوبة: ٦٥.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٥٢٥.

بأكيدر على رسول الله ﷺ فحقن دمه وصالحه على الجزية وخلى سبيله فرجع الى قريته[١].

وأقام رسول الله ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلة، وقيل: عشرين ليلة، ولم يجاوزها ثم رجع الى المدينة. وكان قد تخلّف عن رسول الله ﷺ ثلاثة رهط بدون شكّ ولا نفاق، وهم: كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أُمية، فلما رجع رسول الله ﷺ الى المدينة قال لأصحابه: لا تُكلّموا أحداً من هؤلاء الثلاثة، فاعتزل المسلمون كلامهم حتى نساؤهم، فبقوا على ذلك خمسين ليلة ثم تاب الله عليهم، وذلك قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَاثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٢] وجاءه من تخلّف عنه من المنافقين فجعلوا يحلفون بالله ويعتذرون، فصفح عنهم ولم يعذرهم الله ولا رسوله[٣].

حديث الإفك

مرت الإشارة إليه في غزوة بني المصطلق من هذا الجزء، وذكرناه مفصلاً في (ج٣ ق١) وذكرناه هنا لئلّا يظن ظان إننا أهملنا ذكره مفصلاً، وفاتنا التنبيه على ذلك في غزوة بني المصطلق فنبهنا عليه هنا.

آية النجوى

قال الله تعالى في سورة المجادلة آية(١٢): ﴿يا أيّها الّذين آمنوا إذا ناجَيْتُمُ

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٥٢٦، تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ١٨٣.

(٢) التوبة: ١١٨.

(٣) السيرة الحلبية ٣: ١٤٢، المغازي للواقدي ٢: ١٠٤٩.

ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً (الى قوله) والله خبير بما تعملون﴾.

في مجمع البيان نزلت في الأغنياء، وذلك أنّهم كانوا يأتون النبيّ صلى الله عليه وآله فيكثرون مناجاته، فأمر الله سبحانه بالصدقة عند المناجاة، فلما رأوا ذلك انتهوا عن مناجاته، فنزلت آية الرخصة عن مقاتل بن حيان، وقال أميرالمؤمنين صلوات الرحمن عليه: **إنّ في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدي: آية المناجاة، كان لي دينار فبعته بعشرة دراهم، فكلما أردت أن أناجي رسول الله صلى الله عليه وآله قدمت درهماً فنسختها آية: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقاتٍ...الآية﴾ ولم ينزل في أحد قبلي ولم ينزل في أحد بعدي.** وقال ابن عمر: كان لعلي بن أبي طالب ثلاث لو كان لي واحدة منهن لكانت أحبّ اليّ من حمر النعم: تزويجه فاطمة، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى. وقال مجاهد وقتادة: نهوا عن مناجاته صلوات الرحمن عليه حتى يتصدّقوا، لم يناجه إلّا عليّ بن أبي طالب عليه أفضل الصلوات، قدم ديناراً فتصدق بها ثم نزلت الرخصة... الخ[١] .

آية: ﴿إنّما وليكم الله...﴾

قال الله تعالى في سورة المائدة آية (٥٥): ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ الزكاة: الصدقة ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ جملة في موضع النصب على الحال، ولا يجوز أن تكون عطفاً على ﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ﴾ أي: يفعلون هذا، ويركعون أوّلاً: للزوم التكرار، لأنّ الركوع قد تضمنه إقامة الصلاة، ثانياً: لمخالفته النصوص وأقوال العلماء.

(١) مجمع البيان ٩: ٤١٧.

روى صاحب مجمع البيان بسنده، أنّ أبا ذر قال: صليت مع رسول الله ﷺ يوماً صلاة الظهر، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً، فرفع السائل يده الى السماء وقال: اللهم اشهد أني سألت في مسجد رسول الله ﷺ فلم يعطني أحد شيئاً، وكان عليّ راكعاً، فأومأ بخنصره اليمنى إليه وكان يتختم فيها، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره، وذلك بعين رسول الله ﷺ، فلما فرغ النبيّ من صلاته رفع رأسه الى السماء فقال: «**اللهم إنّ أخي موسى سألك**» فقال: ﴿**ربّ اشرح لي صدري**﴾ الى قوله: ﴿**واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به أزري**﴾ فأُنزلت عليه قرآناً ناطقاً: ﴿**سنشد عضدك بأخيك**﴾ **اللهم وأنا محمّد نبيك وصفيّك، اللهم فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً اشدد به ظهري**، قال أبو ذر: فوالله، ما استتم رسول الله ﷺ الكلمة حتى نزل عليه جبرئيل، فقال: يا محمّد، اقرأ: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا... الآية**﴾.

قال: وروى هذا الخبر أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره بهذا الإسناد بعينه. قال: وروى أبو بكر الرازي في أحكام القرآن على ما حكاه المغربي عنه والرمّاني والطبري أنّها نزلت في عليّ حين تصدّق بخاتمه وهو راكع وهو قول مجاهد والسدي والمروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام وجميع علماء أهل البيت عليهم السلام.

ثم إنّ النبيّ ﷺ خرج الى المسجد والناس بين قائم وراكع فبصر بسائل فقال: **هل أعطاك أحد شيئاً؟** فقال: نعم، خاتم من فضة أعطانيه ذلك القائم وهو راكع، وأومأ بيده الى عليّ بن أبي طالب فكبر النبيّ ﷺ. وأنشأ حسّان بن ثابت يقول:

أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي   وكل بطيء في الهدى ومسارع

أيذهب مدحيك المحبر ضائعاً وما المدح في جنب الإله بضائع
فأنت الذي أعطيت إذكنت راكعاً زكاة فدتك النفس يا خير راكع
فأنزل فيك الله خير ولاية وثبتها مثنى كتاب الشرائع[١]

خبر مسجد الضرار

كان بنو عمروبن عوف اتخذوا مسجد قبا، وبعثوا الى رسول الله ﷺ أن يأتيهم، فأتاهم فصلّى فيه، فحسدهم جماعة من المنافقين من بني غنم بن عوف، فقالوا: نبني مسجداً نصلّي فيه ولا نحضر جماعة محمّد، وكانوا اثني عشر رجلاً أوخمسة عشر، فبنوا مسجداً الى جنب مسجد قبا، فلما فرغوا منه أتوا رسول الله ﷺ وهو يتجهز الى تبوك، فقالوا: إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة الشاتية ونحب أن تأتينا فتُصلّي لنا فيه وتدعو بالبركة، فقال: **إني على جناح السفر ولو قدمنا أتيناكم إن شاء الله** . فلما انصرف من تبوك نزلت: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقاً بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ* لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾[٢]. فبعث رسول الله ﷺ من أحرقه وهدّمه. وقوله تعالى: ﴿وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ﴾ يراد به أبو عامر الراهب وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح، فلما قدم النبيّ ﷺ المدينة حزّب عليه الأحزاب ثم هرب بعد فتح مكة الى الطائف، فلمّا أسلم أهل الطائف لحق بالشام وخرج الى الروم وتنصر، وسماه رسول الله ﷺ «أبا عامر الفاسق»

---

(١) مجمع البيان ٣: ٣٦١ ـ ٣٦٢.

(٢) التوبة : ١٠٧ ـ ١٠٨.

وكان قد أرسل الى المنافقين أن استعدوا وابنوا مسجدا فإني أذهب الى قيصر وآتي من عنده بجنود وأُخرج محمّداً من المدينة، فكان هؤلاء المنافقون يتوقعون أن يجيئهم أبو عامر، فمات قبل أن يبلغ ملك الروم(١).

سرايا رسول الله ﷺ

في السيرة الحلبية : ماكان فيه رسول الله ﷺ يسمى «غزوة» وما خلا عنه يقال له «سرية» إن كان أكثر من واحد، وإن كان واحداً قيل له: «بعث»(٢). وقد عرفت أنّ سراياه ﷺ كانت سبعاً وأربعين سرية وذكرها كلها يوجب التطويل مع قلة الفائدة، لكننا نذكر بعضاً منها :

سرية حمزة بن عبد المطلب

في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من الهجرة بعثه ﷺ في ثلاثين رجلاً من المهاجرين، ليعترض عيراً لقريش جاءت من الشام، فيها أبو جهل في ثلاثمائة رجل أومائة وثلاثين، وعقد له لواء أبيض، وهو أوّل لواء عقد في الإسلام، فسار حتى وصل سيف البحر ـ أي ساحله ـ فصادف العير، فلما تصافوا للقتال حجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني وكان حليفا للفريقين، فلم يقع قتال(٣).

---

(١) أسباب النزول للواحدي: ١٧٥، مجمع البيان ٥: ١٢٥ ـ ١٢٦.

(٢) السيرة الحلبية ٣: ١٥١.

(٣) المغازي للواقدي ١: ٩، السيرة الحلبية ٣: ١٥١.

سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب

الى بطن رابغ على عشرة أميال من الجحفة، في شوال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة، في ستين أو ثمانين راكباً من المهاجرين، ليعترض عيراً لقريش، فيها أبو سفيان أوعكرمة بن أبي جهل في مائتين، فكان بينهم الرمي ولم يسلوا السيوف ولم يصطفوا لقتال، ثم انصرف الفريقان على حاميتهم[١].

سرية قتل كعب بن الأشرف اليهودي

لأربع عشرة ليلة مضت من ربيع الأوّل على رأس خمسة وعشرين شهراً من الهجرة .كان كعب شاعراً يهجو النبيّ ﷺ وأصحابه ويُحرّض عليهم في شعره ويؤذيهم وفيه نزلت : ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[٢] فلما كانت وقعة بدر كبت وذلّ، وقال: بطن الأرض خير من ظهرها اليوم، فقدم مكة فبكى قتلى قريش وحرضهم بالشعر، ثم قدم المدينة ، فقال ﷺ : **اللهم اكفني ابن الأشرف بما شئت في إعلانه الشرّ وقوله الأشعار، وقال: مَن لي بابن الأشرف فقد آذاني؟** فقال محمّد بن مسلمة: أنا لك به يا رسول الله وأنا أقتله، وكان منزل كعب بالعوالي، فاجتمع هو مع أربعة من الأوس، منهم: أبو نائلة سلكان بن سلامة وكان أخا كعب من الرضاعة، وقالوا: إئذن لنا يا رسول الله فلنقل ـ أي خلاف الواقع لمصلحة ـ فقال: قولوا، فخرج إليه أبو نائلة فأنكره كعب وذعر منه، فقال: أنا أبو نائلة، إنما جئت لُخبرك أن قدوم هذا الرجل كان علينا من

---

(١) الطبقات الكُبرى ٢: ٧، السيرة الحلبية ٣: ١٥٢.

(٢) آل عمران: ١٨٦ .

البلاء حاربتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة ونحن نريد التنحي عنه، ومعي رجال من قومي على مثل رأيي، وقد أردت أن آتيك بهم فنبتاع منك طعاماً وتمراً، فسكن الى قوله وقال: جيء بهم متى شئت، فخرج من عنده على ميعاد فأخبر أصحابه، فأتوه في ليلة مقمرة حتى انتهوا الى حصنه، فهتف به أبو نائلة فوثب فأخذت امرأته بملحفته وقالت: اين تذهب إنك رجل محارب وأن أصحاب الحرب لا ينزلون في مثل هذه الساعة ، وكان حديث عهد بعرس، فقال : ميعاد عليّ، وإنما هو أخي أبو نائلة لو وجدني نائماً لا يوقظني، فقالت: والله إني لأعرف في صوته الشرّ، فضرب بيده الملحفة وقال: لو دعي الفتى لطعنة أجاب. ثم نزل إليهم فحادثوه ساعة حتى انبسط إليهم وأنس بهم، ثم أخذ أبونائلة بشعره وقال اقتلوا عدوالله، فضربوه بأسيافهم فالتفّت عليه فلم تغن شيئاً وردّ بعضها بعضاً ولصق بأبي نائلة، فأخرج أبو نائلة مغولاً وهو سيف دقيق فوضعه في سرته، ثم حامل عليه حتى انتهى الى عانته، فصاح صيحة ما بقي أطم من آطام يهود إلّا أوقدت عليه نار، ثم حزوا رأسه وحملوه معهم، وقيل: طعنه أحدهم في خاصرته، وضربه محمّد بن مسلمة بالسيف فقتلوه، ولما صاح صاحت امرأته: يا آل قريظة والنضير! ـ مرّتين ـ فخرجت اليهود فأخذت على غير طريقهم ففاتوهم وأصبحت يهود مذعورين، فأتوا النبيّ ﷺ فقالوا: قُتل سيدنا غيلة، فذكر لهم تحريضه عليه وأذيته للمسلمين فازدادوا خوفاً، ثم كتب بينه وبينهم صلحاً. قال ابن سعد في الطبقات: وكان ذلك الكتاب مع عليّ بن أبي طالب(١).

---

(١) الطبقات الكبرى ٢: ٣١ ـ ٣٤.

سرية قتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق النضيري بخيبر

في شهر رمضان سنة ست من الهجرة، وكان تاجر أهل الحجاز، وقد أجلب في غطفان ومن حوله من مشركي العرب، وجعل لهم الحفل العظيم لحرب رسول الله ﷺ وكان يؤذي النبيّ ﷺ ، فلما قتلت الأوس كعب بن الأشرف أرادت الخزرج أن تقتل مشابهه في عداوة رسول الله ﷺ فبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن عتيك وأربعة معه لقتله، فذهبوا الى خيبر فكمنوا، فلما هدأت الرجل جاءوا الى منزله وقدموا عبد الله بن عتيك لأنه كان يرطن باليهودية، فاستفتح وقال: جئت أبا رافع بهدية، ففتحت له امرأته فدخلوا عليه، فما عرفوه إلّا ببياضه كأنه قبيطة فقتلوه. وقيل: دنوا من خيبر وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم، فقال عبد الله لأصحابه: إجلسوا مكانكم فإني منطلق ومتلطف للبواب لعلي أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب، ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجة، فقال له البواب ـ وهو يظنه من أهل الحصن ـ يا عبد الله، إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإني أُريد أن أغلق الباب، فدخل وكمن وأغلق البواب الباب وعلق المفاتيح، قال: ثم أخذتها وفتحت الباب، فلما ذهب عن أبي رافع أهل سمره صعدت إليه فاذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدري أين هو، قلت: أبا رافع، قال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت فضربته بالسيف فما أغنت شيئاً، وصاح، فخرجت من البيت ثم عدت فقلت: ما هذا الصوت يا أبارافع؟ قال: لأُمّك الويل! إنّ رجلاً في البيت ضربني بالسيف ، فضربته أُخرى فلم تغن شيئاً فتواريت، ثم جئته كالمغيث فاذا هو مستلق، فوضعت السيف في بطنه وتحاملت عليه حتى سمعت صوت العظم. وفي رواية: حتى سمعت خشه في الفراش، ثم جئت الى الدرجة فوقعت

فانكسرت رجلي. وفي رواية: انخلعت فعصبتها بعمامتي وصاحت امرأته، فتصايح أهل الدار واختبأ القوم في بعض الأنهار، وخرج الحارث أبو زينب في ثلاثة آلاف في آثارهم يطلبونهم بالنيران فلم يروهم، فرجعوا ومكثوا في مكانهم حتى سكن الطلب، ثم أتوا المدينة بعد ما علموا أن أبا رافع قُتل[١].

سرية ذات السلسلة

أوذات السلاسل، قال ابن شهرآشوب في المناقب: السلاسل اسم ماء...الخ[٢] .

ويُقال: سرية وادي الرمل، وهذه ذكرها المفيد في الإرشاد في موضعين: أحدهما بعد غزوة قريظة وقبل غزوة بني المصطلق، وثانيهما: بعد غزوة تبوك، فقال في الأوّل : وقدكان من أمير المؤمنينعليه السلام في غزوة وادي الرمل، ويقال: إنهاكانت تسمى بغزوة «ذات السلسلة» ما حفظه العلماء ودوّنه الفقهاء ونقله أصحاب الآثار ونقلة الأخبار.

ثم ذكر ما حاصله: إن أصحاب السير ذكروا، أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أتاه أعرابي فقال: إنّ قوماً من العرب عملوا على أن يبيتوك بالمدينة، فخطب الناس وأخبرهم، وقال: من للوادي؟ فقام رجل من المهاجرين فقال: أنا له، فناوله اللواء وخرج في سبعمائة رجل فوافاهم ضحوة فدعاهم الى الإسلام أوالقتال، فقالوا: له ارجع الى صاحبك فإنّا في جمع لا تقوم له فرجع، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : من للوادي؟ فقام رجل من المهاجرين فقال: أنا له، فدفع إليه الراية ومضى، ثم عاد كمثل ما عاد صاحبه الأوّل فقال صلى الله عليه وآله وسلم : أين عليّ بن أبي طالب؟ فقال: ها أنا ذا، قال:

---

(١) الطبقات الكبرى ٢: ٩١، السيرة الحلبية ٣: ١٦١ ـ ١٦٣.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٢٠٢.

إمض الى الوادي، قال: نعم، وكانت له عصابة لا يتعصب بها إلّا إذا بعثه ﷺ في وجه شديد، فطلبها من فاطمة فبكت إشفاقاً عليه، فدخل ﷺ فقال: أتخافين أن يُقتل بعلك؟ كلا إن شاء الله، فقال عليٌّ: لا تنفس[1] عليّ بالجنة يا رسول الله، ثم خرج باللواء حتى وافاهم بسحر، فأقام حتى أصبح وصلّى بأصحابه الغداة وصفهم، واتّكأ على سيفه، وقال للعدو: يا هؤلاء، أنا رسول رسول الله ﷺ إليكم أن تقولوا لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وإلّا لأضربنكم بالسيف، قالوا: ارجع كما رجع صاحباك، قال: أنا لا أرجع لا والله حتى تسلموا أوأضربكم بسيفي هذا، أنا عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب، فاضطربوا لما عرفوه، ثم اجترأوا على مواقعته فواقعهم، فقتل منهم ستة أوسبعة، وانهزم المشركون وظفر المسلمون وحازوا الغنائم، فأمر رسول‌الله ﷺ الناس أن يستقبلوا علياً عليه السلام ، فقام المسلمون له صفين مع رسول‌الله ﷺ ، فلما رأى النبيّ ﷺ ترجّل عن فرسه وأهوى الى قدميه يقبلهما، فقال له: إركب فإن الله تعالى ورسوله عنك راضيان، فبكى عليّ عليه السلام فرحاً وانصرف الى منزله، ثم قال: لو لا أنني أشفق أن تقول فيك طوائف ما قالت النصارى في عيسى بن مريم، لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمرّ بملأ منهم إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك.

قال المفيد : وقد ذكر كثير من أصحاب السير أنه في هذه الغزاة نزل على النبيّ ﷺ ﴿والعاديات ضبحاً... الآية﴾[2].

وقال في الموضع الثاني: ثم كانت غزاة السلسلة، وذلك أن أعرابياً أتى النبيّ ﷺ فقال، وذكر نحو ما مرّ، ثم قال ما حاصله: فقام جماعة من أهل الصفة، فأقرع بينهم فخرجت القرعة على ثمانين رجلاً منهم ومن غيرهم، فاستدعى بعض المهاجرين فقال له: خذ اللواء وإمض الى بني سليم فإنّهم قريب من

---

(١) لا تنفُس: لا تبخل، وكذلك ثم تنفس عليك: أي لم تبخل، النهاية في غريب الحديث ٥: ٩٤.

(٢) الإرشاد ١: ١١٣ ـ ١١٧.

الحرّة، فمضى حتى قارب أرضهم، وكانت كثيرة الحجارة والشجر وهم ببطن الوادي والمنحدر إليه صعب، فلما أراد الإنحدار خرجوا إليه فهزموه وقتلوا من المسلمين جمعاً كثيراً، فعقد ﷺ لآخر من المهاجرين، فكمنوا له تحت الحجارة والشجر، فلما ذهب ليهبط خرجوا إليه فهزموه، فساء ذلك رسول الله ﷺ، فقال عمرو بن العاص: إبعثني يا رسول الله إليهم فإن الحرب خدعة، فلعلي أخدعهم، فبعثه مع جماعة، فلما صار الى الوادي خرجوا إليه فهزموه وقتلوا من أصحابه جماعة، ثم دعا علياً عليه السلام فعقد له، ثم قال: أرسلته كرّاراً غير فرّار، ثم رفع يديه الى السماء يدعو له وشيعه الى مسجد الأحزاب، وعليّ على فرس أشقر مهلوب عليه بردان يمانيان وفي يده قناة خطية، وأنفذ معه المرسلين أوّلاً وعمرو بن العاص فسار بهم نحو العراق، ثم أخذ بهم على محجة غامضة حتى استقبل الوادي من فمه، وكان يسير الليل ويكمن النهار، فلما قرب من الوادي أمر أصحابه أن يعكموا الخيل، وقال: لا تبرحوا، وابتدر[1] أمامهم فوقف ناحية، فلما رأى عمرو بن العاص ذلك لم يشك في الفتح، فقال للمرسل أوّلاً: أنا أعلم بهذه البلاد من عليّ، وفيها ما هو أشد علينا من بني سليم الضباع والذئاب، فكلمه يخلّ عنا نعلو الوادي، فكلّمه فأطال فلم يجبه حرفاً واحداً، فرجع فأخبرهم، فقال عمرو بن العاص للمرسل ثانياً: أنت أقوى عليه فانطلق فخاطبه، فصنع به مثل ما صنع بالأوّل، فرجع فأخبرهم، فقال عمرو: لا ينبغي أن نضيع أنفسنا إنطلقوا بنا نعل الوادي، فأبوا عليه، فلما طلع الفجر كبس عليّ عليه السلام القوم وهم غارّون، فأمكنه الله منهم، فنزلت: ﴿والعاديات ضبحاً... الآيات﴾ ثم ذكر نحو ما تقدم في تتمة

---

(١) في المصدر: انتبذ.

الحديث السابق[١].

وقال الطبرسي في مجمع البيان: قيل، نزلت السورة لما بعث النبيّ صلى الله عليه وآله علياً الى ذات السلاسل فأوقع بهم، بعد أن بعث مراراً غيره من الصحابة فرجعوا. وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل، قال وسميت هذه الغزوة ذات السلاسل، لأنّه أسرّ منهم وقتل وسبى وشدّ أُساراهم في الحبال مكتفين كأنهم في السلاسل...الخ[٢] وقيل: السلاسل اسم ماء[٣] كما مرّ.

وذكر هذه الغزوة بهذا النحو الراوندي في الخرائج[٤] وعليّ بن إبراهيم في تفسيره[٥] وغيرهما[٦].

وفي مناقب ابن شهرآشوب عند ذكر غزاة السلاسل، عن أبي القاسم بن شبل الوكيل وأبي الفتح الحفار بإسنادهما، عن الصادق عليه السلام ومقاتل والزجاج ووكيع والثوري والسدي وأبي صالح وابن عباس، أنّه أنفذ النبيّ صلى الله عليه وآله بعض المهاجرين في سبعمائة رجل، فلما سار الى الوادي وأراد الإنحدار خرجوا إليه فهزموه وقتلوا من المسلمين جمعاً كثيراً، فبعث آخر فرجع منهزماً، فقال عمرو بن العاص إبعثني يا رسول الله فإن الحرب خدعة ولعليّ أخدعهم، فبعثه فرجع منهزماً. وفي رواية أنفذ خالداً فعاد كذلك، فساء ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله فدعا علياً وقال: أرسلته كرّاراً غير فرّار، فشيعه الى مسجد الأحزاب الى آخر ما تقدم.

---

(١) الإرشاد ١: ١٦٢ ـ ١٦٥، وفيه: أنّ البعض من المهاجرين، الأوّل أبو بكر والثاني عمر بن الخطاب.

(٢) مجمع البيان ١٠: ٤٢٢.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٣٢٨.

(٤) الخرائج والجرائح ١: ١٦٧.

(٥) تفسير القمّي ٢: ٤٣٥ ـ ٤٣٩.

(٦) تفسير فرات الكوفي: ٥٩١.

ثم قال ومن روايات أهل البيت عليهم السلام قالوا: فلما أحسّ عليه السلام الفجر قال: إركبوا بارك الله فيكم، وطلع الجبل حتى إذا انحدر على القوم وأشرف عليهم قال لهم: اتركوا أكمة دوابكم فشمت الخيل ريح الأُناث فصهلت، فسمع القوم صهيل خيلهم فولّوا هاربين .

قال: وفي رواية مقاتل والزجاج أنّه كبس القوم وهم غارّون، فقال: يا هؤلاء، أنا رسول رسول الله إليكم أن تقولوا لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله، وإلّا ضربتكم بالسيف، فقالوا: انصرف عنا كما انصرف ثلاثة فإنك لا تقاومنا، فقال: إنّني لا أنصرف أنا عليّ بن أبي طالب، فاضطربوا وخرج إليه الأشداء السبعة وناصحوه وطلبوا الصلح، فقال: أما الإسلام وإما المقاومة، فبرزوا إليه واحدا بعد واحد، وكان أشدّهم آخرهم وهو سعد بن مالك العجلي وهو صاحب الحصن، فقتلهم فانهزموا، ودخل بعضهم في الحصن، وبعضهم استأمنوا، وبعضهم أسلموا وأتوه بمفاتيح الخزائن، وفي ذلك يقول السيد الحميري:

وفي ذات السلاسل من سليم   غداة أتاهم الموت المبير
وقد هزموا أبا حفص وعمراً   وصاحبه مراراً فاستطيروا
وقد قتلوا من الأنصار رهطاً   فحل النذر أووجبت نذور
أزار الموت مشيخة ضخاماً   جحاجحة تسد بها الثغور[1]

ولم تذكر هذه الغزوة بهذه الكيفية في السيرة الهشامية وطبقات ابن سعد وما تأخر عنهما، ولكنهم ذكروا سرية عمروبن العاص الى ذات السلاسل، وهي وراء وادي القرى بينها وبين المدينة عشرة أميال في جمادى الآخرة سنة ثمان من الهجرة، بلغه صلى الله عليه وآله أنّ جمعاً من قضاعة تجمّعوا يريدون الدنو الى

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٢: ٣٢٨ ـ ٣٣٠.

أطرافه، فبعثه في ثلاثمائة فبلغه كثرتهم فبعث يستمده ﷺ ، فأرسل أباعبيدة في مائتين...الخ[١]

قال بعضهم: سميت «ذات السلاسل» لأنّه كان به رمل بعضه على بعض كالسلسلة، وقيل: لأنّ المشركين ربطوا بعضهم بالسلاسل لئلّا يفروا[٢].

سرية عليّ بن أبي طالب عليه السلام الى بني سعد بن بكر بفدك

في شعبان سنة ست من الهجرة.

وفدك ـ بالتحريك ـ في معجم البلدان قرية بينها وبين المدينة يومان، وقيل: ثلاثة[٣].

وفي السيرة الحلبية: قرية بينها وبين المدينة ست ليال، وفي لفظ ثلاث مراحل، وهي الآن خراب[٤].

أقول: لعل الصواب القول بأن بينها وبين المدينة ست ليال، لما يأتي من أنّ علياً عليه السلام وصل الى مكان بين خيبر وفدك، فدل على أن فدك أبعد عن المدينة من خيبر. وقد مرّ أنّ خيبر عن المدينة على نحو أربع مراحل، فكيف يكون بين فدك والمدينة ثلاث مراحل أويومان أوثلاثة أيام؟ إلّا أن يراد بالأيام الليل والنهار، فتتوافق رواية ثلاثة أيام ورواية ست ليال.

وفي الصحاح[٥] والقاموس: فدك بلدة بخيبر...الخ[٦]. ولعل فيه تسامحاً،

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٦٢٣، الطبقات الكبرى ٢: ١٣١.

(٢) معجم البلدان ٤: ٢٣٨.

(٣) معجم البلدان ٤: ٢٣٨.

(٤) السيرة الحلبية ٣: ١٨٢.

(٥) الصحاح للجوهري ٤: ١٦٠٢.

(٦) المصدر السابق ٤: ١٦٠٢، وفيه فدك اسم قرية بخيبر.

باعتبار مجاورتهما لخيبر. وأهل فدك كانوا من العرب لا من اليهود.

ومرّ الكلام على أنّ فدكاً فتحت صلحاً بعد فتح خيبر سنة سبع، فتكون هذه السرية قبل فتح خيبر، لأنّ فتح خيبر كان في جمادى الأولى أو في المحرم سنة سبع، وهذه كانت في شعبان سنة ست .

وسببها: أنّه بلغ النبيّ ﷺ أنّ بني سعد يريدون أن يجمعوا جمعاً يمدّون به يهود خيبر ويعطوهم مقابل ذلك من تمر خيبر، وينبغي أن يكون ذلك قبل محاصرة خيبر، بأن يكون أهل خيبر لما رأوا ما جرى لقريظة وبني النضير لما نقضوا العهد خافوا فاتفقوا مع أهل فدك على ذلك، فبعث النبيّ ﷺ علياً عليه السلام من المدينة في مائة رجل، فجعل يسير الليل ويكمن النهار، حتى انتهى الى الغَمِج[1] ـ ماء بين فدك وخيبر ـ فوجدوا رجلاً، فقالوا: ما أنت؟ قال: باغ ـ أي طالب لشيء ـ ضل مني، فقالوا: هل لك علم بجمع بني سعد؟ قال: لا علم لي به، فشدوا عليه فأقرّ أنه عين لهم بعثوه الى خيبر يعرض على يهودها نصرهم، على أن يجعلوا لهم من تمرها ما جعلوا لغيرهم، قالوا له: فأين القوم؟ قال: تركتهم قد تجمّع منهم مائتا رجل، قالوا: فسرّ بنا حتى تدلنا عليهم، قال: على أن تؤمّنوني، فأمّنوه فجاء بهم الى سرحهم، فأغاروا عليه وهرب الرعاء الى جمعهم فتفرّقوا، فقال: دعوني، فقال عليّ: حتى نبلغ معسكرهم، فانتهى بهم إليه فلم يروا أحداً فتركوه، وساقوا النعم وكانت خمسمائة بعير وألفي شاة، فاصطفى عليّ منها لرسول الله ﷺ ناقة لقوحاً تسمى «الحفدة» وقسّم الباقي على أصحابه. هكذا في السيرة الحلبية[2] . وينبغي أن يكون أخرج خمسها أولاً، لا اللقوح وحدها، ثم قسم الباقي[3] .

---

(١) بالغين المفتوحة والميم المكسورة والجيم. (المؤلّف)

(٢) السيرة الحلبية ٣: ١٨٣.

(٣) سبل الهدى والرشاد ٦: ٩٧.

سرية عليّ بن أبي طالب عليه السلام الى بلاد طيء

في ربيع الأوّل سنة تسع من الهجرة ومعه مائة وخمسون رجلاً من الأنصار أومائتان، على مائة بعير وخمسين فرساً لهدم صنم طيء والغارة عليهم، ومعه راية سوداء ولواء أبيض[1] . وفي السيرة الحلبية: إنّ اسم الصنم «الفُلس» بضم الفاء وسكون اللام[2] . وفي سيرة دحلان: إنّ الفلس اسم الموضع الذي فيه الصنم، فأغار على أحياء من العرب وشن الغارة على آل حاتم مع الفجر، فهدم الفلس وأحرقه، ووجد في خزانته ثلاثة أسياف وثلاث أدرع وغنم سبيا ونعما وشاء وفضة[3].

سفّانة بنت حاتم الطائي

وكان في السبي سفّانة[4] بنت حاتم الطائي أُخت عدي بن حاتم، وكانت امرأة جزلة ـ أي ذات وقار وعقل ـ فقالت: يا رسول الله، هلك الوالد وغاب الوافد فامنن عليَّ منّ الله عليك، قال: ومن وافدك؟ قالت: عدي بن حاتم، قال: الفار من الله ورسوله، وكان عدي هرب لما رأى الجيش، ثم كلمته بمثل ذلك اليوم الثاني، وفي اليوم الثالث أشار إليها عليّ بن أبي طالب بأنّ قومي إليه فكلميه، فكلّمته فمنّ عليها، وأسلمت وذهبت الى أخيها عدي فجاءت به وأسلم وحسن إسلامه وصار من خواص أصحاب عليّ أمير المومنين عليه السلام [5].

---

(١) الطبقات الكُبرى ٢: ١٦٤.

(٢) السيرة الحلبية ٣: ٢٠٥.

(٣) السيرة النبوية لزيني دحلان (بهامش السيرة الحلبية) ٢: ٣٢٠.

(٤) سفّانة: بسين مفتوحة وفاء مفتوحة مشدد ونون مفتوحة وهاء، والسفانة في الأصل: الدرة. (المؤلّف)

(٥) السيرة الحلبية ٣: ٢٠٥.

ويروى: أنّها قالت للنبي ﷺ : يا محمّد، إن رأيت أن تخلي عنا ولا تشمت بنا أحياء العرب، فإني ابنة سيد قومي، وأنّ أبي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويكسو العاري ويقري الضيف ويطعم الطعام ويفشي السلام، ولم يردّ طالب حاجة قط، أنا ابنة حاتم الطائي، فقال لها النبيّ ﷺ : **يا جارية، هذه صفة المؤمن حقاً، لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه، خلّوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق**[١].

نزول سورة براءة

قال الشيخ الطوسي في المصباح: في أوّل يوم من ذي الحجة سنة تسع من الهجرة بعث النبيّ ﷺ سورة براءة حين أُنزلت عليه مع أبي بكر، ثم نزل على النبيّ ﷺ أنّه لا يؤديها عنك إلّا أنت أورجل منك، فأنفذ علياً حتى لحق أبابكر فأخذها منه[٢].

وقال الطبري في تفسيره : حدّثنا أحمد بن إسحاق، حدّثنا أبو حمد، حدّثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن زيد بن يثيغ قال: نزلت براءة فبعث بها رسول الله ﷺ أبا بكر، ثم أرسل علياً فأخذها منه، فلما رجع أبو بكر قال: هل نزل فيَّ شيء؟ قال: لا، **ولكن أُمرت أن أُبلّغها أنا أورجل من أهل بيتي**، فانطلق عليّ الى مكة فقام فيهم بأربع: أن لا يدخل مكة مشرك بعد عامه هذا، ولا يطف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلّا نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعهده الى مدّته...الخ[٣].

---

(١) السيرة الحلبية ٣: ٢٠٥.

(٢) مصباح المتهجد: ٦٧٢.

(٣) جامع البيان ١٠: ٨٣.

وروى الحاكم في المستدرك، بسنده عن ابن عباس: أنّ رسول الله ﷺ بعث أبا بكر وأمره أن ينادي بهؤلاء الكلمات، فأتبعه علياً، فبينا أبوبكر ببعض الطريق إذ سمع رغاء ناقة رسول الله ﷺ ، فخرج فزعاً فظن أنّه رسول الله ﷺ فإذا هو عليّ (الى أن قال) فنادى عليّ: **إنّ الله بريء من المشركين ورسوله فسيحوا في الأرض أربعة أشهر، لا يحجن بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلّا مؤمن**[١].

وبسنده عن زيد بن يثيغ سألنا علياً بأي شيء بُعثت في الحجة؟ قال: **بُعثت بأربع: لا يدخل الجنة إلّا نفس مؤمنة ولا يطوف بالبيت عريان ولا يجتمع مؤمن وكافر في المسجد الحرام بعد عامهم هذا ومن كان بينه وبين النبيّ ﷺ عهد فعهده الى مدّته ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر**[٢] .

وروى النسائي في الخصائص بسنده عن سعد قال: بعث رسول الله ﷺ أبابكر ببراءة، حتى إذاكان ببعض الطريق أرسل علياً فأخذها منه، ثم سار بها فوجد أبا بكر في نفسه، فقال رسول الله ﷺ : **لا يُؤدي عنّي إلّا أنا أورجل مني .**
وبسنده عن أنس: بعث النبيّ ﷺ براءة مع أبي بكر، ثم دعاه فقال: **لا ينبغي أن يُبلّغ هذا إلّا رجل من أهلي**، فدعا عليّاً فأعطاه إياها.

وبسنده عن زيد بن يثيغ، عن عليّ: أنّ رسول الله ﷺ بعث ببراءة الى أهل مكة مع أبي بكر، ثم اتبعه بعلي فقال: **خذ الكتاب فامض به الى أهل مكة**، فلحقه فأخذ الكتاب منه، فانصرف أبو بكر وهو كئيب، فقال لرسول الله ﷺ ... الخ[٣].

(١) المستدرك على الصحيحين ٣: ٥٢ .

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣: ٥٢ .

(٣) السنن الكبرى ٥: ١٢٨ ـ ١٢٩ .

ولحقه على بذي الحليفة[١]، وقيل: بالعرج[٢]، وقيل: بالروحاء على ناقة رسول الله ﷺ العضباء[٣].

قال المجلسي: أجمع المفسرون ونقلة الأخبار، أنّه لما نزلت براءة دفعها رسول الله ﷺ الى أبي بكر، ثم أخذها منه ودفعها الى عليّ بن أبي طالب، واختلفوا، فقيل: أخذها عليّ منه فقرأها على الناس وكان أبو بكر أميراً على الموسم، وروى أصحابنا أنّ النبيّ ﷺ ولّى علياً الموسم أيضاً...الخ[٤].

وقال بعضهم: إنما أمر علياً بأخذ براءة من أبي بكر جرياً على عادة العرب بأنّه لا يُبلّغ عنهم إلاّ هم أو أحد أقربائهم[٥].

وفيه: إنّ هذه لم يردّ بها خبر، ولو فرض فالإسلام قد جاء لمحو عادات الجاهلية، مثل: عدم توريث النساء والتفاخر بالأجداد والآباء، وإنما ذلك أمر من الله تعالى بأنّ لا يقوم بهذا الأمر المهم إلاّ النبيّ ﷺ أومن هو مثل نفسه.

سرية عليّ بن أبي طالب عليه السلام الى اليمن

قال ابن سعد: يقال، مرتين: إحداهما في شهر رمضان سنة عشر من الهجرة، قالوا بعث ﷺ علياً الى اليمن وعقد له لواء وعممه بيده، وقال: إمض ولا تلتفت، فإذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك[٦].

وزاد غير ابن سعد: وادعهم الى قول: لا إله إلاّ الله، فإنّ قالوا نعم فمرهم بالصلاة،

---

(١) نهج الايمان لابن جبر: ٢٥٠.

(٢) الطبقات الكُبرى ٢: ١٦٨.

(٣) بحار الأنوار ٣٥: ٢٩٢.

(٤) بحار الأنوار ٢١: ٢٦٦.

(٥) فتح الباري وإرشاد الساري ٨: ٢٤١.

(٦) الطبقات الكبرى ٢: ١٦٩.

فإن أجابوا فلا تبغ منهم غير ذلك، والله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت(١).

وروى أبو داود وغيره من حديث عليّ قال: **بعثني النبيّ ﷺ الى اليمن، فقلت: يارسول الله، تبعثني الى قوم وأنا حديث السن لا أبصر القضاء، فوضع يده على صدري وقال: اللهم ثبّت لسانه واهدر قلبه، وقال: يا عليّ، إذا جلس إليك الخصمان، فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر فإنك إذا فعلت ذلك تبين لك القضاء، قال عليّ: والله، ما** شككت في قضاء بين اثنين(٢) .

قال ابن سعد: فخرج في ثلثمائة فارس، وكانت أوّل خيل دخلت الى تلك البلاد وهي بلاد مذحج، ففرّق أصحابه فأتوا بغنائم وسبي، ثم لقى جمعهم فدعاهم الى الإسلام، فأبوا ورموا بالنبل والحجارة، فصف أصحابه ثم حمل عليهم عليّ بأصحابه فقتل منهم عشرين رجلاً، فتفرّقوا وانهزموا فكفّ عن طلبهم، ثم دعاهم الى الإسلام فاسرعوا وأجابوا، وبايعه نفر من رؤسائهم على الإسلام وقالوا: نحن على من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حقّ الله، وجمع عليّ الغنائم فأخرج منها الخمس وقسّم الباقي على أصحابه، ثم قفل فوافى النبيّ ﷺ بمكة قد قدمها للحج سنة عشر...الخ(٣) وهي حجة الوداع .

أقول: والأُخرى قبل هذه، وكانت سنة ثمان من الهجرة، أرسل علياً عليه السلام

---

(١) سبل الهدى والرشاد ٦: ٢٣٨، تاريخ الخميس ٢: ١٤٤ .

(٢) نقله عنه وعن غيره ابن حجر في فتح الباري وإرشاد الساري ٨: ٥٢، السيرة النبوية لزيني دحلان بهامش السيرة الحلبية ٢: ٣٤٥ ـ ٣٤٧ .

(٣) الطبقات الكبرى ٢: ١٦٩ ـ ١٧٠.

الى همدان بعد فتح مكة، فأسلمت همدان كلها في يوم واحد، فكتب الى النبيّ ﷺ فخرّ ساجداً لله، ثم جلس فقال: السلام على همدان، وتتابع أهل اليمن على الإسلام(١) . ويدل قول ابن سعد: «يقال ذلك مرّتين» على أنه غير محقق، ويرشد إليه أن بعضهم جعل إسلام همدان سنة عشر والله أعلم .

ولكن ابن هشام في سيرته جزم بأن علياًعليه السلام غزا اليمن مرّتين، ثم قال: قال أبو عمر المدني: بعث رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب الى اليمن وبعث خالد بن الوليد في جند آخر، وقال: إن التقيتما فالأمير عليّ بن أبي طالب...الخ(٢).

ويدل كلام المفيد في الإرشاد على أنّ إرسال النبيّ ﷺ علياًعليه السلام الى اليمن كان ليخمّس ركازها ويقبض ما وافق عليه أهل نجران من الحلل والعين وغير ذلك، لا لأجل الحرب، وأنّ أهل اليمن كانوا قد أسلموا قبل ذلك، لكن ربما ينافيه أخذ الجيش معه، ولعله خشية من وقوع حرب(٣).

وفي السيرة الحلبية: كان رسول الله ﷺ أرسل خالد بن الوليد الى اليمن لهمدان يدعوهم الى الإسلام، قال البراء: فكنت ممن خرج مع خالد فأقمنا ستة أشهر ندعوهم الى الإسلام فلم يجيبوا، ثم إنّ رسول الله ﷺ بعث عليّ بن أبي طالب فأمره أن يقفل خالداً ويكون مكانه، فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا وصلّى بنا عليّ ثم صفنا صفاً واحداً، ثم تقدّم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فأسلمت همدان جميعاً، فكتب الى رسول الله ﷺ

---

(١) الطبقات الكبرى ٢: ١٦٩، السيرة الحلبية ٣: ٢٠٦.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٦٤١.

(٣) الإرشاد ١: ١٧١ .

بإسلامهم...الحديث[١] . وفي السيرة النبوية لدحلان: أن بعث عليّ سنة ثمان كان الى همدان، وجعله سنة عشر، غلط ، وبعثه سنة عشر كان الى مذحج[٢].

نظرة إجمالية في حروبه ﷺ وغزواته

إذا نظرنا في مبدأ الدعوة الإسلامية وما سارت عليه الى نهايتها رأينا أنّ النبيّ ﷺ لم يبدأ دعوته بالقتال ولم يبنها على السيف والحرب، وإنما دعا إليها كما أمره الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، وبقي على ذلك بمكة بعد البعثة عشر سنين، فدخل الناس في الإسلام طائعين غير مكرهين عن عقيدة واخلاص سريرة وعلم بحقيقة هذا الدين واعتراف بمحاسنه، بعد ما ظهر لهم فساد ماكانوا عليه من عبادة الأوثان وقبح ما هم عليه من أُمور الجاهلية، وأن دخول من دخل فيه لم يكن رهبة من عقاب ولا طمعاً في مال أوجاه، بل كان الأمر بالعكس يُؤذي من دخل فيه ويُعذّب ويُهان ويُقصى ويُحرم، وأن أخصامه لم يعمدوا في دفعه الى حجة أوبرهان أومعارضة بدليل ولوكان سفسطة، سوى قولهم: أتامرنا أن نترك ماكان يعبد آباؤنا، وشبهه، ولم يتركوه وشأنه، بل عمدوا الى إيقاع المكروه به وآذوه بأنواع الأذايا، حتى تعاقدوا على حصره وجميع عشيرته مسلمهم وكافرهم في شعب أربع سنين، لا يبايعون ولا يشارون ولا يُزوّجون ولا يُتزوّج إليهم ولا يُعاشرون ولا يُخالطون، وحتى كانوا يُسلّطون صبيانهم وسفهاءهم عليه ووضعوا السلا[٣] على ثيابه، ولم يكتفوا بذلك حتى طلبوا الى عمّه أبي طالب أن يُسلّمه لهم

(١) السيرة الحلبية ٣: ٢٦٤ .

(٢) السيرة النبوية لزيني دحلان بهامش السيرة الحلبية ٢: ٣٤٦ ـ ٣٤٧ .

(٣) السلى جمع أسلاء: جلدة يكون ضمنها الولد في بطن أُمه. المنجد: مادة «سلي».

ليقتلوه، وحتى تآمروا على قتله ليلاً وأحاطوا بداره، فنجّاه الله منهم وذهب الى الغار واستخفى فيه ثلاثاً وجعلوا لمن جاءهم به مائة بعير، وعمدوا الى من تخلّف بمكة من المسلمين يُعذّبونهم ويفتنونهم عن دينهم، وهاجر جماعة منهم خُفيةً الى بلاد الحبشة فأرسلوا وراءهم من يردّهم وحملوا معهم الهدايا لملك الحبشة، فجبّههم[1] لما سمع بلاغة القرآن وسمو تعاليمه .

فاضطر النبيّ ﷺ بعد ما استقر بالمدينة الى غزوهم وحربهم ليدفع أذاهم وشرّهم عنه وعن أصحابه، فكانت غزوة بدر طلباً لعيرهم ففاتته، فجهّزوا الجيوش لحربه وأرادوا غزوه في عقر دياره فحاربهم وأظفره الله بهم، ثم قصدوه يوم أُحد إلى دار هجرته قاصدين استئصاله واستئصال أصحابه، فاضطر الى دفاعهم.

ثم أراد العمرة عام الحديبية فصدّوه عن بيت الله الحرام الذي يعتقدون حرمته وتعظيمه ويستعظمون الصد عنه، فهادنهم مهادنة كانت بجانبهم أرجح، وَلٰان لهم فنقضوا العهد وعاونوا بني بكر على خزاعة حلفائه وقتلوهم غدراً، فسار إليهم لفتح مكة ونهى عن قتالهم وعفا عنهم عفواً عاماً، ولم يُكره أحداً من أهل الكتاب على ترك دينه، وأعلن على رؤوس الملأ ﴿لا إكراه في الدين﴾[2] واكتفى منهم إما بإسلام أو أداء شيء يفرض عليهم كل عام، ويكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، وأنه لم يحارب يهود الحجاز إلّا بعد ما نقضوا عهده وراموا قتله وألّبوا عليه، وبذلك يبطل ما يقوله من يريد تنقيص الإسلام بأنه قام بالسيف والقهر والغلبة، لا بالدعوة والله الهادي .

---

(١) جبّه: نكّس رأسه. المنجد: مادة «جَبّه».

(٢) البقرة: ٢٥٦ .

حجة الوداع

سنة عشر من الهجرة[١]، قال ابن هشام: سُمّيت بذلك لأنه لم يحج بعدها[٢]، وقيل: لأنه ودّع فيها الناس[٣] وأعلمهم بدنو أجله .

قال ابن سعد في الطبقات: وهي التي يُسمّيها الناس حجة الوداع، وكان المسلمون يُسمّونها «حجة الإسلام» وكان ابن عباس يكره أن يُقال حجة الوداع ويقول: حجة الإسلام ولم يحج غيرها منذ تنبأ....الخ[٤].

ولو قال منذ هاجر لكان صواباً، فإنه ﷺ لم يحج بعد الهجرة غيرها، وإنما أراد الاعتمار عام الحديبية فصُدّ، ثم اعتمر عمرة القضاء واعتمر يوم حنين ولم يحج، أما قبل الهجرة فقد حجّ ﷺ حجتين يقيناً، وهما اللتان بايع فيهما الأنصار عند العقبة، وقد روى ابن سعد ذلك بسنده عن مجاهد قال: حجّ رسول الله ﷺ حجتين: قبل أن يُهاجر حجة، وبعد ما هاجر حجّة[٥] .

وفي السيرة الحلبية أنه ﷺ حجّ بعد النبوة وقبل الهجرة ثلاث حجات، وقيل: حجتين. وقال ابن الأثير: كان ﷺ يحج كل سنة قبل أن يهاجر . وقال ابن الجوزي: حجّ ﷺ قبل النبوة وبعدها حججاً لا يعلم عددها، وكان قبل النبوة يقف بعرفات ويفيض منها الى مزدلفة مخالفة لقريش توفيقاً له من الله، لأنهم كانوا لا يخرجون من الحرم، وقالوا: لا تعظموا شيئاً من الحل كما

---

(١) المغازي للواقدي ٢: ١٠٨٨ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٦٠٦.

(٣) السيرة الحلبية ٣: ٢٥٦ .

(٤) الطبقات الكبرى ٢: ١٧٢ .

(٥) المصدر السابق ٢: ١٨٩ .

تعظمون الحرم فيَسْتخف العرب بحرمكم فتركوا الوقوف بعرفة والإفاضة الى مزدلفة، ويرون ذلك لسائر العرب، وكان فرض الحج بالمدينة[١] .

قال المفيد : ثم أراد رسول الله ﷺ التوجه الى الحج وأداء ما فرض الله تعالى عليه فيه، فأذّن في الناس بالحج وبلغت دعوته الى أقاصي بلاد الإسلام، فتجهّز الناس للخروج معه وحضر المدينة من ضواحيها ومن حولها خلقٌ كثير وتأهّبوا للخروج، فخرج ﷺ بهم يوم الخميس أويوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة[٢].

وفي السيرة الحلبية: خرج معه أربعون ألفاً، وقيل: سبعون، وقيل: تسعون، وقيل: مائة وأربعة عشر ألفاً، وقيل: مائة وعشرون ألفاً وقيل: أكثر من ذلك، عدا من حج معه من أهل مكة واليمن[٣] .

قال ابن سعد: خرج من المدينة مغتسلاً متدهناً مترجلاً مجرداً في ثوبين صحاريين إزار ورداء، فصلّى الظهر بذي الحليفة ركعتين، وأخرج معه نساءه التسع كلهن في الهوادج وابنته فاطمة، وأشعر هديه وقلّده، ثم قال: واختلف علينا فيما أهلّ به، فأهل المدينة يقولون أهلّ بالحج مفرداً، وفي رواية غيرهم: أنّه قرن مع حجته عمرة، وقال بعضهم دخل متمتعاً بعمرة ثم أضاف إليها حجة، وفي كل رواية... الخ[٤].

أقول: الصحيح أن حجه كان حج قران وعقد احرامه بسياق الهدي، فلما وصل الى الميل لبّى، فقال: لبّيك اللهم لبّيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك، إنّ

(١) السيرة الحلبية ٣: ٢٥٧ .

(٢) الإرشاد ١: ١٧١.

(٣) السيرة الحلبية ٣: ٢٥٧ .

(٤) الطبقات الكبرى ٢: ١٧٣ .

الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك .

قال المفيد : وكاتب علياً عليه السلام بالتوجه الى الحج من اليمن، ولم يذكر له نوع الحج الذي عزم عليه، وخرج ﷺ قارناً للحج بسياق الهدي، وأحرم من ذي الحليفة، وأحرم الناس معه، ولبّى من عند الميل الذي بالبيداء، فاتصل ما بين الحرمين بالتلبية حتى انتهى الى كراع الغمم، وكان الناس معه ركباناً ومشاة، فشق على المشاة المسير وأجهدهم فشكوا ذلك إليه واستحملوه فأعلمهم أنه لا يجد لهم ظهراً، وأمرهم أن يشدوا على أوساطهم[١] ويخلطوا الرمل بالنسل[٢]، ففعلوا ذلك واستراحوا إليه[٣].

وفي السيرة الحلبية : ذكر بعضهم أنه في هذه الحجة كان جمل عائشة(رض) سريع المشي مع خفة حمل عائشة، وجمل صفية بطيء المشي مع ثقل حملها، فصار الركب يتأخر لذلك، فأمر ﷺ أن يجعل حمل صفية على جمل عائشة وحمل عائشة على جمل صفية، فقال لعائشة: **يا أُم عبد الله، حملك خفيف وجملك سريع، وحمل صفية ثقيل وجملها بطيء، فأبطأ ذلك بالركب فنقلنا حملك على جملها وحملها على جملك، فقالت له: إنّك تزعم إنك رسول الله؟! فقال: أفيَّ شك أنّي رسول الله أنت يا أُمّ عبد الله؟! قالت: فما لك لا تعدل؟! قالت فكان أبوبكر** رضي الله عنه فيه حدة فلطمني على وجهي، فلامه رسول الله ﷺ فقال: أما

(١) في الشدعلى الوسط تقوية للجسم فلهذا أمرهم به. (المؤلّف)

(٢) الرمل ـ بفتحتين ـ والنسل ـ بسكون السين ـ : نوعان من السير فيهما بعض الإسراع، أمرهم بأن يرملوا تارة وينسلوا أخرى، وذلك خير من مشي التأني ومن العدو. هذا ولكن تمييز الرمل من النسل فيكلام اللغويين فيه بعض الغموض. والمستفاد من المجموع أن النسل الإسراع مع تقارب الخطى كمشية الذئب، والرمل بين المشي والعدو وهو إسراع مع هزّ المنكبين وعدم النزو فكان النسل أقل حركة وإسراعاً من الرمل. (المؤلّف)

(٣) الإرشاد ١: ١٧١ ـ ١٧٢ .

سمعت ما قالت، فقال: دعها فإن المرأة الغيراء لا تعرف أعلا الوادي من أسفله[١].

قال المفيد: وخرج عليّ عليه السلام بمن معه من العسكر الذي كان صَحِبَه الى اليمن ومعه الحلل التي أخذها من أهل نجران، فلمّا قارب رسول الله صلى الله عليه وآله مكة من طريق المدينة قاربها عليّ عليه السلام من طريق اليمن وسبق الجيش للقاء النبيّ صلى الله عليه وآله وخلّف عليهم رجلاً منهم، فأدرك النبيّ صلى الله عليه وآله وقد أشرف على مكة، فسلّم عليه وأخبره بما صنع وبقبض ما قبض، وأنّه سارع للقائه أمام الجيش، فسرّ رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك وابتهج بلقائه، وقال له: **بم أهللت؟** فقال له: **يا رسول الله، إنّك لم تكتب لي إهلالك ولا عرفته، فعقدت نيتي بنيتك، فقلت: اللهم إهلالاً كإهلال نبيك وسقت معي من البدن أربعاً وثلاثين بدنة،** فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **الله أكبر قد سقت أنا ستاً وستين وأنت شريكي في حجي ومناسكي وهديي، فأقم على إحرامك وعد الى جيشك، فعجّل بهم حتى نجتمع بمكة إن شاء الله[٢].**

وفي سيرة ابن هشام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: **هل معك من هدي؟** قال: **لا،** فأشركه في هديه وثبت على احرامه حتى فرغا من الحج، ونحر رسول الله صلى الله عليه وآله الهدي عنهما.[٣]

وفي السيرة الحلبية: يمكن الجمع بين هذا وبين أنه قدم من اليمن ومعه هدي بأن الهدي كان قد تأخّر مجيئه فأشركه في هديه، ثم نقل الهدي الذي جاء به عليّ عليه السلام من اليمن كان سبعاً وثلاثين، والذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثاً وستين[٤].

---

(١) السيرة الحلبية ٣: ٢٦٠.

(٢) الإرشاد ١: ١٧٢.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٦٠٢.

(٤) السيرة الحلبية ٣: ٢٦٤.

قال ابن هشام: فيما أخرجه عن ابن إسحاق بسنده، لما أقبل عليّ من اليمن لتلقي رسول الله ﷺ بمكة تعجّل الى رسول الله ﷺ واستخلف على جنده الذين معه رجلاً من أصحابه، فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حُلّة من البز الذي كان مع عليّ فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم فإذا عليهم الحُلل فقال للذي كان استخلفه فيهم: ويلك! ما هذا ؟ قال: كسوتهم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس، فانتزع الحلل من الناس وشدّها في الأعدال، وأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم، قال أبو سعيد الخدري اشتكى الناس علياً، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيباً، فسمعته يقول: **أيها الناس، لا تشكنّ علياً فوالله إنه لأخشن في ذات الله أو في سبيل الله من أن يُشكى**[1].

وفي رواية المفيد: فأمر رسول الله ﷺ منادياً، فنادى في الناس: **ارفعوا ألسنتكم عن عليّ بن أبي طالب، فإنه خشن في ذات الله عزّ وجلّ غير مداهن في دينه؛** فكفّ القوم عن ذكره وعلموا مكانه من النبيّ ﷺ وسخطه على من رام الغميزة فيه.

قال المفيد: وأقام عليّ عليه السلام على احرامه تأسّياً برسول الله ﷺ فكان حجّهما حجّ قران، وكان قد خرج مع النبيّ ﷺ كثير من المسلمين بغير سياق هدي، فأنزل الله تعالى: ﴿**وأتموا الحج والعمرة لله...**﴾ فقال رسول الله ﷺ : **دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة** ـ وشبك إحدى أصابع يديه على الأُخرى ـ ثم قال: **لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي،** ثم أمر مناديه أن ينادي: من لم يسق منكم هدياً فليَحلّ وليجعلها عمرة، ومن ساق منكم هدايا فليقم على

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٦٠٣.

إحرامه...الخ[١].

توضيح ذلك: إن الحج ثلاثة أنواع، إفراد وقران وتمتع، فالإفراد والقـران فرض القريب الى مكة، والتمتع فرض البعيد، والمفرد يأتي بـالحج أولاً ثـم بعمرة مفردة وكذلك القارن، إلّا أنه يسوق الهدي معه عند الإحرام، والمتمتع يأتي أولاً بعمرة التمتع ثم يأتي بالحج، فالنبيﷺ حين أحرم في حجة الوداع أحرم بحجّ القران لأنه ساق الهـدي، وكـذلك عـليّ عليه السلام أحـرم كـإحرام رسـول اللهﷺ وساق الهدي فكان حجه حج قران، وأكثر الذين كانوا مع النبيّﷺ لم يسوقوا الهدي عند الإحرام واحرموا بالحج ولم يكـن حـج التـمتع مـفروضاً يومئذٍ، فلمّا نزل فرض حج التمتع بقوله تعالى : ﴿**واتموا الحج والعمرة لله** (الى قوله) **فمن تمتع بالعمرة الى الحج... الآية**﴾[٢]. أمر رسول اللهﷺ من ساق الهدي أن يبقى على إحرامه، ويجعل حجه حج قران، ومن لم يَسُق الهدي أن يجعلها عمرة تمتع فيحل من إحرامه، ثم يحرم للحج، وقال: **دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة**، فصار فرض البعيدين عن مكة ومنهم أهل المـدينة حـج التـمتع، وليس لهم أن يحجّوا حجّ إفراد ولا حجّ قران، وإنما كان لمن ساق الهـدي أن يحجّ حجّ قران في ذلك العام فقط ، ومعنى دخول العمرة في الحجّ أن المتمتع يكون نسكه مركباً من عملين: العـمرة والحـج، فـهما بـمنزلة شـيء واحـد، بخلاف القارن والمفرد، فعمله مركب من نسكين مستقلين: الحـجّ والعـمرة المفردة .

وفي رواية: إن سراقة بن مالك قال: يا رسول الله، مُتعتُنا هذه لعامنا هذا أم

---

(١) الإرشاد ١: ١٧٣ .

(٢) البقرة: ١٩٦ .

للأبد؟ ـ فشبك أصابعه ـ فقال : بل لأبد الأبد دخلت العمرة في الحجّ هكذا الى يوم القيامة . أورده في السيرة الحلبية (١).

قوله ﷺ : لو استقبلت من أمري ما استدبرت، أي لو كنت أعلم حين أحرمت ما علمته اليوم من أن من ساق الهدي ليس له أن يحجّ حجّ تمتع، بل حجّه حجّ قران ما سقت الهدي، بل كنت أحرم بغير سياق الهدي ليكون حجي حج تمتع، فإن حج التمتع أفضل من حج القران وحاصله الندم على سوق الهدي الذي أوجب أن يكون حجّه حجّ قران وفوت عليه فضيلة حجّ التمتع .

قال المفيد: فأطاع في ذلك بعض الناس وخالف البعض وجرت خطوب بينهم فيه ، وقال منهم قائلون : رسول الله ﷺ أشعث أغبر ونحن نلبس الثياب ونقرب النساء وندهن! وقال بعضهم: أما تستحون تخرجون ورؤوسكم تقطر من الغسل ورسول الله على إحرامه! فأنكر رسول الله ﷺ على من خالف في ذلك وقال: لو لا أني سقت الهدي لأحللت وجعلتها عمرة فمن لم يسق هديا فليحل فرجع قوم وأقام آخرون على الخلاف(٢)... الخ.

وروى النسائي في سننه بسنده عن البراء، قال: كنت مع علي بن أبي طالب حين أمره رسول الله ﷺ على اليمن، فلما قدم على النبيّ ﷺ، قال: فقال لي رسول الله ﷺ : كيف صنعت؟ قلت: أهللت بإهلالك، قال: فإني سقت الهدي وقرنت، وقال لأصحابه: لو استقبلت من أمري كما استدبرت لفعلت كما فعلتم ولكن سقت الهدي وقرنت(٣).

وروى مسلم في صحيحه بسنده عن عائشة قالت: قدم رسول الله ﷺ

(١) السيرة الحلبية ٣: ٢٦٣ .
(٢) الإرشاد ١: ١٧٣ ـ ١٧٤ .
(٣) السنن الكبرى ٢: ٣٤٦ .

لأربع مضين من ذي الحجة أوخمس، فدخل عليٌّ وهو غضبان، فقلت: من أغضبك يا رسول الله أدخله الله النار؟ قال: **أوما شعرت أني أمرت الناس بأمر فإذا هم يترددون، لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي معي حتى اشتريه، ثم أحلّ كما أحلّوا**[(١)]...الخ.

ولما أرادﷺ دخول مكة اغتسل ودخلها نهاراً من أعلاها من كداء وضرب خيامه بالأبطح، ومضى حتى انتهى الى باب بني شيبة وهو المعروف اليوم بباب السلام، فدخل المسجد وطاف بالبيت سبعة أشواط ، ثم صلّى خلف المقام ركعتين، ثم سعى بين الصفا والمروة من فوره ذلك، ثم عاد الى منزله، فلما كان قبل التروية بيوم خطب بمكة بعد الظهر، ثم خرج يوم التروية الى منى فبات بها، ثم غدا الى عرفات فوقف بها وقال: **كل عرفة موقف إلّا بطن عُرنة.** وخطب الناس بعرفات ـ وتأتي خطبته عند ذكر خطبه ـ فلما غربت الشمس دفع، فجعل يسير العنق فاذا وجد فجوة نص حتى جاء المزدلفة، فصلّى المغرب والعشاء بأذان وإقامتين وبات بها، فلما كان السحر أذن لأهل الضعف من الذرية والنساء أن يأتوا من قبل حطمة الناس، فلما برق الفجر صلّى الصبح، ثم ركب راحلته فوقف على قزح جبل وقال: **كل المزدلفة موقف إلّا بطن محسر**، ثم دفع قبل طلوع الشمس، فلما بلغ الى محسر أوضع، ثم أتى منى فرمى جمرة العقبة، ثم نحر الهدي وحلق رأسه وأخذ من شاربه وعارضيه وقلم أظفاره، وأمر بشعره وأظفاره أن تدفن .كذا في طبقات ابن سعد[(٢)] .

---

(١) صحيح مسلم ٤: ٣٤.

(٢) الطبقات الكبرى ٢: ١٧٣ ـ ١٧٤ .

وفي رواية أُخرى لابن سعد: أطاف به أصحابه ما يريدون أن تقع شعرة إلّا في يد رجل[١] .

قال صاحب السيرة الحلبية: فنحر من البدن ثلاثاً وستين بيده الشريفة، وهي التي جاء بها من المدينة وأمر علياً فنحر الباقي وهو تمام المائة، ولعلّه الذي جاء به من اليمن. ثم قال: وجاء عن ابن عباس أنه ﷺ أهدى في حجّة الوداع مائة بدنة نحر منها ثلاثين، وأمر علياً فنحر الباقي، وقال له: **أقسم لحومها وجلودها وجلالها بين الناس، ولا تعط جزّاراً منها شيئاً، وخذ لنا من بعير جذبة من لحم واجعلها في قدر حتى نأكل من لحمها ونحسو من مرقها، ففعل**[٢].

ثم إنه ﷺ خطب الناس بمنى يوم العيد بعد الظهر، فقال : **ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض[٣] السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات: ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب مضر[٤] الذي بين جمادي وشعبان. ثم قال: إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا لا ترجعن بعدي ضلاّلاً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب فلعلّ بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه ألا هل بلغت .**

قال بعضهم قدكان ذلك . قدكان بعض من بلغه أوعى له من بعض من سمعه[٥]، وتأتي هذه الخطبة بأطول عند ذكر خطبه ﷺ ونادى مناديه بمنى: إنها أيام أكل وشرب فلا يصوم من أحد .

---

(١) الطبقات الكبرى ٢: ١٨١ .

(٢) شرح الأخبار للقاضي نعمان المغربي ١: ٤٢٦ .

(٣) يأتي تفسيره عند نقل خطبه ﷺ . (المؤلف)

(٤) يأتي تفسيره هناك. (المؤلف).

(٥) مسند أحمد ٥: ٣٧ .

خبر غدير خم

ثم إن رسول الله ﷺ لما قضى مناسكه قفل راجعاً الى المدينة فوصل الى الموضع المعروف بغدير خم يوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة عشر من الهجرة وهو مكان قريب من الجحفة بناحية رابغ(١) .

قال المفيد في الإرشاد: وليس بموضع إذ ذاك يصلح للنزول لعدم الماء فيه والمرعى، فنزل به ونزل المسلمون معه .

قال: وكان سبب نزوله في هذا المكان نزول القرآن عليه بنصبه أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب خليفة في الأُمة من بعده، وقد كان تقدم الوحي إليه في ذلك من غير توقيت فأخرّه لحضور وقت يأمن فيه الاختلاف منهم عليه ، وعلم الله عزّ وجلّ أنه إن تجاوز غدير خم انفصل عنه كثير من الناس الى بلدانهم وبواديهم، فأراد الله أن يجمعهم لسماع النص عليه وتأكيد الحجة عليهم فيه، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ - يعني في استخلاف عليّ والنص بالإمامة عليه - وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ فأكّد الفرض عليه بذلك وخوّفه من تأخير الأمر فيه وضمن له العصمة ومنع الناس منه، فنزل بذلك المكان ونزل المسلمون حوله، وكان يوماً قائظاً شديد الحر، فأمر بدوحات هناك فقم ما تحتها، وأمر بجمع الرحال ووضع بعضها فوق بعض، ثم أمر مناديه فنادى في الناس الصلاة جامعة، فاجتمعوا من رحالهم إليه، وأن أكثرهم ليلفّ رداءه على قدميه من شدة الحر، فلمّا اجتمعوا صعد على تلك الرحال حتى صار في ذروتها،

(١) السيرة الحلبية ٣: ٢٧٤ .

ودعا أمير المؤمنين عليه السلام فرقى معه حتى قام عن يمينه ثم خطب الناس: فحمد الله وأثنى عليه ووعظ فأبلغ في الموعظة ونعى الى الأُمة نفسه، وقال: إني قد **دُعيت ويُوشك ان أُجيب، وقد حان مني خفوق من بين أظهركم وإني مخلّف فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلوا من بعدي: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض**، ثم نادى بأعلى صوته: «**ألست أولى بكم منكم بأنفسكم؟** قالوا: اللهم بلى، فقال لهم ـ على النسق وقد أخذ بضبعي أمير المؤمنين عليه السلام فرفعهما حتى بان بياض إبطيهما ـ **فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله**».

ثم نزل وكان وقت الظهيرة، فصلّى ركعتين ثم زالت الشمس فأذّن مؤذنه لصلاة الظهر، فصلّى بهم الظهر وجلس في خيمته وأمر علياً أن يجلس في خيمة له بإزائه، وأمر المسلمين أن يدخلوا عليه فوجاً فوجاً فيهنؤوه بالمقام ويُسلّموا عليه بإمرة المؤمنين، ففعل الناس ذلك كلهم، وأمر أزواجه وسائر نساء المؤمنين ممن معه أن يدخلن عليه ويُسلمن عليه بإمرة المؤمنين، ففعلن وكان فيمن أطنب في تهنئته بالمقام عمر بن الخطاب وأظهر له من المسرة به، وقال فيما قال: «بخ بخ لك يا عليّ أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة»، وجاء حسّان بن ثابت فقال: يا رسول الله، أتأذن لي أن أقول في هذا المقام ما يرضاه الله؟ فقال له: **قل يا حسّان على اسم الله**، فوقف على نشز من الأرض وتطاول المسلمون لسماع كلامه، فأنشأ يقول:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم ... بخم واسمع بالرسول مناديا
وقال فمن مولاكم ووليكم ... فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت ولينا ... ولن تجدن منا لك اليوم عاصيا
فقال له قم يا عليّ فإنني ... رضيتك من بعدي إماماً وهاديا

فـمن كـنت مـولاه فـهذا وليـه فكونوا له أنـصار صـدق مـواليـا
هـنـاك دعـا اللـهم وال وليــه وكن للـذي عـادى عـلياً مـعاديا

فقال له رسول الله ﷺ : **لا تزال يا حسّان مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك**. انتهى الإرشاد[١] .

وفي كتاب أسباب النزول للواحدي النيسابوري ما لفظه : أخبرنا أبوسعيد محمّد بن عليّ الصفار، أخبرنا الحسن بن أحمد المخلدي، أخبرنا محمّد بن حمدون بن خالد، حدّثنا محمّد بن إبراهيم الخلوتي، حدّثنا الحسن بن حماد سجادة، حدّثنا عليّ بن عابس عن الأعمش وأبي حجاب، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ يوم غدير خم في عليّ بن أبي طالب[٢]...الخ.

وفي مسند أحمد بن حنبل في الجزء الرابع من حديث البراء بن عازب ما لفظه : حدّثنا عبد الله، حدثني أبي، حدّثنا عفان، حدّثنا حماد بن سلمة، حدّثنا عليّ بن زيد عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فنزلنا بغدير خم، فنودي فينا الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله ﷺ تحت شجرة، فصلى الظهر وأخذ بيد عليّ فقال: **ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟** قالوا: بلى، قال: **ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟** قالوا: بلى، فأخذ بيد عليّ فقال: **«من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»** فلقيه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة. قال أبو عبدالرحمن، حدّثنا هدبة بن خالد،

---

(١) الإرشاد ١: ١٧٤ ـ ١٧٧.

(٢) أسباب النزول للواحدي: ١٣٥ .

حدّثنا حماد بن سلمة، عن عليّ بن زيد، عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب، عن النبيّ ﷺ نحوه[١]...الخ.

وروى الحاكم في المستدرك بعدة أسانيد، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم قال: لما رجع رسول الله ﷺ من حجّة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن، فقال: **كأني قد دُعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله تعالى وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض**، ثم قال: **إن الله عزّ وجلّ مولاي وأنا مولى كل مؤمن**، ثم أخذ بيد علي فقال: **من كنت مولاه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه**... وذكر الحديث بطوله. قال الحاكم: هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله[٢]...الخ.

وذكره الذهبي في تلخيص المستدرك ولم يتعقبه بشيء[٣].

قال الحاكم: شاهده حديث سلمة بن كهيل عن أبي الطفيل أيضاً صحيح على شرطهما، ثم ذكره بسنده عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، أنه سمع زيد بن أرقم يقول: نزل رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة عند شجرات خمس دوحات عظام فكنس الناس ما تحت الشجرات، ثم راح رسول الله ﷺ عشية فصلّى، ثم خطب: فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ، فقال ما شاء الله أن يقول، ثم قال: **أيّها الناس، إني تارك فيكم أمرين لن تضلّوا إن اتبعتموهما، وهما: كتاب الله وأهل بيتي عترتي**، ثم قال: **أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم** ـ ثلاث مرات ـ

---

(١) مسند أحمد ٤: ٢٨١ ـ ٢٨٢.

(٢) المستدرك للحاكم ٣: ١٠٩.

(٣) تلخيص المستدرك (بهامش المستدرك) للذهبي ٣: ١٠٩.

قالوا: نعم، فقال رسول الله ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه»[١].

وفي تاريخ ابن كثير: قال الحافظ أبويعلى الموصلي والحسن بن سفيان: حدّثنا هدبة، حدّثنا حماد بن سلمة، عن عليّ بن زيد وأبي هارون، عن عدي بن ثابت، عن البراء، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في حجّة الوداع، فلما أتينا على غدير خم كسح لرسول الله ﷺ تحت شجرتين ونودي في الناس الصلاة جامعة، ودعا رسول الله ﷺ علياً وأخذ بيده فأقامه عن يمينه، فقال: **ألست أولى بكل امرئٍ من نفسه؟ قالوا: بلى، قال: هذا مولى من أنا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه**، فلقيه عمر بن الخطاب فقال: هنيئاً لك أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة[٢].

وفي السيرة الحلبية: لما وصل ﷺ الى محل بين مكة والمدينة يقال له «غدير خم» بقرب رابغ جمع الصحابة فخطبهم (إلى أن قال) فقال: **يا أيّها الناس إنما أنا بشر يُوشك أن يأتيني رسول ربّي فأُجيب** (الى أن قال) ثم حضّ على التمسك بكتاب الله ووصّى بأهل بيته، فقال: «**إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض**» وقال في حقّ علي لما كرّر عليهم: ألستُ أولى بكم من أنفسكم ثلاثاً، وهم يجيبونه بالتصديق والاعتراف، ورفع يد عليّ وقال: «**من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبّه، وابغض من أبغضه، وانصر من نصره، وأعن من أعانه، واخذل من خذله، وأدر الحقّ معه حيث دار**».

ثم قال: وهذا حديث صحيح ورد بأسانيد صحاح وحِسان، قال: ولا

(١) المستدرك للحاكم ٣: ١٠٩ ـ ١١٠.

(٢) البداية والنهاية ٤: ١٦٩.

التفات لمن قدح في صحته كأبي داود وأبي حاتم الرازي، وقول بعضهم: إن زيادة «**اللهمّ وال من والاه... الخ**». موضوعة مردود، فقد ورد ذلك من طرق صحّح الذهبي كثيراً منها. وقد جاء أن علياً قام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**أنشد الله من شهد يوم غدير خم إلّا قام، ولا يقوم رجل يقول انبئت أوبلغني إلّا رجل سمعت أُذناه ووعى قلبه**» فقام سبعة عشر صحابياً، وفي رواية ثلاثون صحابياً، وفي المعجم الكبير ستة عشر، وفي رواية اثنا عشر، فقال هاتوا ما سمعتم، فذكروا الحديث(١).

وقال ابن كثير الشامي في تاريخه: اعتنى بأمر هذا الحديث ـ يعني حديث الغدير ـ أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ، فجمع فيه مجلدين أورد فيهما طرقه وألفاظه، وكذلك الحافظ الكبير أبوالقاسم بن عساكر أورد أحاديث كثيرة في هذه الخطبة يعني خطبة يوم الغدير (٢).

قال: وروى النسائي في سننه، عن محمّد بن المثنى، عن يحيى بن حماد، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم، قال : لما رجع رسول الله ﷺ من حجّة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن ثم قال: **كأني قد دُعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فانّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض**، ثم قال: **الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن**، ثم أخذ بيد عليّ فقال: **من كنت مولاه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه**. فقلت لزيد سمعته من رسول الله ﷺ ؟ فقال: ماكان في الدوحات أحد إلّا رآه بعينه وسمعه بأُذنه ، قال شيخنا

---

(١) السيرة الحلبية ٣: ٢٧٤ .

(٢) البداية والنهاية ٥: ٢٢٧ ، الغدير ٢: ١٥٧ .

أبو عبدالله الذهبي: وهذا حديث صحيح[١] .

وقال ابن ماجة : حدّثنا عليّ بن محمّد أنبأنا أبو الحسين، أنبأنا حماد بن سلمة، عن على بن زيد بن جدعان، عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع فنزل في الطريق فأمر بالصلاة جامعة، فأخذ بيد عليّ فقال: **ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم، قالوا: بلى، قال: ألست بأولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، قال: فهذا ولي من أنا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه**[٢] .

وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر، عن عليّ بن زيد بن جدعان، عن عدي، عن البراء .

وأورد عن عبد الله بن الإمام أحمد في مسند أبيه بعدة أسانيد ، عن سعيد بن وهب ، وعن يزيد بن يثيغ قال: نشد عليّ الناس في الرحبة: «من سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم ما قال إلّا قام» فقام من قبل سعيد ستة، ومن قبل زيد ستة فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول لعلي يوم غدير خم: **أليس رسول الله أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى قال: اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه** . وفي بعضها زيادة **وانصر من نصره واخذل من خذله**[٣] .

وأورد عنه فيه أيضاً بعدّة أسانيد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى نحوه، وفي بعضها: فقام اثنا عشر رجلاً فقالوا: قد رايناه وسمعناه حيث أخذ بيده يقول: **اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله.** إلّا ثلاثة لم

---

(١) البداية والنهاية ٥: ٢٢٨، أنساب الأشراف : ١١١ .

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٤: ٤١٧ .

(٣) خلاصة عبقات الأنوار ٧: ٥٧، البداية والنهاية ٥: ٢٢٩ .

يقوموا، فدعا عليهم فأصابتهم دعوته[١].

وأورد عنه أيضاً بعدة أسانيد عن جماعة، منهم أبو الطفيل قال: جمع عليٌّ الناس في الرحبة ـ يعنى رحبة مسجد الكوفة ـ فقال: «**أُنشد الله كل من سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم ما سمع لما قام**» فقام ناس كثير فشهدوا حين أخذ بيده، فقال للناس: **أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟** قالوا: نعم يا رسول الله، قال: **من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه**، قال: فخرجت كأنّ في نفسي شيئاً، فلقيت زيد بن أرقم فقلت له: إني سمعت علياً يقول كذا وكذا، قال: فما تنكر؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك له. هكذا ذكر الإمام أحمد في مسند زيد بن أرقم[٢].

وأورد عن الإمام أحمد بعدّة أسانيد عن زيد بن أرقم في بعضها : نزلنا مع رسول الله ﷺ منزلاً يقال له: «وادي خم» فأمر بالصلاة فصلّاها بهجير، فخطبنا وظلل رسول الله ﷺ بثوب على شجرة ستره من الشمس، قال: **ألستم تعلمون أوألستم تشهدون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟** قالوا: بلى، قال: **فمن كنت مولاه فإن علياً مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه**، قال ابن كثير : وهذا إسناد جيد رجاله ثقات على شرط السنن[٣] .

وأورد أيضاً روايات كثيرة بأسانيدها من كتاب غدير خم لابن جرير وفي بعضها أنه ﷺ قال: **أيها الناس، أني وليكم؟** قالوا: صدقت، فرفع يد عليّ فقال: **هذا وليي والمؤدي عني وإن الله موالي من والاه ومعادي من عداه**[٤]. انتهى ما

---

(١) مسند أحمد ١: ١١٩.

(٢) مسند أحمد ٤: ٢٧٠.

(٣) المصدر السابق ٤: ٢٧٢.

(٤) البداية والنهاية ٤: ١٦٧ ـ ١٧٣.

أردنا نقله من تاريخ ابن كثير، واستقصاء ما فيه يطول به الكلام.

وبالجملة، فحديث الغدير مستفيض أومتواتر وكفى أن يكتب فيه مثل ابن جرير مجلدين.

وفاة النبيّ ﷺ وجيش أُسامة

قال ابن إسحاق: ثم قفل رسول الله ﷺ فأقام بالمدينة بقية ذي الحجة والمحرم وصفراً، وضرب على الناس بعثاً الى الشام، وأمّر عليهم أُسامة بن زيد ابن حارثة مولاه وأمره ان يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين، فتجهّز الناس وأوعب مع أُسامة بن زيد المهاجرون الأوّلون، وهو آخر بعث بعثه[1] ﷺ. وفي رواية الطبري في تاريخه: أمره أن يطأ آبل الزيت من مشارف الشام لأرض بالأردن[2].

وقال ابن سعد في الطبقات: «سرية أُسامة بن زيد بن حارثة الى أهل أبنى» وهي أرض السراة ناحية البلقاء. قالوا: لما كان يوم الاثنين لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة من الهجرة أمر ﷺ الناس بالتهيؤ لغزوالروم، فلما كان من الغد دعا أُسامة بن زيد فقال: **سرّ الى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش، فاغر صباحاً على أهل أبنى وحرق عليهم وأسرع السير تسبق الأخبار، فإن ظفرك الله فأقلل اللبث فيهم وخذ معك الأدلاء، وقدم العيون والطلائع أمامك،** فلما كان يوم الأربعاء بدأ برسول الله ﷺ المرض فحمّ وصدع، فلما أصبح يوم الخميس عقد لأُسامة لواء بيده، ثم قال: **اغز بسم الله في سبيل الله، فقاتل من كفر**

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٦٠٦.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٢٢٤.

بالله، فخرج وعسكر بالجرف، فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأولين والأنصار إلّا انتدب في تلك الغزوة، فيهم: أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وغيرهم، فتكلم قوم وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأوّلين، فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً! فخرج وقد عصب على رأسه عصابة فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: **أما بعد أيّها الناس! فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أُسامة، ولئن طعنتم في إمارتي أُسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله، وأيم الله! إن كان للإمارة لخليقاً وأن ابنه من بعده لخليق للإمارة.** ثم نزل فدخل بيته، وذلك يوم السبت لعشر خلون من ربيع الأوّل، وثقل رسول الله ﷺ فجعل يقول: **انفذوا بعث أُسامة**[١] .

وروى ابن هشام في سيرته أن رسول الله ﷺ استبطأ الناس في بعث أُسامة وهو في وجعه، فخرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر وقال: **انفذوا بعث أُسامة.** ثم نزل وانكمش الناس في جهازهم...الخ[٢] .

ثم قال ابن سعد في روايته بسنده عن عروة بن الزبير: فجعل أُسامة وأصحابه يتجهّزون وقد عسكر بالجرف، فاشتكى رسول الله ﷺ وهو على ذلك ، ثم وجد من نفسه راحة فخرج عاصباً رأسه، فقال: **أيها الناس انفذوا بعث أُسامة. ثلاث مرات**...الخ[٣] .

وروى ابن سعد بسنده عن أبي سعيد الخدري، عن النبيّ ﷺ : **«إني أُوشك أن أُدعى فأُجيب، وإني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض وعترتي أهل بيتي، وأن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا**

---

(١) الطبقات الكبرى ٢: ١٨٩ ـ ١٩٠ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٦٥٠ .

(٣) الطبقات الكبرى ٢: ٢٤٩ .

عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[١].

وقال المفيد في الإرشاد: إنهﷺ تحقق من دنوّ أجله ما كان قدم الذكر به لأُمته، فجعل يقوم مقاماً بعد مقام في المسلمين يُحذّرهم الفتنة بعده والخلاف عليه، ويؤكد وصاتهم بالتمسّك بسنته والاجتماع عليها والوفاق، ويَحثّهم على الاقتداء بعترته والطاعة لهم والنصرة والحراسة والاعتصام بهم في الدين، ويزجرهم عن الاختلاف والارتداد وكان فيما ذكره من ذلك ما جاءت به الرواية على اتفاق واجتماع من قولهﷺ :

«يا أيها الناس، إني فرطكم وأنتم واردون عليَّ الحوض، ألا وإني سائلكم عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإن اللطيف الخبير نبّأني أنهما لن يفترقا حتى يلقياني، وسألت ربّي ذلك فأعطانيه، ألا وإني قد تركتهما فيكم: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ولا تسبقوهم فتفرّقوا، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم. أيها الناس، لا ألفينّكم بعدي ترجعون كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فتلقوني في كتيبة كمجر السيل الجرار، ألا وأن عليّ بن أبي طالب أخي ووصيّي، يقاتل بعدي على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله»[٢]. وكانﷺ يقوم مجلساً بعد مجلس بمثل هذا الكلام ونحوه.

ثم إنه عقد لأُسامة بن زيد بن حارثة الإمرة وأمره وندبه أن يخرج بجمهور الأُمّة الى حيث أُصيب أبوه من بلاد الروم، واجتمع رأيه على إخراج جماعة من مقدمي المهاجرين والأنصار في معسكره، حتى لا يبقى في المدينة عند وفاته من يختلف في أمر الرئاسة ويطمع في التقدم على الناس بالإمارة، ويستتب الأمر لمن استخلفه من بعده ولا ينازعه في حقه منازع،

(١) الطبقات الكبرى ٢: ١٩٤.

(٢) الإرشاد ١: ١٨٠.

فعقد له الإمرة وجدّ في إخراجهم، وأمر أُسامة بالبروز عن المدينة بمعسكره الى الجرف، وحثّ الناس على الخروج إليه والمسير معه وحذّرهم من التلوّم والابطاء عنه، فبينما هو في ذلك إذ عرضت له الشكاة التي توفي فيها[١]، انتهى.

وإذا أمعنا النظر في مجاري هذه الحوادث وتأملناها بانصاف مجرد عن شوائب العقائد أمكننا أن نقول: إن النبيّ صلى الله عليه وآله مع ما تحققه من دنوّ أجله بوحي أوغيره، وأومأ إليه بما أعلنه للملأ في خطبته المتقدمة التي خطبها في حجة الوداع بقوله: «فإني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا»[٢]، وقوله في بعض خطبه الآتية: **قد حان مني خفوق من بين أظهركم**. وتأكيده الوصاية بالثقلين[٣]. وقوله: **قدكان جبرئيل يعرض عليّ القرآن في كل سنة مرة، وقد عرضه عليّ العام مرتين، ولا أراه إلّا لحضور أجلي**. واعتكافه في ذلك العام عشرين يوماً وقدكان يعتكف عشرة[٤]، وغير ذلك من التصريح والتلويح بأنه عالم بدنوّ أجله، ومع عروض المرض له واشتداده عليه، وهو مع ذلك كلّه يجتهد في تجهيز جيش أُسامة ويحث عليه ويُكرّر الحث مراراً، ويُأمّر أُسامة وهو غلام على وجوه المهاجرين والأنصار، ولا يشغله ما هو فيه من شدة المرض وتحقق دنوّ الأجل عن الاشتداد في تجهيز جيش أُسامة.

وقدكان مقتضى ظاهر الحال وسداد الرأي أن لا يبعث جيشاً في أكابر الصحابة وجمهور المسلمين في مثل تلك الحال التي يَتخوّف على نفسه فيها

---

(١) الإرشاد ١: ١٧٩ ـ ١٨١.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٦٠٣.

(٣) المناقب لابن شهرآشوب ١: ٢٠١ ـ ٢٠٢.

(٤) الطبقات الكبرى ٢: ١٩٤ ـ ١٩٥.

الموت، لأن تدارك ما يخاف وقوعه عند وفاته، وإحكام أمر الخلافة في حياته أهم من تسيير جيش لغزو الروم، بل لا يجوز في مثل تلك الحال إرسال الجيوش من المدينة ويلزم تعزيز القوة فيها، استعداداً لما يطرأ من الفتن بوفاته، وقد صرّح بذلك في قوله: «**أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم**»(١)، لا سيما أنه قد بلغه ارتداد جماعة من العرب في عدة أماكن وادعاء بعضهم النبوّة لما بلغهم مرضه ،كما نص عليه الطبري(٢) في تاريخه مع تأييده بالوحي وامتيازه عن سائر الخلق بجودة الرأي. وعدم تمام ما حثّ عليه من تجهيز جيش أُسامة وبقاء أُسامة معسكراً بالجرف حتى تُوفي النبيّ ﷺ .

كل ذلك يدلنا على أن في الأمر شيئاً، وأن تجهيز هذا الجيش لم يكن أمراً عادياً لقصد الغزووالفتح، بل لو قطعنا النظر عن ذلك كله لوجدنا أن ظاهر الأمر يقتضي أن يشتغل في مثل تلك الحال بنفسه وبما عراه من المرض الشديد، لا بتسيير الجيوش لغزو ليس فيه ما يقتضي الفور والعجلة، مثل مهاجمة عدو أو طروء حادث لا يحسن التأخر عنه .

وروى ابن سعد في الطبقات بسنده عن أبي مويهبة مولى رسول الله ﷺ ، عنه ﷺ، أنّه قال من جوف الليل : **إني قد أُمرت أن استغفر لأهل البقيع فانطلق معي، فخرجت معه حتى جاء البقيع، فاستغفر لأهله طويلاً، ثم قال: ليهنئكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضاً، يتبع آخرها أوّلها الآخرة شرّ من الأُولى، ثم قال: إني قد أُعطيت خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة، فخُيّرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة، فقلت: بأبي أنت وأُمي فخذ خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة،**

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠: ١٨٣ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٢: ٢٢٥ ـ ٢٢٦ .

قال: قد اخترت لقاء ربي والجنة[١].

وقال المفيد : لما أحس بالمرض أخذ بيد عليّ؟ واتبعه جماعة وتوجّه الى البقيع، فقال: إني قد أُمرت بالاستغفار لأهل البقيع، فانطلقوا معه حتى وقف بين أظهرهم، وقال: السلام عليكم أهل القبور ليهنئكم ما أصبحتم فيه مما فيه الناس، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع أولها آخرها، ثم استغفر لأهل البقيع طويلاً، وأقبل على عليّ عليه السلام فقال له: إن جبرئيل كان يعرض عليّ القرآن في كل سنة مرة، وقد عرضه عليّ العام مرّتين ولا أراه إلّا لحضور أجلي، ثم قال: يا علي، إني خُيّرت بين خزائن الدنيا والخلود فيها أوالجنة، فاخترت لقاء ربي والجنة، وكان صلى الله عليه وآله يعتكف في رمضان العشر الأواخر، فلما كانت السنة التي قبض فيها اعتكف عشرين يوماً.

قال المفيد : ثم عاد الى منزله فمكث ثلاثة أيام موعوكاً، ثم خرج الى المسجد معصوب الرأس، معتمداً على أمير المؤمنين بيمنى يديه وعلى الفضل بن العباس باليد الأُخرى، حتى صعد المنبر فجلس عليه، ثم قال : معاشر الناس، قد حان مني خفوق من بين أظهركم، فمن كان له عندي عدة فليأتني أعطه إياها، ومن كان له عليّ دين فليخبرني به. معاشر الناس، ليس بين الله وبين أحد شيء يعطيه به خيراً أو يصرف عنه به شراً إلّا العمل. أيها الناس لا يدّع مدّع ولا يتمن متمنّ، والذي بعثني بالحق نبياً لا يُنجي إلّا عمل مع رحمة ولو عصيت لهويت، اللهم هل بلغت؟ ثم نزل فصلّى بالناس صلاة خفيفة ثم دخل بيته، وكان إذ ذاك بيت أُم سلمة، فأقام به يوماً أو يومين، فجاءت عائشة إليها تسألها أن تنقله الى بيتها لتتولى تعليله، وسألت أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله في ذلك، فأذن لها فانتقل الى البيت الذي أسكنه عائشة[٢].

(١) الطبقات الكبرى ٢: ٢٠٤ .

(٢) الإرشاد ١: ١٨١ ـ ١٨٢ .

وروى الطبري بسنده عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة أنها قالت: تتامّ برسول الله ﷺ وجعه وهو يدور على نسائه وهو في بيت ميمونة، فدعا نساءه فاستأذنهن أن يمرض في بيتي فأذن له، فخرج رسول الله ﷺ بين رجلين من أهله: أحدهما الفضل بن العباس، ورجل آخر تخط قدماه الأرض، عاصباً رأسه حتى دخل بيتي، قال عبيد الله : فحدثت بهذا الحديث عنها عبد الله بن عباس فقال : هل تدري من الرجل؟ قلت: لا، قال: عليّ بن أبي طالب، ولكنها لا تقدر على أن تذكره بخير وهي تستطيع... الخ[١] .

وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن جماعة، منهم عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ بدأه مرضه الذي مات به في بيت ميمونة، فخرج عاصباً رأسه فدخل عليّ بين رجلين تخط رجلاه الأرض، عن يمينه العباس وعن يساره رجل، قال عبيد الله: أخبرني ابن عباس أن الذي عن يساره عليّ[٢].

واستمر به المرض فيه أياماً وثقل، فجاء بلال عند صلاة الصبح ورسول الله ﷺ مغمور في المرض، فنادى: الصلاة رحمكم الله فأوذن رسول الله ﷺ بندائه[٣] .

أقول وهنا اختلفت الرواية هل أمر رسول الله ﷺ أحداً أن يصلي بالناس أو لا .

فروى ابن هشام في سيرته أنه حين دعاه بلال الى الصلاة قال: مروا من يصلي بالناس، فخرج عبد الله بن زمعة فإذا عمر فقال له: قم فصل بالناس وكان

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٢٢٦ .

(٢) المستدرك للحاكم ٣: ٥٦.

(٣) الإرشاد ١: ١٨٢ .

أبو بكر غائباً، فلما كبر سمع رسول الله ﷺ صوته، فأرسل الى أبي بكر فجاء بعد أن تم عمر الصلاة، فصلّى بالناس[١] .

وروى الطبري عن عائشة أنه قال: مروا أبا بكر أن يُصلّي بالناس، فقالت عائشة: أنه رجل رقيق، فأعاد فأعادت، فغضب وقال: انّكن صواحب يوسف، فخرج يهادي بين رجلين وقدماه تخطّان في الأرض، فلما دنا من أبي بكر تأخّر فأشار إليه أن قم في مقامك، فقعد الى جنب أبي بكر، قالت: فكان أبو بكر يُصلّي بصلاة النبيّ والناس يُصلّون بصلاة أبي بكر[٢].

وروى ابن سعد[٣] وغيره[٤] نحوه .

وقال المفيد: إنه قال: يُصلّي بالناس بعضهم، فإني مشغول بنفسي، فقالت عائشة: مروا أبا بكر، وقالت حفصة: مروا عمر، فقال رسول الله ﷺ : اكففن فإنكن صويحبات يوسف، وقام مبادراً وأنه لا يستقل على الأرض من الضعف، فأخذ بيد عليّ بن أبي طالب والفضل بن العباس، فاعتمد عليهما ورجلاه تخطّان الأرض من الضعف، فلمّا خرج الى المسجد وجد أبا بكر قد سبق إلى المحراب، فأومأ إليه بيده أن تأخّر عنه فتأخّر، وقام ﷺ مقامه فكبّر وابتدأ الصلاة التي كان قد ابتدأ بها أبو بكر ولم يبنِ على ما مضى من فعاله[٥]...الخ.

أقول: ما لنا ولما رواه هؤلاء المؤرّخون المختلفون في العقيدة المختلفون في النقل، فبعض يروي أنه لم يأمر أحداً بعينه أصلاً، وبعض أنه لم

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٦٥٢.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٢٣٠ ـ ٢٣١ .

(٣) الطبقات الكبرى ٢: ٢١٧ .

(٤) المعجم الأوسط ٥: ١٨٠ .

(٥) الإرشاد ١: ١٨٢ ـ ١٨٣ .

يأمر بذلك في أوّل الأمر ثم أمر أبا بكر بعد ما سمع عمر يكبر وأن الناس صلّوا الصبح مرّتين، وبعض يروي أنه أمر أبا بكر من أوّل الأمر ، ما لنا ولهذه الأخبار المتناقضة، لكننا نقول: إنهم اتفقوا جميعاً على أن رسول الله ﷺ خرج الى المسجد في حالة شديدة من المرض والضعف، حتى إنه لا يكاد يستقل ولا ينقل قدميه، بل اعتمد على رجلين ورجلاه تخطّان الأرض خطاً وصلّى جالساً، فإن كان يريد بذلك تأييد أبي بكر فقد عيّنه للصلاة وصلّى الناس خلفه، ولو لم يخرج لكان أشدّ تأييداً له لأنه بخروجه وقعت الشبهة في أنه لعله لم يرضِ بتقدمه . وائتمام الناس بأبي بكر وهو بالنبيﷺ يوجب أن يكون إماماً ومأموماً في وقت واحد، وهذا غير جائز في الشرع ولِم لم يتركه إماماً الى آخر الصلاة ؟ !

قال المفيد: فلمّا سلّم انصرف الى منزله واستدعى أبا بكر وعمر وجماعة من حضر بالمسجد من المسلمين، ثم قال: **ألم آمركم أن تنفذوا جيش أسامة؟!** فقالوا: بلى يا رسول الله، قال: **فلِمَ تأخرتم عن أمري؟** قال أبو بكر: إني خرجت ثم رجعت لأُجدد بك عهداً، وقال عمر: يا رسول الله، إني لم أُخرج لأني لم أُحبّ أن أسأل عنك الركب ،فقال النبيّﷺ : **انفذوا جيش أُسامة،** يُكرّرها ثلاث مرات. ثم أُغمي عليه من التعب الذي لحقه والأسف، فمكث هنيهة مغمى عليه، وبكى المسلمون وارتفع النحيب من أزواجه وولده ونساء المسلمين وجميع من حضر من المسلمين، فأفاق رسول الله ﷺ فنظر إليهم، ثم قال: «**إئتوني بدواة وكتف لأكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً**» ثم أُغمي عليه، فقام بعض من حضر يلتمس دواة وكتفاً، فقال له عمر: ارجع فإنه يهجر، فرجع وندم من حضر على ما كان منهم من التضييع في إحضار الدواة والكتف، وتلاوموا بينهم وقالوا: «إنا لله وإنا إليه راجعون» لقد أشفقنا من خلاف رسول الله ﷺ ، فلمّا أفاق قال

بعضهم: «ألا نأتيك بدواة وكتف يا رسول الله؟ فقال: **أبعد الذي قلتم لا ولكنّي أُوصيكم بأهل بيتي خيراً**، وأعرض بوجهه عن القوم فنهضوا [(١)].

وروى البخاري في الجزء الرابع من صحيحه في باب «قول المريض قوموا عنّي» من كتاب المريض والطب، بسنده عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس قال: لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال النبيّ ﷺ : **هلمّوا أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده**، فقال عمر: إنّ النبيّ قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف الحاضرون فاختصموا، منهم من يقول قرّبوا يكتب لكم النبيّ كتاباً لن تضلّوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما اكثروا اللغو والاختلاف عند النبيّ ﷺ، قال رسول الله ﷺ : قوموا، قال عبيد الله: وكان ابن عباس يقول: «إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم»[(٢)].

ورواه ابن سعد في الطبقات بسنده عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس مثله، إلّا أن في ألفاظه بعض الاختلاف. قال: لما حضرت رسول الله ﷺ الوفاة وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، فقال رسول الله ﷺ : «**هلمّوا أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده**، فقال عمر: إن رسول الله قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول قرّبوا يكتب لكم رسول الله ﷺ، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما كثر اللغط والاختلاف وغمّوا رسول الله ﷺ قال: **قوموا عنّي**، فقال

---

(١) الإرشاد: ١٨٣ ـ ١٨٤.

(٢) صحيح البخاري ٧: ٩.

عبيدالله ابن عبد الله: فكان ابن عباس يقول: «الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم»(١).

وروى البخاري في الجزء الثالث من صحيحه في باب مرض النبيّ ﷺ بسنده عن سعيد بن جبير قال، قال ابن عباس: يوم الخميس وما يوم الخميس! اشتد برسول الله ﷺ وجعه، فقال: **ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً**، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: ما شأنه أَهَجر؟ استفهموه، فذهبوا يردّون عليه، فقال: **دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه**، وأوصاهم بثلاث، قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد نحو ما كنت أجيزهم، وسكت عن الثالثة، أوقال فنسيتها(٢).

ورواه الطبري في تاريخه، بسنده عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مثله، إلّا أنّه قال: «**لا تضلّوا بعدي**» وقال : فذهبوا يعيدون عليه، وقال: وسكت عن الثالثة عمداً أوقال فنسيتها(٣).

ورواه ابن سعد في الطبقات بسنده عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مثله، إلّا أنه قال: «**ائتوني بدواة وصحيفة**» وقال: فذهبوا يعيدون عليه، وقال: فسكت عن الثالثة، فلا أدري قالها فنسيتها أوسكت عنها عمداً(٤)....الخ.

والمتأمّل لا يكاد يشك في أن الثالثة سكت عنها المحدّثون عمداً لا نسياناً، وأن السياسة اضطرتهم الى السكوت عنها عمداً وتناسيها، وأنها هي التي طلب الدواة والكتف ليكتبها لهم.

---

(١) الطبقات الكبرى ٢: ٢٤٤ .

(٢) صحيح البخاري ٥: ١٣٧ .

(٣) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٢٢٨ .

(٤) الطبقات الكبرى ٢: ٢٤٣ .

وروى البخاري في صحيحه في هذا الموضع بسنده عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة، عن ابن عباس قال: لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال، فقال النبيّ ﷺ: **هلمّوا أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، فقال بعضهم:** إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول قرّبوا يكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله ﷺ: **قوموا**، قال عبيد الله: فكان يقول ابن عباس: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب، لاختلافهم ولغطهم(١).

قال القسطلاني في إرشاد الساري بعد قوله بعضهم : هو عمر بن الخطاب(٢).

وروى ابن سعد في الطبقات بسنده عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: اشتكى النبيّ ﷺ يوم الخميس فجعل ـ يعني ابن عباس ـ يبكي ويقول: يوم الخميس وما يوم الخميس! اشتدّ بالنبي ﷺ وجعه، فقال: **ائتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً**، فقال بعض من كان عنده: إن نبي الله ليهجر، فقيل: ألا نأتيك بما طلبت؟ فقال: **أو بعد ماذا فلم يدع به**.

وبسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: لما كان في مرض رسول الله ﷺ الذي توفي فيه دعا بصحيفة ليكتب فيها لأُمّته كتاباً لا يضلّون ولا يضلّون، فكان في البيت لغط وكلام، وتكلّم عمر بن الخطاب، فرفضه النبيّ ﷺ .

---

(١) صحيح البخاري ٥: ١٣٧ .

(٢) صحيح البخاري ٥: ١٢٨ عنه إرشاد الساري ١٢: ٤٦٥ ح٥٦٦٩.

وروى فيه بسنده عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه كان يقول: يوم الخميس وما يوم الخميس! قال وكأني أنظر الى دموع ابن عباس على خده وكأنها نظام اللؤلؤ، قال: قال رسول الله ﷺ: **ائتوني بالكتف والدواة أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً، فقالوا: إنما يهجر رسول الله ﷺ**[١] .

ورواه الطبري في تاريخه بسنده عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس بتفاوت يسير، قال: يوم الخميس وما يوم الخميس! ثم نظرت الى دموعه تسيل على خديه كأنها نظام اللؤلؤ، قال: قال رسول الله ﷺ: **ائتوني باللوح والدواة ـ أوبالكتف والدواة ـ أكتب لكم كتاباً لا تضلّون بعده، فقالوا: إنّ رسول الله يهجر**[٢].

وروى ابن سعد في الطبقات بسنده عن عمر بن الخطاب قال: كنا عند النبيّ ﷺ وبيننا وبين النساء حجاب، فقال رسول الله ﷺ: **«اغسلوني بسبع قرب، وائتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً، فقال النسوة: ائتوا رسول الله بحاجته، قال عمر فقلت: اسكتن فإنكنّ صواحبه، إذا مرض عصرتن أعينكن، وإذا صَحّ أخذتن بعنقه، فقال رسول الله ﷺ: هن خير منكم.**

وبسنده عن جابر قال: دعا النبيّ ﷺ عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتاباً لأُمّته لا يَضلّوا ولا يُضلّوا[٣] فلغطوا عنده، حتى رفضها النبيّ ﷺ .

وبسنده عن عكرمة، عن ابن عباس أن النبيّ ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه: **ائتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً، فقال عمر بن**

---

(١) الطبقات الكبرى ٢: ٢٤٢ ـ ٢٤٣.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٢٢٩.

(٣) هكذا وجد يَضلّوا ويُضلّوا بحذف النون، ومرّ قريباً في رواية عن جابر بإثبات النون وهو ظاهر وحذفها لا يظهر له مسوغ إلّا بتأويل بعيد، بل هي مجزومة بجواب الطلب وعدم الجزم على الاستئناف. (المؤلّف)

الخطاب: من لفلانة وفلانة مدائن الروم، إن رسول الله ليس بميت حتى نفتحها ولو مات لانتظرناه كما انتظرت بنو إسرائيل موسى، فقالت زينب زوج النبيّ ﷺ ألا تسمعون النبيّ يعهد اليكم، فلغطوا، فقال: قوموا... الحديث[١] انتهت الطبقات .

قال الطبري من جملة حديث رواه عن ابن عباس : قال رسول الله ﷺ **ابعثوا الى عليّ فادعوه**، فقالت عائشة: لو بعثت الى أبي بكر، وقالت حفصة لو بعثت الى عمر، فاجتمعوا عنده جميعاً، فقال رسول الله ﷺ: **انصرفوا فإن تك لي حاجة أبعث إليكم**، فانصرفوا... الحديث[٢] . وفي آخره ما لا يتناسب مع أوّله.

وما يروى من أنه توفي ﷺ ورأسه في حجر عائشة لا يمكن أن يَصّحّ، فإن مثل ذلك لم تجرِ عادة أن تتولاه النساء مع ما فيهن من الضعف والجزع، ولا يمكن أن يغيب عنه عليّ في مثل تلك الحال ويوكله الى النساء، والباعث على ذكر مثل ذلك معروف .

وروى ابن سعد عدة روايات في أنه ﷺ تُوفي في حجر عليّ بن أبي طالب، وآخرها ما رواه بسنده عن أبي غطفان، عن ابن عباس قال: تُوفي رسول الله وهو مستند الى صدر عليّ، قلت: فإن عروة حدثني عن عائشة إنها قالت: تُوفي رسول الله بين سحري ونحري، فقال ابن عباس: أتعقل؟ والله لتُوفي رسول الله ﷺ وانه لمستند الى صدر عليّ وهو الذي غسّله وأخي الفضل وأبى أبي أن يحضر... الحديث[٣] .

---

(١) الطبقات الكبرى ٢: ٢٤٣ ـ ٢٤٥ .

(٢) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٢٣٠ .

(٣) الطبقات الكبرى ٢: ٢٦٣ .

وروى الحاكم في المستدرك وصححه بسنده عن أحمد بن حنبل، بسنده عن أُمّ سلمة قالت: والذي أحلف به إن كان عليّ لأقرب الناس عهداً برسول الله ﷺ عدنا رسول الله ﷺ غداة وهو يقول: جاء عليّ جاء عليّ مراراً، فقالت فاطمة: كأنك بعثته فى حاجة فجاء بعد، قالت أُمّ سلمة فظننت أن له إليه حاجة، فخرجنا من البيت فقعدنا عند الباب، وكنت من أدناهم الى الباب، فأكبّ عليه رسول الله ﷺ وجعل يساره ويناجيه، ثم قبض رسول الله ﷺ من يومه ذلك، فكان عليّ أقرب الناس عهداً به...الخ[١].

وكانت وفاته ﷺ يوم الاثنين على المشهور بين العلماء عند الزوال لليلتين بقيتا من صفر عند أكثر الإمامية ، وقال الكُليني منهم : لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة[٢] . وقال المفيد في الإرشاد[٣] والطبرسي في إعلام الورى سنة عشر من الهجرة[٤].

قال الطبري في تاريخه : لا خلاف بين أهل العلم بالأخبار أنه ﷺ قبض يوم الاثنين من شهر ربيع الأوّل، غير إنه أختلف فيه، فعن فقهاء أهل الحجاز أنه قبض نصف النهار يوم الاثنين لليلتين مضتا من شهر ربيع[٥] .

وقال الواقدي توفي يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول[٦].

---

(١) المستدرك للحاكم: ١٣٨ ـ ١٣٩ .

(٢) الكافي ١: ٤٣٩ ،الباب ١٦٩ .

(٣) المذكور في الإرشاد (١: ١٨٩) أنه ﷺ قبض سنة إحدى عشرة من هجرته، وقول العشر سنة ذكره المفيد في المقنعة: ٤٥٦ .

(٤) إعلام الورى بأعلام الهُدى ١: ٢٦٩ .

(٥) تاريخ الأُمم والملوك للطبري٢: ٢٣٢ .

(٦) المغازي للواقدي ٢: ١١٢٠ .

وروى ابن سعد في الطبقات أنه ﷺ اشتكى يوم الأربعاء لأحدى عشرة ليلة بقيت من صفر سنة إحدى عشرة، فاشتكى ثلاث عشرة ليلة، وتوفي يوم الاثنين لليلتين مضتا من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة، ثم روى أنه اشتكى يوم الأربعاء لليلة بقيت من صفر سنة إحدى عشرة وتوفي يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول...الخ[١]. وعمره ثلاث وستون سنة .

بعث وعمره أربعون، وأقام بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة بعد الهجرة عشر سنين .

ولما تُوفي رسول الله ﷺ كان أبو بكر بمنزله بالسُّنح خارج المدينة. قال الطبري[٢] وابن سعد وغيرهما، فقال عمر : إن رسول الله ما مات ولكنّه ذهب الى ربّه كما ذهب موسى بن عمران، فغاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع ـ بعد أن قيل قد مات ـ والله ليرجعن رسول الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه قد مات. وفي رواية ابن سعد: إن عمر دخل عليه هو والمغيرة بن شعبة فكشفا الثوب عن وجهه، فقال عمر : ما أشدّ غشي رسول الله! فقال المغيرة: مات والله رسول الله ﷺ، فقال عمر:كذبت ما مات... الحديث[٣] .

وأقبل أبو بكر حين بلغه الخبر فدخل فرآه، ثم خرج فقال: أيها الناس، من كان يعبد محمّداً فإن محمّداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، ثم تلا هذه الآية: ﴿وما محمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل...

---

(١) الطبقات الكبرى ٢: ٢٧٢ .

(٢) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٢٣٢ .

(٣) الطبقات الكبرى ٢: ٢٦٦ ـ ٢٦٧ .

الآية﴾[١] قال عمر: فلمّا تلاها وقعت الى الأرض وعرفت أن رسول الله ﷺ قد مات[٢]. وقد سبق لعمر أن قال نظير ذلك في مرض رسول الله ﷺ حين طلب ﷺ الدواة والصحيفة في حديث ابن سعد السابق[٣].

والمظنون أنه لم يكن ليخفى عليه موت النبيّ ﷺ، وأن الذي دعاه الى ذلك أمر سياسي في المقامين، فأراد في المقام الأوّل صرف الناس عن أمر الصحيفة، وفي المقام الثاني صرفهم عن التكلم في أمر الخلافة وإشغالهم بشيء حتى يحضر أبو بكر والله أعلم.

وروى ابن سعد في الطبقات: أنه غسّل رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب والفضل بن العباس وأُسامة بن زيد[٤] وفي رواية: كان عليّ يُغسّله والفضل وأُسامة يحجبانه[٥]. وفي رواية: عليّ يُغسّله والفضل محتضنه وأُسامة يختلف[٦]. وفي رواية: قال عليّ: أوصى النبيّ ﷺ أن لا يُغسّله أحد غيري، فكان الفضل وأُسامة يناولانني الماء من وراء الستر وهما معصوبا العين[٧]. وفي رواية: غسّله عليّ عليه السلام يدخل يده تحت القميص والفضل يمسك الثوب عليه، وعلى يد عليّ خرقة... الى غير ذلك من الروايات التي أوردها ابن سعد[٨].

قال المفيد: فلما أراد أمير المؤمنين غَسْلَ النبيّ ﷺ استدعى الفضل بن العباس، فأمره أن يناوله الماء لغسله بعد أن عصب عينيه، فشق قميصه من

---

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) تاريخ ابن خلدون ٢: ٦٣ القسم الثاني.

(٣) الطبقات الكبرى ٢: ٢٤٤.

(٤ - ٤) الطبقات الكبرى ٢: ٢٧٧ - ٢٨٠.

(٨) المصدر السابق ٢: ٢٨٠.

قبل جيبه حتى بلغ به الى سرته، وتولى غسله وتحنيطه وتكفينه والفضل يعطيه الماء ويعينه عليه، فلما فرغ من غسله وتجهيزه تقدم فصلّى عليه وحده لم يشركه معه أحد في الصلاة عليه، وكان المسلمون في المسجد يخوضون فيمن يؤمّهم في الصلاة عليه وأين يُدفن، فخرج إليهم أمير المؤمنين عليه السلام وقال لهم: **إن رسول الله إمامنا حياً وميتاً، فيدخل عليه فوج بعد فوج منكم فيُصلّون عليه بغير إمام وينصرفون وأن الله لم يقبض نبياً في مكان إلّا وقد ارتضاه لرمسه فيه، وإني لدافنه في حجرته التي قبض فيها** فسلّم القوم لذلك ورضوا به[١].

قال ابن هشام: فصلّى عليه الرجال ثم النساء ثم الصبيان[٢].

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: صلّى عليه عليّ والعباس وبنو هاشم ثم خرجوا، ثم دخل المهاجرون ثم الأنصار، ثم الناس يُصلّون عليه أفذاذاً لا يؤمّهم أحد، ثم النساء والغلمان[٣].

ولما صلّى المسلمون عليه أنفذ العباس بن عبد المطلب برجل الى أبي عبيدة بن الجراح وكان يحفر لأهل مكة ويضرح[٤]، وكان ذلك عادة أهل مكة، وأنفذ الى زيد بن سهيل وكان يحفر لأهل المدينة ويلحد[٥]، فاستدعاهما وقال: اللهم خر لنبيك، فوجد أبو طلحة زيد بن سهل فقيل له احفر لرسول الله، فحفر له لحداً، ودخل أمير المؤمنين والعباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس وأُسامة بن زيد ليتولّوا دفن رسول الله ﷺ،

---

(١) الإرشاد ١: ١٨٧ ـ ١٨٨.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٦٦٣.

(٣) الإستيعاب ١: ١٤٨.

(٤) الضريح: ما يشق في الأرض ويدفن الميت في وسطه. (المؤلّف)

(٥) اللحد: أن يحفر في الأرض الى حيث ينتهي ثم يحفر الى جهة القبلة بقدر ما يسع الميت فيوضع فيه، ثم يسد بلبن أو غيره، ويهال بعد ذلك التراب، واللحد أفضل من الشق. (المؤلّف)

فنادت الأنصار من وراء البيت: يا عليّ، إنّا نذكرك الله وحقنا اليوم من رسول الله ﷺ أن يذهب، أدخل منا رجلاً يكون لنا به حظ من مواراة رسول الله ﷺ، فقال: «ليدخل أوس بن خولي» وكان بدرياً فاضلاً من بني عوف من الخزرج، فلما دخل قال له عليّ عليه السلام: انزل القبر، فنزل ووضع أمير المؤمنين رسول الله ﷺ على يديه ودلاه في حفرته، فلما حصل في الأرض قال له: اخرج، فخرج ونزل عليّ عليه السلام القبر فكشف عن وجه رسول الله ﷺ ووضع خده على الأرض موجهاً الى القبلة على يمينه، ثم وضع عليه اللبن وأهال عليه التراب وربع قبره وجعل عليه لبناً ورفعه من الأرض قدر شبر...الخ[١].

وروي قدر شبر وأربع أصابع[٢]، وظاهر المفيد أن دفنَهُ ﷺ كان في اليوم الذي تُوفي فيه[٣].

وروى ابن هشام، أنه ﷺ توفي يوم الاثنين وغُسّل يوم الثلاثاء ودُفن ليلة الأربعاء ليلاً[٤]. وروى ابن سعد مثله إلّا في الغسل يوم الثلاثاء[٥].

وروى أيضاً أنه تُوفي يوم الاثنين حين زاغت الشمس فلم يُدفن حتى كانت العتمة ولم يله إلّا أقاربه[٦]. وفي رواية أنه دفن ليلة الأربعاء في السحر[٧]. وفي رواية توفي يوم الاثنين حين زاغت الشمس ودفن يوم

---

(١) إعلام الورى بأعلام الهُدى ١: ٢٧٠.

(٢) بحار الأنوار ٧٩: ٣٧.

(٣) الإرشاد ١: ١٨٩.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٦٥٣، ٦٦٢، ٦٦٤.

(٥) الطبقات الكبرى ٢: ٢٧٣.

(٦) المصدر السابق ٢: ٢٧٢ ـ ٢٧٤، ٣٠٥.

(٧) المصدر السابق: ٣٠٥.

الثلاثاء حين زاغت الشمس[١] ، ولعلّه موافق لما رواه أيضاً أنه ترك بعد وفاته يوماً وليلة، ويحمل عليه ما رواه ابن هشام أنه ﷺ توفي يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء وروى أيضاً أنه تُوفي يوم الاثنين حين زاغت الشمس ودفن يوم الأربعاء[٢]، وهذا لا ينافي دفنه ليلة الأربعاء لأنّ اليوم يطلق على الليلة وبالعكس.

قال المفيد : ولم يحضر دفنه ﷺ أكثر الناس، لما جرى بين المهاجرين والأنصار من التشاجر في أمر الخلافة، وفات أكثرهم الصلاة عليه لذلك...الخ[٣] .

وروى ابن سعد في الطبقات أنه رُشّ على قبره ﷺ الماء[٤] . وقال ابن عبدالبر في الاستيعاب: جعل قبره مسطوحاً ورُشّ الماء عليه رشاً[٥].

وروى غير واحد، أنه لما دُفن رسول الله ﷺ قالت فاطمة : أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله التراب[٦]، وأخذت من تراب القبر الشريف ووضعته على عينيها وأنشات تقول:

ما ذا على من شم تربة أحمد أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت عليَّ مصائب لو أنها صبت على الأيام عدن لياليا[٧]

قال ابن سعد: وقالت هند بنت أُثاثة بن عباد بن عبد المطلب بن

(١) الطبقات الكبرى ٢: ٣٠٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الإرشاد ١: ١٨٩ .

(٤) الطبقات الكبرى ٢: ٣٠٦ .

(٥) الإستيعاب ١: ١٤٨ .

(٦) تاريخ بغداد ٦: ٢٥٩ .

(٧) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٢٤٢، عيون الأثر ٢: ٤٣٤ .

عبدمناف، أُخت مسطح بن أُثاثة ترثي النبيّ ﷺ.

أشـاب ذؤابـتي وأذل ركـني ... بكـاؤكِ فـاطم المـيت الفـقيدا
فـأعطيت العـطاء فـلم تكـدر ... وأخـدمت الولائـد والعـبيدا
وكـنت مـلاذنا فـي كـل لزب ... إذا هـبت شـامية بـرودا
وإنك خـير مـن ركب المطايا ... وأكـرمهم إذا نسـبوا جـدودا
أفـاطم فـاصبري فـلقد أصابت ... رزيـتك التـهائم والنـجودا
وكـان الخـير يـصبح فـي ذراه ... سـعيد الجد قـد ولد السعودا[١]

وقالت هند بنت أُثاثة أيضاً:

قـد كـان بـعدك أنـباء وهـنبثة ... لو كـنت شـاهدها لم تكـثر الخـطب
إنّـا فـقدناك فـقد الأرض وابـلها ... فـاحتل لقومك واشـهدهم ولا تـغب
قـد كـنت بـدراً ونـوراً يستضاء بـه ... عـليك تـنزل مـن ذي العـزة الكـتب
وكـان جـبريل بـالآيات يـحضرنا ... فـغاب عـنا وكـل الغـيب مـحتجب
فـقد رزئـت أبـا سـهلاً خـليقته ... محض الضريبة والأعراق والنسب[٢]

وقالت صفية بنت عبد المطلب ترثي رسول الله ﷺ:

ألا يـا رسـول الله كـنت رجـاءنا ... وكـنت بـنا بـرّاً ولم تك جـافياً
وكـنت رحـيماً هـادياً ومـعلما ... لـيبك عـليك اليـوم مـن كـان بـاكـيا
كـأن عـلى قـلبي لذكـر مـحمّد ... وما خـفت مـن بـعد النـبيّ المكـاويا
أفـاطم صـلّى الله ربّ مـحمّد ... عـلى جـدث أمسـى بـيثرب ثـاويا
فـدى لرسـول الله أُمّـي وخـالتي ... وعـمّي وآبـائي ونـفسي ومـاليا

(١) الطبقات الكبرى ٢: ٣٣١، سبل الهدى والرشاد ١٢: ٢٨٦.

(٢) الطبقات الكُبرى: ٣٣٢.

صـدقت وبـلغت الرسـالة صـادقا ومت صـليب العـود أبـلج صـافيا
عـليك مـن الله السـلام تـحية وأدخلت جنات من العدن راضيا[١]

وقال حسّان بن ثابت يرثي النبيّ ﷺ فيما حكاه ابن هشام عن أبي زيد الأنصاري:

بـطيبة رسـم للـرسول ومـعهد منير وقـد تـعفو الرسـوم وتـهمد
وواضـح آثـارٍ وبـاقي مـعالمٍ ورَبـعٌ له فـيه مـصلّى ومسـجدُ
عرفت بـها رسـم الرسـول وعـهده وقـبراً بـها واراه فـي التـرب مـلحدُ
أطالت وقوفاً تذرف العين جـهدها عـلى طـلل القـبر الذي فـيه أحـمدُ
فبوركت يا قبر الرسـول وبـوركت بـلاد ثـوى فـيها الرشـيد المسـددُ
وبـورك لحـد مـنك ضـمن طـيّباً عـليه بـناء مـن صـفيح مـنضدُ
لقـد غـيبوا حـلماً وعـلماً ورحـمة عشـية عـلوه الثـرى لا يـوسّد
وهـل عـدلت يـوماً رزيـة هـالك رزيـة يـوم مـات فـيه مـحمدُ
تـقطّع فـيه مـنزل الوحـي عـنهم وقـد كـان ذا نـور يغور ويـنجد
إمـام لهـم يـهديهم الحق جـاهداً مـعلم صـدق أن يـطيعوه يسـعدوا
عـفو عـن الزلات يـقبل عـذرهم وإن يـحسنوا فـالله بـالخير أجـود
وإن نـاب أمـرٌ لم يـقوموا بـحمله فـمن عـنده تـيسير مـا يـتشدد
عزيز عليه أن يجوروا عـن الهـدى حريص على أن يستقيموا ويهتدوا
فـبينا هـم فـي ذلك النـور إذ غـدا الى نورهم سهم من الموت مـقصد
فـبكى رسـول الله يـا عـين عـبرة ولا أعـرفنك الدهـر دمـعك يـجمد
ومـا لك لا تـبكين ذا النـعمة التـي عـلى النـاس مـنها سابغ يـتغمد

---

(١) الطبقات الكبرى ٢: ٣٣١، ٣٢٥.

فجودي عليه بالدموع واعولي ... لفقد الذي لا مثله الدهر يوجد
وما فقد الماضون مثل محمّد ... ولا مثله حتى القيامة يفقد
أعفّ وأوفى ذمة بعد ذمة ... وأقرب منه نائلاً لا ينكد
وامنَع ذروات وأثبت في العلا ... دعائم عزٍّ شاهقات تشيد
وأثبت فرعاً في العروق ومنبتاً ... وعوداً غذاه المزن فالعود أغيد
رباه وليداً فاستتم تمامه ... على أكرم الخيرات رب ممجّد
تناهت وصاة المسلمين بكفه ... فلا العلم محبوس ولا الرأي يفند
أقول ولا يلفى لقولي عائب ... من الناس إلّا عازب العقل مبعد
وليس هوائي نازعاً عن ثنائه ... لَعلّي به في جنة الخلد أُخلد[١]

وقال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يرثي النبيّ ﷺ:

أرقت فبات ليلي لا يزول ... وليل أخي المصيبة فيه طول
وأسعدني البكاء وذاك فيما ... أُصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت رزيتنا وجلت ... عشية قيل قد قبض الرسول
وأضحت أرضنا مما عراها ... تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا ... يروح به ويغدو جبرائيل
وذاك أحقّ ما سألت عليه ... نفوس الناس أو كادت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا ... بما يُوحى إليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالاً ... علينا والرسول لنا دليل[٢]

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٦٦٦ ـ ٦٦٩.

(٢) أُسد الغابة ٥: ٢١٤ ـ ٢١٥.

ملاحظة في كتاب الدكتور هيكل

يقول في ص (٦٠،٦١،٦٢) من الطبعة الثالثة ما حاصله:

أن يلقى على عاتق علماء الإسلام القيام بالمباحث الإسلامية لاقناع المستشرقين بدقة ونزاهة .

ثم قال : وعندي أن القيام به على وجه صالح يقتضي التفريق بين فترتين مختلفتين من تاريخ الإسلام، أوّلهما: من بدء الإسلام الى مقتل عثمان، الثانية: من مقتل عثمان الى أن أقفل باب الاجتهاد، ففي الفترة الأُولى بقي اتفاق المسلمين تاماً لم تُغيّر منه روايات الاختلاف على الخلافة ولا حرب الردّة ولا الفتوحات، أما بعد مقتل عثمان فقد دب الخلاف بين المسلمين وقامت الحروب الأهلية بين عليّ ومعاوية، واستمرت الثورات ظاهرة وخفية ولعبت الأهواء السياسية دوراً خطيراً في الحياة السياسية نفسها .

ثم وازن بين خطبة لأبي بكر وخطبة للمنصور، وقال: إن الموازن بينهما يرى مدى التغيّر العظيم في القواعد الأساسية للحياة الإسلامية في أقل من قرنين تغيّراً نقلها من الشورى بين المسلمين الى الحكم المطلق .

ثم قال: إن الفترة الأُولى هي التي تقررت فيها القواعد الصحيحة للحياة الإسلامية، وهي وحدها التي يمكن الاعتماد على ما وقع فيها لمعرفة هذه القواعد الصحيحة، أما بعد الفترة فعلى الرغم من ازدهار العلم أيام الأُمويين، وخاصة أيام العباسيين قد اندست يد العبث بهذه القواعد الأساسية الصحيحة لتقيم مقامها قواعد كثيراً ما تتنافي مع روح الإسلام، تحقيقاً لأغراض سياسية شعوبية، وكان الأعاجم والذين تظاهروا بالاسلام من اليهود والنصارى هم الذين روّجوا لهذه القواعد الجديدة، غير متورّعين عن اختراع الأحاديث عن

النبيّ ﷺ ولا عن ادعاء أشياء على الخلفاء الأوّلين لا تتفق مع سيرتهم . هذه الفترة الأخيرة لا يمكن الاعتماد على ما دُوّن فيها دون تمحيصه بغير تأثر بالأهواء، ويجب أن نرد مما وقع الخلاف عليه كل ما لا يتفق مع القرآن، أما صدر الإسلام الى مقتل عثمان فيمكن الاعتماد على ما يروى مباشرة عنه انتهى ملخصاً.

ونقول : تفريقه بين الفترة الأُولى والفترة الثانية بأن الأولى بقي اتفاق المسلمين فيها تاماً لم تغيّره روايات الاختلاف على الخلافة... الخ. والثانية وقع الاختلاف فيها بين المسلمين وقامت الحروب ودخلتها الأهواء السياسية غير صحيح، لأُمور :

الأوّل : إن الفترة الأُولى كان الاختلاف فيها على الخلافة موجوداً من أوّلها، فعليٌّ كان يرى نفسه أحق بها وما زال يتظلم طوال حياته، وبنو هاشم جميعاً كانوا معه وكثير من غيرهم، وسعد طلبها لنفسه ولم يبايع وسكن حوران وقتلته الجن بسهم المغيرة بن شعبة[١] .

وروى الطبري، قال : أتى عمر منزل عليّ وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين، فقال: والله لاحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ الى البيعة، فخرج عليه الزبير مصلتاً بالسيف... الحديث[٢] . ويرحم الله مهياراً حيث يقول :

وكيف صيّرتم الإجماع حجتكم	والناس ما اتفقوا طوعاً ولا اجتمعوا
أمر (عليّ) بعيد عن مشورته	مستكره فيه والعباس يمتنع
وتدّعيه قريش بالقرابة	والأنصار لا خفض فيه ولا رفع

(١) فِرق الشيعة للنوبختي: ٣ ـ ٤، المناقب لابن شهرآشوب ١: ٢٣٢ .

(٢) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٢٣٣ .

فـأي خـلف كخلف كـان بـينكم   لو لا تـلفق أخـبار وتـصطنع[1]

ووقع الخلاف فيها بين الزهراء والخليفة الأوّل على فدك وعلى الميراث، وماتت فاطمة وهي واجدة عليه كما رواه البخاري[2] وانفرد بـروايـة «**نحن معاشر الأنبياء لا نورّث**» ولم توافقه على ذلك الزهراء ولا بعلها ولا أولياؤه.

الثاني: إن الأهواء السياسية مخلوقة من يوم خلق ابن آدم لم يختص بـها زمان دون زمان فحصرها فيما بعد قتل عثمان ليس بصواب.

الثالث: إن الخلاف وقع بين الخليفة الأوّل في أمر خالد بن الوليد لما قتل مالك بن نويرة وتزوّج امرأته، وكان الثاني لا يميل إليه، وفور تولية الخلافة عزله عن قيادة الجيش[3]. فهل يا ترى كان هذا من الاتفاق التام المدعى؟!

الرابع: إن الموازنة بين الخطب لا يمكن ان يستفاد منها الموازنة بين الأشخاص وسيرتهم وهذا واضح.

الخامس: دعواه انتقال الحياة الإسلامية من الشورى الى الحكم المطلق بين المسلمين أقل من قرنين غير صواب، فتولّي عمر الخلافة لم يكن بالشورى، بل بنص أبي بكر عليه[4].

السادس: قوله إن الفترة الأولى هي التي يمكن الاعتماد على ما وقع فيها لمعرفة القواعد الصحيحة للحياة الإسلامية لا يكاد يتم، فأيام الخليفة الثالث من أوّلها الى مقتله كانت تلعب فيها يد مروان حتى أدت الى قتله، فأي قواعد صحيحة للحياة الإسلامية كانت فيها؟ وكانت أبرز أُمّهات المؤمنين شخصية

---

(١) الطرائف للسيد ابن طاووس: ٤٥١.

(٢) صحيح البخاري ٥: ٢٥، ٨: ٣.

(٣) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٣٥٦ ـ ٣٥٧.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٤٦.

لا تزال تميل من قناته وتلقبه بما تلقبه، وتخرج قميص الرسولﷺ وتقول ما تقول طمعاً في نقل الخلافة الى قريبها التيمي، كما دلّ عليه قولها لما قُتل: إيهاً ذا الأُصبع...[١] الى غيره من كلامها. وقد تركته هي وقريبها والزبير محصوراً وذهبوا الى مكة ولم ينصروه، بل حرّضوا عليه، فلما قُتل خرجوا الى البصرة يطلبون بدمه. فهل هذه هي القواعد للحياة الصحيحة الإسلامية؟!

السابع: إن الثورات لم تختص بالفترة الثانية، فالفترة الأُولى كانت مملوءة بالثورات الفكرية ظاهرة وخفية، وهي أهم من ثورات الحرب، وهي التي سببت الحروب الأهلية والثورات في الفترة الثانية ، فالمتأمّل المنصف يعلم أن الحياة الإسلامية في الفترة الأُولى لم تكن دائماً مبنية على قواعد صحيحة، وتلك القواعد هي التي زعزعت الحياة الإسلامية في خلافة الخليفة الثالث وفي باقي أدوار الفترة الثانية، حتى طمع في الملك المغول والسلاجقة وغيرهم، كما قال الأمير أبو فراس الحمداني:

حتى إذا أصبحت في غير صاحبها   باتت تنازعها الذؤبان والرخم[٢]

الثامن: دعواه أنه في الفترة الثانية قد اندست يد العبث بقواعد الإسلام الصحيحة تحقيقاً لأغراض سياسية هي دعوى صحيحة، فقد اجتهد الأُمويون والعباسيون في اختلاق الأحاديث عن النبيّﷺ في ذمّ عليّ وأتباعه، وبذلوا على ذلك الأموال الطائلة، وولوا الولايات الجليلة لمن يُسمّونهم صحابة ولغيرهم، حتى رووا لهم أن آية: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾ نزلت في حق عليّ بن أبي طالب[٣]. وأن حديث: «فاطمة

---

(١) شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي ١: ٣٤٣ ـ ٣٤٤.

(٢) الغدير للأميني ٣: ٤٠٠.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ٧٣.

بضعة مني من أغضبها فقد أغضبني» ورد في عليّ لما أراد ان يتزوّج بنت أبي جهل[١]... الى غير ذلك. وحتى منعوا أن يُسمّي أحد باسمه أو يُكنى بكنيته أو يروي عنه شيئاً ونصبوا للفتوى أُناساً عملوا بآرائهم وبالمقاييس، وأعرضوا عن مذهب أهل البيت ورواياتهم وما هو إلّا مذهب الرسول ﷺ، فوقع الخلل في قواعد الإسلام الصحيحة .

أما دعواه أن ذلك كان لأغراض شعوبية فهي دعوى غير صحيح، فالذين أفسدوا قواعد الإسلام الصحيحة ليقيموا مقامها قواعد تتنافى مع روح الإسلام تحقيقاً لأغراض سياسية هم بنو أُمية العرب الصميمون وتابعهم بنو العباس، ولم يكن للشعوبية في ذلك أدنى أثر. على أن من يريدون الإشادة بذكر بني أُمية من بعض أهل زماننا، وهيهات يقولون ويفتخرون بأن دولة بني أُمية دولة عربية صرفة، فهي أفضل عندهم من دولة بني العباس التي دخلت فيها الفرس والأتراك .

التاسع: كون الفرس روّجوا لهذه القواعد... الخ. فهذه نغمة لا يزال قوم يتغنون بها، وهي نغمة شعرية مزوقة مزيفة قالها شخص وتبعه غيره وساعدت على رواجها العصبية المذهبية والعداوة الدينية وأتباع الأهواء، ولا حظّ لها من الحقيقة .

قال مروّجو هذه النغمة ومزوقوها : إن الفرس لما فتحت بلادهم في عهد الخليفة الثاني دخلوا في الإسلام وتظاهروا بحب أهل البيت ليفسدوا في الإسلام وينتقموا من أهله، وهذه دعوى غاية في السخافة! فالذين دخلوا في الإسلام من الفرس في عهد الفتح الإسلامي كانوا أهل مذهب واحد، بل لم

---

(١) المصنّف للصنعاني ٧: ٣٠١، خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ١٢١ .

يكن في جميع بلاد الإسلام عربهم وفرسهم إلّا مذهب واحد من حيث الأُصول والفروع ، وإنما حدث في الدولة الأُموية والعلوية والعثمانية ، وفي الدولة العباسية اسم السنية والشيعة والمذاهب الأربعة، وهذا متأخر عن الفتح الإسلامي بكثير ولا أثر للفرس فيه، وإن كان دخل في بلاد الفرس شيء منه فبعد ما دخل في بلاد العرب ، فبلاد الفرس في أوّل الفتح الإسلامي لم يكن فيها مذاهب متعددة ، وبعد حدوث المذاهب كان الغالب على أهلها خلاف مذهب أهل البيت، إنّما انتشر مذهب أهل البيت فيها في عهد الصفويين من المائة التاسعة فما فوق، ومع ذلك كانت لا تزال بخارى والأفغان وغيرها على خلاف ذلك. فمتى كان هذا الزمان الموهوم الذي اندست يد العبث بقواعد الإسلام الصحيحة لتقيم مقامها قواعد تتنافى مع روح الإسلام لأغراض سياسية شعوبية؟! وأحرى أن يكون العابثون بقواعد الإسلام الصحيحة هم الذين قُتل آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم وعشائرهم في بدر وغيرها على الإسلام ، فأرادوا الانتقام من الإسلام بسيف الإسلام وتحت لواء الإسلام، تحقيقاً لأغراض سياسية انتقامية لا شعوبية .

العاشر: كون الذين تظاهروا بالإسلام من اليهود والنصارى ممن روّجوا لهذه القواعد الجديدة، فهذه أيضاً نغمة من فروع النغمة السابقة .

أما في حق اليهود فنسبها ناسب الى عبد الله بن سبأ الذي كان يهودياً وأسلم، ثم ادّعى في عليّ الأُلوهية وأتباعه يعرفون بالسبائية[1]، فزعموا أنه هو الذي أثار فتنة عثمان وفعل وفعل ، وقد علم فساد ذلك مما مرّ في الأمر السادس وعُلِمَ مَن هو الذي أثار فتنة عثمان، وأن ابن سبأ أقل وأذل من ذلك. وأما في حق النصارى فلم يُبيّنهم ولسنا نعلمهم لنبدي رأينا فيهم .

---

(١) فِرق الشيعة للنوبختي: ٢٢ ـ ٢٣، أنساب الأشراف للسمعاني ٣: ٢٠٩.

الحادي عشر: كون من ذكرهم هم الذين روّجوا لهذه القواعد الجديدة بما اخترعوه من الأحاديث عن النبيّ ﷺ وبادعاء أشياء على الخلفاء الأوّلين لا تتفق مع سيرتهم هو غير صحيح، فالذين روّجوا قواعد جديدة في الإسلام غير متورّعين عن اختراع الأحاديث عن النبيّ ﷺ، ولا عن ادّعاء أشياء على ابن عمّه ووصيّه لا تتفق مع سيرته، هم بنو أُمية الذين بذلوا في ذلك الأموال العظيمة وولّوا الولايات الجليلة على ذلك، وتابعهم بنو العباس كما أشرنا إليه في الأمر الثامن، لا الفرس ولا الذين تظاهروا بالاسلام من اليهود والنصارى .

الثاني عشر: اذا كان ما دُوّن في الفترة الأخيرة لا يمكن الاعتماد عليه دون تمحيصه بغير تأثّر بالأهواء أُلزم عدم الاعتماد على ما يروى عن الفترة الأُولى التي جعلها وحدها محل الاعتماد ، لأن ما وقع في الفترة الأُولى إنما نقله أهل الفترة الثانية التي لا يمكن الاعتماد على ما دون فيها، والفترة الأُولى لم تكن فترة تدوين ، وإن كان فإنّما نقله لنا أهل الفترة الثانية .

الثالث عشر: ما شرطه للاعتماد على ما دُوّن في الفترة الأخيرة من التمحيص بغير تأثّر بالأهواء نريد أن نسأله عن هذا الشرط: أين يوجد لنتبع مَن يوجد فيه؟ : فكل يدعي وصلاً بليلى .

الرابع عشر: جعله صدر الإسلام الى مقتل عثمان يمكن الاعتماد على ما يروى مباشرة عنه لا يفهم له معنى محصل ، فالراوون عنه مباشرة إنما نقل لنا رواياتهم أهل الفترة الثانية الذين لا يعتمد على نقلهم .

وجاء في كتابه اسم عامل كسرى على اليمن بازان ـ بالزاي ـ في خمسة مواضع في صفحة واحدة، مع أنه باذان[1] ـ بالذال ـ في جميع كتب التواريخ والسير، ونص عليه صاحب القاموس[2]. ولكنه سماه في ص ٤٧٦ بدهان.

---

(١) أنساب الأشراف للسمعاني ١: ١٦٥، معجم البلدان ١: ١٤٥، تاريخ الأُمم والملوك للطبري ١: ٦١٥.

(٢) القاموس المحيط: ٤: ٢٠١، انظر [مادة: بذن].

شيء من كلامه ﷺ
في الخطب والوصايا والحكم والمواعظ والأحكام والدعاء

قال القاضي عياض في الشفا بتعريف حقوق المصطفى: وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان ﷺ بالمحل الأفضل والموضع الذي لا يجهل سلامة طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلّف، أُوتي جوامع الكلم وخُصّ ببدائع الحكم وعَلِمَ ألسنة العرب، يخاطب كل أُمّة منها بلسانها ويحاورها بلغاتها، حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله[١]. انتهى.

بعض خطبه ﷺ

كان رسول الله ﷺ إذا خطب الناس احمّرت عيناه ورفع صوته كأنه منذر جيش[٢].

خطبته ﷺ لما أراد الخروج الى تبوك

وفي تاريخ ابن كثير، أنه خطبها لما وصل تبوك، قال ـ بعد حمد الله والثناء عليه ـ: **أيها الناس، إن اصدق الحديث كتاب الله وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير الملل ملة إبراهيم، وخير السنن سنة محمّد، وأشرف الحديث ذكر الله، وأحسن القصص القرآن، وخير الأُمور عزائمها وشر الأُمور محدثاتها، وأحسن الهدي هدي الأنبياء، وأشرف القتل قتل الشهداء، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى، وخير الأعمال ما نفع، وخير الهدى ما اتبع، وشر العمى عمى القلب، واليد العليا خير من اليد السفلى، وما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى، وشر المعذرة حين يحضر الموت، وشر الندامة ندامة يوم القيامة، ومن أعظم خطايا**

---

(١) الشفا ١: ٧٠.

(٢) صحيح مسلم ٣: ١١، ميزان الحكمة ١: ٧٥٠.

اللسان الكذب، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله، وخير ما أُلقي في القلب اليقين، والمسكر من النار والخمر جماع الإثم، والنساء حبالات إبليس، والشباب شعبة من الجنون، وشرّ المكاسب الربا وشرّ المآكل أكل مال اليتيم، والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من شقي في بطن أُمّه، وإنما يصير أحدكم الى موضع أربع أذرع، وملاك العمل خواتيمه، وكل ما هو آت قريب، وسباب المؤمن فسوق وقتاله كفر، وأكل لحمه معصية وحرمة ماله كحرمة دمه، ومن يستغفر الله يغفر له ومن يعف يعف الله عنه، ومن يصبر على الرزية يُعوّضه الله[١].

من خطبة له عليه الصلاة والسلام

أيّها الناس، أنتم على ظهر سفر والسير بكم سريع، فقد رأيتم الليل والنهار والشمس والقمر يبليان كل جديد ويُقرّبان كل بعيد فاعدّوا الجهاد لبعد المفاوز[٢].

خطبة له عليه الصلاة والسلام بمنى

نصر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها وبلّغها من لم يسمعها، فكم من حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاثة لا يغلّ عليها قلب عبد مسلم: اخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة المسلمين، واللزوم لجماعتهم، فان دعوتهم محيطة من ورائهم، المسلمون إخوة تتكافأُ دماؤهم وهم يد على من سواهم، ويسعى بذمتهم أدناهم[٣].

---

(١) البداية والنهاية ٢: ٦٠٧ ـ ٦٠٨.

(٢) والحديث كما ورد عنه صلى الله عليه وآله: «أيها الناس إنكم في دار هدنة وأنتم... ـ الى قوله ـ كل بعيد ويأتيان بكل موعود فاعدوا الجهاز لبعد المجاز» الكافي للكليني ٢: ٥٩٨ ح.

(٣) سنن ابن ماجة ١: ٨٤ ح ٢٣٠، وفيه: «نضر الله امرأً سمع...»، الكافي ١: ٤٠٣، فضائل الأشهر الثلاثة للشيخ الصدوق: ١٠٨.

خطبة له ﷺ يذكر فيها شهر رمضان

أيها الناس، إنّه قد أقبل إليكم شهر رمضان بالبركة والرحمة والمغفرة، شهره أبرك الشهور وأيامه أفضل الأيام ولياليه أفضل الليالي وساعاته أفضل الساعات، وقد دُعيتم فيه الى ضيافة الله وجُعلتم فيه من أهل كرامته، أنفاسكم فيه تسبيح ونومكم فيه عبادة وعملكم فيه مقبول ودعاؤكم فيه مستجاب، فاسألوا ربكم بنيات صادقة وقلوب طاهرة أن يوفقكم لصيامه وتلاوة كتابه، فالشقي من حُرم غفران الله فيه، فاذكروا بجوعكم وعطشكم جوع يوم القيامة وعطشه، وتصدّقوا على فقرائكم ومساكينكم، ووقّروا كباركم وارحموا صغاركم وصِلُوا أرحامكم، وغِضُّوا عما لا يحل النظر إليه أبصاركم وعما لا يحل الاستماع إليه اسماعكم، وتحننوا على ايتام الناس يتحنن الله على أيتامكم، وتوبوا الى الله من ذنوبكم، وارفعوا إليه أيديكم بالدعاء في أوقات صلواتكم فإنّها أفضل الساعات ينظر الله عباده فيها بالرحمة ويجيبهم إذا ناجوه ويُلبّيهم إذا نادوه ويستجيب لهم إذا دعوه .

أيّها الناس، من حسن في هذا الشهر خُلقه كان له جواز على الصراط يوم تزلّ فيه الأقدام، ومن خفّف في هذا الشهر عما ملكت يمينه خفّف الله عليه حسابه، ومن كفّ فيه شره كف الله عنه غضبه يوم يلقاه، ومن وصل فيه رحمه وصله الله برحمته يوم يلقاه، ومن تطوع فيه بصلاة كتب له براءة من النار، ومن أدّى فيه فرضاً كان له ثواب من أدى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور، ومن كثّر فيه من الصلاة ثقّل الله ميزانه يوم تخف الموازين، ومن تلا فيه آية من القرآن كان له أجر من ختم القرآن في غيره، ألا إن أبواب الجنة مفتّحة فيه فاسألوا ربكم لا يغلقها عنكم، وأبواب النار مغلقة فاسألوا ربكم أن لا يفتحها عليكم، والشياطين مغلولة فاسألوا ربكم أن لا يُسلّطها عليكم[1].

---

(١) الأمالي للصدوق : ١٥٤ .

خطبته ﷺ في حجة الوداع يوم العيد بمنى

رواها ابن عبد ربّه في العقد الفريد والحسن بن عليّ بن شعبة الحلبي في تحف العقول وغيرهما:

الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلّا الله وحده لا شريك له، وأن محمّداً عبده ورسوله.

أُوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثّكم على طاعة الله واستفتح بالذي هو خير، أمّا بعد:

أيّها الناس، اسمعوا مني ما أُبيّن لكم فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا. أيّها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلّغت؟ اللهم اشهد، فمن كانت عنده أمانة فليؤدّها الى الذي ائتمنه عليها، وانّ ربا الجاهلية موضوع وإن أوّل ربا أبدأ به ربا عمّي العباس بن عبد المطلب، وإنّ دماء الجاهلية موضوعة، وإن أوّل دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة ابن الحارث بن عبد المطلب[١]، وإنّ مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية، والعمد قود، وشبه العمد ما قُتل بالعصا والحجر ففيه مائة بعير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية.

أيّها الناس، إن الشيطان قد يئس أن يُعبد في أرضكم هذه، ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقّرون من أعمالكم.

أيّها الناس: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ﴾[٢] وأنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض[٣]، وأنّ عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق

---

(١) كان مسترضعاً في بني ليث فقتلته هذيل. قاله ابن هشام ٤: ١٠٢٢.

(٢) التوبة: ٣٧.

(٣) قال الزمخشري في الفائق وتبعه ابن الأثير في النهاية ٢: ١٣٩: المعنى أن أهل الجاهلية كانوا يقاتلون في ←

السماوات والأرض منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات وواحد فرد: ذوالقعدة وذوالحجة والمحرّم ورجب مضر[١] الذي بين جمادى وشعبان، ألا هل بلغت؟ اللّهم اشهد.

أيّها الناس، إنّ لنسائكم عليكم حقّاً، وإنّ لكم عليهن حقّاً لكم، عليهنّ أن لا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يُدخلن أحداً تكرهونه لبيوتكم إلّا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة، فإن فعلن فإنّ الله قد أذن لكم أن تعضلوهنّ وتهجروهنّ في المضاجع وتضربوهنّ ضرباً غير مبرح، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف، وإنّما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهنّ شيئاً، أخذتموهنّ بأمانة الله واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهنّ خيراً، ألا هل بلّغت؟ اللّهم اشهد.

أيّها الناس، المؤمنون إخوة، ولا يحلّ لامرئ مال أخيه إلّا عن طيب نفسه، ألا هل بلّغت؟ اللّهم اشهد، فلا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم أعناق بعض فإنّي قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي ألا هل بلّغت؟ اللّهم اشهد.

أيّها الناس، إنّ ربكم واحد، وإنّ أباكم واحد، كلّكم لآدم وآدم من تراب ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ ليس لعربي على عجمي فضل إلّا بالتقوى ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم، قال: فليبلّغ الشاهد منكم الغائب.

← المحرم وينسؤون تحريمه الى صفر، فاذا دخل صفر نسؤوه أيضاً، وهكذا الى أن تمضي السنة، فلمّا جاء الإسلام رجع الأمر الى نصابه ودارت السنة بالهيئة الأُولى.

وفي السيرة الحلبية ٣: ٣٠٧: كان أهل الجاهلية يؤخّرون الحج في كل عام أحد عشر يوماً حتى يدور الدور الى ثلاث وثلاثين سنة فيعود وقته، فلذلك قال: إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض فان هذه الحجة كانت في هذه السنة التي عاد فيها الحج الى وقته.

وروى ابن سعد في الطبقات الكُبرى بسنده عن مجاهد ٢: ١٨٦ قال: كانت الجاهلية يحجّون في كل شهر من شهور السنة عامين، أي كانوا يحجّون في المحرّم مثلاً مرّتين في عامين متواليين ثم يحجّون في صفر كذلك وهكذا. فوافق حج النبيّ ﷺ في ذي الحجة، فقال: هذا يوم استدار الزمان كهيئة يوم خلق السموات والأرض... الخ. (المؤلّف)

(١) الفائق للزمخشري ١: ٣٨٣، أضاف رجباً الى مضر، لأنهم كانوا يعظّمونه. (المؤلّف)

أيها الناس، إن الله قد قسّم لكل وارث نصيبه من الميراث، ولا يجوز لِمُورّث وصية في أكثر من الثلث، والولد للفراش وللعاهر الحجر، من ادّعى الى غير أبيه أو تولّى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[١].

وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي أُمامة وقال: صحيح على شرط مسلم، سمعت رسول الله ﷺ يقول ـ وهو يخطب الناس على ناقته الجدعاء في حجة الوداع ـ: يا أيّها الناس، أطيعوا ربّكم وصلّوا خمسَكم وأدّوا زكاة أموالكم وصوموا شهركم، وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنة ربّكم[٢].

وصيته ﷺ لمعاذ بن جبل لما بعثه الى اليمن

يا معاذ، علّمهم كتاب الله وأحسن أدبهم على الأخلاق الصالحة، وأنزل الناس منازلهم خيرهم وشرّهم، وعليك بالرفق والعفو في غير ترك للحق. وليكن أكثر همّك الصلاة، فإنّها رأس الإسلام بعد الاقرار بالدين، وذكّر الناس بالله واليوم الآخر، واتّبع الموعظة، فإنه أقوى لهم على العمل بما يحبّ الله، ثم بُثّ فيهم المعلّمين، ولا تخف في الله لومة لائم.

وأُوصيك بتقوى الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وترك الخيانة ولين الكلام وبذل السلام، وحفظ الجار ورحمة اليتيم وحسن العمل وقصر الأمل وحب الآخرة والجزع من الحساب وكظم الغيظ وخفض الجناح، وأحدث لكل ذنب توبة، السرّ بالسرّ والعلانية بالعلانية[٣].

---

(١) تحف العقول: ٣٠.

(٢) المستدرك للحاكم ١: ٩.

(٣) تحف العقول: ٢٥ ـ ٢٦.

صفة العاقل والجاهل

قال عليه السلام : صفة العاقل أن يحلم عمّن جهل عليه ويتجاوز عمّن ظلمه ويتواضع لمن هو دونه ويسابق من فوقه في طلب البرّ، وإذا أراد أن يتكلّم تدبّر، فان كان خيراً تكلّم فغنم وإن كان شرّاً سكت فسلم، وإذا عرضت له فتنة استعصم الله وأمسك يده ولسانه، وإذا رأى فضيلة انتهز بها[١]، لا يفارقه الحياء ولا يبدو منه الحرص، فتلك عشر خصال يُعرف بها العاقل.

وصفة الجاهل: أن يظلم من خالطه ويتعدّى على من هو دونه ويتطاول على من هو فوقه، كلامه بغير تدبّر، إن تكلّم أثم، وإن سكت سها، وإن عرضت له فتنة سارع إليها فأردته، وإن رأى فضيلة أعرض وابطأ عنها، لا يخاف ذنوبه القديمة، ولا يرتدع فيما بقي من عمره عن الذنوب، يتوانى عن البر ويبطئ عنه، غير مكترث لما فاته من ذلك أو ضيّعه، فتلك عشر خصال من صفة الجاهل الذي حرم العقل[٢].

الجبر والاختيار

قال عليه السلام: إن الله لا يُطاع [جبراً] ولا يُعصى مغلوباً ولم يهمل العباد من المملكة، ولكنه القادر على ما أقدرهم عليه والمالك لما ملّكهم إياه، فإنّ العباد إن ائتمروا بطاعة الله لم يكن منها مانع ولا عنها صادّ، وإن عملوا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبينها فعل، وليس من [إن] شاء أن يحول بينك وبين شيء فعل ولم يفعله، فأتاه الذي فعله، كان هو الذي أدخله فيه[٣].

---

(١) الانتهاز: الاغتنام، تحف العقول: ٢٩.

(٢) تحف العقول: ٢٨ ـ ٢٩.

(٣) تحف العقول: ٣٧.

مما روي عنه ﷺ من الحكم والمواعظ القصار

قال ﷺ: كفى بالموت واعظاً، وكفى بالتقى غنى، وكفى بالعبادة شغلاً، وكفى بالقيامة موئلاً وبالله مجازيا.

وقال ﷺ: خصلتان ليس فوقهما من البر شيء: الإيمان بالله والنفع لعباد الله، وخصلتان ليس فوقهما من الشر شيء: الشرك بالله والضر لعباد الله.

وقيل له ﷺ: أيّ الأصحاب أفضل؟ قال: من إذا ذكرتَ أعانك وإذا نسيت ذكّرك. وقيل له ﷺ: أي الناس شرّ؟ قال: العلماء إذا فسدوا.

وقال ﷺ: أوصاني ربّي بتسع: أوصاني بالاخلاص في السرّ والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الفقر والغنى، وأن أعفو عمّن ظلمني، وأُعطي من حرمني، وأصلَ من قطعني، وأن يكون صمتي فكراً ومنطقي ذكراً ونظري عبراً.

وقال ﷺ: إذا كان أُمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاؤكم وأمركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها، وإذا كان أُمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاؤكم وأُموركم الى نسائكم فبطن الأرض خير من ظهرها.

وقال ﷺ: من أمسى وأصبح وعنده ثلاث فقد تمّت عليه النعمة في الدنيا: من أصبح وأمسى معافىً في بدنه آمناً في سربه، عنده قوت يومه، فإن كانت عنده الرابعة فقد تمّت عليه النعمة في الدنيا والآخرة وهو الإيمان.

وقال ﷺ: ارحموا عزيزاً ذلّ، وغنيّاً افتقر، وعالماً ضاع في زمان جهال.

وقال ﷺ: لا يُقبض العلم انتزاعاً من الناس ولكنه يُقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهّالاً، استُفتوا فأفتوا بغير علم فضلوّا وأضلّوا.

وقال ﷺ: أغبط أوليائي عندي من أُمّتي رجل خفيف الحال ذو حظ من صلاح، أحسن عبادة ربّه في الغيب وكان غامضاً في الناس، وكان رزقه كفافاً فصبر عليه ومات، قلّ

تراثه وقلّ بواكيه .

وقال ﷺ: ما أصاب المؤمن من نصب ولا وصب ولا حزن حتى الهَمّ يهمّه إلّا كفّر الله عنه به من سيّئاته .

وقال ﷺ: الدنيا دول، فما كان منها لك أتاك على ضعفك، وما كان منها عليك لم تدفعه بقوّتك، ومن انقطع رجاؤه مما فات استراح بدنه، ومن رضي بما قسمه الله قرّت عينه

وقال ﷺ: صوتان يبغضهما الله: إعوال عند مصيبة ومزمار عند نعمة .

وقال ﷺ: أربع من كنّ فيه كان في نور الله الأعظم: من كان عصمة أمره شهادة أن لا إله إلّا الله، وأني رسول الله، ومن إذا أصابته مصيبة قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ومن إذا أصاب خيراً قال: الحمد لله، ومن إذا أصاب ذنباً قال: استغفر الله وأتوب إليه .

وقال ﷺ: العلم خزائن ومفاتيحها السؤال فاسألوا رحمكم الله، فإنه يؤجر أربعة: السائل والمتكلم والمستمع والمحبّ لهم .

وقال ﷺ: فضل العلم أحب إليّ من فضل العبادة، وأفضل دينكم الورع .

وقال ﷺ: إن عظيم البلاء يكفى به عظيم الجزاء، فإذا أحبّ الله عبداً ابتلاه، فمن رضي قلبه فله عند الله الرضا ومن سخط فله السخط .

وقال ﷺ: ثلاث من كن فيه استكمل خصال الإيمان . الذي إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل، وإذا غضب لم يخرجه الغضب من الحق، وإذا قدر لم يتعاط ما ليس له .

وقال ﷺ: لا قول إلّا بعمل، ولا قول ولا عمل إلّا بنية، ولا قول ولا عمل ولا نية إلّا بإصابة السُنّة .

وقال ﷺ: من تعلّم العلم ليماري به السفهاء أو يباهي به العلماء أو يصرف وجوه الناس إليه ليعظّموه فليتبوّأ مقعده من النار، فإنّ الرئاسة لا تصلح إلّا لله ولأهلها . ومن وضع نفسه في غير الموضع الذي وضعه الله فيه مقته الله، ومن دعا الى نفسه فقال: أنا رئيسكم

وليس هو كذلك لم ينظر الله إليه حتى يرجع عمّا قال ويتوب الى الله ممّا ادّعى .

وقال ﷺ: ألا أدلّكم على خير أخلاق الدنيا والآخرة؟ تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمّن ظلمك .

وقال ﷺ: هذا دين أرتضيه لنفسي ولن يصلحه إلّا السخاء وحسن الخلق فأكرموه بهما ما صحبتموه.

وقال ﷺ: أفضلكم إيماناً أحسنكم أخلاقاً.

وقال: حسن الخلق يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم، فقيل له: ما أفضل ما أُعطي العبد؟ قال: حسن الخلق .

وقال: حسن الخلق يثبت المودة.

وقال: خياركم أحسنكم أخلاقاً الذين يألفون ويؤلفون .

وقال ﷺ: العلم خدين[1] (خليل خ ل) المؤمن، والحلم وزيره، والعقل دليله، والعمل قيّمه، والصبر أمير جنوده، والرفق رائده، والبرّ أخوه، والنسب آدم والحسب التقوى، والمروءة إصلاح المال .

قال ﷺ: أقربكم منّي غداً في الموقف أصدقكم للحديث وآداكم للأمانة وأوفاكم بالعهد وأحسنكم خلقاً وأقربكم من الناس .

وقال ﷺ: ألا أُخبركم بأشبهكم بي أخلاقاً؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: أحسنكم أخلاقاً وأعظمكم حلماً وأبرّكم بقرابته وأشدّكم إنصافاً من نفسه في الغضب والرضا.

وقال ﷺ: كيف بكم إذا فسد نساؤكم وفسق شبانكم ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟! قيل له: ويكون ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم وشرّ من ذلك، وكيف بكم

---

(١) الخدين: الصديق والرفيق من خادنه أي صادقه وصاحبه .

إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟! قيل: يا رسول الله ويكون ذلك؟ قال: نعم وشر من ذلك، وكيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً؟!

وقال ﷺ: صنفان من أُمّتي إذا صلُحا صلُحت أُمّتي، قيل يا رسول الله: من هم؟ قال: الفقهاء والأُمراء.

وقال ﷺ: إنّ لله عباداً يفزع إليهم الناس في حوائجهم أُولئك هم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة.

وقال ﷺ: إنّ الله خلق عبيداً من خلقه لحوائج الناس يرغبون في المعروف ويُعدّون الجود مجداً، والله يحبّ مكارم الأخلاق.

وقال ﷺ لأبي ذر: أيّ عُرى الإيمان أوثق؟ قال: الله ورسوله أعلم، فقال: الموالاة في الله والمعاداة في الله والحبّ في الله والبغض في الله.

وقال ﷺ: أربعة تلزم كل ذي حِجى وعقلٍ من أُمّتي، قيل: يا رسول الله ما هنّ؟ قال: استماع العلم وحفظه ونشره والعمل به.

وقال ﷺ: من نقله الله من ذلّ المعاصي الى عزّ الطاعة أغناه بلا مال وأعزّه بلا عشيرة وآنسه بلا أنيس، ومن خاف الله أخاف منه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء، ومن رضي من الله باليسير من الرزق رضي الله عنه باليسير من العمل، ومن لم يستح من طلب الحلال من المعيشة خفّت مؤونته ورخي باله ونَعِم عياله، ومن زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه، وبصّره عيوب الدنيا داءها ودواءها، وأخرجه من الدنيا سالماً الى دار القرار[١].

وقال ﷺ : من أحبّ أن يكون أعزّ الناس فليتّق الله. ومن أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكّل على الله. ومن أحبّ أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما

---

(١) تحف العقول: ٣٥ـ٥٨.

في يده.

ثم قال: ألا أُنبّئكم بشرار الناس؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من نزل وحده ومنع رفده وجلد عبده، ألا أُنبّئكم بشرّ من ذلك؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من لا يقيل عثرة ولا يقبل معذرة، ثم قال: ألا أُنبّئكم بشرّ من ذلك؟ قالوا: بلى يا رسول الله؟ قال: من لا يُرجى خيره ولا يُؤمن شرّه، ثم قال: ألا أُنبّئكم بشر من ذلك؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من يبغض الناس ويبغضونه[1].

المختار من
كتاب الشهاب للبحراني ومن تحف العقول للحسن بن شعبة الحلبي
وغيرهما من حكمه القصيرة ﷺ

(أ)

قال ﷺ: الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف.

أكثر أهل النار المتكبرون.

أعجل الشرّ عقوبة البغي.

أسرع الخير ثواباً البر.

أعجز الناس من عجز عن الدعاء.

أبخل الناس من بخل بالسلام.

إنّ الغيرة من الإيمان.

أفضل الجهاد كلمة حقّ بين يدي سلطان جائر.

إكرام الكتاب ختمه.

---

(١) تحف العقول: ٢٧.

إنّ من البيان لسحرا .

أحثوا في وجه المدّاحين التراب .

إن أخوف ما أخاف على أُمّتي اتّباع الهوى وطول الأمل .

أكثروا من ذكر هادم اللذات .

إنما بُعثت لأُتمّم مكارم الأخلاق .

أحبّكم الى الله أحسنكم أخلاقاً.

احرث لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا .

إذا عمل أحدكم عملاً فليتقن .

إذا أراد أحدكم الحاجة فليبكّر إليها وليسرع المشي إليها وليكتمها .

إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه .

احفظ ما بين لحييك ورجليك .

أنا مدينة العلم وعليّ بابها .

أكثر الناس شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة(١) .

ومن غير الشهاب

أحبّ الأعمال الى الله أدومها وإن قلّ(٢) .

ومن تحف العقول

إذا ساد القوم فاسقُهم وكان زعيم القوم أذلّهم وأُكرم الرجل الفاسق فلينتظر البلاء .

---

(١) الشهاب في الحكم والآداب:

(٢) صحيح البخاري ٧: ١٨٢، تنزيه الأنبياء للمرتضى: ١٧٩.

إنّا معشر الأنبياء أُمرنا أن نُكلّم الناس على قدر عقولهم .

الأناة من الله والعجلة من الشيطان .

الأيدي ثلاث: سائلة ومنفقة وممسكة، فخير الأيادي المنفقة .

الأمانة تجلب الرزق ، والخيانة تجلب الفقر .

إذا مُدح الفاجر اهتزّ العرش وغضب الربّ.

الجلوس في المسجد وانتظار الصلاة عبادة ما لم يحدث، قيل: وما يحدث؟ قال: الاغتياب .

أربع من علامات الشقاء: جمود العين، وقسوة القلب، وشدّة الحرص في طلب الدنيا، والإصرار على الذنب .

إنّ أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً.

أُمرت بمداراة الناس كما أُمرتُ بتبليغ الرسالة .

استيعنوا على أُموركم بالكتمان فإنّ كل ذي نعمة محسود .

الإيمان نصفان: نصف في الصبر، ونصف في الشكر .

الأكل في السوق دناءة .

أحبّ عباد الله الى الله أنفعهم لعباده وأقومهم بحقّه الذي يُحبّب إليهم المعروف وفعاله.

أعجل الشرّ عقوبة البغي .

أقلّ ما يكون في آخر الزمان أخ يوثق به أو درهم من حلال .

إنّ الله يحبّ إذا أنعم على عبد أن يُرى أثر نعمته عليه ويُبغض البؤس والتباؤس .

ألا إنّ شرّ أُمّتي الذين يُكرمون مخافة شرّهم، ألا ومن أكرمه الناس اتّقاء شرّه فليس مني(١).

---

(١) تحف العقول: ٣٦، ٣٧، ٤٣، ٤٥، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٤، ٥٦، ٥٨ .

(ب)

بالبرّ يُستعبد الحرّ.

برّ الرجل بولده برّه بوالده .

برّوا أرحامكم ولو بالسلام .

بادر بأربع قبل أربع : شبابك قبل هرمك، وصحّتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك.

برّ الوالدين وصلة الرحم يهوّنان الحساب .

بشّروا ولا تنفّروا .

بئس العبد عبد له وجهان يقبل بوجه ويدبر بوجه(١).

البلاء موكل بالمنطق .

البنون نعمة والبنات حسنة .

(ث)

ثلاث من مكارم الأخلاق في الدنيا والآخرة: أن تعفو عمّن ظلمك، وتصل من قطعك، وتحلم على من جهل عليك .

ثلاث من حقائق الإيمان: الإيثار على الفقراء، وإنصافك الناس من نفسك، وبذل العلم للمتعلم .

ثلاث تخرق الحجب وتنتهي الى ما بين يدي الله : صرير أقلام العلماء، ووطء أقدام المجاهدين، وصوت مغازل المحصنات .

ثلاث تقسي القلب : استماع اللهو، وطلب الصيد، وإتيان باب السلطان .

---

(١) كتاب النوادر للراوندي: ١٤٥، بحار الأنوار ٦٩: ٢٠١.

(ج)

جماع التقوى في قوله : ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان... الآية﴾ .

جُبِلَت القلوب على حبّ مَن أحسن إليها وبغض مَن أساء إليها[١].

(ح)

حبّك للشيء يعمي ويصمّ[٢].

حبّ الوطن من الإيمان[٣].

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا[٤].

حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة[٥] .

حُفت الجنّة بالمكاره، وحُفت النار بالشهوات .

حسنّوا أخلاقكم والطفوا بجيرانكم، وأكرموا نساءكم تدخلوا الجنة بغير حساب.

الحرب خدعة[٦].

الحكمة ضالّة المؤمن[٧].

---

(١) الكافي ٨: ١٥٢، لسان الميزان ١: ٤٤٦ .

(٢) رسائل المرتضى ٢: ٢١٦، الكافي ٢: ١٢٦، مسند أحمد ٥: ١٩٤.

(٣) مستدرك سفينة البحار ١: ٣٧٥، كشف الخفاء ١: ٣٤٥ .

(٤) عيون الحكم والمواعظ: ٢٣١.

(٥) المصدر السابق .

(٦) من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٧٨، ح ٥٧٩٤، سنن أبي داود ١: ٥٩٣ ح ٢٦٣٦ و ٢٦٣٧.

(٧) من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٨٠ .

(خ)

خذوا العلم من أفواه الرجال[١].

خلف الوعد ثلث النفاق[٢].

ومن غير الشهاب

خير الأُمور أوساطها[٣].

(د)

داووا مرضاكم بالصدقة[٤] .

الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر[٥].

الدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة[٦].

(ذ)

ذلاقة اللسان رأس المال[٧].

---

(١) تحرير الأحكام ١: ٣ و ٢٩.

(٢) راجع تفسير جوامع الجامع للطبرسي ٢: ٨٣، والقول ليس بحديث.

(٣) الإرشاد للمفيد ٢: ٢٣٤، المصنف لابن أبي‌شيبة ٨: ٢٤٦، بدائع الصنائع لأبي‌بكر ١: ٢٣، بحار الأنوار ٧٥: ١١، عيون الحكم والمواعظ : ٢٤٠، عوالي اللآلي للاحسائي ١: ٢٩٦ .

(٤) الكافي ٤: ٣،كنز العمال ١٠: ٢٣.

(٥) تحف العقول: ٥٣ .

(٦) المصدر السابق: ٥٣ .

(٧) ميزان الحكمة ٤: ٢٧٧١ .

ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة[١].

ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً[٢].

(ر)

راحة الإنسان في حبس اللسان[٣].

رحم الله امرءً أعان ولده على برّه[٤].

رأس العقل التودّد الى الناس.

رحم الله من كسب طيّباً وأنفق قصداً وقدّم فضلاً[٥].

رحم الله من قال خيراً فغنم، أو صَمَت فسَلِم[٦].

رأس الحكمة مخافة الله[٧].

الرحم إذا وُصلت ثم قُطعت قطعها الله[٨].

ومن تحف العقول

رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس في غير ترك حق[٩].

---

(١) المعجم الأوسط ٣: ٢٧٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢٠: ٢٣٩.

(٣) مستدرك الوسائل ٩: ٣٠، بحار الأنوار ٦٨: ٢٨٧.

(٤) روضة الواعظين للنيسابوري: ٣٦٧.

(٥) السنن الكبرى ١٠: ١٠٩، وسائل الشيعة ١١: ٥٢٨.

(٦) علل الشرائع ٢: ٦٠٦، كنز العمال ٣: ٥٤٨.

(٧) مستدرك الوسائل ١١: ٢٢٩، كنز العمال ٣: ١٤١.

(٨) عمدة الطالب لابن عنبة: ٢٣٤.

(٩) تحف العقول: ٤٢.

(س)

سادة الناس في الدنيا الأسخياء. سادة الناس في الآخرة الأتقياء(١).

سِرّك أسيرك، إذا تكلمت به فأنت أسيره(٢).

سافروا تغنموا(٣).

سوء الخلق شؤم(٤).

سيّد القوم خادمهم(٥).

ساعة في خدمة البيت خير من عبادة ألف سنة(٦).

السفر قطعة من العذاب(٧).

السعيد من وعظ بغيره(٨).

(ش)

شرّ الناس من باع آخرته بدنياه، وشرّ من ذلك من باع آخرته بدنيا غيره(٩).

(١) صحيفة الرضا: ٢٩٦.

(٢) لم نقف على الحديث المذكور عن الرسول ﷺ بل وجدناه عن علي عليه السلام، انظر ميزان الحكمة ٢: ١٢٨٢.

(٣) دعائم الإسلام للقاضي النعمان: ٣٤٢، البداية والنهاية ١٢: ٣٣.

(٤) وسائل الشيعة ٨: ٤٢٩، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ٥: ١٩١.

(٥) من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٧٨، والجامع الصغير ٢: ٥٩.

(٦) مستدرك الوسائل ١٣: ٤٩.

(٧) عوالي اللآلئ ١: ١٠٢، مسند أحمد ٢: ٢٣٦.

(٨) الاختصاص للمفيد: ٣٤٣، سنن ابن ماجة ١: ١٨.

(٩) من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٥٣.

(ص)

صلة الأرحام وحسن الخلق زيادة في الإيمان[١].

صلة الأرحام وحسن الجوار زيادة في الأموال[٢].

صلة الرحم تزيد في العمر[٣].

صنفان من أُمّتي إذا صلحا صلحت وإن فسدا فسدت: القُرّاء والأُمراء[٤].

الصحة والفراغ نعمتان مكفورتان[٥].

الصائم في عبادة وإن كان نائما على فراشه ما لم يغتب مسلماً[٦].

(ط)

طلب العلم فريضة على كل مسلم[٧].

طوبى لمن أنفق فضلات ماله وأمسك فضلات لسانه[٨].

طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس[٩].

---

(١) مستدرك الوسائل ١٥: ٢٤٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٦٨، الجامع الصغير ١: ٣٥٠.

(٤) الأمالي للشيخ الطوسي: ٤٤٨، تحف العقول: ٥٠،كنز العمال ١٠: ١٩١.

(٥) بحار الأنوار ٧٤: ١٦٨، من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٨١.

(٦) الكافي ٤: ٦٤، تحف العقول: ٤٧، الجامع الصغير ٢: ١١٢.

(٧) الكافي ١: ٣٠، مجمع الزوائد ١: ١١٩.

(٨) بحار الأنوار ٧٤: ١٢٦،كنز العمال ١٦: ١٢٦.

(٩) وسائل الشيعة ١٥: ٢٨٩، مجمع الزوائد ١٠: ٢٢٩.

ومن تحف العقول

طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود لم يره[١].

(ع)

عليك بالجماعة فإنّ الذئب يأخذ القاصية[٢].

عليكم لإنجاح الحوائج بكتمانها فإنّ كلّ ذي نعمة محسود[٣].

عليكم بحسن الخُلق فإن حسن الخلق في الجنة لا محالة وإيّاكم وسوء الخُلق فإنّ سيّء الخلق في النار لا محالة[٤].

عجبت لمن يتكبّر وقد خرج من مخرج البول مرّتين[٥].

عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح!

عجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك!

عجبت لمن أيقن بالجنّة كيف لا يعمل الحسنات!

عجبت لمن أيقن بالحساب كيف يعمل بالسيئات!

عجبت لمن رأى الدنيا ورأى تقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها!

عجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن[٦].

عجبت لمن يحتمي من الطعام مخافة الداء كيف لا يحتمي من الذنوب

---

(١) تحف العقول: ٤٩.

(٢) مسند أحمد ٦: ٤٤٦، تاريخ دمشق ٢٠: ٩٧.

(٣) بحار الأنوار ٧٠: ٢٥٦، مجمع الزوائد ٨: ١٩٥.

(٤) وسائل الشيعة ١٢: ١٥٢ ط آل البيت، كنز العمال ٣: ١٨.

(٥) تاريخ مدينة دمشق ٢٤: ٣٢٨.

(٦) كنز العمال ١٥: ٩٣٦.

مخافة النار؟![١].

عليكم بالاقتصاد فما افتقر قوم اقتصدوا[٢].

عزّ المؤمن استغناؤه عن الناس[٣].

عُد من لا يعودك واهدِ لمن لم يهدِ إليك[٤].

عيال الرجل أُسراؤه، وأحب العباد الى الله أحسنهم صنيعاً إلى اسرائه[٥].

العالم من صدّق قولَه فعلُه[٦].

العلم في الصغر كالنقش في الحَجَر[٧].

العالم كالحمّة[٨].

العلماء ورثة الأنبياء[٩].

ومن تحف العقول

عجباً للمؤمن لا يقضي الله عليه قضاء إلّا كان خيراً له سرّه أو ساءه، إن ابتلاه كان كفّارة لذنبه، وإن أعطاه وأكرمه كان قد حباه[١٠].

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٥٩.

(٢) كنز العمال ٣: ٥٣، مجمع البيان ٨: ٢٢٢.

(٣) العهود المحمدية: ١٣٢، كشف الخفاء ٢: ٥٩.

(٤) من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٠٠، كنز العمال ٩: ٩٧.

(٥) من لا يحضره الفقيه ٣: ٥٥٥.

(٦) تفسير الصافي للفيض للكاشاني ٢: ١٠٢٥، بحار الأنوار ٧٣: ٣٨.

(٧) شرح أُصول الكافي للمازندراني ٦: ٤٢٤، كشف الخفاء ٢: ٦٦.

(٨) مفردات غريب القرآن: ١٣٠، الحمّة: قيل للماء الحار في خروجه من منبعه حمّة. الفائق في غريب الحديث ١: ٢٨٠، وفيه والعالم كالحمّة هي عين حارة الماء يستشفى بها.

(٩) الكافي ١: ٣٢، مجمع الزوائد ١: ١٢٦.

(١٠) تحف العقول: ٤٨.

(غ)

الغنى غنى النفس[١].

(ف)

فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم[٢].

(ق)

قولوا الحق ولو على أنفسكم[٣].

ومن تحف العقول:

قيّدوا العلم بالكتاب[٤].

(ك)

كن عالماً أو متعلّماً أو مستمعاً أو محبّاً ولا تكن الخامس فتهلك[٥].

كن في الفتنة كابن اللبون لا درّ يشرب ولا ظهر يركب[٦].

كثرة النوم تذيب القلب وتذهب بنور الوجه[٧].

كيف تكون مؤمناً والناس لا يأمنون شرّك؟!

---

(١) سنن أحمد ٢: ٢٤٣، تفسير القمّي ١: ٢٩١.

(٢) سنن الدارمي ١: ٩٨، تفسير الصافي للفيض الكاشاني ٢: ١٢٧٧.

(٣) كنز العمال ٣: ٣٥٩، الجامع الصغير ٢: ٩٥.

(٤) تحف العقول: ٣٦.

(٥) كنز العمال ١٠: ١٤٣، بحار الأنوار ٦: ٢٤٧.

(٦) نهج البلاغة: ٣، المختار من حكم أميرالمؤمنين عليه السلام.

(٧) لم نعثر عليه.

كيف تكون مسلماً والناس لا يسلمون من شرّك؟!

كيف تكون متّقياً والناس لا يتّقون أذاك؟![١]

كما تدين تدان[٢].

كلّ ذي نعمة محسود.

(ل)

لو أنّ هذا الدين في الثريّا لنالته رجال من فارس[٣].

لو أُهدي إليّ كراع لقبلت. لو دُعيت الى ذراع لأجبت[٤].

لو بغى جبل على جبل لهدّ الله الباغي[٥].

لكلّ ساقطة لاقطة[٦].

لا فقر أشدّ من الجهل، لا مال أعود من العقل، لا عقل كالتدبير[٧].

الليل أخفى للويل[٨].

ومن غير الشهاب

لا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له[٩].

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) وسائل الشيعة ١٢: ٢٤٧.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨: ٣٦، تفسير الثعالبي ٥: ٢٤٤.

(٤) الكافي ٥: ١٤١، دعائم الإسلام للقاضي النعمان ٢: ٣٢٥، صحيح البخاري ٣: ١٢٨.

(٥) وسائل الشيعة ١٦: ٤٠، كنز العمال ٣: ٤٤٦.

(٦) كشف الخفاء ٢: ١٤٦، شرح مسلم للنووي ٩: ١٠٥، إلّا أن أغلب المصادر لم ينسبوا الحديث المذكور الى الرسول صلى الله عليه وآله.

(٧) الكافي ٨: ٢٠، مجمع الزوائد ١٠: ٢٨٣.

(٨) فتح القدير ٥: ٥٢٠، تفسير الصافي للمولى محسن الملقّب بالفيض الكاشاني ٥: ٣٩٥.

(٩) كنز العمال ٩: ٣٨، كنز الفوائد: ١٣.

ومن تحف العقول

لا يزال المسروق منه في تهمة من هو بريئ حتى يكون أعظم جرماً من السارق[١].

ليس منّا من غش مسلماً أو ضرّه أو ماكره[٢].

لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده فتخلفه[٣].

(م)

من المروءة إصلاح المال[٤].

من أحبّ قوماً حُشر معهم[٥].

من أحبّ عمل قوم أُشرك في عملهم[٦].

من عمل بما علم ورّثه الله ما لم يعلم.

من أعان ظالماً على ظلمه سلّطه الله عليه[٧].

من عرض نفسه للتهمة فلا يلومنّ من أساء الظن به[٨].

من يصلح ما بينه وبين الله يصلح الله ما بينه وبين الناس[٩].

من أُتيَ إليه بمعروف فليكاف، ومن لم يقدر فليثنِ[١٠].

---

(١) تحف العقول: ٣٦.

(٢) المصدر السابق: ٤٣.

(٣) المصدر السابق: ٤٩.

(٤) المصدر السابق: ٥٥.

(٥) بحار الأنوار ٦٥: ١٣١، المعجم الكبير ٣: ١٩.

(٦) مستدرك سفينة البحار ٤: ١٥٤.

(٧) بحار الأنوار ٨٩: ١٧٢، كشف الخفاء ٢: ٢٢٠.

(٨) عيون الحكم والمواعظ: ٤٥٨.

(٩) بحار الأنوار ٨٦: ٢٣٣، سبل الهدى والرشاد ٣: ٣٣٢.

(١٠) الكافي ٤: ٣٣، كنز العمال ٦: ٤٦٤.

من أشبع جائعاً في يوم سغب أدخله الله يوم القيامة جنة لا يدخلها إلّا من فعل مثلما فعل[١].

من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير[٢].

من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس[٣].

من لا يرحم لا يرحم[٤].

من عَفّ عُفّ.

من غَشّ غُشّ[٥].

من عدم المداراة عدم التوفيق.

من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه[٦].

من آذى جاره فهو ملعون[٧].

من تساوى يوماه فهو مغبون[٨].

ما عال من اقتصد[٩].

ما أخاف على أُمّتي الفقر ولكن أخاف عليها سوء التدبير[١٠].

---

(١) مجمع البيان ١٠: ٣٦٥.

(٢) مسند أحمد ٤: ٢٧٨.

(٣) كنز العمال ٣: ١٦٠، مجمع البيان ٥: ١٠٧.

(٤) الاستبصار ١: ٢٦٧، صحيح البخاري ٧: ٧٥.

(٥) تهذيب الأحكام ٧: ١٢، الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام وجاء فيه: «من غشّ غُشّ في ماله».

(٦) مسند أحمد ١: ٢٠١، وسائل الشيعة ٨: ٥٣٧.

(٧) شجرة طوبى: ٣٧٤.

(٨) بحار الأنوار ٦٨: ٢٢٠، كشف الخفاء ٢: ٢٣٣.

(٩) مسند أحمد ١: ٤٤٧، عدة الداعي: ٧٤.

(١٠) عوالي اللآلي ٤: ٣٩.

ما من شيء أثقل في الميزان من خلق حسن[١].

ما نهيت عن شيء بعد عبادة الأوثان ما نهيت عن ملاحاة الرجال[٢].

منهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب دنيا[٣].

المؤمن من أمن الناس من يده ولسانه[٤].

المداراة رأس العقل[٥].

المسلم من سلم الناس من أذاه.

المجالس بالأمانة[٦].

المسلم مرآة لأخيه المسلم[٧].

المرء حريص على ما مُنع[٨].

المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يثلمه[٩].

المستشار مؤتمن[١٠].

المرأة الصالحة كالغراب الأعصم[١١].

---

(١) بحار الأنوار ٦٨: ٣٨٣، سنن الترمذي ٣: ٢٤٤.

(٢) تحف العقول: ٤٢، المصنف لابن أبي شيبة ٨: ٣٤٢.

(٣) الكافي ١: ٤٦، مجمع الزوائد ١: ١٣٥.

(٤) من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٦٢، الأمالي للطوسي: ٥٣٩، المعجم الأوسط ٣: ٢٩١، باختلاف يسير.

(٥) تحف العقول: ٤٢، فتح الباري ١٠: ٤٣٧.

(٦) الكافي ٢: ٦٦٠، السنن الكبرى ١٠: ٢٤٧.

(٧) كنز العمال ١: ١٤٩، بحار الأنوار ١٠: ٩٧.

(٨) ميزان الحكمة ١: ٥٨٩.

(٩) الكافي ٢: ١٦٧، مسند أحمد ٢: ٣١١.

(١٠) عوالي الآلي ١: ١٠٤، سنن الدارمي ٢: ٢١٩.

(١١) دعائم الإسلام ٢: ١٩٥، مشكاة الأنوار: ٤٣٠، سبل الهدى والرشاد ٢: ٩٥.

الغراب الأعصم: الأحمر الرجلين والمنقار أو في جناحه ريشة بيضاء كناية عن ندرة الوجود، القاموس المحيط: ١٥١/٤.

ومن غير الشهاب

ما هلك امرؤ عرف قدر نفسه[١].

ومن تحف العقول

من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض[٢].

من تفاقر افتقر[٣].

مداراة الناس نصف الإيمان والرفق بهم نصف العيش[٤].

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليفِ إذا وعدّ[٥].

من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح[٦].

ومن أذاع فاحشة كان كمبدئها. ومن عيّر مؤمناً بشيء لم يمت حتى يركبه[٧].

ماكان الرفق في شيء إلّا زانه، ولاكان الخرق في شيء إلّا شانه[٨].

من حرم الرفق فقد حرم الخير كلّه[٩].

من عدّ غداً من أجله فقد أساء صحبة الموت[١٠].

---

(١) مشكاة الأنوار: ٤٣٠.

(٢) تحف العقول: ٤١.

(٣) تحف العقول: ٤١.

(٤) المصدر السابق: ٤٢.

(٥) المصدر السابق: ٤٥.

(٦) المصدر السابق: ٤٧.

(٧) المصدر السابق.

(٨) المصدر السابق: ٤٧ .

(٩) المصدر السابق: ٤٩.

(١٠) المصدر السابق.

من طلب رضا مخلوق بسخط الخالق سلّط الله عزّ وجلّ عليه ذلك المخلوق[١].

من أرضى سلطاناً بما يسخط الله خرج من دين الله[٢].

من أحبّ في الله وأبغض في الله وأعطى في الله ومنع في الله فهو من الأصفياء[٣].

(ن)

نوم العالم أفضل من عبادة الجاهل[٤].

الناس معادن كمعادن الذهب[٥].

الناس جواسيس العيوب فاحذروهم[٦].

النجوم أمانٌ لأهل السماء، وأهل بيتي أمانٌ لأُمّتي[٧].

ومن تحف العقول

نظر الولد الى والديه حُبّاً لهما عبادة[٨].

نِعمَ العون على تقوى الله الغنى[٩].

(١) تحف العقول: ٥٢.

(٢) المصدر السابق: ٥٢.

(٣) المصدر السابق: ٤٨.

(٤) بحار الأنوار ٧٤: ٥٧، مكارم الأخلاق: ٤٤١.

(٥) بحار الأنوار ٥٨: ٦٥.

(٦) مجمع البحرين ١: ٣٧٥.

(٧) الأمالي للطوسي: ٣٧٩.

(٨) تحف العقول: ٤٦.

(٩) المصدر السابق: ٤٩.

(هـ)

هلك امرؤ لم يعرف قدره وتعدى طوره(١).

الهدية تُورث المحبّة(٢).

الهديّة تسلّ السخائم(٣).

الهديّة ثلاث: هديّة مكافاة وهدية مصانعة وهديّة للّه(٤).

ومن تحف العقول

ودّ المؤمن للمؤمن في الله من أعظم شعب الإيمان(٥).

(ي)

يسّروا ولا تعسّروا(٦).

يكفيكم من الموعظة ذكر الموت(٧).

يشيب المرء ويشبّ فيه خصلتان الحرص وطول الأمل(٨).

اليد العليا خير من اليد السفلى(٩).

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد ٤: ٣٨.

(٢) ميزان الحكمة ٤: ٣٤٥٠.

(٣) الكافي ٥: ١٤٣، والسخائم: جمع سخيمة وهي الحقد. (المؤلّف)

(٤) تهذيب الأحكام ٦: ٣٧٨، وسائل الشيعة ١٧: ٢٨٦.

(٥) تحف العقول: ٤٨.

(٦) عوالي اللآلي ١: ٣٨١، صحيح البخاري ١: ٢٥.

(٧) الذريعة الى تصانيف الشيعة ٢١: ١٨٥ عن ابن إدريس في مستطرفاته، والحديث: «يكفيكم من الفطنة ذكر الموت».

(٨) بحار الأنوار ٧٠: ٢٢، مختصر المعاني للتفتازاني: ١٧٧، وفي ميزان الاعتدال ٤: ١٥٦: «لا يشيب المرء ويشيب فيه...» وكذلك في الإصابة ٦: ٢٩٠، والبداية والنهاية ١٣: ٤١٨.

(٩) من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٧٦، صحيح البخاري ٢: ١١٧.

ومن تحف العقول

يأتي على الناس زمان لا يبالي الرجل ما تلف من دينه إذا سلمت له دنياه[١].

يأتي على الناس زمان يكون الناس فيه ذئاباً، فمن لم يكن ذئباً أكلته الذئاب[٢].

يطبع المؤمن على كل خصلة، ولا يطبع على الكذب، ولا على الخيانة[٣].

جوامع كلماته ﷺ فيما يتعلق بالأحكام الشرعية

منقولة من كتاب الشهاب وتحف العقول الآنفي الذكر، فما نُبّه عليه فمن تحف العقول ومن لا[٤]، فمن الشهاب:

(أ)

الإسلام قيد الفتك[٥].

الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه[٦].

الأعمال بالنيّات[٧].

الإسلام يجبّ ما قبله[٨].

الأذان جزم[٩].

(١) تحف العقول: ٥٢.

(٢) المصدر السابق: ٥٤.

(٣) المصدر السابق: ٥٥.

(٤) أي (ومن لم ننبه عليه).

(٥) الكافي ٧: ٣٧٥.

(٦) من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٣٥.

(٧) تهذيب الأحكام ١: ٨٣، صحيح البخاري ١: ٢، مقتطف من الحديث: «إنّما الأعمال...».

(٨) مسند أحمد ٤: ١٩٩، مستدرك الوسائل ٧: ٤٤٨.

(٩) كنز العمال ١: ٥١٨، بدائع الصنائع ١: ١٥٠.

ادرأوا الحدود بالشبهات[١].

اتخذوا الأهل فإنّه أرزق لكم[٢].

إنّ من حقّ الضيف أن يُعدّ له الخلال[٣].

إنّ مَن قُتل دون ماله فهو شهيد[٤].

افتتح بالملح واختم به[٥].

إيّاكم وتزويج الحمقاء[٦].

إذا أردتم النوم فخمّروا أوانيكم[٧].

إن عمود الدين الصلاة[٨].

إقرار العقلاء على انفسهم جائز[٩].

إن الله فرض عليكم الزكاة كما فرض الصلاة[١٠].

اتّبعوا الجنازة ولا تتبعكم[١١].

اتركوا ما لا بأس به حذراً مما به بأس[١٢].

إذا أتاكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله، فما وافقه فاقبلوه، وما خالفه فاضربوا

(١) عوالي الآلي ٣: ٥٤٥، المصنف لابن أبي‌شيبة ٦: ٥١٤.

(٢) الكافي ٥: ٣٢٩، تفسير نور الثقلين ٣: ٥٩٧.

(٣) المحاسن للبرقي ٢: ٥٦٤، بحارالأنوار ٧٢: ٤٥٥.

(٤) مستدرك الوسائل ١٨: ١٦١، صحيح مسلم ١: ٨٧.

(٥) الكافي ٦: ٣٢٥، المحاسن ٢: ٥٩٣.

(٦) دعائم الإسلام ٢: ١٩٧، مستدرك سفينة البحار ٤٠: ٣٤٤.

(٧) الأمالي، المفيد: ١٩٠ ح١٨ وفيه خمروا آنيتكم، التخمير التغطية.

(٨) تهذيب الأحكام ٢: ٢٣٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠: ٢٠٦.

(٩) عوالي اللآلي ٢: ٢٥٧، مستدرك الوسائل ١٣: ٣٧٠.

(١٠) وسائل الشيعة ٩: ٩، عوالي اللآلي ٣: ١١٣.

(١١) دعائم الإسلام ١: ٢٣٤، مستدرك الوسائل ٢: ٢٩٨.

(١٢) بحار الأنوار ٧٤: ١٦٤، فتح الباري وإرشاد الساري ١: ٤٦.

به الحائط[١].

إنّما سُمّي المتقون متقين لتركهم ما لا بأس به حذراً من الوقوع فيما به بأس[٢].

إحرام الرجل في رأسه وإحرام المرأة في وجهها[٣].

إذا ظهرت البدعة في أُمّتي فليُظهر العالم علمه، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله[٤].

إنّما الماء من الماء[٥].

إن إبراهيم حرّم مكة، وأنا حرّمت المدينة[٦].

إذا بلغ الماء كرّاً لم يحمل خبثاً[٧].

اعط الأجير أجره قبل أن يجفّ عرقه[٨].

أبغضكم الى الله المشّاؤون بالنميمة[٩].

أفضل الأعمال أحمزها[١٠].

أطفئوا سُرُجَكم عند نومكم[١١].

أكثروا الصلاة عليَّ يوم الجمعة[١٢].

---

(١) عوالي اللآلي ١: ٦٨، عون المعبود ١٢: ٢٣٢.

(٢) مستدرك الوسائل ١١: ٢٦٧.

(٣) من لا يحضره الفقيه ٢: ٣٤٢، السنن الكبرى للبيهقي ٥: ٤٧.

(٤) المحاسن للبيهقي ١: ٢٣١، فيض القدير ١: ٥١٥.

(٥) المعجم الأوسط ٦: ٣١٨، عوالي اللآلي ٢: ٢٠٣.

(٦) صحيح مسلم: ٤: ١١٢، عوالي اللآلي ٢: ٩٦.

(٧) عوالي الآلي ١: ٧٦، المغني لابن قدامة ١: ٢٩.

(٨) السنن الكبرى للبيهقي ٦: ١٢١، عوالي اللآلي ٣: ٢٥٣.

(٩) مستدرك الوسائل ٩: ١٥٠، عوالي اللآلي ١: ١٠٠.

(١٠) ميزان الحكمة ٣: ٢١٢٦، بحار الأنوار ٦٧: ١٩١.

(١١) المستدرك للحاكم ٤: ٢٨٥، بحار الأنوار ٦١: ٢٥٦.

(١٢) السنن الكبرى ٣: ٢٤٩، الحدائق الناظرة ٩: ٣٥٣.

أوصاني جبرئيل بالمرأة، حتى ظننت أنه لا ينبغي طلاقها إلّا من فاحشة بيّنة[١].

اذكروا محاسن موتاكم[٢].

ألا من أراد شفاعتي فلا يزوّج كريمته بفاسق.

أيّما امرأة رضيت بتزويج فاسق فهي فاسقة.

أحسن الناس إيماناً وأكرمهم خُلقاً ألطفهم بأهله وأنا ألطفكم بأهلي[٣].

أراذل موتاكم العزّاب[٤].

إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر، وإن أصاب فله أجران[٥].

أفضل العبادة قراءة القرآن[٦].

أفضل الصدقة صدقة اللسان[٧].

أفضل الصدقة جُهد المُقِلّ[٨].

استعينوا على الصيام بالسحور.

اسكتوا عمّا سكت الله عنه[٩].

إياكم وخضراء الدمن[١٠].

إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور[١١].

---

(١) عوالي اللآلي ١: ٢٥٤، وسائل الشيعة ٢٠: ١٧٠.

(٢) سنن أبي داود ٢: ٤٥٦، عوالي اللآلي ١: ٤٣٩.

(٣) بحار الأنوار ٦٨: ٣٨٧، سنن الترمذي ٤: ١٢٢.

(٤) من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٨٤، مستدرك الوسائل ١٤: ١٥٧.

(٥) ميزان الحكمة ٢: ١٠٨٢، سنن الترمذي ٢: ٣٩٣.

(٦) وسائل الشيعة ٦: ١٦٨، كنز العمال ١: ٥١١.

(٧) مستدرك الوسائل ١٢: ١٤٧، المعجم الكبير ٧: ٢٣٠.

(٨) مستدرك الوسائل ٧: ١٦٣، مسند أحمد ٢: ٣٥٨.

(٩) عوالي اللآلي ٣: ١٦٦.

(١٠) الكافي ٥: ٣٣٢، كنز العمال ١٦: ٤٩٦.

(١١) وسائل الشيعة ٢٩: ١٢٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧: ٦.

أقرب ما يكون العبد من الله إذا كان ساجداً[١].

إذا صُمتَ فليَصُم سمعُك وبصرُك ولسانك[٢].

ابدأ بمن تعول[٣].

(ب)

بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة[٤].

البيّعان بالخيار ما داما في المجلس[٥].

البيّنة على المدّعي واليمين على من أنكر[٦].

البكر تُستأذن وإذنها صماتها، والثيّب يعربُ عنها لسانُها[٧].

البقرة تجزي عن سبعة[٨].

(ت)

تحت كل شعرة جنابة[٩].

تناكحوا تناسلوا فإنّي أُباهي بكم الأُمم يوم القيامة[١٠].

(١) المعجم الكبير ١٠: ٧٩، بحار الأنوار ٨٢: ١٦١.

(٢) بحار الأنوار ٩٣: ٢٩٢، الدر المنثور ١: ٢٠١.

(٣) الكافي ٥: ٦٧، تحف العقول: ٣٥٠، صحيح البخاري ٢: ١١٧.

(٤) مستدرك الوسائل ٣: ٤٥، مسند أحمد ٣: ٣٧٠.

(٥) دعائم الإسلام ٢: ٤٣، صحيح البخاري ٣: ١٠.

(٦) من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٢، شرح مسلم ١٢: ٣.

(٧) عوالي اللآلي ٢: ٢٦٥، وقد جاء فيه: «الثيّب تعرب عن نفسها»، صحيح ا لبخاري ٨: ٦٣ .

(٨) مجمع البيان ١: ١٩٩.

(٩) مستدرك الوسائل ١: ٤٧٩، نيل الأوطار ١: ١٨٥.

(١٠) عوالي اللآلي ١: ٢٥٩، كشف الخفاء ١: ٣١٨.

تزوّجها سوداء ولوداً ولا تتزوّجها حسناء جميلة إذا كانت عاقراً[١].

تراصّوا بين الصفوف[٢].

تزوّجوا ولا تطلّقوا فإنّ الطلاق يهتزّ منه عرش الرّحمٰن[٣].

تعاهدوا نعالكم عند أبواب مساجدكم[٤].

تجاوز الله عن أُمّتي ما حدّثت به نفوسها[٥].

تعلّموا الفرائض وعلّموها الناس فإنها نصف العلم[٦].

تزوّج وإلّا فأنت من إخوان الشياطين[٧].

تخيّروا لنطفكم[٨].

تاجروا الله بالصدقة[٩].

تسعة اجزاء الرزق في التجارة[١٠].

تم على صومك، فإنّما أطعمك الله وسقاك[١١].

---

(١) مسند الإمام الرضا عليه السلام ٢: ٢٥٥، الكافي ٥: ٣٣٤.

(٢) مجمع الزوائد ٢: ٩١، مسند أبي يعلى ٥: ٦٥.

(٣) كنز العمال ٩: ٦٦١، سائل الشيعة ١٥: ٢٦٨.

(٤) تهذيب الأحكام ٣: ٢٥٦، المصنّف للصنعاني ١: ٣٨٨.

(٥) صحيح البخاري: ٦: ١٦٩، سنن الترمذي: ٢: ٣٢٨، شرح أحوال الكافي: ١٠: ١٥٤.

(٦) عوالي اللآلي ٣: ٤٩١، فتح الباري وإرشاد الساري ١٢: ٤.

(٧) بحار الأنوار ١٠٠: ٢٢١.

(٨) دعائم الإسلام للقاضي النعمان ٢: ٢٠٠، سنن ابن ماجة ١: ٦٣٣.

(٩) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨: ١٠١ و ٣٣٥.

(١٠) الكافي ٥: ٣١٩، الجامع الصغير ١: ٥٠٦.

(١١) نصب الراية ٣: ٦، ورد في الصحاح: جاء رجل الى النبيّ فقال يارسول الله: إنّي أكلت وشربت ناسياً، فأجابه، الحديث، صحيح ابن حبان ٨: ٢٨٩، وفيه: أن رجلاً سأل رسول الله: إنّي كنت صائماً فأكلت وشربت فقال رسول الله ﷺ: «**أطعمك الله وسقاك أتم صومك**».

(ث)

ثلاث يحسن فيها الكذب : المكيدة في الحرب، وعِدَتُك زوجتك، والإصلاح بين الناس[١].

(ج)

جُعلت لي الأرض مسجداً وترابها طهوراً[٢].

جنّبوا مساجدكم النجاسة[٣].

جهاد المرأة حسن التبعّل لزوجها[٤].

جنّبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم[٥].

جناية العجماوات جبار[٦].

جنّبوا مساجدكم بيعكم وشراءكم وخصوماتكم[٧].

جعلت الذنوب كلّها في بيت وجعل مفتاحها الخمر[٨].

الجالب مرزوق والمحتكر ملعون[٩].

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٥٩، تحف العقول: ٩.

(٢) عوالي اللآلي ٢: ١٣، مجمع الزوائد ٨: ٢٥٩ .

(٣) وسائل الشيعة ٥: ٢٢٩.

(٤) بحار الأنوار ١٠٠: ٢٤٧، كنز العمال ١٦: ١٤١.

(٥) تهذيب الأحكام ٣: ٢٥٤، سنن ابن ماجة ١: ٢٤٧.

(٦) البحر الرائق : ٣١، وفيه ضبابة العجماء جبار.

(٧) تهذيب الأحكام ٣: ٢٥٤، سنن ابن ماجة ١: ٢٤٧.

(٨) عوالي اللآلي ٣: ٥٦٢، كنز العمال ٥: ٣٥٧.

(٩) الكافي ٥: ١٦٥، سنن الدرامي ٢: ٢٤٩، الجالب يطلق على الذي يجلب الأرزاق إلى البلدان.

(ح)

حرمة المؤمن ميّتاً كحرمته حيّاً(١).

حكمي على الواحد كحكمي على الجماعة(٢).

حُرّم لباس الذهب والحرير على ذكور أُمّتي وحلّ لأناثهم(٣).

حجّكم يوم تحجّون(٤).

حُرّم من المسلم حيّاً ما حُرّم منه ميتاً(٥).

حجر الغصب رهن على خراب الدار(٦).

الحج كلّه عرفة(٧).

الحاج أشعث أغبر(٨).

(خ)

خضّروا موتاكم فما اقل المخضرين يوم القيامة(٩).

خمس صلوات افترضهن الله على عباده(١٠).

---

(١) دعائم الإسلام ٢: ٤٥٦.

(٢) عوالي اللآلي ١: ٩٨، شرح سنن النسائي للسيوطي ٢: ١٨٨.

(٣) ميزان الحكمة ٤: ٢٧٦٦، السنن الكبرى للبيهقي ٤: ١٤١.

(٤) تلخيص الجبير ٧: ٣٦٥، تحفة الفقهاء للسمرقندي:

(٥) الاستبصار ٤: ٢٩٨، دعائم الإسلام ٢: ٤٢٣.

(٦) وسائل الشيعة ١٧: ٣٠٩، وقد نقل جلّ المصادر الحديث عن أميرالمؤمنين «الحجر...» وأشارو على أنّ مثل هذا الحديث نقل عن البنيّ صلى الله عليه وآله.

(٧) السنن الكبرى للبيهقي ٥: ١٧٣، وفيه الحج عرفه.

(٨) المصدر السابق : ٥٨.

(٩) عوالي اللآلي ١: ٢٠٨، مستدرك الوسائل ٢: ٢١٤.

(١٠) مسند أحمد ٥: ٣١٧، عوالي الآلي ٣: ٦٤.

خذوا عنّي مناسككم[١].

خير صفوف الرجال أوّلها وشرّها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرّها أوّلها[٢].

خمس فواسق يُقتلنَ في الحلّ والحرم[٣].

خلق الله الماء طهوراً، لا يُنجّسه شيء إلّا ما غيّر لونه أو طعمه أو ريحه[٤].

خير صلاة المرء في بيته إلّا المكتوبة[٥].

الخراج بالضمان[٦]*.

(د)

درهم ربا أعظم عند الله من سبعين زنية بذات محرم[٧]

دَعي الصلاةَ أيام إقرائِك[٨].

دع ما يريبك الى ما لا يريبك[٩].

درهم الصدقة بعشرة دراهم، درهم القرض بثمانية عشر[١٠].

---

(١) شرح مسلم للنووي ٩: ٢١، عوالي اللآلي ١: ٢١٥.

(٢) بحار الأنوار ٨٥: ٢٣، سنن الدارمي ١: ٢٩١.

(٣) صحيح مسلم ٤: ١٨، مستدرك الوسائل ١٦: ١٢١.

(٤) من لا يحضره الفقيه ١: ٦، مستدرك الوسائل ١: ٢٠٢.

(٥) صحيح البخاري ٧: ٩٩، بحار الأنوار ٣١: ١٠.

(٦) مستدرك الوسائل ١٣: ٣٠٢، سنن أبي داود ٢: ١٤٥.

(*) أي من رد معيباً لم يطالب بمنافعه. (المؤلّف)

(٧) الخصال للصدوق: ٥٨٣، وسائل الشيعة ١٢: ٤٢٨، سنن الدارقطني ٣: ١٣، باختلاف يسير.

(٨) وسائل الشيعة ٢: ٥٤٦، سنن الدارقطني ١: ٢٢٠.

(٩) عوالي اللآلي ١: ٣٩٤، مسند أحمد ٣: ١٥٣.

(١٠) مستدرك الوسائل ١٣: ٣٩٥.

دعوا الناس في غفلاتهم يرزق بعضهم من بعض[١].

دم الحيض أسود محتدم[٢].

دعوا عباد الله يأكل بعضهم من بعض[٣].

(ذ)

ذكاة الجنين ذكاة أُمّه[٤].

ذهبت اليمين بدعوى المدّعي[٥].

(ر)

رفع عن أُمّتي: الخطأ، والنسيان، وما استُكرِهُوا عليه[٦].

رفع القلم عن ثلاثة: الصبي والمجنون والنائم[٧].

ردّ الأمانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك[٨].

ركعتان يُصلّيهما المؤمن في جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها[٩].

الرضاع ما أنبت اللحم وشدّ العظم[١٠].

الرشوة هي الشرك بالله.

---

(١) كشف الخفاء ١: ٤٠٦، عوالي اللآلي ٢: ٢٤٦، وفيه: ذرو الناس.

(٢) عوالي اللآلي ١: ٣٢١، سنن الدارقطني ١: ٢١٤، وليست فيها: «محتدم».

(٣) كنز العمال ٤: ٦٦، التوحيد للصدوق: ٣٨٨.

(٤) سنن الدارمي ٢: ٨٤، عوالي اللآلي ١: ١١٦.

(٥) وسائل الشيعة ١٨: ١٧٩، عوالي اللآلي ٣: ٥٢١.

(٦) التوحيد للصدوق: ٣٥٣، فتح الباري ٥: ١١٦، تحف العقول: ٥٠.

(٧) وسائل الشيعة ١: ٢٠، مسند أحمد ١: ١١٦.

(٨) تهذيب الأحكام ٦: ٣٤٨، سنن الدارمي ٢: ٢٦٤، وفيهما وفي أكثر المصادر: «أدّ» بدل «رد».

(٩) الجامع الصغير ٢: ١٨، وفيه: (ركعتان يركعهما ابن آدم...).

(١٠) مسند أحمد ١: ٤٣٢.

(ز)

زِن وارجِح[١].

زمّلوهم بكلومهم[٢]، فإنهم يحشرون يوم القيامة وأوداجهم تشخب دماً[٣].

زكّوا أموالكم تُقبل صلاتكم[٤].

زكاة الفطرة على كل ذكر وأنثى[٥].

الزنا لا حرمة له[٦].

الزعيم غارم[٧].

(س)

ساعة من عالم متكئ على فراشه ينظر في علم خير من عبادة العابدين سبعين عاماً[٨].

سُباب المؤمن فسوق[٩].

سياحة أُمّتي الصوم[١٠].

---

(١) عوالي اللآلي ١: ٢٢٤، سنن الترمذي ٢: ٣٨٥.

(٢) هذه الكلمة حول الشهداء الذين يدفنون بملابسهم وجراحاتهم. كلوم: جروح. لسان العرب ١٢: ٥٢٤.

(٣) مستدرك الوسائل ٢: ١٨٠، المستصفى للغزالي: ٢٣٩.

(٤) الكافي ٣: ٤٩٧، عوالي اللآلي ٣: ١١٣.

(٥) بحار الأنوار ٩٣: ١٠٥، باختلاف وزيادة.

(٦) مغني المحتاج ٣: ٤١١، وغيرها من الكتب وفيها والمشهور.

(٧) مستدرك الوسائل ١٣: ٤٣٥، سنن ابن ماجة ٢: ٨٠٤، الزعيم غارم: الزعيم: الكفيل، والغارم: الضامن، أي الكفيل هو الضامن، النهاية في غريب الحديث ٢: ٣٠٣.

(٨) كنز العمال ١: ١٥٤، ميزان الحكمة ٣: ٢٠٦٩.

(٩) المحاسن للبرقي ١: ١٠٢، الكافي ٢: ٣٦٠، المصنف للصنعاني ٤: 256.

(١٠) بحار الأنوار ٦٦: 356، تفسير التبيان ٥: ٣٠٧.

(ش)

شارب الخمر كعابد الوثن[١].

شرّ بقاع الأرض الأسواق وهي ميدان إبليس[٢].

شرّ المكاسب كسب الربا[٣].

(ص)

صلّوا كما رأيتموني أُصلّي[٤].

صدقة السر تطفئ غضب الرب[٥].

صِلّوا أرحامكم ولو بالسلام عليهم[٦].

صوم العيد حرام[٧].

صوم الوصال حرام[٨].

صغّروا رغفانكم فإن في كل رغيف بركة[٩].

صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الآدميين[١٠].

---

(١) عوالي اللآلي ٢: ١٤٨، فتح القدير ٢: ٧٣.

(٢) وسائل الشيعة ١٧: ٤٦٨، بحار الأنوار ١٠٠: ٩٧.

(٣) الكافي ٨: ٨٢، كنز العمال ١٥: ٩٢١.

(٤) عوالي اللآلي ١: ١٩٨، صحيح البخاري ٧: ٧٧.

(٥) الكافي ٤: ٧، مجمع الزوائد ٨: ١٥٢.

(٦) تحف العقول: ٥٧، مجمع الزوائد ٨: ١٥٢.

(٧) مختلف الشيعة ٣: ٥٠٦، مستدرك الوسائل ٧: ٥٥١، ح٨٨٦٥.

(٨) من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٦٧، وسائل الشيعة ١٠: ٥٢٠.

(٩) الكافي ٦: ٣٠٣، بحار الأنوار ٥٩: ٢٧٩.

(١٠) عوالي اللآلي ١: ١٩٦، تلخيص الجبير ٤: ١٠٥.

صاحب الرحل يشرب أوّل القوم ويتوضأ آخرهم[(١)].

صلاة فريضة خير من عشرين حجّة[(٢)].

صلاة النهار عجماء[(٣)].

صلاة الليل مثنى مثنى[(٤)].

صلاة الجماعة تعدل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة[(٥)].

صلّ قائماً فإن لم تستطع فصلّ جالساً[(٦)].

الصلاة خير موضوع، من شاء استقلّ ومن شاء استكثر[(٧)].

الصلاة ميزان من وفّى استوفى[(٨)].

الصلح جائز بين المسلمين، إلّا ما أحلّ حراماً أو حرّم حلالاً[(٩)].

(ط)

طلاق المرأة تطليقتان وعدّتها حيضتان[(١٠)].

الطواف صلاة إلّا في تحريم الكلام[(١١)].

---

(١) المحاسن للبرقي ٢: ٤٥٢.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٢١.

(٣) عوالي اللآلي ١: ٤٢١، نصب الراية ٢: ٦، والمعنى: أي إخفاتية لا يسمع فيها قراءة، وعجماء لأنها لا تتكلّم. مجمع البحرين ٣: ١٢٨.

(٤) وسائل الشيعة ٤: ٢٦٠، مسند أحمد ٢: ٣٠.

(٥) بحار الأنوار ٨٥: ٤، صحيح البخاري ١: ١٥٨، «والصحيح الجماعة تفضل بدل تعدل» والفذ: أي المنفرد.

(٦) السنن الكبرى ٣: ١٥٥، مستدرك الوسائل ٤: ١١٧.

(٧) مسند أحمد ٥: ٢٦٥، مستدرك الوسائل ٣: ٤٣.

(٨) الكافي ٣: ٢٦٧، الدر المنثور ١: ٢٩٦.

(٩) عوالي اللآلي ١: ٢١٨، سنن ابن ماجة ٢: ٧٨٨.

(١٠) عوالي اللآلي ١: ٢٣٣، سنن الترمذي ٢: ٣٢٧.

(١١) مغني المحتاج للشربيني ١: ٣٦، وفيه: (الطواف صلاة إلّا أنّ الله أحل فيه الكلام...).

(ع)

عجلّوا بهم الى مضاجعهم(١).

على اليد ما أخذت حتى تؤديه(٢).

على مثلها فاشهد ـ أي الشمس ـ وإلّا فدع(٣).

على كلّ ذي كبد حرّى أجر(٤).

عفا الله عن أُمّتي ما حدّثت به نفسها ما لم تعمل به(٥).

علموهن الغزل ولا تعلّموهن الكتابة(٦).

عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة(٧).

علّموا أولادكم السباحة والرمي(٨).

عَلَمُ الإيمان الصلاة(٩).

عذاب القبر من النميمة والغيبة والكذب(١٠).

عليكم بالدعاء بين الأذان والإقامة فإنه لا يُردّ(١١).

---

(١) الكافي ٣: ١٣٧.

(٢) مستدرك الوسائل ١٧: ٨٨، مسند أحمد ٥: ٨.

(٣) وسائل الشيعة ٢٧: ٣٤٢، كنز العمال ٧: ٢٣.

(٤) عوالي اللآلي ٣: ١٢١.

(٥) بحار الأنوار ١٧: ٥٤.

(٦) مستدرك الوسائل ١٤: ٢٥٩، مجمع الزوائد ٤: ٩٣.

(٧) بحار الأنوار ٧٢: ٣٥٢، مستدرك الوسائل ١١: ٣١٧.

(٨) الجامع الصغير ٢: ١٦١.

(٩) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠: ٢٠٦، مسند الشهاب ١: ١٣١.

(١٠) مستدرك الوسائل ٩: ١٢١.

(١١) الدعوات للراوندي: ٣٦، تحقيق مدرسة الإمام المهدي(عج).

العين وكاء الستة[١]*.

العزل هو الوأد الخفيّ[٢].

ومن تحف العقول

العبادة سبعة أجزاء أفضلها طلب الحلال[٣].

(غ)

غسل يوم الجمعة طهور[٤].

الغيبة أن يذكر الرجل بما يكره أن يسمع[٥].

(ف)

فرّ من الأجذم كفرارك من السبع[٦].

فطرك أخاك الصائم خير من صومك سبعين ضعفاً[٧].

---

(١) سنن ابن ماجة ١: ١٦١، الذكرى: ٢٥، وفيه الستة: حلقة الدبر، وجاء في شرح نهج البلاغة ٢: ١٨٦، الوكاء: رباط القربة، والمراد اليقظة وكذلك الوكاء السداد.

(*) الستة الأست: أي أن النائم لا يأمن خروج ريح منه. (المؤلّف)

(٢) جامع المقاصد ١٢: ٥٠٥.

(٣) تحف العقول: ٣٧.

(٤) الهداية: ١٠٤، عن الصادق عليه السلام.

(٥) عوالي اللآلي ١: ٤٣٧.

(٦) من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٥٧.

(٧) عوالي اللآلي ٢: ٢٨٥ ح٨٥.

في كل أمر مشكل القرعة[١].

في كل من الأربعين من الغنم سائمة زكاة[٢].

الفقه ثم المتجر[٣].

(ق)

قراءة القرآن خير من الذكر، والذكر أفضل من الصدقة، والصدقة أفضل من الصوم، والصوم جنة من النار[٤].

قولوا في الفاسق بما فيه يعرفه الناس فإنه لا غيبة لفاسق[٥].

قتال المؤمن كفر وأكل لحمه معصية[٦].

قُصّوا أظافركم[٧].

قذف محصنة يحبط عمل مائة سنة[٨].

قيلوا فإن الشيطان لا يقيل[٩].

---

(١) عوالي اللآلي ٢: ٢٨٥.

(٢) كنز العمال ٥: ٨٦٦.

(٣) مستدرك الوسائل ١٣: ٢٤٨، عوالي اللآلي ٣: ٢٠١.

(٤) تحف العقول: ٤٣، الدر المنثور ١: ٣٥٤.

(٥) شرح الأزهار ٤: ٥٩١، باختلاف يسير.

(٦) من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٧٧، مسند أحمد ١: ١٧٦.

(٧) الكافي ٦: ٤٩٦، الجامع الصغير ٢: ٢٥٦.

(٨) مستدرك الوسائل ١٨: ٩٠، عوالي اللآلي ٣: ٥٦١.

(٩) مجمع الزوائد ٨: ١١٢، من لا يحضره الفقيه ١: ٥٠٣.

(ك)

كلّ يابس ذكيّ[١]*.

كرامة الميّت تعجيله في التجهيز[٢].

كلّ مسكر خمر[٣].

كلّ مُفت ضامن[٤].

كلّ ما أدّيت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفوناً، وكلّ ما لم تؤدّ زكاته فهو كنز وإن كان ظاهراً[٥].

كلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة سبيلها الى النار[٦].

كلّ كلام لم يبدأ فيه بالبسملة فهو أبتر[٧].

كلّ كلام لم يبدأ فيه بالحمدلة فهو أجذم[٨].

كلّ حسب ونسب قُطع إلّا حسبي ونسبي[٩].

كلّ مسكر حرام، وما أسكر كثيره فالجرعة منه حرام[١٠].

---

(١) تهذيب الأحكام ١: ٤٩، الذكرى: ٢١٦.

(*) أي أن النجس لا ينجس إلّا مع الرطوبة. (المؤلّف)

(٢) من لا يحضره الفقيه ١: ١٤٠.

(٣) مستدرك الوسائل ١٧: ٥١، مسند أحمد ٢: ٢٩.

(٤) الكافي ٧: ٤٠٩، باب إن المفتي ضامن ح١.

(٥) بحار الأنوار ٨: ٢٤٢، الجامع الصغير ٢: ٢٨٥.

(٦) الكافي ١: ٥٧، الديباج على مسلم ١: ٥.

(٧) بحار الأنوار ٨٩: ٢٤٢، مسند أحمد ٢: ٣٥٩.

(٨) سنن أبي داود ٢: ٤٤٤، كنز العمال ١: ٥٥٩.

(٩) بحار الأنوار ٦: ٣١٩ والحديث: «كل حسب ونسب منقطع يوم القيامة إلّا حسبي ونسبي». شواهد التنزيل للحسكاني ١: ٥٣٠.

(١٠) من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٥٤، سنن ابن ماجة ٢: ١١٢٤.

كلّ مولود يولد على الفطرة إلّا أن أبويه يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه(١).
كلّ معروف صدقة(٢)
وكلّ محدثة بدعة(٣).
كُلّ من السمك ما له قشور(٤).
الكفن ثمّ الدّين ثم الوصية ثمّ الميراث(٥).
الكفؤ أن يكون عفيفاً وعنده يسار.

(ل)

لكلّ بيت باب، وباب قبر الرجل من قبل الرجلين(٦).
لعن الله الواشمة والمستوشمة والواشرة والمستوشرة والواصلة والمستوصلة والنامصة والمتنمصة(٧)(٨).

---

(١) الكافي ٦: ١٣، صحيح البخاري ٢: ١٠٤.
(٢) دعائم الإسلام ٢: ٣٢٠، صحيح مسلم ٣: ٨٢
(٣) الأمالي للطوسي: ٣٣٧، مسند أحمد ٣: ٣٧١.
(٤) المقنع للصدوق : ٤٢٣، باختلاف يسير.
(٥) وسائل الشيعة ١٨: ٣٤٥، بحار الأنوار ١٠٠: ٢٠٧
(٦) دعائم الإسلام ١: ٢٣٧، مسند الشاميين ٢: ١١٢.
(٧) الواشمة: فاعلة الوشم في البدن بغرز إبرة ثم تحشوه بالكحل أو بالنيل.
والواشرة: من وشرت المرأة أنيابها وشراً من باب وعد إذا حددتها ورققتها.
والواصلة: من تصل شعرها بشعر غيرها.
والنامصة: الناتفة شعر الوجه.
والمستوشمة والمستوشرة والمستوصلة والمتنمصة: من تطلب أن يفعل بها ذلك، واللعن فيها محمول على تأكد الكراهة إن لم يؤد في بعضها الى محرم كالغش مثلاً.
(٨) سنن النسائي ٨: ١٤٧، عوالي اللآلي ٤: ٩.

لعن الله اليهود حُرّمت عليهم الشحوم فباعوها(١).

ليتزينّ أحدكم يوم الجمعة ويغتسل ويتطيب(٢).

ليّ الواجد ظلم(٣).

ليس منّا من سلق(٤) أو حلق(٥)

للمسلم على المسلم حقّ يرد غيبته ويسمت(٦) عطسته ويجيب دعوته ويشيّع جنازته ويردّ جواب كتابه(٧).

ليبالغ أحدكم في المضمضة والاستنشاق، فإنّه غفران لما تكلّم به العبد ومنفرة للشيطان(٨).

لو كنت آمر أحداً يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها(٩).

ليس منّا من يتطيّر به(١٠).

ليس للمؤمن من عمله إلّا ما نواه(١١).

---

(١) دعائم الإسلام ١: ١٢٢، مسند أحمد ٢: ٣٦٢.

(٢) المعتبر ٢: ٣٠٢.

(٣) في النسخ المطبوعة: ليّ الواحد ـ بالحاء المهملة ـ والصحيح ما أثبتناه، كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٢١١، و «ليّ الواجد ظلم»: أي مطل الغني جور.

(٤) سلق: أي رفع صوته في المصيبة. وحلق: أي حلق شعره في المصيبة.

(٥) مستدرك الوسائل ١: ٤٠٦، سنن النسائي ٤: ٢١.

(٦) تسميت العاطس ـ بالسين المهملة والشين المعجمة ـ: الدعاء له بنحو يرحمك الله.

(٧) مستدرك الوسائل ٩: ٤٨، الأمالي للطوسي: ٦٣٤، سنن الدارمي ٢: ٢٧٦.

(٨) مستدرك الوسائل ١: ٣٢٤، ثواب الأعمال: ١٩.

(٩) بحار الأنوار ١٠٨: ٣١٩، المستدرك للحاكم ٤: ١٧٢.

(١٠) الحديث طويل وجاء في ذيله: «... ليس منّا من تطير أو تُطير له» كما في السرائر ٣: ٥٣٣، المجموع للنووي ١٩: ٢٤٠.

(١١) فتح العزيز ٢: ٣٢٠، تلخيص الحبير ٢: ٢٢٠.

لعن الله ثلاثة: الآكل زاده وحده، والنائم في بيت وحده، وراكب الفلاة وحده[١].

ليس على النساء جمعة، ولا جماعة، ولا أذان ولا إقامة، ولا عيادة مريض، ولا هرولة بين الصفا والمروة، ولا جهاد ولا استلام الحجر، ولا تولّي القضاء، ولا الحلق[٢][٣].

ليس شيء أبغض الى الله من بطنٍ ملآن[٤].

اللاعب بالشطرنج كعابد الوثن[٥].

اللحد لنا والشق لغيرنا[٦]*.

(م)

مطل الموسر المسلم ظلم للمسلم[٧].

ملعون ملعون من يُضيّع من يعول[٨] .

من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية[٩].

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٧٧، بحار الأنوار ٧٣: ١٨٧.

(٢) الخصال للشيخ الصدوق: ٥١١، وسائل الشيعة ١٤: ١٥٥.

(٣) المراد به حلق الرأس في الحج.

(٤) وسائل الشيعة ٢٥: ٢٤، بحار الأنوار ٦٣: ٣٣٣.

(٥) روي عن الإمام علي عليه السلام: «اللاعب بالشطرنج من أكذب خلق الله...» وشبهها بالأصنام المعبودة حيث مرّ بقوم يلعبون بالشطرنج، فقال: «ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون» الخلاف للطوسي ٦: ٤٤٥.

وعن الصادق عليه السلام: «اللاعب بالشطرنج مشرك» عوالي اللآلي ٢: ١١١ ح٣٠٦.

(٦) بحار الأنوار ٧٩: ٤٤، سنن ابن ماجة ١: ٤٩٦.

(*) اللحد للقبر أفضل من الشق. (المؤلف)

(٧) الكافي ٧: ٤١٢، تهذيب الأحكام ٦: ٢٢٦.

(٨) من لا يحضره الفقيه ٣: ١٦٨، عدّة الداعي: ٧٢.

(٩) وسائل الشيعة ٢٠: ٢٨٧، ينابيع المودة ٣: ٣٧٢.

من لم يفرق شعره فرقه الله بمنشار من النار(١)(٢).

من جاء الى الجمعة فليغتسل(٣).

من ترك الصلاة متعمداً فقد برئت منه الذمة(٤).

من قال في القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعده من النار(٥).

من ختم له بقيام الليل فله الجنة(٦).

من سنّ منكم سنّة حسنة كان له أجرها وأجر العامل بها الى يوم القيامة، ومن سنّ سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر العامل بها الى يوم القيامة(٧).

من أكرم فقيهاً مسلماً لقي الله يوم القيامة وهو عنه راض(٨).

من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته(٩).

من سُئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار(١٠).

من صام في يوم صائف سقاه الله يوم الظمأ من الرحيق المختوم(١١).

من مسح على رأس يتيم كان له بكل شعرة تمر على جسده حوراء الى يوم القيامة(١٢).

---

(١) بحار الأنوار ٧٣: ٨٥.

(٢) فرق الشعر جعله فرقتين والمفرق وسط الرأس ومنه يفرق الشعر، وترك فرق الشعر مكروه، واللعن على المكروه لبيان شدة الكراهة. ويحتمل أن يراد بالفرق التسريح، بل لعله أظهر لأن ترك التسريح ينافي النظافة. في تاج العروس، فرق شعره بالمشط سرحه. (المؤلّف)

(٣) وسائل الشيعة ٣: ٣١٧، صحيح البخاري ١: ٢٢٠.

(٤) الكافي ٢: ٢٨٧، مجمع الزوائد ١: ٢٩٥.

(٥) وسائل الشيعة ٢٧: ١٨٩، سنن الترمذي ٤: ٢٦٨.

(٦) تهذيب الأحكام ٢: ١٢٢، عوالي اللآلي ٢: ٥١.

(٧) المعجم الأوسط للطبراني ٨: ٣٨٤، الفصول المختارة: ١٣٦.

(٨) عوالي اللآلي ١: ٣٥٩.

(٩) الدر المنثور ١: ١٥٦، مستدرك الوسائل ٢: ٤٠٦.

(١٠) بحار الأنوار ٥٧: ٣٠١، مسند أحمد ٢: ٢٩٦.

(١١) بحار الأنوار ٨: ١١٤، مجمع البيان ١٠: ٢٩٧.

(١٢) كنز العمال ٣: ١٧٧ ح٦٠٣٦ باختلاف.

من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلّا الموت[١].

من نام فليتوضّأ[٢].

من لحد قريبه فقد قسا قلبه، ومن قسا قلبه بعُد من رحمة ربّه[٣].

من لم يأخذ من شاربه فليس منّا[٤].

من أكل الطين فهو ملعون[٥].

من أنظر معسراً كان له بكل يوم صدقة[٦].

من ذُكرتُ عنده ولم يصلِّ عليَّ فأبعده الله[٧].

من صام صوماً يُرِي به فقد أشرك[٨].

من قلّم أظافيره يوم الجمعة لم تشعث أنامله[٩].

من أفتى بما لا يعلم لعنته ملائكة السماء والأرض[١٠].

من يرد الله به خيراً يفقّهه في الدين[١١].

من تختّم بالعقيق الأحمر ختم الله له بالحسنى[١٢].

---

(١) بحار الأنوار ٨٩: ٢٦٩، مجمع الزوائد ١٠: ١٠٢.

(٢) عوالي اللآلي ٢: ١٧٨، السنن الكبرى ١: ١١٨.

(٣) لم نعثر عليه .

(٤) مسند أحمد ٤: ٣٦٦، سنن الترمذي ٤: ١٨٥.

(٥) علل الشرائع للشيخ الصدوق ٢: ٥٣٣، وسائل الشيعة ١٦: ٣٩٣.

(٦) المستدرك للحاكم ٢: ٢٩، الكافي ٤: ٣٦.

(٧) المحاسن ١: ٩٥ جاء فيه: «من ذُكِرتُ عنده فلم يصلِّ عليَّ فدخل النار...»، المعجم الكبير ١١: ٦٨ مع اختلاف في اللفظ.

(٨) بحار الأنوار ٦٧: ٢٢٢، الجامع لأحكام القرآن ١١: ٧١.

(٩) مستدرك الوسائل ٦: ٤٦، بحار الأنوار ٧٣: ١٢٤.

(١٠) تحف العقول: ٤١، دعائم الإسلام ١: ٩٦، المعجم الصغير ٢: ٥٧٧.

(١١) دعائم الإسلام ١: ٨١، صحيح البخاري ٨: ١٤٩.

(١٢) النوادر للراوندي: ١٩٣، مستدرك الوسائل ٣: ٢٩٥.

من توضّأ قبل الطعام ـ أي غسل يديه ـ عاش في سعة وعوفي من بلوى جسده[١].

من وصل أهل بيتي بقيراط كافأه الله يوم القيامة بقنطار[٢].

من أجاب المؤذّن أو أجاب العلماء كان يوم القيامة تحت لوائي[٣].

من دان بدين قوم لزمه حكمهم[٤].

من قال في مؤمن ما رأت عيناه أو سمعته أُذناه فهو من الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ولهم عذاب أليم[٥].

من روى عن أخيه المؤمن رواية يريد بها هدم مروءته وشينه أوقفه الله في طينة خبال[٦][٧].

من بنى بنياناً رياء وسمعة حمله الله يوم القيامة على عنقه وهو مشتعل ويُلقى في النار[٨].

من منع الماعون جاره منعه الله خيره يوم القيامة[٩].

من أتى ذا بدعة فوقّره فقد هدم الإسلام[١٠].

من كان عنده صبي فليتصابَ له[١١].

---

(١) مستدرك الوسائل ١٦: ٢٦٧، بحار الأنوار ٦٣: ٣٦٣.

(٢) الأمالي للشيخ الصدوق: ٤٨٣، بشارة المصطفى: ٢٦٥.

(٣) مستدرك الوسائل ٤: ٥٧، بحار الأنوار ٨١: ١٥٤.

(٤) الدروس ٢: ٧٠، وفيه حكمه، وسائل الشيعة ١٥: ٣٢٢، ح١١، وفيه لزمته أحكامهم.

(٥) ورد الحديث عن الصادق عليه السلام، كما في تفسير البرهان، عن تفسير علي بن إبراهيم.

(٦) بحار الأنوار ٧٢: ٢٥٩.

(٧) هو صديد أهل النار.

(٨) بحار الأنوار ٧٣: ١٤٩.

(٩) من لا يحضره الفقيه ٤: ١٤، الأمالي للصدوق: ٥١٥.

(١٠) بحار الأنوار ٦٩: ٢٦٥، الاعتقادات: ١١٠.

(١١) عوالي اللآلي ٣: ٣١١، كنز العمال ١٦: ٤٥٧.

من أحبّ أن يتمثّل الناس له قياماً فليتبوّأ مقعده من النار[١].

المؤمنون أُخوة تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم[٢].

المسلمون عند شروطهم[٣].

المسلم أحق بماله أينما وجده[٤].

المتلاعنان لا يجتمعان أبداً[٥].

ومن تحف العقول

ملعون من ألقى كلّه على الناس[٦].

(ن)

نيّة المرء أبلغ من عمله[٧].

الناس مسلّطون على أموالهم[٨].

الناس في سعة ما لم يعلموا[٩].

النكاح سنّتي فمن رغب عن سنتي فليس منّي[١٠].

---

(١) عوالي اللآلي ١: ٤٣٤، شرح مسلم للنووي ٤: ٢٢٤.

(٢) بحار الأنوار ٢٧: ٦٩، تحف العقول: ٤٣، مسند أحمد ١: ١١٩.

(٣) الكافي ٥: ٤٠٤، صحيح البخاري ٣: ٥٢.

(٤) مختلف الشيعة ٤: ٤١٢.

(٥) عوالي اللآلي ٢: ٢٩٧، مسند أبي حنيفة: ١٥٥.

(٦) تحف العقول: ٣٧.

(٧) أمالي الشيخ الطوسي ٢: ٦٩، كنز العمال ٣: ٤٢٤، وفيه: نية المؤمن.

(٨) عوالي اللآلي ١: ٢٢٢، ميزان الحكمة ١: ٨١.

(٩) مستدرك الوسائل ١٨: ٢٠، عوالي اللآلي ١: ٢٠.

(١٠) ميزان الحكمة ٢: ١١٧٨، كنز العمال ١٦: ٢٧١.

(و)

ويل لتجّار أُمّتي من «لا والله» و«بلى والله»، ويل لصنّاع أُمّتي من غد أو بعد غد[١].

ورّثوه من أوّل ما يبول منه[٢] ـ يعني الخنثى ـ.

وسّطوا الإمام وسدّوا الخلل[٣] ـ يعني في الجماعة ـ.

الولد للفراش وللعاهر الحجر[٤].

الوقوف على حسب ما يوقفها أهلها[٥].

الولاء لحمة كلحمة النسب[٦].

الولاء لمن اعتق[٧].

(لا)

لا يخلونّ رجل بامرأة فإنّ الشيطان ثالثهما[٨].

لا يُعذّب بالنار إلّا ربّ النار[٩].

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٣: ١٥٩، ميزان الحكمة ٣: ٢٧٠١.

(٢) مستدرك الوسائل ١٧: ٢١٩، الجامع لأحكام القرآن ١٦: ٥٢.

(٣) سنن أبي‌داود ١: ١٦٠، المعجم الأوسط ٤: ٣٦٩.

(٤) الكافي ٧: ١٦٣، مسند أحمد ١: ٥٩.

(٥) مختلف الشيعة ٦: ٢٩١ و ٣٠٥، نقلاً عن (من لا يحضره الفقيه).

(٦) من لا يحضره الفقيه ٣: ١٣٣، المستدرك للحاكم ٤: ٣٤١.

(٧) الكافي ٦: ١٩٧، صحيح البخاري ١: ١١٧.

(٨) دعائم الإسلام ٢: ٢١٤، مسند أحمد ٣: ٤٤٦.

(٩) بحار الأنوار ١٩: ٣٥٢، مجمع الزوائد ٦: ٢٥١.

لا يقم الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه، ولكن يقول: تفسّحوا أو توسّعوا[١].

لا تلتفتوا في صلاتكم فإنّه لا صلاة لملتفت[٢].

لا خير في النوافل إذا أضرّت بالفرائض[٣].

لا تجسّسوا ولكن تحسّسوا[٤]*.

لا يؤاخذ الرجل بجريرة ابنه ولا ابن بجريرة أبيه[٥].

لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق[٦].

لا رهبانية في الإسلام[٧].

لا يتناج اثنان دون الثالث[٨].

---

(١) مستدرك الوسائل ٩: ١٥٩، مسند أحمد ٢: ١٧.

(٢) بحار الأنوار ٨١: ٢١١، مجمع الزوائد ٢: ٨٠.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨: ١٥٨، الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام وفيه: (لا قربة بالنوافل...).

(٤) مقدمة ابن صلاح: ٢٧٦، تفسير القرآن العظيم ٤: ٢٢٨.

(*) التجسس ـ بالجيم ـ: التفتيش عن بواطن الأمور للشر. والتحسس ـ بالحاء ـ: تطلب الشيء للخير. (المؤلّف)

(٥) مجمع الزوائد ٦: ٢٨٣، سنن النسائي ٧: ١٢٧.

(٦) وسائل الشيعة ١٦: ١٥٤، مسند أحمد ١: ١٣١.

(٧) دعائم الإسلام ٢: ١٩٣، المصنف للصنعاني ٣: ٢٧٠.

(٨) مسند أحمد ٢: ٤٥، مستدرك الوسائل ٨: ٣٩٩.

لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث، والسابق أسبقهما الى الجنة[١].

لا يأخذ أحدكم متاع أخيه لا جاداً ولا هازلاً[٢].

لا يحلّ مال امرئ مسلم إلّا عن طيب نفس منه[٣].

لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب، ولا امرأة ناشرة شعرها، ولا إناء يُبال فيه[٤].

لا يُنتفع من الميتة بإهاب ولا عصب[٥].

لا تقبل الصلاة إلّا بالزكاة[٦].

لا تقطعْ رحمك وإن قطعك[٧].

لا امرأة خير من ابنة العم[٨].

لا تَدّعوا قيام الليل فإنّ المغبون من حُرِم قيام الليل[٩].

لا دين لمن لا تقيّة له[١٠].

لا تسبّوا الأموات فتؤذوا الأحياء[١١].

لا عدوى ولا طيرة في الإسلام[١٢].

(١) ذخائر العقبى: ١٣٧.

(٢) مستدرك الوسائل ١٢: ١٠٥، مسند أحمد ٤: ٢٢١.

(٣) وسائل الشيعة ٥: ١٢٠، الجامع لأحكام القرآن ٥: ١٨٧.

(٤) قريبٌ منه منتهى المطلب للعلامة الحلّي: ٢٤٦/١ .

(٥) مستدرك الوسائل ٢: ٥٩١، السنن الكبرى ١: ١٤.

(٦) مجمع البيان ٧: ١٧٤، الجامع لأحكام القرآن ٨: ٨١.

(٧) وسائل الشيعة ١٢: ٢٧٣، بحار الأنوار ٧١: ١٠٤.

(٨) لم نعثر عليه .

(٩) علل الشرائع ٢: ٣٦٣، إلّا أن الحديث عن الصادق عليه السلام .

(١٠) من لا يحضره الفقيه ٢: ١٢٨ ح١٩٢٨، كنز العمال ٣: ٩٦، ح٥٦٦٥ .

(١١) مسند أحمد ٤: ٢٥٢، الدعوات للراوندي: ٢٧٨.

(١٢) عوالي اللآلي ١: ٤٤٧، ولم ترد فيه «في الإسلام».

لا وليمة إلّا في خمس: في خرس، أو في عرس، أو عذار، أو وكار، أو ركاز[١]*.

لا تُجالس شُرّاب الخمر فإن اللعنة إذا نزلت عمّت من في المجلس[٢].

لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه[٣].

لا يمين إلّا بالله[٤].

لا تخن من خانك فتكن مثله[٥].

(ى)

يؤمّكم أقرؤكم[٦].

يُمناك لعلياك، يسراك لسِفلاك.

يقال للعاقّ اعمل ما شئت فإنّي لا أغفر لك[٧].

يلزم الوالدين من العقوق لولدهما إذا كان صالحاً ما يلزم الولد لهما[٨].

---

(١) تهذيب الأحكام ٧: ٤٠٩، وسائل الشيعة ١٦: ٤٥٤.

(*) الخرس ـ بضم فسكون ـ: النفاس بالولد، والعرس: التزويج، العذار ـ بالكسر ـ: الختان، والوكار ـ بالكسر ـ: بناء الدار، والركاز ـ بالكسر ـ: القدوم من الحج. (المؤلّف)

(٢) فقه الرضا لابن بابويه: ٢٨١.

(٣) مسند أحمد ٢: ١٤٢، السنن الكُبرى ٧: ١٧٩.

(٤) كشف اللثام ٢: ١٨٥.

(٥) مستدرك الوسائل ١٥: ١٨٣.

(٦) وسائل الشيعة ٥: ٤١٠، السنن الكبرى ٣: ١٢٥.

(٧) بحار الأنوار ٧١: ٨٠، كنز العمال ١٦: ٤٧٦.

(٨) الكافي ٦: ٤٨، كشف الخفاء ١: ٤٢٧.

بعض أدعيته

الدعاء في شهر رمضان بعد المكتوبة

رواه الكفعمي في المصباح عنه ﷺ، وهو مشتمل على مضامين عالية ودعوات جامعة:

«اللّهم أدخل على أهل القبور السرور، اللّهم اغن كلّ فقير، اللّهم أشبع كلّ جائع، اللّهم اكسُ كلّ عُريان، اللّهم اقض دَيْنَ كُلِّ مَدين، اللّهم فرّج عن كلّ مكروب، اللّهم ردّ كلّ غريب، اللّهم فكّ كلّ أسير، اللّهم أصلح كل فاسد من أُمور المسلمين، اللّهم اشف كلّ مريض، اللّهم سدّ فقرنا بغناك، اللّهم غيّر سوء حالنا بحسن حالك، اللّهم اقض عنّا الدَيْن، وأغنِنا من الفقر، إنّك على كل شيء قدير»(١).

دعاؤه ﷺ يوم بدر

ذكره ابن طاووس في مهج الدعوات:

«اللّهم أنت ثقتي في كلّ كرب، وأنت رجائي في كلّ شدة، وأنت لي في كلّ أمر نزل بي ثقة وعُدّة، كم من كرب يضعُف عنه الفؤاد وتقلّ فيه الحيلة ويَخذُل فيه القريب ويشمت به العدوّ وتُعييني فيه الأُمور، أنزلتهُ بك وشكوتُه إليك راغباً فيه إليك عمّن سواك ففرّجته وكشفته عنّي وكفيتنيه، فأنت وليّ كلّ نعمة وصاحب كلّ حاجة ومنتهى كلّ رغبة، فلك الحمد كثيراً، ولك المنّ فاضلاً»(٢).

---

(١) المصباح للكفعمي: ٨١٦.

(٢) مهج الدعوات: ٩٣، باب ذكر احراز وعوذ.

دعاؤه صلى الله عليه وآله يوم أُحد

ذكره ابن طاووس في مهج الدعوات، قال: رويناه بإسنادنا الى محمّد بن الحسن الصفّار بإسناده عن الصادق عليه السلام، وعن غيره أنه لمّا تفرّق الناس عن النبيّ صلى الله عليه وآله يوم أُحد قال:

«**اللّهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان**»، فنزل جبرئيل وقال: يا محمّد، لقد دعوت بدعاء إبراهيم حين أُلقي في النار، ودعا به يونس حين صار في بطن الحوت، قال: وكان رسول الله يدعو في دعائه: «**اللّهم اجعلني صبوراً واجعلني شكوراً واجعلني في أمانك**»[١].

دعاؤه صلى الله عليه وآله يوم الأحزاب

منقول من كتاب «الدعاء والذكر» تأليف الحسين بن سعيد، بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان دعاء النبيّ صلى الله عليه وآله ليلة الأحزاب:

«**يا صريخ المكروبين ويا مجيب دعوة المضطرّين، اكشف عنّي همّي وغمّي وكربي، فإنّك تعلم حالي وحال أصحابي، فاكفني هَوْلَ عدوّي، فإنّه لا يكشف ذلك غيرُك**»[٢].

دعاء علّمه لبعض أصحابه يُتّقى به شرّ العدو

ذكره ابن طاوس في مهج الدعوات:

«**يا سامع كلِّ صوت، يا محيي النفوس بعد الموت، يا من لا يعجل لأنّه لا يخاف**

---

(١) مهج الدعوات: ٩٤.

(٢) بحار الأنوار ٩١: ٢١٢.

الفوت، يا دائم الثبات، يا مُخرِج النبات يا مُحيي العظام الرميم الدارسات، بسم الله، اعتصمتُ بالله وتوكّلتُ على الحيّ الذي لا يموت، ورميتُ كلّ من يؤذيني بلا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم»[١].

دعاؤه ﷺ لقضاء الدين

علّمه عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

اللهم اغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمّن سواك[٢].

دعاؤه ﷺ إذا طعم عند قوم

روى الكُليني في الكافي بسنده عن الصادق: كان رسول الله ﷺ إذا طعم عند أهل بيت قال لهم:

«طعم عندكم الصائمون وأكل طعامُكم الأبرار، وصَلّت عليكُم الملائكةُ الأخيار»[٣].

دعاؤه ﷺ إذا وضعت المائدة بين يديه

وبسنده كان رسول الله ﷺ إذا وضعت المائدة بين يديه قال:

«سُبحانك اللّهم ما أحسن ما تبتلينا، سبحانك اللّهم ما أكثر ما تعطينا، سبحانك اللّهم ما أكثر ما تعافينا، اللّهم أوسع علينا وعلى فقراء المؤمنين والمسلمين»[٤].

---

(١) مهج الدعوات: ١٠١، في دعاء النبيّ ﷺ المجرّب.

(٢) الأمالي للشيخ الطوسي: ٤٣١، الأمالي للشيخ الصدوق: ٤٧٢.

(٣) الكافي ٦: ٢٩٤.

(٤) المصدر السابق ٦: ٢٩٣.

سيرة
السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ سيّدة نساء العالمين عليها السلام، أُمّها خديجة بنت خويلد أُمّ المؤمنين، وكانت أصغر بنات رسول الله ﷺ وأحبّهن إليه وانقطع نسل رسول الله ﷺ إلّا من فاطمة ولم يخلف ﷺ من بنيه غيرها، وتتضمن سيرتها الشريفة ذكر مولدها وكنيتها ولقبها ونقش خاتمها وبوّابها وصفتها ومناقبها وفضائلها وأخبارها وتزويجها بعليّ عليه السلام ومحل بيتها وخبر فدك وسهم ذوي القربى وميراث رسول الله ﷺ وخُطَبها بعد وفاة أبيها ﷺ، وما جرى لها بعده وتاريخ وفاتها ومدة عمرها وحزنها بعد أبيها وأوقافها وصدقاتها ووصيّتها ومصحفها وما أُثر عنها من النثر والنظم.

مولدها

ولدت بمكة يوم الجمعة العشرين من جمادى الآخرة بعد المبعث بسنتين قاله الشيخ الطوسي في مصباح المتهجد، قال: وفي رواية أُخرى سنة خمس من المبعث[١]. وقال الكُليني وابن شهرآشوب ولدت بعد المبعث بخمس سنين[٢]. وهو المروي عن الباقر عليه السلام وهو المشهور بين أصحابنا.

وفي كشف الغُمّة عن ابن الخشّاب في مواليد ووفيات أهل البيت مرفوعاً عن الباقر عليه السلام أنّها ولدت بعد النبوّة بخمس سنين وقريش تبني البيت[٣]،

---

(١) مصباح المتهجد ٢: ٧٣٣ في ذكر جمادى الثانية.

(٢) الكافي ١: ٤٥٨ باب مولد الزهراء عليها السلام، المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٣٥٧.

(٣) كشف الغُمّة ٢: ٧٥.

ولعلّه اشتباه من الراوي أو سهو من النسّاخ، فبناء الكعبة كان قبل النبوّة لا بعدها، ويدلّ عليه ما في مقاتل الطالبيين: أنّها ولدت قبل النبوة وقريش تبني الكعبة[١].

وروى الحاكم في المستدرك وابن عبد البرّ في الاستيعاب أنها ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد النبيّ ﷺ[٢] أي بعد البعثة بسنة.

وفي الإصابة ولدت بعد البعثة بسنة[٣].

وأكثر علماء أهل السنّة تروي أنّها ولدت قبل البعثة بخمس سنين، ولعلّه وقع اشتباه من الرواة بين كلمتي قبل وبعد.

كنيتها ولقبها

كانت تكنّى أُمّ أبيها وتلقّب بالزهراء وبالبتول، قال الهروي في شرح الغريبين سُمّيت مريم بتولاً، لأنّها تبتّلت عن الرجال وسُمّيت فاطمة بتولاً لأنّها تبتّلت عن النظير[٤]. انتهى.

نقش خاتمها: أمِن المتوكّلون[٥].

بوّابها: فضّة أَمتها[٦].

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٥٩.

(٢) مستدرك الحاكم ٣: ١٦٣، الاستيعاب ٤: ٤٤٨.

(٣) الإصابة ٨: ٢٦٣.

(٤) عنه في المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٣٣٠.

(٥) مصباح الكفعمي: ٦٩٠، بحار الأنوار ٤٣: ٩ ح١٤.

(٦) مصباح الكفعمي: ٦٩٠، بحار الأنوار ٤٣: ٩ ح١٤.

صفتها

روى الحاكم في المستدرك بسنده عن أنس بن مالك وابن شهرآشوب في المناقب عنه قال: سألت أُمّي عن صفة فاطمة عليها السلام فقالت: كانت كأنّها القمر ليلة البدر، أو الشمس كفرت غماماً، أو خرجت من السحاب، وكانت بيضاء بضة أشد الناس برسول الله صلى الله عليه وآله شبهاً.

وعن عطاء بن أبي رباح كانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله تعجن وأن قصبتها[١] تضرب الى الجفنة[٢].

وفي كشف الغُمّة: أنّ بعض الوعاظ ذكر فاطمة عليها السلام وما وهبها الله تعالى من المزايا والفضائل واستخفّه الطرب فأنشد:

خجلاً من نور بهجتها تتوارى الشمس بالشفق
وحياءً من شمائلها يتغطّى الغصن بالورق

فشقّ كثير من الناس ثيابهم وأوجب وصفُها بكاءهم وانتحابهم[٣].

وروى ابن عبد البرّ في الاستيعاب بأسانيده عن عائشة أُمّ المؤمنين أنّها قالت: ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً.

وفي رواية: ـ سمتاً وهدياً ودلاً[٤] ـ برسول الله صلى الله عليه وآله من فاطمة وكانت إذا دخلت عليه قام إليها فقبّلها ورحّب بها كما كانت تصنع هي به[٥].

---

(١) القصبة: الخصلة الملتوية من الشعر. (المؤلّف)

(٢) مستدرك الحاكم ٣: ١٦١، المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٣٥٦ ـ ٣٥٧.

(٣) كشف الغُمّة ٢: ٩٠ ـ ٩١.

(٤) مناقب أمير المؤمنين لابن سليمان الكوفي: ٢٠٩.

(٥) الاستيعاب ٤: ٤٥٠ الترجمة ٣٤٩١.

وفي رواية لأبي داود كان إذا دخلت عليه قام إليها فأخذ بيدها فقبّلها وأجلسها في مجلسه وكانت إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده فقبّلته وأجلسته في مجلسها(١) .

وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن أُم المؤمنين عائشة أنّها قالت : ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً من فاطمة برسول الله ﷺ ، وكانت إذا دخلت عليه رحّب بها وقام إليها فأخذ بيدها فقبّلها وأجلسها في مجلسه قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه(٢) .

وبسنده عن عائشة : ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها فقبّلها ورحّب بها وأخذ بيدها فأجلسها في مجلسه، وكانت هي إذا دخل عليها قامت إليه مستقبلة وقبّلت يده. وقال صحيح على شرط الشيخين(٣) .

وجاء في عدّة روايات :أن فاطمة عليها السلام أقبلت تمشي ما تخطيء مشيتها من مشية رسول الله ﷺ شيئاً(٤) .

وفي كشف الغمّة عن أُمّ سلمة أُمّ المؤمنين قالت :كانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ أشبه الناس وجهاً برسول الله ﷺ(٥).

(١) سنن أبي داود ٢: ٥٥٢ ح٥٢١٧.

(٢) مستدرك الحاكم ٣: ١٥٤.

(٣) مستدرك الحاكم ٣: ١٦٠.

(٤) مسند أحمد ٦: ٢٨٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٢١١،كشف الغُمّة ٢: ٧٩، بحار الأنوار ٤٣: ٥١ و ١٨١.

(٥) كشف الغُمّة ٢: ٩٧.

مناقبها وفضائلها

قول النبيّ ﷺ : «أنها بضعة منّي أو شجنة[١] منّي» .

روى البخاري في صحيحه بسنده أنّ رسول الله ﷺ قال : «**فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني**»[٢] .

وروى النسائي في الخصائص بسنده عن المسوّر بن مخرمة ان النبيّ ﷺ قال : «**فاطمة بضعة منّي من أغضبها أغضبني**»[٣].

وروى مسلم في صحيحه في حديث : «**إنّما فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما آذاها**»[٤].

وفي رواية لمسلم : «**إنّما ابنتي بضعة منّي يريبني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها**»[٥].

وفي الإصابة عن الصحيحين عن المسوّر بن مخرمة سمعت رسول الله ﷺ على المنبر يقول : «**فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما آذاها و يريبني ما رابها**»[٦].

وروى أبو نعيم في حلية الأولياء بسنده عن المسوّر بن مخرمة أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول : «**إنّما فاطمة ابنتي بضعة منّي يريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها**» ، وقال : رواه عمرو بن دينار عن ابن أبي مليكة عن المسوّر، ورواه أيّوب السختياني عن ابن أبي مليكة عن عبدالله بن الزبير نحوه[٧].

وعن صحيح الترمذي: «**أنّها بضعة منّي يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها**» هذا

---

(١) الشجنة: الشعبة من كل شيء. (المؤلّف)

(٢) صحيح البخاري ٤: ٢١٠ باب فضائل أو مناقب فاطمة عليها السلام .

(٣) السنن الكبرى للنسائي ٥: ٩٧ ح ٨٣٧١.

(٤) صحيح مسلم ٧: ١٤١، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة عليها السلام.

(٥) المصدر السابق .

(٦) الإصابة ٨: ٢٦٥.

(٧) حلية الأولياء ٢: ٤٠.

حديث حسن صحيح[١].

وعن صحيح الترمذي: «إنّما فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما آذاها وينصبني ما أنصبها» هذا حديث حسن صحيح[٢].

وفي الشفا: «أنّها بضعة منّي يغضبني ما يغضبها»[٣].

وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن المسوّر بن مخرمة، قال رسول الله ﷺ: «إنّما فاطمة شجنة منّي يبسطني ما يبسطها ويقبضني ما يقبضها» وقال: حديث صحيح[٤].

وبسنده عن المسوّر أنّه بعث إليه حسن بن حسن يخطب ابنته فقال: ما من نسب ولا سبب أحبّ إليّ من نسبكم وسببكم وصهركم ولكن رسول الله ﷺ قال: «فاطمة بضعة أو مضغة منّي يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها، وأن الأنساب يوم القيامة تنقطع غير نسبي وسببي وصهري وعندك ابنتها، ولو زوّجتك لقبضها ذلك» فانطلق عاذراً له وقال هذا حديث صحيح[٥].

وروى أبو الفرج الإصبهاني في الأغاني أنّ عبدالله بن الحسن المثنّى ابن الحسن السبط دخل على عمر بن عبد العزيز وهو حديث السن وله وقار وتمكين فرفع عمر مجلسه وأكرمه وقضى حوائجه فسئل عمر عن ذلك فقال: إنّ الثقة حدّثني حتى كأنّي اسمع مَن في رسول الله ﷺ أنّه قال: «إنّما فاطمة بضعة منّي يسرّني ما يسرّها ويغضبني ما يغضبها» فعبد الله بضعة من بضعة رسول الله ﷺ[٦].

---

(١) صحيح الترمذي ٥: ٦٥٥ ح٣٨٦٧، باب ٦١.

(٢) المصدر السابق ٥: ٦٥٦ ح٣٨٦٩، باب ٦١.

(٣) الشفاء ٢: ٣٠٨، ينابيع المودّة ٢: ٥٣ ح٢٢.

(٤) المستدرك للحاكم ٣: ١٥٤.

(٥) المصدر السابق ٣: ١٥٨.

(٦) الأغاني ٩: ٣٠١ وفيه اختلاف باللفظ، ينابيع المودّة ٢: ٥٧: ح٣٤.

شدّة حُبّ النبيّ ﷺ فاطمة

روى الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي ثعلبة الخشني: كان رسول الله ﷺ إذا رجع من غزاة أو سفر أتى المسجد فصلّى فيه ركعتين ثم ثنّى بفاطمة ثم يأتي أزواجه[١].

وبسنده عن ابن عمر أنّ النبيّ ﷺ كان إذا سافر كان آخر الناس عهداً به فاطمة، وإذا قدم من سفر كان أوّل الناس به عهداً فاطمة[٢].

وروى ابن شهرآشوب في المناقب بعدّة أسانيد عن عائشة: أنّ عليّاً قال للنبيّ ﷺ لما جلس بينه وبين فاطمة وهما مضطجعان: «**أيّنا أحبّ إليك أنا أوهي؟ قال: هي أحبّ إليّ وأنت أعزّ عليّ**»[٣].

ولا يمكن أن يكون جواب أحسن من هذا عند السؤال عن منزلة عليّ وفاطمة عند الرسول ﷺ ففاطمة أحبّ إليه حبّ حنان وشفقة ورأفة وعليّ أعزّ عليه عزّة فضل ومكانة.

أحبّ النساء إليه ﷺ فاطمة

في الإستيعاب بسنده سئلت عائشة: أي الناس كان أحبّ الى رسول الله ﷺ؟ قالت: فاطمة، قلت: فمن الرجال؟ قالت: زوجها إن كان ما علمته صوّاماً قوّاماً[٤].

---

(١) المستدرك للحاكم ٣: ١٥٥.

(٢) المستدرك للحاكم ٣: ١٥٦.

(٣) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٣٣١.

(٤) الاستيعاب ٤: ٤٥١ الترجمة ٣٤٩١.

ورواه الحاكم في المستدرك بسنده عن جميع بن عمير وصححه . دخلت مع عمّتي على عائشة فسئلت أي الناس كان أحبّ الى رسول الله ﷺ[١] وذكر مثله ، ورواه الترمذي[٢] أيضاً.

زهدها عليها السلام

روى الحاكم في المستدرك بسنده أن رسول الله ﷺ دخل على فاطمة وقد أخذت من عنقها بسلسلة من ذهب فقالت : «**هذه أهداها إليّ أبو حسن**» فقال رسول الله ﷺ : «**يا فاطمة أيَسُرّكِ أن يقول الناس فاطمة بنت محمّد وفي يدك سلسلة من نار**» ثم خرج ولم يقعد، فعمدت فاطمة الى السلسلة فاشترت غلاماً فاعتقته فبلغ ذلك النبيّ ﷺ فقال : «**الحمّد لله الذي نجّى فاطمة من النار**» قال صحيح على شرط الشيخين[٣].

وروى أحمد بن حنبل في مسنده عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ إذا سافر آخر عهده بإنسان من أهله فاطمة وأوّل من يدخل عليه إذ قدم فاطمة، فقدم من غزاة فأتاها فإذا بمسح على بابها وهو كساء معروف، ورأى على الحسن والحسين قلبين ـ أى سوارين ـ من فضة فرجع ولم يدخل عليها فظنّت أنّه من أجل ما رأى فهتكت الستر ونزعت القلبين من الصبيّين فقطّعتهما، فبكى الصبيان فقسّمته بينهما فانطلقا الى رسول الله ﷺ وهما يبكيان فأخذه منهما وقال : «**يا ثوبان إذهب بهذا الى بني فلان واشتر لفاطمة قلادة من عصب ـ وهو سن دابّة بحرية ـ وسوارين من عاج فإن هؤلاء أهل بيتي ولا**

(١) المستدرك للحاكم ٣: ١٥٧.

(٢) صحيح الترمذي ٥: ٦٥٨ ح٣٨٧٤.

(٣) المستدرك للحاكم ٣: ١٥٣.

أحبّ أن يأكلوا طيّباتهم في حياتهم الدنيا»[١].

قال : وعن جعفر بن محمّد عن أبيه : قدم على رسول الله ﷺ قوم عُراة بالروم فدخل على فاطمة وقد سترت ستراً قال : **«أيَسُـرّكِ أن يسترك الله يوم القيامة،فأعطينيه»** فاعطته فخرج به فشقه لكل إنسان ذراعين في ذراع[٢].

صدق لهجتها

في الاستيعاب بسنده عن عائشة : ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة من فاطمة إلّا أن يكون الذي ولدها ﷺ[٣].

وروى أبو نعيم في الحلية بسنده عن عائشة : **«ما رأيت أحداً قط أصدق من فاطمة غير أبيها»**[٤].

مناقب أهل البيت

آية التطهير وحديث الكساء

قال الله تعالى في سورة الأحزاب : **﴿إنّما يُريد الله ليُذهِب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾**[٥]. **«نزلت في عليّ وفاطمة وابنيهما»**.

روى الواحدي في أسباب النزول بسنده عن أبي سعيد قال : نزلت في خمسة . في النبيّ ﷺ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام[٦] .

---

(١) مسند أحمد ٥: ٢٧٥.

(٢) لم أعثر عليه.

(٣) الاستيعاب ٤: ٤٥١ الترجمة ٣٤٩١.

(٤) حلية الأولياء ٢: ٤١ ـ ٤٢.

(٥) الأحزاب: ٣٣.

(٦) أسباب النزول للواحدي: ٢٣٩.

وفي الإصابة قالت أُمّ سلمة : في بيتي نزلت ﴿إنّما يريد الله ليُذهِب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ . قالت فأرسل رسول الله ﷺ الى فاطمة وعليّ والحسن والحسين فقال : «هؤلاء أهل بيتي...» الحديث أخرجه الترمذي[1] والحاكم في المستدرك وقال : صحيح على شرط مسلم[2][3]...الخ.

أقول : الذي في المستدرك وتلخيصه صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه .

وفي الدر المنثور : أخرج الترمذي وصحّحه وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصحّحه وابن مردويه والبيهقي في سننه من طرق عن أُمّ سلمة قالت : في بيتي نزلت : ﴿إنّما يريد الله ليُذهِب عنكم الرجس أهل البيت﴾ وفي البيت فاطمة وعليّ والحسن والحسين فجللهم ﷺ بكساء كان عليه ثم قال : «هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا» .

وأخرج ابن مردويه عن أُمّ سلمة قالت : نزلت هذه الآية في بيتي ﴿إنّما يريد الله...﴾ الآية . وفي البيت سبعة : جبريل ومكائيل وعليّ وفاطمة والحسن والحسين وأنا على باب البيت قلت : يا رسول الله ألست من أهل البيت؟ قال : «إنّك الى خير إنّك من أزواج النبيّ ﷺ» .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن أُمّ سلمة زوج النبيّ ﷺ : إنّ رسول الله ﷺ كان ببيتها علىٰ منامة له عليه كساء خيبري فجاءت فاطمة ببرمة فيها خزيرة فقال رسول الله ﷺ : «ادعي

---

(١) صحيح الترمذي ٥: ٣٢٨ ح٣٢٠٥ وص ٦٢١ ح٣٧٨٧ وص٦٥٦ ح ٣٨٧١.

(٢) المستدرك للحاكم وبذيله التلخيص ٣: ١٤٦.

(٣) الإصابة ٨: ٢٦٥.

زوجك وابنيك حسناً وحسيناً» فدعتهم فبينما هم يأكلون إذ نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿إنّما يُريد الله ليُذهِب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا﴾، فأخذ النبيّ بفضلة إزاره فغشاهم إياه، ثم أخرج يده من الكساء وأومأ الى السماء، ثم قال: «اللهمّ هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي فاذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً» قالها ثلاث مرات، قالت أُم سلمة: فأدخلت رأسي في الستر فقلت: يا رسول الله وأنا معكم؟ فقال: «إنّكِ الى خير»[1] ـ مرّتين ـ. ورواه في أُسد الغابة[2] بسنده عن أُمّ سلمة نحوه.

وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن واثلة بن الأسقع: أتيت علياً عليه السلام فلم أجده، فقالت لي فاطمة: «انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وآله يدعوه» فجاء مع رسول الله صلى الله عليه وآله فدخلا ودخلت معهما فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن والحسين فأقعد كلّ واحد منهما على فخذيه وأدنى فاطمة من حجره وزوجها، ثم لفّ عليهم ثوباً وقال: ﴿إنّما يُريد الله ليُذهِب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾، ثم قال: «هؤلاء أهل بيتي، اللهمّ أهل بيتي أحقّ». هذا حديث صحيح على شرط الشيخين[3].

وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن عامر بن سعد عن سعد: نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله الوحي فأدخل علياً وفاطمة وابنيهما تحت ثوبه ثم قال: «اللهمّ هؤلاء أهلي أهل بيتي». وبسنده عن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب: لما نظر رسول الله صلى الله عليه وآله الى الرحمة هابطة قال: «ادعوا لي ادعوا لي» فقالت صفية: مَن يا رسول الله؟ قال: «أهل بيتي عليّ وفاطمة والحسن والحسين» فجيء بهم فألقى

---

(١) الدر المنثور ٥: ٣٧٦ ـ ٣٧٧. وفيه تقديم وتأخير بالمطلب.

(٢) أُسد الغابة ٢: ١٢. وأوردها في ج٣: ٤١٣.

(٣) المستدرك للحاكم ٣: ١٤٧.

عليهم النبيّ ﷺ كساءه، ثم رفع يديه ثم قال: «اللهمّ هؤلاء آلي فصلّ على محمّد وعلى آل محمّد» وأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ قال هذا حديث صحيح الإسناد وقد صحّت الرواية على شرط الشيخين أنّه علّمهم الصلاة على أهل بيته كما علّمهم الصلاة على آله(١).

وفي الدر المنثور: أخرج الطبراني عن أُمّ سلمة قالت: جاءت فاطمة الى أبيها بثريدة لها تحملها في طبق لها حتى وضعتها بين يديه فقال لها: «أين ابن عمّك؟ قالت: هو في البيت. قال: اذهبي فادعيه وابنيك. فجاءت تقود ابنيها كل واحد منهما في يد وعليّ يمشي في أثرهما حتى دخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسهما في حجره وجلس عليّ عن يمينه وجلست فاطمة عن يساره، قالت أُمّ سلمة: فأخذت من تحتي كساء كان بساطنا على المنامة في البيت.

أقول: هكذا في النسخة ولعلّ الصواب: فأخذ ولم تذكر ما صنع بالكساء والظاهر: أنّه جلّلهم به وقال ما تقدّم وترك ذكر ذلك إحالة على ما مرّ.

قال: وأخرج الطبراني عن أُمّ سلمة: أنّ رسول الله ﷺ قال لفاطمة: «ائتيني بزوجك وابنيك» فجاءت بهم فألقى رسول الله ﷺ كساءً فدكياً ثم وضع يده عليهم ثم قال: «اللهمّ إنّ هؤلاء أهل محمّد ـ وفي لفظ ـ آل محمّد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمّد كما جعلتها على آل ابراهيم إنّك حميد مجيد» قالت أُمّ سلمة: فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي وقال: «إنّك على خير».

وأخرج ابن مردويه والخطيب عن أبي سعيد الخدري قال: كان يوم أُمّ سلمة أُمّ المؤمنين فنزل جبريل على رسول الله ﷺ بهذه الآية: ﴿إنّما يُريد

---

(١) المستدرك للحاكم ٣: ١٤٧ ـ ١٤٨.

الله...﴾الآية. فدعا رسول الله ﷺ بحسن وحسين وفاطمة وعليّ فضمّهم إليه ونشر عليهم الثوب، والحجاب على أُمّ سلمة مضروب ثم قال: «اللهمّ هؤلاء أهل بيتي اللهمّ اذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا» قالت أُمّ سلمة: فأنا معهم يا نبيّ الله؟ فقال: «أنت على مكانك وإنّك على خير».

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد ومسلم وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين.

عن عائشة قالت: خرج رسول الله ﷺ غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن والحسين فأدخلهما معه، ثم جاءت فاطمة فادخلها معهما ثم جاء عليّ فأدخله معهم ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

وأخرج ابن جرير والحاكم وابن مردويه عن سعد قال: نزل على رسول الله ﷺ الوحي فأدخل عليّاً وفاطمة وابنيهما تحت ثوبه ثم قال: «اللهمّ هؤلاء أهلي وأهل بيتي».

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصحّحه، والبيهقي في سننه عن واثلة بن الأسقع قال: جاء رسول الله ﷺ الى فاطمة ومعه حسن وحسين وعليّ حتى دخل فأدنى عليّاً وفاطمة فأجلسهما بين يديه وأجلس حسناً وحسيناً كلّ واحد على فخذه، ثم لفّ عليهم ثوبه وأنا مستدبرهم، ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ...﴾[1] الآية.

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد الترمذي وحسّنه، وابن جرير وابن المنذر

(١) الدر المنثور ٥: ٣٧٦ - ٣٧٧.

والطبراني والحاكم وصحّحه وابن مردويه عن أنس أنّ رسول الله ﷺ كان يمرّ بباب فاطمة إذا خرج الى صلاة الفجر ويقول : «**الصلاة يا أهل البيت الصلاة (إنّما يُريد الله ليُذهِب عنكم الرجس...﴾» الآية** .

وروى الحاكم في المستدرك وقال : صحيح على شرط مسلم بسنده عن أنس أن رسول الله ﷺ كان يمرّ بباب فاطمة ستّة أشهر إذا خرج لصلاة الفجر يقول : «**الصلاة يا أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾**»[1] .

وأخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري : لما دخل عليّ بفاطمة جاء النبيّ أربعين صباحاً الى بابها يقول : «**السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته الصلاة رحمكم الله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ...﴾ الآية. أنا حرب لمن حاربتم، أنا سلم لمن سالمتم**» .

وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن أبي الحمراء : حفظت من رسول الله ﷺ ثمانية أشهر بالمدينة ليس من مرّة يخرج الى صلاة الغداة إلّا أتى الى باب عليّ فوضع يده على جنبتي الباب ثم قال : «**الصلاة الصلاة ﴿إنّما يُريد الله...﴾**[2]**الآية** .

وأورده ابن خالويه في كتاب الآل عن نافع بن أبي الحمراء نحوه[3].

وفي الدر المنثور : أخرج ابن مردويه عن ابن عباس : شهدنا رسول الله ﷺ تسعة أشهر يأتي كل يوم باب عليّ بن أبي طالب عند وقت كل صلاة فيقول : «**السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ**

---

(١) المستدرك للحاكم ٣: ١٥٨.

(٢) الدر المنثور ٥: ٣٧٨.

(٣) عنه في كشف الغُمّة ٢: ٨٣

﴿ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ الصلاة رحمكم الله» كل يوم خمس مرات .
وأخرج الطبراني عن أبي الحمراء رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يأتي باب عليّ وفاطمة ستة أشهر فيقول : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ...﴾ (١) الآية .

وفي كتاب وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى للسمهودي : أسند يحيى عن أبي الحمراء شهدت رسول الله صلى الله عليه وآله أربعين صباحاً يجيء الى باب عليّ وفاطمة وحسن وحسين حتى يأخذ بعضادتي الباب ويقول : «السلام عليكم أهل البيت ﴿إنّما يُريد الله...﴾» الآية قال وفي رواية له رابطت بالمدينة سبعة أشهر كيوم واحد وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يأتي باب عليّ كل يوم. وفي رواية عند صلاة الصبح فيقول : «الصلاة الصلاة» ثلاث مرات ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ ...﴾ الآية .

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ قال : «هم أهل بيت طهّرهم الله من السوء واختصّهم برحمته».

قال : وحدّث الضحّاك بن مزاحم : أنّ نبيّ الله كان يقول : «نحن أهل بيت طهّرهم الله من شجرة النبوّة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وبيت الرحمة ومعدن العلم» (٢)... الخ. الدر المنثور .

قال عليّ القاري في شرح الشفا للقاضي عياض بعد ذكر الآية : أراد بأهل البيت نساء النبيّ صلى الله عليه وآله، لأنهنّ في بيته . وروى ذلك عن ابن عباس، قال وعن أبي سعيد الخدري وجماعة من التابعين : أنّهم عليّ وفاطمة والحسن والحسين قال : ولا منع من الجمع، وأما تخصيص الشيعة أهل البيت بفاطمة

---

(١) الدر المنثور ٥: ٣٧٨.

(٢) المصدر السابق.

وعليّ وابنيهما لما ورد أنّه ﷺ : خرج غداة يوم وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله فيه، ثم الحسين فأدخله، ثم فاطمة فأدخلها، ثم عليّ فأدخله، ثم قال : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ واحتجاجهم على عصمتهم وكون اجماعهم حجّة فمردود بأن تخصيصهم بكونهم أهل البيت يكذّبه ما قبل الآية وما بعدها والحديث إنّما هو مؤذن بأنّهم من أهله لا أن غيرهم ليس بأهله...الخ.

أقول : الجمع الذي أشار إليه بقوله : ولا منع من الجمع يردّه صريح ما حكاه عكرمة عن ابن عبّاس من أنّها نزلت في نساء النبيّ خاصّة[1]، وقوله : ﴿إنّما﴾ هو نساء النبيّ بصيغة الحصر، فالجمع بما ذكر غير ممكن على أن قوله : «هؤلاء أهل بيتي» كالنصّ في انحصار أهل البيت فيهم فإنّه بمنزلة الجمع المضاف المفيد للعموم كقولنا : هؤلاء علماء البلد، ولو أراد ما ذكر لقال هؤلاء من أهل بيتي، وإرادة البعض بهذا اللفظ سمج مستهجن فهو بمنزلة التفسير للآية وكذا ما في رواية الخدري من أنها نزلت في خمسة، فإنّ مفهوم العدد الوارد في مقام البيان يمنع من إرادة الأزيد ولو لم نَقُل به في غيره على أن قول أُم سلمة : ألست من أهل البيت، أو أنا معكم، أو معهم وقوله ﷺ لها : «انك الى خير إنّك من أزواج النبيّ ﷺ»، أو «أنت على مكانك وإنّك الى خير» ورفعها الكساء لتدخل معهم وجذبه من يدها وقوله : «إنّك على خير» نصّ صريح في خروج النساء من أهل البيت فبطل قول القاري أنّ الحديث إنّما هو مؤذن بأنهم من أهله لا أن غيرهم ليس بأهله، وحيث ظهر أنّه لا يمكن الجمع فأما أن نقول : إنّ المراد النساء خاصّة كما قاله عكرمة وعروة أو الخمسة خاصّة،

(١) الدر المنثور ٥: ٣٧٦.

كما في باقي الروايات، والأوّل باطل لإنفرادهما به فلا يعارض الروايات الكثيرة المستفيضة التي رواها مشاهير علماء الإسلام ورواتهم وأودعوها كتبهم المشهورة المعتمدة كما سمعت على أن عكرمة حُكِيَ عنه أنّه كان يرى رأي الخوارج[(١)] وعروة منحرف عن عليّ عليه السلام وأهل بيته مع أن الظاهر أن ذلك رأي رأياه ولعلّهما أخذاه من كون الآيات قبلها وبعدها في نساء النبيّ فلا يعارض الروايات المروية عن النبيّ صلى الله عليه وآله مع أن اختصاصها بالأزواج كما يقولان ينافيه تذكير الضمير، وأما كون ما قبل الآية وبعدها في الأزواج فلا يضرّ لوجوب رفع اليد عن هذا الظهور لو فرض بتذكير الضمير وما دلّ من الروايات على خروج النساء كما عرفت إذ النصّ مقدّم على الظاهر ومراعاة السوق في القرآن الكريم غير لازمة وكون ترتيبه على ترتيب نزوله غير معلوم لو لم يكن معلوم العدم، ويدلّ على خروج الأزواج من أهل البيت مضافاً الى ذلك أحاديث الثقلين الآتية في الجزء الثالث في أدلّة إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، فإن فيها أنّه سئل زيد بن أرقم فقيل له : أليس نساؤه من أهل بيته؟ فأجاب منكراً ذلك : نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده[(٢)].

وفي رواية أُخرى فقلنا : من أهل بيته! نساؤه ؟ قال : لا، لأن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر، ثم يطلّقها فترجع الى أبيها وقومها، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده[(٣)]. وقد بيّنا ذلك مفصلاً في كتاب إقناع اللائم على إقامة المآتم .

---

(١) الكامل في ضعفاء الرجال ٥: ٣٦٦ ط. التعديل والتجريح ٣: ١١٥٠ ح ١١٨٠ تحقيق الأُستاذ أحمد البزار.

(٢) الدر المنثور ٥: ٣٧٨، مسند أحمد ٤: ٣٦٧، صحيح مسلم ٧: ١٢٣.

(٣) صحيح مسلم ٧: ١٢٣، ينابيع المودة ١: ٩٧ ح ٩، بحار الأنوار ٣٥: ٢٣٠.

حديث الثقلين

روى الحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط الشيخين بسنده عن زيد بن أرقم، قال رسول الله ﷺ: **«إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي وأنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»**[١]. وسيأتي الكلام على أحاديث الثقلين بأبسط من هذا في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام.

ومن مناقب أهل البيت عليهم السلام

ما رواه الحاكم في المستدرك وقال: حسن صحيح على شرط مسلم بسنده عن عبد الله بن عباس أنّ رسول الله ﷺ قال: **«يا بني عبدالمطلب أنّي سألت الله لكم ثلاثاً: أن يثبّت قائمكم، وأن يهدي ضالّتكم، وأن يعلّم جاهلكم، وسألت الله أن يجعلكم جوداء نجداء رحماء فلو أنّ رجلاً صفن بين الركن والمقام فصلّى وصام، ثم لقى الله وهو مبغض لأهل بيت محمّد دخل النار»**[٢].

وبسنده من رواية أحمد بن حنبل عن أبي هريرة: نظر النبيّ ﷺ الى عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقال: **«أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم»**.

وبسنده عن زيد بن أرقم عن النبيّ ﷺ أنّه قال لعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام: **«أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم»**.

وبسنده عن ابن عباس وصحّحه، قال رسول الله ﷺ: **«أحبّوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبّوني لحبّ الله، وأحبّوا أهل بيتي لحبّي»**.

---

(١) مستدرك الحاكم ٣: ١٤٨.

(٢) المصدر السابق ٤: ٣٥٢.

وبسنده عن أبي سعيد الخدري وصحّحه على شرط مسلم قال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحداً إلّا أدخله الله النار» ـ وفي رواية ـ «إلّا أكبّه الله في النار».

وبسنده عن عمر بن سعيد الأبحّ عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس قال رسول الله ﷺ : «وعدني ربّي في أهل بيتي : من أقرّ منهم بالتوحيد وُلي بالبلاغ أن لا يُعذّبهم». قال الحاكم : قال عمر بن سعيد الأبحّ ومات سعيد ابن أبي عروبة يوم الخميس، وكان حدّث بهذا الحديث يوم الجمعة مات بعده بسبعة أيّام في المسجد فقال قوم : لا جزاك الله خيراً صاحب رفض وبلاء ، وقال قوم : جزاك الله خيراً صاحب سنّة وجماعة أدّيت ما سمعت . هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وبسنده عن عامر بن سعد عن أبيه وقال : صحيح على شرط الشيخين لمّا نزلت هذه الآية : ﴿ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾[1]، دعا رسول الله ﷺ عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال : «اللهمّ هؤلاء أهلي».

وبسنده عن حنش الكناني سمعت أبا ذر يقول ـ وهو آخذ بباب الكعبة ـ : من عرفني فأنا من عرفني، ومن أنكرني فأنا أبو ذر سمعت النبيّ ﷺ يقول: «ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من قومه من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق أو هلك»[2].

وفي وفاء الوفا عن عليّ عليه السلام : «زارنا النبيّ ﷺ فبات عندنا والحسن والحسين نائمان واستسقى الحسن فقام النبيّ ﷺ الى قربة لنا فجعل يعصرها في القدح، ثم جعل

---

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) مستدرك الحاكم ٣: ١٤٩ ـ ١٥١.

يعبعبه فتناول الحسين فمنعه وبدأ بالحسن فقالت له فاطمة : يا رسول الله كأنّه أحبّ إليك ؟ قال : «إنّما استسقى أوّلاً، ثم قال رسول الله ﷺ : «أنّي وإياك وهذان وهذا الراقد ـ يعني عليّاً ـ يوم القيامة في مكان واحد». قال: وعن أبي سعيد الخدري مثله.

وروى الكُليني في الكافي بسنده عن الصادق عليه السلام، قال : «لما جاءت فاطمة تشكو الى رسول الله ﷺ بعض أمرها أعطاها كربة ـ وهي أصل السعفة العريض الغليظ كانوا يكتبون عليه ـ فقال : تعلّمي ما فيها فإذا فيها : «مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليَقُل خيراً أو يسكت»[1].

أخبارها

من أخبارها بمكة ما مرّ في السيرة النبوية عند ذكر استجابة دعائه عليه السلام أنّه لما ألقت قريش سلا الجزور على ظهره وهو ساجد جاءت فاطمة فطرحته عنه[2].

وهاجرت الى المدينة بعد هجرة أبيها بلا فصل حين بعث ﷺ الى عليّ عليه السلام أن يهاجر بها والفواطم وأراده صاحبه على دخول المدينة فقال : «ما أنا بداخلها حتى يأتي أخي وابنتي»[3].

ومن أخبارها بالمدينة أنّه لما جرح النبيّ ﷺ يوم أُحد جعل عليّ ينقل له الماء في درقته من المهراس ويُغسّله فلم ينقطع الدم فأتت فاطمة وجعلت

---

(١) الكافي ٢: ٦٦٧، ح٦، باب حق الدار من كتاب العشرة.

(٢) البداية والنهاية ٦: ٢٩٤، السيرة النبوية لابن كثير ٢: ١٤٨.

(٣) أمالي الطوسي: الجزء السادس عشر، الحديث ٣٦، وفيه (ابن عمّي) بدل (أخي)، انظر بحار الأنوار ١٩: ٦٤ ح١٨.

تـعانقه وتـبكي وأحـرقت حـصيراً وجـعلت عـلى الجـرح مـن رمـاده فانقطع الدم[(١)].

وفي رواية أنّه صلى الله عليه وآله لما انصرف الى المدينة استقبلته فاطمة ومعها إناء فيه ماء فغسل وجهه، وأنّه صلى الله عليه وآله دفع إليها سيفه وقال : «اغسلي عن هذا دمه يا بنية» وأن عليّاً نـاولها سـيفه وقـال : «وهـذا فـاغسلي عـنه فـوالله لقـد صـدقني اليـوم»، وأن الرسول صلى الله عليه وآله قال لها : «خذيه يا فاطمة فقد أدّى بعلك ما عـليه»[(٢)] كما مرّ في وقعة أُحد واختّصها النبيّ صلى الله عليه وآله بذلك ولم يعطِ سيفه بـعض أزواجـه وهـنّ كـثيرات، ومدح عليّاً عليه السلام بالشجاعة أمامها لِتُسرّ بشجاعة بعلها .

ومن أخبارها يوم مؤتة لمّا قُتل ابنُ عمّها جعفر أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله دخل عليها وهي تقول : «وا عمّاه» فقال : «على مثل جعفر فلتبك الباكية البواكي»[(٣)].

وخرجت مع أبيها وبعلها يوم فتح مكة وضـربت للـنبيّ صلى الله عليه وآله قـبّة بـأعلى الوادي وجلس فيها يغتسل وفاطمة تستره وذهب عليّ عليه السلام الى بيت أُخته أُمّ هانيء حين بلغه أنها آوت أُناسا من بني مخزوم أقرباء زوجها، فلم تعرفه أُمّ هانيء لأنّه مقنّع بالحديد وقالت له : يا عبدالله أنا أُمّ هانيء ابنة عمّ رسول الله وأُخت عليّ بن أبي طالب انصرف عـن داري فـقال : اخـرجـوا مـن آويـتم فقالت : والله لأشكونك الى رسول الله فنزع المغفر فعرفته وقـالت : فـديتك حـلفت لاشكـونّك الى رسـول الله فـقال : «اذهـبي» فـبرّي قسـمك فـجاءت فأخبرته فقال : «قد أجرتُ من أجرتِ» فقالت فاطمة منتصرة لبعلها: «إنّما جئتِ يا أُمّ هانيء تشكين عليّاً في أنّه أخاف أعداء الله وأعداء رسوله» فقال رسول الله صلى الله عليه وآله :

(١) الكامل في التايخ ٢: ١٥٧ ـ ١٥٨.

(٢) الإرشاد ١: ٨٩ـ٩٠ وفيه اختلا ف يسير باللفظ.

(٣) ذخائر العقبى: ٢١٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥: ٧١، الطبقات الكبرى ٨: ٢٨٢.

«لقد شكر الله لعليّ سعيه» وأجرتُ من أجارت أُمّ هانيء لمكانها من عليّ» فجمع ﷺ بمكارم أخلاقه بين حفظ شأن عليّ وإكرام أُمّ هانيء لأجله[١].

وقد مرّ من أخبارها ما جرى لها في مرض أبيها الذي توفّي فيه وما قالته في ندبه وغير ذلك.

تزويج الزهراء بعليّ عليه السلام

في كشف الغُمّة روى عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال : «لولا أنّ الله تبارك وتعالى خلق أمير المؤمنين لفاطمة ما كان لها كفوء على وجه الأرض» قال : وروى صاحب كتاب الفردوس عن النبيّ ﷺ : «لولا عليّ لم يكن لفاطمة كفوء»[٢] . وفي مناقب ابن شهرآشوب قد اشتهر في الصحاح بالأسانيد عن أمير المؤمنين وابن عبّاس وابن مسعود وجابر الأنصاري وأنس بن مالك والبراء بن عازب وأُمّ سلمة بألفاظ مختلفة ومعانٍ متّفقة أن أبا بكر وعمر خطبا الى النبيّ ﷺ فاطمة مرّة بعد أُخرى فردّهما .وروى أحمد في الفضائل عن بريدة أن أبا بكر وعمر خطبا الى النبيّ ﷺ فاطمة فقال : «أنّها صغيرة»[٣].

وروى محمّد بن سعد كاتب الواقدي في الجزء الثامن من الطبقات الكبرى بسنده : أن أبا بكر خطب فاطمة الى النبيّ ﷺ فقال : «أنتظرُ بها القضاء» فذكر ذلك لعمر فقال له : ردّك ثم أن أبا بكر قال لعمر : أُخطب فاطمة الى النبيّ ﷺ فخطبها فقال له مثل ما قال لأبي بكر «أنتظرُ بها القضاء» فأخبر أبا بكر

---

(١) كشف الغُمّة ١: ٢١٨ ـ ٢١٩.

(٢) المصدر السابق ٢: ٩٨.

(٣) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٣٤٥.

فقال له ردّك[١] الحديث.

وبسنده عن بريدة أنّه قال نفر من الأنصار لعليّ عندك فاطمة فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله فسلّم عليه فقال: «ما حاجة ابن أبي طالب؟ قال: ذكرتُ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قال: مرحباً وأهلاً» لم يزده عليهما فخرج على أُولئك الرهط وهم ينتظرونه قالوا ما وراءك؟ قال: «ما أدري غير أنّه قال لي مرحباً وأهلاً» قالوا: يكفيك من رسول الله إحداهما أعطاك الأهل، أعطاك المرحب[٢]... الحديث.

وروى ابن سعد بسنده خطب عليّ فاطمة عليها السلام، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ علياً يذكرك. فسكتت فزوّجها»[٣]. وفي البحار عن الضحاك: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لفاطمة: «إنّ عليّ بن أبي طالب ممّن قد عرفت قرابته وفضله في الإسلام وأنّي سألت ربّي أن يزوّجك خير خلقه وأحبّهم إليه، وقد ذكر من أمرك شيئاً فماترين؟ فسكتت فخرج وهو يقول: الله أكبر سكوتها إقرارها[٤].

خطبة النبيّ صلى الله عليه وآله عند تزويجه فاطمة من عليّ عليه السلام

في مناقب ابن شهرآشوب خطب رسول الله صلى الله عليه وآله على المنبر في تزويج فاطمة خطبة رواها يحيى بن معين في أماليه وابن بطّة في الإبانة بإسنادهما عن أنس بن مالك مرفوعاً قال: ورويناها عن الرضا عليه السلام.

أقول: هي في رواية المناقب أخصر فنذكرها برواية كشف الغُمّة وهي:

«الحمد لله المحمود بنعمته، المعبود بقدرته، المطاع بسلطانه، المرهوب من عذابه،

(١) الطبقات الكُبرى ٨: ١٩.

(٢) الطبقات لابن سعد ٨: ٢١.

(٣) المصدر السابق ٨: ٢٠.

(٤) بحار الأنوار ٤٣: ٩٣ ح ٤.

المرغوب إليه فيما عنده، النافذ أمره في أرضه وسمائه، الذي خلق الخلق بقدرته وميّزهم بأحكامه، وأعزّهم بدينه، وأكرمهم بنبيّه محمّد ﷺ، ثم انّ الله جعل المصاهرة نسباً لاحقاً وأمراً مفترضاً، وشج بها الأرحام وألزمها الأنام فقال تبارك اسمه وتعالى جدّه: ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربُّك قديراً﴾ فأمر الله يجري الى قضائه، وقضاؤه يجري الى قدره، فلكلّ قضاء قدر ولكل قدر أجل ولكل أجل كتاب: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أُمّ الكتاب﴾.

ثم أنّي أشهد أنّي قد زوّجت فاطمة من عليّ»[١].

وفي رواية المناقب: «ثم أنّ الله أمرني أن أُزوّج فاطمة من عليّ وقد زوّجتها إياه على أربعمائة مثقال فضة أرضيتَ؟ قال: رضيتُ يا رسول الله، ثم خرّ لله ساجداً فقال النبيّ ﷺ: جعل الله فيكما الكثير الطيّب وبارك فيكما»[٢].

قال أنس: «بارك الله عليكما واسعد جدّكما وجمع بينكما وأخرج منكما الكثير الطيب».

قال أنس: والله لقد أخرج منهما الكثير الطيّب.

خطبة عليّ عند تزويجه بفاطمة عليها السلام

عن ابن مردويه أن النبيّ ﷺ قال لعليّ: «تكلّم خطيباً لنفسك» فقال:

«الحمّد للّه الذي قرب من حامديه، ودنا من سائليه، ووعد الجنّة من يتّقيه، وأنذر بالنار من يعصيه، نحمده على قديم إحسانه وأياديه حمد من يعلم أنّه خالقه وباريه ومميته ومحييه وسائله عن مساويه، ونستعينه ونستهديه ونؤمن به ونستكفيه، ونشهد أن لا إله إلّا الله

(١) كشف الغُمّة ١: ٣٥٨.

(٢) المناقب للخوارزمي: ٣٣٧.

وحده لا شريك له شهادة تبلغه وترضيه، وأنّ محمّداً عبده ورسوله ﷺ صلاة تزلفه وتحظيه وترفعه وتصفيه وهذا رسول الله ﷺ، زوّجني ابنته فاطمة على خمسمئة درهم فأسالوه واشهدوا. قال رسول الله ﷺ : قد زوّجتك ابنتي فاطمة على ما زوّجك الرحمن وقد رضيت بما رضي الله فنعم الختن[١] أنت ونعم الصاحب أنت وكفاك برضى الله رضى» ثم أمر النبيّ ﷺ بطبق بسر[٢] أو تمر وأمر بنهبه[٣].

والروايات مختلفة في قدر مهر الزهراء عليها السلام وجنسه، والصواب أنّه كان خمسمئة درهم اثنتي عشرة أُوقية ونصفا الأُوقية أربعون درهماً، لأنّه مهر السنة كما ثبت من طريق أهل البيت عليهم السلام، وما كان رسول الله ﷺ ليعدوه في تزويج عليّ بفاطمة وتدلّ عليه روايات كثيرة[٤].

وفي رواية ابن سعد في الطبقات: كان صداق بنات رسول الله ﷺ ونسائه خمسمئة درهم اثنتي عشرة أُوقية ونصفاً[٥].

أما ما دلّ على أنّه أربعمئة مثقال كالخطبة السابقة فهو يقتضي أن يكون أكثر من خمسمئة درهم، لأن كل سبعة مثاقيل عشرة دراهم فالخمسمئة درهم تبلغ ثلاثمئة وخمسين مثقالاً لا أربعمئة إلّا أن يكون للمثقال أو الدرهم وزن آخر غير المشهور، وقيل: أنّه كان أربعمئة وثمانين درهماً حكاه في الاستيعاب[٦].

---

(١) الختن بفتحتين: زوج البنت وهذه الرواية تنفي ما قاله أهل اللغة من أنه عند العرب كل من كان من قِبل المرأة كالأب والأخ وأنه عذر العامة زوج البنت. (المؤلّف)

(٢) التمر: بالبُسر بالضم ثم النخيل قبل أن يصير رطباً. (المؤلّف)

(٣) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١٢٧.

(٤) مستدرك سفينة البحار ١: ٢٤٨.

(٥) الطبقات الكبرى ٨: ٢٢.

(٦) الإستيعاب ٤: ٤٤٨.

ويدلّ عليه قول الحسين عليه السلام في خبر خطبة مروان أُمّ كلثوم بنت عبدالله ابن جعفر ليزيد بن معاوية : «لو أردنا ذلك ما عدونا سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله في بناته ونسائه وأهل بيته وهو اثنتا عشرة أُوقية يكون أربعمائة وثمانين درهماً، وقوله : قد زوّجتها من ابن عمّها القاسم على أربعمئة وثمانين درهماً»[١] .

وفي رواية : «أنّ علياً عليه السلام باع بعيراً له بذلك المقدار»[٢] . وفي رواية : «أنّ المهر كان درع حديد وهي التي تُسمّى الحطمية[٣] فباعها بهذا المقدار»[٤] . وفي رواية : «أنّه كان درع حديد وبرداً خلقاً»[٥].

وتدل بعض الأخبار على أنّ الدرع والبرد لم يكونا مهراً بل بِيعا لذلك[٦].

وروى الصدوق في عيون أخبار الرضا بسنده عن أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه عليهم السلام عن عليّ عليه السلام قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله : «يا عليّ لقد عاتبني أرجال من قريش في أمر فاطمة وقالوا : خطبناها إليك فمنعتنا وزوّجت علياً فقلت لهم : ما أنا منعتكم وزوّجته بل الله منعكم وزوّجه...»[٧]الحديث .

قال ابن عبدالبرّ في الاستيعاب : أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لها : «زوجتك سيّداً في الدنيا والآخرة، وأنّه لأوّل أصحابي إسلاماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً» ذكر ذلك في ترجمة عليّ عليه السلام[٨].

---

(١) مستدرك الوسائل ١٥: ٩٨.

(٢) سبل الهدى والرشاد ١١: ٣٨.

(٣) الحطمية: منسوبة الى حُطَم ابن محارب وكان يعمل الدروع.

(٤) مسند أبي يعلى ١: ٣٨٨.

(٥) بحار الأنوار ٤٣: ١٤٣، الكافي ٥: ٣٧٨.

(٦) راجع بحار الأنوار ٤٣ : ١٤٣ ـ ١٤٤.

(٧) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٠٣.

(٨) الاستيعاب ٣: ٢٠٣، وفيه: زوجك.

ثم إنّ علياًعليه السلام أتى بالدراهم فصبّها بين يدي رسول اللهصلى الله عليه وآله فقبض منها قبضة فأعطاها بلالاً وقال : «ابتع لفاطمة طيباً»[١] وفي الاستيعاب : أمرصلى الله عليه وآله أن يجعل ثلثها في الطيب[٢]. وفي رواية لابن سعد : ثلثين في الطيب وثلثاً في الثياب[٣] .

ثم قبض منها بكلتا يديه فأعطاه أبا بكر وقال : «ابتع لفاطمة ما يصلحها من ثياب وأثاث البيت» وأردفه بعمّار وعدّة من أصحابه فكانوا يعرضون الشيء على أبي بكر فإن استصلحه اشتروه، وقبض قبضة كانت ثلاثة وستّين أو ستّة وستّين فأعطاها أُمّ أيمن لمتاع البيت ودفع الباقي الى أُمّ سلمة فقال : «ابقيه عندك» فكان ممّا اشتروه .

جهاز الزهراءعليها السلام عند زفافها

قميص بسبعة دراهم، وخمار بأربعة دراهم، وقطيفة[٤] سوداء خيبرية وسرير مزمّل[٥] بشريط[٦] وفراشان من خيش[٧] مصر حشو أحدهما ليف وحشو الآخر من صوف الغنم، وأربع مرافق[٨] من أدم[٩] الطائف حشوها

(١) الأمالي للشيخ الطوسي : ٤٠، مجمع الزوائد ٩: ٢٠٥، باختلاف.

(٢) الاستيعاب ٤: ٤٤٨.

(٣) الطبقات الكبرى ٨: ١٩ و٢٢.

(٤) القطيفة: دثار له حمل. (المؤلّف)

(٥) ملفوف.

(٦) الشريط خوص مفتول يشرط به السرير ونحوه.

(٧) الخيش ثياب في نسيجها رقة وخيوطها غلاظ من مشاقة الكتان.

(٨) جمع مرفقة وهي ما يتكأ عليها وتوضع تحت المرفق.

(٩) بفتحتين أو ضمتين جمع أديم وهو الجلد.

إذخر[١]، وستر رقيق من صوف، وحصير هجري[٢]، ورحى لليد، ومخضب[٣] من نحاس ـ وهو إناء تغسل فيه الثياب ـ ، وسقاء[٤] من أدم وقعب[٥] للبن وشن[٦] للماء ومطهرة[٧] مزفتة وجرة خضراء وكيزان خزف، ونطع[٨] من أَدم، وعباءة قطوانية[٩] وقربة ماء . فلما عُرض ذلك على رسول الله ﷺ جعل يقلّبه بيده ويقول : «بارك الله لأهل البيت»[١٠] وفي رواية : «أنّه لما وضع بين يديه بكى ثم رفع رأسه الى السماء وقال : اللهمّ بارك لقوم جلّ آنيتهم الخزف»[١١].

تجهيز عليّ عليه السلام عند زفاف فاطمة عليها السلام إليه

وكان من تجهيز عليّ داره انتشار رمل ليّن، ونصب خشبة من حائط الى حائط للثياب، وبسط أهاب كبش ومخدة ليف[١٢] .

وفي رواية ابن سعد عن بعض من حضر : إهداء فاطمة من النساء قالت :

(١) نبات طيب الرائحة.

(٢) منسوب الى هجر بلدة بالبحرين وفي روايه قطري منسوب الى قطر قرية بالبحرين.

(٣) كمنبر ويقال له: مركن وإجانة.

(٤) السقاء جلد السخل يكون للماء واللبن.

(٥) قدح من خشب.

(٦) الشن بالفتح السقاء الخلق وهو أشد تبريداً للماء من الجديد.

(٧) إناء يتطهر به ولعلها كانت من ورق النخل وطليت بالزفت.

(٨) بساط من جلد.

(٩) بالتحريك وهي عباءة بيضاء قصيرة الخمل نسبة الى قطران موضع بالكوفة. (المؤلّف)

(١٠) الأمالي للشيخ الطوسي: ٤٠ ـ ٤١.

(١١) المناقب للخوارزمي: ٣٤٩.

(١٢) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١٢٩.

فدخلنا بيت عليّ فإذا إهاب شاة على دكّان مصطبة، ووسادة فيها ليف، وقربة ومنخل ومنشفة وقدح[١].

فلما كان بعد شهر أو تسعة وعشرين يوماً قال جعفر[٢] وعقيل ـ أو عقيل وحده ـ لعليّ: ألا تسأل رسول الله صلى الله عليه وآله أن يدخل عليك أهلك؟ قال: «**الحياء يمنعني**» قال: اقسمت عليك إلّا قمت معي، فقاما فلقيا أُمّ أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وآله فذكرا لها ذلك، فدخلت الى أُمّ سلمة فأعلمتها وأعلمت نساء النبيّ صلى الله عليه وآله فاجتمعن عند رسول الله وقلن: فديناك بآبائنا وأُمّهاتنا يا رسول الله، إنّا قد اجتمعنا لأمر لو كانت خديجة في الأحياء لقرّت عينها، قالت أُمّ سلمة: فلمّا ذكرنا خديجة بكى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «**خديجة وأين مثل خديجة صدّقتني حين كذّبني الناس، ووازرتني على دين الله، وأعانتني عليه بمالها أنّ الله عزّ وجلّ أمرني أن أُبشّر خديجة ببيت في الجنة من قصب الزمرّد، لا صخب فيه ولا نصب**» قالت أُمّ سلمة: فديناك بآبائنا وأُمّهاتنا أنّك لم تذكر من خديجة أمراً إلّا وقد كانت كذلك غير أنّها قد مضت الى ربّها فهنأها الله بذلك وجمع بيننا وبينها في جنّته، يا رسول الله! هذا أخوك وابن عمّك في النسب عليّ بن أبي طالب يحب أن تدخل عليه زوجته، قال: «**حباً وكرامة**» فدعا بعليّ فدخل وهو مطرق حياءً، وقمن أزواجه فدخلن البيت فقال: «**أتحب أن أدخل عليك زوجتك؟** فقال ـ وهو مطرق ـ: أجل فداك أبي وأُمّي فقال: **أدخلها عليك إن شاء الله،** ثم التفت الى النساء فقال: من

---

(١) الطبقات الكبرى ٨: ٢٤.

(٢) هكذا في رواية ابن مردويه وسيأتي آنفاً ان جعفراً عليه السلام كان في جملة الذين زفوا فاطمة الى عليّ عليهما السلام كما يأتي أن أسماء بنت عميس حضرت زفاف فاطمة ولا يصح ذلك لأن جعفراً كان في ذلك الوقت بالحبشة ومعه زوجته أسماء بنت عميس في زفاف فاطمة اشتباه. والصواب أسماء بنت يزيد بن السكن كما سيأتي. (المؤلّف)

هاهنا؟ فقالت أُمّ سلمة : أنا أُمّ سلمة وهذه زينب وهذه فلانة وفلانة فأمرهن أن يزيّن فاطمة ويطيبنها ويصلحنّ من شأنها في حجرة أُم سلمة، وأن يفرشن لها بيتاً كان قد هيأه عليّ عليه السلام بالآجرة، وكان بعيداً عن بيت النبيّ صلى الله عليه وآله قليلاً، فلمّا بنى بها حوّله النبيّ صلى الله عليه وآله الى بيت قريب منه ففعلن النسوة ما أمرهن(١).

وفي رواية كشف اليقين : فعلقنّ عليها من حليهن وطيّبنّها(٢).

وفي مناقب ابن شهرآشوب عن أبي بكر بن مردويه : فأتى الصحابة بالهدايا فأمر بطحن البرّ وخبزه وأمر علياً بذبح البقر والغنم، فلمّا فرغوا من الطبخ أمر النبيّ صلى الله عليه وآله أن يُنادى على رأس داره أجيبوا رسول الله صلى الله عليه وآله، فبسط النطوع في المسجد وصدر الناس وهم أكثر من أربعة آلاف رجل وسائر نساء المدينة، ورفعوا ما أرادوا، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله بالصحاف فملئت ووجّه الى منازل أزواجه، ثم أخذ صحفة فقال : «**هذه لفاطمة وبعلها**».

فلمّا كانت ليلة الزفاف أتى النبيّ صلى الله عليه وآله ببغلته الشهباء أو بناقته وثنّى عليها قطيفة وقال لفاطمة : «اركبي» فأركبها وأمر سلمان أن يقود بها، ومشى صلى الله عليه وآله خلفها ومعه حمزة وعقيل وبنو هاشم مشهرين سيوفهم ونساء النبيّ صلى الله عليه وآله قُدّامها يرجزن، وأمر بنات عبد المطلب ونساء المهاجرين والأنصار أن يمضين في صحبة فاطمة، وأن يفرحن ويرجزن ويكبّرن ويحمدن ولا يقلن ما لا يرضى الله، ونساء النبيّ قدّامها يرجزن فأنشات أُمّ سلمة ترجز وتقول:

سرن بعون الله جاراتي واشكرنه في كل حالات
واذكرن ما أنعم ربّ العُلى من كشف مكروه وآفات

(١) بحار الأنوار ٤٣: ١٣٢.

(٢) كشف اليقين: ١٩٦.

فقد هدانا بعد كفر وقد انعشنا ربّ السماوات
وسرنَ مع خير نساء الورى تفدى بعمّات وخالات
يا بنت مَن فضّله ذوالعلى بالوحي منه والرسالات

ثم قالت عائشة :

يا نسوة استرن بالمعاجر واذكرن ما يحسن في المحاضر
واذكرنّ ربّ الناس إذ يخصّنا بدينه مع كل عبد شاكر
والحمد للّه على أفضاله والشكر للّه العزيز القادر
سرنَ بها فاللّه أعلى ذكرها وخصّها منه بطهر طاهر

ثم قالت حفصة :

فاطمة خير نساء البشر ومن لها وجه كوجه القمر
فضّلك الله على كل الورى بفضل من خصّ بآي الزمر
زوّجك الله فتى فاضلاً أعني علياً خير من في الحضر
فسرن جاراتي بها فإنها كريمة عند عظيم الخطر

ثم قالت معاذة أُمّ سعد بن معاذ :

أقول قولاً فيه ما فيه واذكر الخير وأبديه
محمّد خير بني آدم ما فيه من كبر ولا تيه
بفضله عرفنا رشدنا فاللّه بالخير يجازيه
ونحن مع بنت نبيّ الهدى ذي شرف قد مكنت فيه
في ذروة شامخة أصلها[1] فما أرى شيئاً يدانيه

وكانت النسوة يرجعن أوّل ببيت من كل رجز ثم يكبرن ودخلن الدار،

(١) أصلها مبتدأ وجملة فما أرى خبره والفاء زائدة في الخبر. (المؤلّف)

ثم أنفذ رسول الله ﷺ الى عليّ فدعاه وأخذ بيد فاطمة فوضعها في يده وقال : «بارك الله لك في ابنة رسول الله ﷺ»[١].

وفي طبقات ابن سعد : جاء رسول الله ﷺ فاستفتح ـ أي عليّ ـ على ليلة زفافه فخرجت إليه أُمّ أيمن فقال : «أثمّ أخي. فقالت : وكيف يكون أخاك وقد أنكحته ابنتك؟ قال : فإنّه كذلك. ثم قال : أأسماء بنت عميس؟ قالت : نعم قال : جئت تكرمين بنت رسول الله؟ قالت : نعم فقال لها خيراً ودعا لها »[٢].

وروي أنّه قال : «اللهمّ أنّهما أحبّ إلي فأحبّهما وبارك في ذرّيتهما، واجعل عليهما منك حافظاً، وإنّي أُعيذهما بك وذريّتهما من الشيطان الرجيم، ودعا لفاطمة فقال : اذهب الله عنك الرجس وطهّرك تطهيرا»[٣] .

وروي أنّه قال : «مرحباً ببحرين يلتقيان، ونجمين يقترنان»[٤] .

وفي رواية أنّه قال : «اللهمّ هذه ابنتي وأحبّ الخلق إليّ، اللهمّ وهذا أخي وأحبّ الخلق إليّ اجعله لك وليّاً وبك حفياً وبارك له في أهله. ثم قال : يا عليّ أُدخل بأهلك بارك الله تعالى لك ورحمة الله وبركاته عليكم أنّه حميد مجيد. ثم خرج من عندهما فأخذ بعضادتي الباب فقال : طهّركما الله وطهّر نسلكما أنا سلم لمن سالمكما وحرب لمن حاربكما، استودعكما الله واستخلفه عليكما». ثم أغلق عليهما الباب بيده[٥].

وفي رواية أنّه قال ﷺ: «اذهبا الى بيتكما جمع الله بينكما وأصلح بالكما، ولا تهيّجا شيئاً حتى آتيكما». فامتثلا حتى جلسا مجلسهما وعندهما أُمّهات

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ١: ١٣٠ ـ ١٣١.

(٢) الطبقات الكبرى ٨: ٢٣.

(٣) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١٣١.

(٤) المصدر السابق ٣: ١٣١.

(٥) كشف الغُمّة ١: ٣٦١، بحار الأنوار ٤٣: ١١٧.

المؤمنين، وبينهن وبين عليّ حجاب وفاطمة عليها السلام مع النساء، ثم أقبل النبيّ صلى الله عليه وآله فدخل وخرج النساء مسرعات سوى أسماء بنت عميس[١]، وكانت قد حضرت وفاة خديجة عليها السلام فبكت خديجة عند وفاتها فقالت لها أسماء: أتبكين وأنت سيّدة نساء العالمين، وأنت زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله ومبّشرة على لسانه بالجنّة، فقالت : ما لهذا بكيت، ولكن المرأة ليلة زفافها لابدّ لها من امرأة تفضي إليها بسرّها وتستعين بها على حوائجها، وفاطمة حديثة عهد بصبا وأخاف أن لا يكون لها من يتولّى أمرها، حينئذ قالت أسماء بنت عميس، فقلت لها : يا سيّدتي لك عهد الله عليّ أن بقيت الى ذلك الوقت أن أقوم مقامك في هذا الأمر، فلمّا كانت تلك الليلة وأمر النبيّ صلى الله عليه وآله النساء بالخروج فخرجن وبقيت، فلمّا أراد الخروج رأى سوادة فقال : «من أنت؟» فقلت : أسماء بنت عميس قال : «ألم آمرك أن تخرجي» فقلت : بلى يا رسول الله وما قصدت خلافك، ولكن أُعطيت خديجة عهداً فحدثته، فبكى وقال صلى الله عليه وآله : **«فأسأل الله أن يحرسك من فوقك، ومن تحتك، ومن بين يديك، ومن خلفك، وعن يمينك،**

---

(١) عن كفاية الطالب تأليف محمّد بن يوسف الكنجي الشافعي أن ذكر أسماء بنت عميس في حديث تزويج فاطمة عليها السلام غير صحيح لأن أسماء امرأة جعفر بن أبي طالب تزوّجها بعده أبوبكر فولدت له محمّداً فلما مات أبوبكر تزوّجها عليّ بن أبي‌طالب وإن أسماء التي حضرت في عرس فاطمة إنّما هي بنت يزيد ابن السكن الأنصاري ولها أحاديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله وأسماء بنت عميس كانت مع زوجها جعفر بالحبشة وقدم بها يوم فتح خيبر سنة سبع وكان زواج فاطمة بعد بدر بأيام يسيرة انتهى.

أقول: إشتباه أسماء بنت عميس بأسماء بنت يزيد ممكن بأن يكون الراوي ذكر أسماء فتبادر الى الأذهان بنت عميس لأنها أعرف لكن ينافي ذلك آخر الحديث وهو أنها حضرت وفاة خديجة وأسماء بنت يزيد أنصارية من أهل المدينة لم تكن بمكة حتى تحضر وفاة خديجة مع أنه مرّ ذكر جعفر بن أبي‌طالب زوج أسماء فكيف وقع في جعفر واحتمل في كشف الغُمّة أن تكون التي شهدت الزفاف سلمى بنت عميس زوجة حمزة وأن بعض الرواة اشتبه بأسماء لشهرتها وتبعه الباقون. ولكن هذا إن رفع الإشكال في أسماء لا يرفعه في جعفر. (المؤلّف)

وعن شمالك من الشيطان الرجيم» . ولم يزل ﷺ يدعو لهما حتى توارى في حجرته، ولم يشرك أحداً معهما في الدعاء[١].

وروى ابن سعد في الطبقات عن بعض من حضر إهداء فاطمة من النساء قالت : أُهديت في بردين من برود الأوّل عليها دملوجان من فضة مصفران بزعفران[٢].

واختُلِفَ في قدر عمر الزهراء يوم تزوّج بها أمير المؤمنين عليه السلام بناءً على الاختلاف في تاريخ مولدهما، كما مرّ فعلى قول أكثر أصحابنا أنّها وُلِدَت بعد النبوّة بخمس سنين يكون عمرها حين تزويجها تسع سنين أو عشر سنين أو إحدى عشرة سنة، لأنّها تزوّجت بعليّ عليه السلام بعد الهجرة بسنة، وقيل : بسنتين، وقيل : بثلاث سنين، قال ابن شهرآشوب في المناقب: وُلِدَت بعد النبوّة بخمس سنين، وأقامت مع أبيها بمكة ثمان سنين، ثم هاجرت الى المدينة فزوّجها من عليّ بعد مقدمها المدينة بسنتين بعد بدر[٣]. وعلى قول بعضهم : أنها ولدت بعد النبوة بسنتين يكون عمرها يوم تزويجها اثنتي عشرة سنة أو ثلاث عشرة سنة أو أربع عشرة سنة بناء على الخلاف في أن تزويجها كان بعد الهجرة بسنة أو سنتين أو ثلاث ولم يرو أصحابنا في مبلغ عمرها يوم تزويجها أزيد من ذلك .

وفي الاستيعاب كان سنها يوم تزويجها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصفا، وكانت سنّ عليّ إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر[٤]، وعلى

(١) بحار الأنوار ٤٣: ١٣٣، ١٣٨، شجرة طوبى ٢: ٢٣٤.

(٢) الطبقات الكبرى ٨: ٢٤.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ١٣٢.

(٤) الاستيعاب ٤: ٤٤٨.

القول : بأنّها وُلِدَت قبل النبوة بخمس سنين يكـون عـمرها يـوم تـزويجها عشرين سنة.

وقال أبو الفرج الإصبهاني : ورواه ابن حجر في الإصابة[١] وابن سعد في الطبقات:كان لها يوم تزويجها ثماني عشرة سنة[٢].

وروى ابن سعد في الطبقات : أن تزويجها بعد مقدم النـبيّ صلى الله عليه وآله المـدينة بخمسة أشهر وبنى بها مرجعه من بدر، قال : وفاطمة يوم بنى بها عليّ عليه السلام بنت ثماني عشرة سنة[٣]...الخ.

ولعلّه وقع اشتباه بين تاريخ تزويجها ووفاتها، لما ستعرف مـن أن ذلك سنّها يوم وفاتها كما احتملنا وقوع الاشتباه في ولادتها بين كونها بعد النـبوّة بخمس سنين أو قبلها.

وكذلك اختلفت الروايات في يوم وشهر تزويجها قال ابن شهرآشـوب في المناقب : تزوّجها عليّ عليه السلام أوّل يوم من ذي الحجة، ودخل بها يوم الثلاثاء لستّ خـــلون مـــن ذي الحـجة، قـال : وروي أن تـزويجها كـان يـوم السادس[٤]...الخ. ولعلّه وقع اشتباه بين يوم التزويج والبناء .

وقال أبو الفرج :كان تزويجها في صفر[٥]، وفي رواية : دخل بها لأيّام خلت من شوال[٦] .

(١) الإصابة ٤: ٣٧٨.

(٢) الطبقات الكبرى ٨: ٢٢.

(٣) المصدر السابق ٨: ٢٢.

(٤) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ١٣٢.

(٥) مقاتل الطالبيين: ٣٠.

(٦) الأمالي للشيخ الطوسي: ٤٣.

وفي رواية : تزوّجها في شهر رمضان وبنى بها في ذي الحجة[١]، وعن المفيد[٢] وابن طاووس ناسبين له الى أكثر علمائنا أنّ زفافها كان ليلة إحدى وعشرين من المحرم ليلة الخميس[٣] .

بيت فاطمة

كان النبيّ ﷺ قد بنى لنفسه بيتاً شرقي المسجد ملاصقاً له سكنه مع ابنته فاطمة، وبنى هناك أيضاً بيوتاً اسكنها أزواجه، وبنى لعليّ عليه السلام بيتاً بجنب البيت الذي تسكنه عائشة وهو الذي دفن فيه النبيّ ﷺ ، فلمّا تزوّج عليّ بفاطمة وأُدخلت عليه، عرّس بها في بيت أستاجره ـ كما مرّ ـ ثم عاد الى ذلك البيت وسكنته فاطمة معه حتى توفيت وفيه ولد الحسن والحسين وسائر أولاد عليّ من فاطمة ـ عليهم جميعاً السلام ـ وبقيت الصخرة التي ولدت عليها الحسنين ظاهرة بعد الحاق بيتها بالمسجد يعرفها أهل البيت .

وفي كتاب وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى : أسند يحيى عن عيسى بن عبدالله عن أبيه أن بيت فاطمة في الزور الذي في القبر بينه وبين بيت النبيّ خوخة . والزور : الموضع المزور شبه المثلث في جهة الشام .

قال وأسند عن عمر بن عليّ بن عمر بن عليّ بن الحسين : أنّ بيت فاطمة في موضع الزور مخرج النبيّ ﷺ، وكانت فيه كوّة الى بيت عائشة فكان رسول الله ﷺ إذ قام الى المخرج اطّلع من الكوّة الى فاطمة فعلم خبرهم، فدخلت عائشة المخرج في جوف الليل فأبصرت المصباح عندهم وذكر

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٤: ٢٤١، بحار الأنوار ٤٣: ١٣٦.

(٢) انظر بحار الأنوار ٩٥: ٣٤٥.

(٣) إقبال الأعمال ٣: ٩٣.

كلاماً وقع بينهما، فلمّا أصبحوا سألت فاطمة النبيّ صلى الله عليه وآله أن يسد الكوّة فسدّها الى أن قال : ويشهد لذلك ـ أي كون موضع بيت فاطمة في الزور ـ ما أسنده يحيى عن مسلم عن ابن أبي مريم أن عرض بيت فاطمة الى الإسطوانة التي خلف الإسطوانة المواجهة للزور. وكان بابه في المربعة التي في القبر قال: وقد أسند أبو غسان عن مسلم بن سالم قال : عرّس عليّ بفاطمة الى الإسطوانة التي خلف الإسطوانة للمواجهة الزور. وكانت داره في المربعة التي في القبر. قال سليمان : وقال مسلم : لا تنس حظّك من الصلاة إليها، فإنه باب فاطمة التي كان عليّ يدخل إليها منه، وقد رأيت حسن بن زيد يصلّي إليها .

وقوله : «عرّس بها... الخ» يخالف ما مرّ من أنّه بنى بها في دار استأجرها.

ثم حكى عن ابن شبة أنّ عليّاً عليه السلام أتّخذ بالمدينة دارين أحدهما دخلت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله والأُخرى دار عليّ التي بالبقيع .

ثم حكي عن رزين أنّه : لمّا كان زمن الوليد بن عبدالملك وعمر بن عبدالعزيز عامله على المدينة، ومكّة بعث الوليد إليه بمال وقال له : من باعك فأعطه ثمنه ،ومن أبىٰ فاهدم عليه وأعطه المال، فإن أبىٰ أن يأخذه فاصرفه الى الفقراء.

ثم ذكر عدّة روايات أنّه بينما الوليد بن عبدالملك يخطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله إذ انكشف الكلّة عن بيت فاطمة عليها السلام وإذا حسن بن حسن يسرّح لحيته، فلمّا نزل أمر بهدم بيت فاطمة. أخذه الغضب لكونه لم يسمع خطبته، بل جلس في بيته يسرّح لحيته فأمر بهدمه فأبى حسن بن حسن، وفاطمة بنت الحسين وهي زوجته زوّجه إيّاها عمّه الحسين عليه السلام أن يخرجوا منه، فأمر بهدمه عليهم وهما فيه وولدهما، فنزع أساس البيت وهم فيه، فلمّا نزع أساس

البيت قالوا لهم : إن لم تخرجوا قوّضناه عليكم فخرجوا منه.

وفي رواية أُخرى : إنّ الوليد كان يبعث كل عام رجلاً الى المدينة فيأتيه بأخبارها فقال له مرّة : لقد رأيت أمراً لا والله ما لك معه سلطان، كنت في مسجد النبيّ ﷺ فإذا منزل عليه كلّة، فلمّا أُقيمت الصلاة رفعت الكلّة وصلّى صاحبه فيه بصلاة الإمام وهو ومن معه، ثم أُرخيت الكلّة وأتى بالغداء فتغدّوا وإذا هو يأخذ المرآة والكحل، فسألت فقيل : إنّ هذا حسن بن حسن، قال : ويحك فما أصنع؟ هو بيته وبيت أُمّه فما الحيلة؟ قال : تزيد في المسجد وتشتري هذا المنزل ،فكتب الى عمر بن عبد العزيز بذلك فأبوا وقال حسن : والله لا نأكل له ثمناً أبداً وأعطاهم به سبعة آلاف أو ثمانية آلاف دينار فكتب الى الوليد بذلك فأمره بهدمه وإدخاله وطرح الثمن في بيت المال، ففعل وانتقلت منه فاطمة بنت الحسين بن عليّ...الخ.

خبر فدك وميراث رسول الله ﷺ

في معجم البلدان فدك بالتحريك وآخره كاف قرية بينها وبين المدينة يومان ، وقيل : ثلاثة فيها عين فوّارة ،ونخل كثير أفاءها الله على رسوله ﷺ في سنة سبع صلحاً[١]...الخ.

والأرض التي تفتح صلحاً منها ما يَسْلِم أهلها وتكون أرضهم لهم، ومنها ما يصالحون على أن تكون الأرض أو بعضها للنبيّ ﷺ، فهذا ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فيكون خالصاً للنبيّ ﷺ.

وفدك مرّ ذكرها في هذا الجزء في موضعين:

---

(١) معجم البلدان ٤: ٢٣٨.

أحدهما : بعد غُزاة خيبر .

ثانيهما : بعد سرية ذات السلاسل فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أرسل الى فدك سرية مع عليّ عليه السلام لما علم أن أهلها يريدون معاونة أهل خيبر عليه، وذلك قبل فتح خيبر فهرب أهل فدك وغنم عليّ من نعمهم وأموالهم، ولكنها لم تفتح يومئذٍ، وإنّما كان أثر هذه السرية أنّهم خافوا وأحجموا عن مساعدة أهل خيبر، ثم لما فتحت خيبر خاف أهل فدك وأرسلوا الى النبيّ صلى الله عليه وآله وصالحوه.

وقد روى المحدّثون وأهل السير والآثار منهم محمّد بن إسحاق صاحب المغازي[1]: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا فرغ من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فدك، فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله فصالحوه على النصف من فدك قال : وكانت فدك لرسول الله صلى الله عليه وآله خالصة له، لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب وأبقاهم فيها، فكان يزارعهم ويساقيهم على النصف، فلمّا توفي النبيّ صلى الله عليه وآله طلبت فاطمة ميراثها من رسول الله، فروى أبو بكر عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال : «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة**» وبه احتجّ الأُصوليون من أهل السنّة على أن خبر الواحد حجّة، قالوا : رواه أبو بكر وقبله الصحابة فكان إجماعاً، ثم إنّ فاطمة طلبت نحلتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وقالت : «**أنّه نحلها فدكاً**» فطلب منها البيّنة فشهد لها عليّ وأُم أيمن، فقال : قد علمت يا بنت رسول الله أنّه لا يجوز إلّا شهادة رجلين أو رجل وامرأتين .

قال ابن أبي الحديد : وسألت عليّ بن الفارقي مدرس المدرسة الغربية ببغداد فقلت له : أكانت فاطمة صادقة؟ قال : نعم، قلت : فَلِمَ لم يدفع إليها أبوبكر فدكاً وهي عنده صادقة، فتبسّم ثم قال كلاماً لطيفاً مستحسناً مع ناموسه

(١) نقله ابن هشام في السيرة النبوية ٣: ٣١٣.

وحرمته وقلّة دعابته قال : لو أعطاها اليوم فدكاً بمجرد دعواها لجاءت إليه غداً وادّعت لزوجها الخلافة وزحزحته من مقامه، ولم يمكنه الاعتذار والمدافعة بشيء، لأنّه يكون قد أسجل على نفسه بأنّها صادقة فيما تدّعي كائناً ماكان من غير حاجة الى بيّنة، قال : وهذا كلام صحيح وإن كان أخرجه مخرج الدعابة والهزل[١]...الخ. ولم تذعن فاطمة لرواية أبي بكر وبقيت مصرّة على طلبها الميراث والنحلة .

روى البخاري في صحيحه في باب فرض الخمس عن عائشة أُم المؤمنين(رض): إنّ فاطمةعليها السلام ابنة رسول اللهﷺ سألت أبا بكر الصدّيق بعد وفاة رسول اللهﷺ أن يقسّم لها ميراثها ما ترك رسول اللهﷺ ممّا أفاء الله عليه؟ فقال لها : إنّ رسول اللهﷺ قال : **«لا نورّث ما تركناه صدقة»**، فغضبت فاطمة بنت رسول اللهﷺ فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته حتى توفيت، وعاشت بعد رسول اللهﷺ ستّة أشهر قالت : وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها ممّا ترك رسول اللهﷺ من خيبر وفدك وصدقته بالمدينة، فأبى عليها ذلك... الحديث[٢] .

ورواه البخاري في صحيحه[٣] أيضاً في كتاب المغازي في غزوة خيبر مثله.

الى أن قال : فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلّمه حتى توفيت، فلمّا توفيت دفنها زوجها عليّ ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلّى

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد ١٦: ٢٨٤.

(٢) صحيح البخاري ٤: ٤٢.

(٣) المصدر السابق ٥: ٨٢.

عليها[١]... الحديث.

وروى ابن سعد في الطبقات بسنده عن عروة بن الزبير : أن عائشة زوج النبيّ صلى الله عليه وآله أخبرته أنّ فاطمة بنت رسول الله سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقسم لها ميراثها ممّا ترك رسول الله صلى الله عليه وآله ممّا أفاء الله عليه فقال لها أبو بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال : «**لا نورّث ما تركناه صدقة**» فغضبت فاطمة وعاشت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ستّة أشهر[٢] .

وروى البخاري في باب قول رسول الله صلى الله عليه وآله : «**لا نورّث ما تركناه صدقة**» بإسناده عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة : إنّ فاطمة والعبّاس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وآله وهما حينئذٍ يطلبان أرضه من فدك وسهمه من خيبر فقال لهما : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : «**لا نورّث ما تركناه صدقة**» إنّما يأكل آل محمّد من هذا المال، قال : فهجرته فاطمة فلم تكلّمه حتى ماتت[٣] . وهكذا رواه الإمام أحمد عن عبد الرزاق عن معمر[٤]، ثم رواه أحمد عن يعقوب بن إبراهيم عن أبيه عن صالح بن كيسان عن الزهري عن عروة عن عائشة : أنّ فاطمة سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ميراثها ممّا ترك مما أفاء الله عليه فقال لها : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : «**لا نورّث ما تركناه صدقة**» فغضبت فاطمة وهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته حتى توفيت، قال : وعاشت فاطمة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ستة

(١) صحيح البخاري ٤: ٤٢ .
(٢) الطبقات الكبرى ٨: ٢٨.
(٣) صحيح البخاري ٥: ٢٥.
(٤) مسند أحمد ١: ٤.

أشهر وذكر تمام الحديث[١].

هكذا قال الإمام أحمد، نقله ابن كثير في تاريخه[٢]، كذلك عليّ قد ظهر منه عدم الإذعان لهذه الرواية، فإنه قال في بعض خطبه: بلى كانت في أيدينا فدك من كلّ ما أظلّته السماء فشحّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين ونعم الحكم الله[٣].

خطبة الزهراء عليها السلام بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله بمحضر المهاجرين والأنصار

ثم إنّ فاطمة عليها السلام لمّا مُنعت فدكاً خطبت خطبة طويلة عظيمة جليلة غاية في الفصاحة والبلاغة والمتانة وقوّة الحجّة بمحضر من المهاجرين والأنصار.

وفي كشف الغُمّة : أنّها من محاسن الخطب وبدائعها عليها مسحة من نور النبوّة، وفيها عبقة من أرج الرسالة، وقد أوردها المؤالف والمخالف قال : ونقلتها من كتاب السقيفة لأبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري من نسخة قديمة مقروءة على مؤلّفها قرئت عليه في ربيع الآخر سنة (٣٢٢هـ)، رواها عن رجاله من عدّة طرق[٤]...الخ. وأبو بكر الجوهري هذا من علماء أهل السنّة، قال ابن أبي الحديد في شرح النهج : أنّه عالم محدّث كثير الأدب ثقة ورع أثنى عليه المحدّثون ورووا عنه مصنّفاته وغير مصنّفاته[٥].

ورواها المرتضى في (الشافي) الذي هو ردّ على (المغني في الإمامة)

---

(١) مسند أحمد ١: ٦.

(٢) البداية والنهاية ٥: ٣٠٦.

(٣) نهج البلاغة: الكتاب ٤٥.

(٤) كشف الغُمّة ٢: ١٠٨.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٢١٠.

لقاضي القضاة عبد الجبار المعتزلي.

قال المرتضى في (الشافي): فأما قوله: إنّ فاطمة لما سمعت ذلك ـ أي حديث ـ: «نحن معاشر الأنبياء لا نورّث» كفّت عن الطلب فأصابت أوّلاً وأصابت آخراً، فلعمري أنها كفّت عن الطلب الذي هو المنازعة والمشاحنة، لكنّها إنصرفت مغضبة متظلّمة متألّمة، والأمر في غضبها وسخطها أظهر من أن يخفى على منصف، فقد روى أكثر الرواة الذين لا يتّهمون بتشيّع ولا عصبية فيه من كلامها في تلك الحال، وبعد إنصرافها عن مقام المنازعة والمطالبة ما يدلّ على ما ذكرناه من سخطها وغضبها، ونحن نذكر من ذلك ما يستدل به على صحة قولنا:

أخبرنا أبو عبيد الله محمّد بن عمران المرزباني، حدّثني محمّد بن أحمد الكاتب، حدّثنا أحمد بن عبيد بن ناصح النحوي، حدّثنا الزيادي، حدّثنا الشرفي عن القطامي عن محمّد بن إسحاق قال: حدّثنا صالح بن كيسان عن عروة عن عائشة قال المرزباني: وحدّثنا أبو بكر أحمد بن محمّد المكّي حدّثنا أبو العيناء محمّد بن القاسم اليمامي، حدّثنا ابن عائشة قال: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله أقبلت فاطمة في لمّة من حفدتها الى أبي بكر، وفي الرواية الأُولى قالت عائشة لما سمعت فاطمة إجماع أبي بكر على منعها فدكاً لاثت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها وأقبلت في لمّة من حفدتها، ثم اجتمعت الروايتان من هاهنا الى آخر ما يأتي، وأورد الخطبة.

ثم قال المرتضى بعد إيرادها: أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني، حدّثني عليّ ابن هارون، أخبرني عبدالله بن أبي طاهر عن أبيه قال: ذكرت لأبي الحسين زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب كلام فاطمة عند منع أبي بكر إيّاها فدكاً وقلت له: إنّ هؤلاء يزعمون أنّه مصنوع، وأنّه من كلام أبي العيناء،

لأنّ الكلام منسوق البلاغة فقال لي : رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونه عن آبائهم ويعلّمونه أولادهم، وقد حدّثني به أبي عن جدّي يبلغ به فاطمة على هذه الحكاية، وقد رواه مشايخ الشيعة وتدارسوه قبل أن يوجد جدّ أبي العيناء.

وقد حدّث الحسين بن علوان عن عطية العوفي أنّه سمع عبدالله بن الحسن بن الحسن يذكر عن أبيه هذا الكلام . ثم قال أبو الحسين زيد : وكيف ينكرون هذا من كلام فاطمة وهم يروون من كلام عائشة عند موت أبيها ما هو أعجب من كلام فاطمة ويحقّقونه لولا عداوتهم لنا أهل البيت؟ ثم ذكر الحديث بطوله على نسقه .

ثم قال المرتضى : وقد روى هذا الكلام على هذا الوجه من طرق مختلفة ووجوه كثيرة فمن أرادها أخذها من مواضعها فقد طوّلنا بذكر ما ذكرناه لحاجة مسّت إليه[1]... الخ.

وقال صاحب كتاب بلاغات النساء أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر المولود ببغداد سنة (٢٠٤ هـ) والمتوفّى سنة (٢٨٠ هـ) في الكتاب المذكور ما لفظه : حدّثني جعفر بن محمّد رجل من أهل ديار مضر لقيته بالرافقة حدّثني أبي أخبرنا موسى بن عيسى، أخبرنا عبدالله بن يونس، أخبرنا جعفر الأحمر عن زيد بن عليّ رحمة الله عليه عن عمّته زينب بنت الحسين عليها السلام قال : لمّا بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فدكاً لاثت خمارها وخرجت في حشدة من نسائها ولمّة من قومها الى آخره[2].

وذكر صاحب بلاغات النساء قبل هذا ما صورته :كلام فاطمة بنت

---

(١) الشافي ٤: ٦٨ ـ ٧٨.

(٢) بلاغات النساء: ١٤.

رسول الله ﷺ. قال أبو الفضل ـ يعني صاحب الكتاب ـ ذكرت لأبي الحسين زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام كلام فاطمة عليها السلام عند منع أبي بكر إيّاها فدكاً وقلت له : إنّ هؤلاء يزعمون الى آخر ما تقدّم في رواية المرتضى عن المرزباني الى قوله : ثم ذكر الحديث ثم قال : قال لما أجمع أبوبكر على منع فاطمة بنت رسول الله ﷺ فدكاً وبلغ فاطمة لاثت خمارها على رأسها وأقبلت في لمّة من حفدتها[١]...الخ .

ثم قال صاحب بلاغات النساء وقد ذكر قوم أن أبا العيناء ادّعى هذا الكلام وقد رواه قوم وصحّحوه[٢].

وأقول : الباعث على دعوى أنّه لأبي العيناء هو الباعث على دعوى أنّ نهج البلاغة للشريف الرضي، وكلاهما باطل لا يلتفت إليه بعد رواية الثقات له وتصحيحهم إيّاه، ثم لا يخفى أنّه وقع سقط في النسخة المطبوعة من بلاغات النساء في هذا الموضع، فإنّه افتتح الكلام بقوله : ذكرت لأبي الحسين زيد...الخ . وصاحب البلاغات لم يدرك زيداً فلا بد أن يكون حصل هنا سقط والذي قال : ذكرت لأبي الحسين زيد هو عبدالله بن أبي طاهر كما مرّ في رواية المرتضى فيكون صاحب البلاغات قد ساق السند الى عبدالله وسقط من النسخة المطبوعة وسبب الإشتباه وجود كلمة أبي طاهر في كليهما.

وممّن ذكر هذه الخطبة الطبرسي[٣] في الاحتجاج ونحن نوردها بلفظه قال: روى عبدالله بن الحسن بإسناده عن آبائه عليهم السلام ، أنّه لما أجمع أبو بكر على منع فاطمة عليها السلام فدكاً وبلغها ذلك لاثت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها

---

(١) بلاغات النساء: ١٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الاحتجاج ١: ١٣٢.

وأقبلت في لمّة من حفدتها ونساء قومها تطأ ذيولها ما تخرم من مشية رسول الله ﷺ شيئاً، فدخلت عليه وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم فنيطت دونها ملاءة، فجلست ثم أنّت أنّة أجهش القوم لها بالبكاء فارتجّ المجلس، ثم أمهلت هنيهة حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله أبيها ﷺ، فعاد القوم في بكائهم فلمّا أمسكوا عادت في كلامها فقالت:

«الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما أقدم، من عموم نِعَمٍ ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام نعم والاها وتمام منن أولاها، جمّ عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدها، وتفاوت عن الإدراك أبدها، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتّصالها، واستحمد الى الخلائق بإجزالها، وثنّى بالندب الى أمثالها.

واشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمّن القلوب موصولها، وأنار في التفكير معقولها، الممتنع من الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كيفيته، ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها، كوّنها بقدرته، وذرأها بمشيئته من غير حاجة منه الى تكوينها، ولا فائدة له في تصويرها، إلّا تثبيتاً لحكمته، وتنبيهاً على طاعته، وإظهاراً لقدرته، وتعبّدا لبرّيته، وإعزازاً لدعوته، ثم جعل الثواب على طاعته ووضع العقاب على معصيته، ذيادة لعباده عن نقمته، وحياشة لهم الى جنته.

وأشهد أنّ أبي محمداً ﷺ النبيّ الأُمّي عبده ورسوله، اختاره وانتجبه قبل أن أرسله، وسمّاه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة، علماً من الله تعالى بمآل الأمور، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بمواقع المقدور، ابتعثه الله تعالى إتماماً لأمره، وعزيمة على إمضاء حُكْمِهِ، وإنفاذاً لمقادير حَتْمِهِ، فرأى الأمم فرقاً في أديانها، عكفاً على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة لله مع

عرفانها، فأنار الله تعالى بأبي محمد صلى الله عليه وآله ظلمها ، وكشف عن القلوب بهمها ، وجلى عن الأبصار غممها ، وقام في الناس بالهداية ، وأنقذهم من الغواية ، وبصّرهم من العماية ، وهداهم الى الدين القويم ، ودعاهم الى الصراط المستقيم .

ثم قبضه الله إليه قبض رأفة واختيار ، ورغبة وإيثار ، فمحمّد صلى الله عليه وآله من تعب هذه الدار في راحة قد حفّ بالملائكة الأبرار، ورضوان الربّ الغفّار ، ومجاورة الملك الجبّار، صلى الله على أبي نبيّه ، وأمينه على وحيه وصفيّه ، وخيرته من الخلق ورضيه، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته

ثم التفتت عليها السلام الى أهل المجلس وقالت :

أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه ، وحملة دينه ووحيه ، وأُمناء الله على أنفسكم ، وبلغاؤه الى الأُمم ، وزعيم حقّ له فيكم ، وعهد قدّمه إليكم ، وبقية استخلفها عليكم ،كتاب الله الناطق ، والقرآن الصادق والنور الساطع ، والضياء اللامع ، بيّنة بصائره ، منكشفة سرائره ، متجليّة ظواهره ، مغتبط به أشياعه ، قائد الى الرضوان اتباعه، مؤدّ الى النجاة استماعه ، به تنال حجج الله المنوّرة ، وعزائمه المفسّرة ، ومحارمه المحذّرة ، وبيّناته الجالية ، وبراهينه الكافية ، وفضائله المندوبة ، ورخصه الموهوبة ، وشرائعه المكتوبة ، فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك ، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر ، والزكاة تزكية للنفس ، ونماء في الرزق ، والصيام تثبيتاً للإخلاص ، والحجّ تشييداً للدين ، والعدل تنسيقاً للقلوب ، وطاعتنا نظاماً للملّة ، وإمامتنا أماناً من الفرقة ، والجهاد عزّاً للإسلام ، وذُلاّ لأهل الكفر والنفاق ، والصبر معونة على استيجاب الأجر ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مصلحة للعامة ، وبرّ الوالدين وقاية من السخط ، وصلة الأرحام منسأة في العمر ، والقصاص حقناً للدماء ، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة ، وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخس ، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس ، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة ، وترك السرقة إيجاباً للعفّة ، وحرّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبية ﴿اتّقوا الله حقّ تقاته ولا تموتن إلّا وأنتم

مسلمون﴾[١] وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، ﴿إنّما يخشى الله من عباده العلماء﴾[٢] ثم قالت عليها السلام:

أيّها الناس اعلموا أنّي فاطمة وأبي محمّد صلى الله عليه وآله، أقول عوداً وبدءاً ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل ما أفعل شططاً، ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾[٣] فإن تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمّي دون رجالكم، ولنعم المعزّى إليه فبلّغ الرسالة، صادعاً بالنذارة، مائلاً عن مدرجة المشركين، ضارباً ثبجهم آخذاً بكظمهم داعياً الى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة، يُكسّر الأصنام، وينكث الهام حتى انهزم الجمع وولّوا الدبر، حتى تفرّى الليل عن صبحه، وأسفر الحقّ عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين، وطاح[٤] وشيظ[٥] النفاق وانحلّت عقدة الكفر والشقاق، وفهتم بكلمة الإخلاص، في نفر من البيض الخماص، وكنتم على شفا حفرة من النار مذقة الشارب ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطيء الأقدام تشربون الطرق، وتقتاتون القد أذلّة خاسئين تخافون أن يتخطّفكم الناس من حولكم فأنقذكم الله تبارك تعالى بأبي محمّد صلى الله عليه وآله بعد اللتيا والتي وبعد أن مُنِيَ ببهم الرجال وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب، كلّما اوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن الشيطان أو فغرت فاغرة من المشركين، قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفيء حتى يطأ صماخها بأخمصه ويخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله قريباً من رسول الله صلى الله عليه وآله، سيّداً في أولياء الله مشمّراً ناصحاً، مجدّاً كادحاً، «لا تأخذه في الله لومة لائم وأنتم في رفاهية العيش»، وادعون فاكهون آمنون، تتربّصون بنا الدوائر وتتوكّفون

(١) آل عمران: ١٠٢.

(٢) فاطر: ٢٨.

(٣) التوبة: ١٢٨.

(٤) طاح: هلك.

(٥) شيظ: الوشيظ بمعجمتين الرذل والسفلة من الناس. (المؤلّف)

الأخبار وتنكصون عند النزال ، وتفرّون من القتال ، فلمّا أختار الله لنبيّه ﷺ دار أنبيائه ومأوى أصفيائه ظهرت فيكم حسكة النفاق وسَمُلَ جلباب الدين ونطق كاظم الغاوين ونبغ خامل الأقلّين وهدر فنيق المبطلين ، فخطر في عرصاتكم واطّلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم ، فألفاكم لدعوته مستجيبين ، وللخزّة فيه ملاحظين ، ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً وأحمشكم فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير إبلكم ووردتم غير مشربكم هذا والعهد قريب والكلم رحيب والجرح لما يندمل والرسول لما يقبر ابتداراً زعمتم خوف الفتنة ﴿أَلَاَ فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِٱلْكَافِرِينَ ﴾[1] فهيهات منكم وكيف بكم وأنّى تؤفكون وهذا كتاب الله بين أظهركم أُموره ظاهرة ، وأحكامه زاهرة ، وأعلامه باهرة ، وزواجره لائحة ، وأوامره واضحة ، قد خلّفتموه وراء ظهوركم ، أرغبة عنه تُريدون ، أم بغيره تحكمون ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾[2]، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ﴾[3] ثم لم تلبثوا إلّا ريثما تسكن نفرتها ، ويسلس قيادها ، ثم أخذتم تورون وقدتها ، وتهيّجون جمرتها ، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغويّ، وإطفاء نور الدين الجليّ، وإهماد سنن النبيّ الصفيّ، تشربون حسواً[4] في إرتغاء[5] وتمشون لأهله وولده في «الخمرة»[6] والضرّاء[7]، ونصبر منكم على مثل حزّ المدى ووخز السنان في الحشى، وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لي ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ

---

(١) التوبة: ٤٩.

(٢) الكهف: ٥٠.

(٣) آل عمران: ٨٥

(٤) الحسو الشراب شيئاً بعد شيء.

(٥) الارتغاء شرب الرغوة مثل يضرب لمن يظهر أمراً وهو يريد غيره أصله الرجل يؤتى باللبن فيظهر أنه يريد الرغوة خاصة فيشربها وهو في ذلك ينال اللبن.

(٦) الخمر بالتحريك ما واراك من شجر وغيره.

(٧) الضراء بالضاد المعجمة المفتوحة والراء المهملة المخففة الشجر الملتفّ في الوادي.

حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(١) أفلا تعلمون بلى قد تجلّى لكم كالشمس الضاحية أنّي ابنته إيهاً! ـ وفي رواية ـ ويهاً(٢) أيها المسلمون! أأُغلب على إرثي، يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي لقد جئت شيئاً فرياً، أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم، إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾(٣) وقال فيما اختصّ من خبر يحيى بن زكريا عليه السلام إذ يقول: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً* يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾(٤) وقال: ﴿وأُولُوا ٱلأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ ٱللَّهِ﴾(٥) وقال: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِي أَوْلاَدِكُم لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلأُنْثَيَيْنِ﴾(٦) وقال: ﴿إِن تَرَكَ خَيْراً ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَٱلأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٧) وزعمتم أن لا حظوة لي ولا أرث من أبي ولا رحم بيننا، أفخصكم الله بآية أخرج منها أبي، أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثان، أولست أنا وأبي من أهل ملّة واحدة، أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمّي، فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمّد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم إذ تندمون ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾(٨) ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾(٩).

---

(١) المائدة: ٥٠.

(٢) أيها بفتح الهمزة لغة في هيهات وبكسر الهمزة والتنوين أمر بالسكوت وويها للإغراء وإيه بكسر الهمزة وفتح الهاء استزادة واستنطاق ولا يخفى أن المناسب ويها أو إيه إما أيها فلا مناسبة لها وبذلك يظهر أن رواية ويها هي الصواب. (المؤلّف).

(٣) النمل: ١٦.

(٤) مريم: ٥ ـ ٦.

(٥) الأنفال: ٧٥.

(٦) النساء: ١١.

(٧) البقرة: ١٨٠.

(٨) الأنعام: ٦٧.

(٩) هود: ٣٩.

ثم رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت :

يا معشر النقيبة وأعضاد الملّة وحضنة الإسلام ، ما هذه الغميزة في حقّي، والسِنَةُ عن ظلامتي، أماكان رسول الله صلى الله عليه وآله أبي يقول: المرء يحفظ في ولده سرعان ما أحدثتم وعجلان ذا أهالة[1] ولكم طاقة بما أحاول ، وقوّة على ما أطلب وأزاول ، أتقولون مات محمّد فخطب جليل، استوسع وهنه واستنهر فتقه وانفتق رتقه واظلّمت الأرض لغيبته ، واكتأبت خيرة الله لمصيبته، وكسفت الشمس والقمر وانتثرت النجوم لمصيبته، وآكدت الآمال ، وخشعت الجبال، وأُضيع الحريم وأُزيلت الحرمة عند مماته . فتلك والله النازلة الكبرى والمصيبة العظمى التي لا مثلها نازلة ولا بائقة عاجلة اعلن بها كتاب الله جلّ ثناؤهُ في أفنيتكم في ممساكم ومصبحكم هتافاً وصراخاً وتلاوة وألحاناً[2]، ولقبله ما حلّت بأنبياء الله ورسله حكم فصل وقضاء حتم ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي ٱللَّهُ ٱلشَّاكِرِينَ ﴾[3] إيهاً[4] بني قيلة[5] أأُهضم تراث أبي وأنتم بمرأى منّي ومسمع ومنتدى ومجمع تلبسكم الدعوة وتشملكم الخبرة وأنتم ذوو العدد والعدّة والأداة والقوّة وعندكم السلاح والجُنّة، توافيكم الدعوة فلا تجيبون ، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح ، معروفون بالخير والصلاح ، والنخبة التي انتخبت، والخيرة التي أُختيرت لنا أهل البيت ، قاتلتم العرب وتحمّلتم الكدّ والتعب، وناطحتم الأُمم وكافحتم

---

(١) مثل يضرب لمن يخبر بكينونة الشيء قبل وقته والمشهور سرعان ذا إهالة والإهالة بكسر الهمزة الدسم أصله أن رجلاًكانت له نعجة عجفاء وكان مخاطها يسيل فقيل له: ما هذا؟ فقال: ودكها ـ أي دسمها ـ فقال السائل سرعان ذا إهالة وذا إشارة الى الودك وإهالة حال أو تمييز.

(٢) بكسر الهمزة أي إفهاماً أو فتحها جمع لحن بمعنى الغناء.

(٣) آل عمران: ١٤٤.

(٤) مرّ أن المناسب ويهاً أو إيه.

(٥) هم الأنصار من الأوس والخزرج وقيل اسم أُمّ قديمة لهم.

البهم[١] فلا نبرح وتبرحون ، نأمركم فتأتمرون حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام[٢] ودرّ حلب الأيام وخضعت نعرة الشرك وسكنت فورة الإفك ، وخمدت نيران الكفر وهدأت دعوة الهرج واستوسق نظام الدين، فأنىٰ حرتم بعد البيان وأسررتم بعد الإعلان، ونكصتم بعد الإقدام، وأشركتم بعد الإيمان بؤساً لقوم ﴿... نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٣] ألا وقد أرى أن قد أخلدتم الى الخفض وأبعدتم من هو أحقّ بالبسط والقبض ، وركنتم الى الدعة ونجوتم من الضيق بالسعة، فمججتم ما وعيتم ودسعتم[٤] الذي تسوّغتم ﴿إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[٥].

ألا وقد قلت ما قلت على معرفة منّي بالخذلة التي خامرتكم والغدرة التي استشعرتها قلوبكم ، ولكنّها فيضة النفس وبثة الصدر ونفثة الغيظ وتقدمة الحجة ، فدونكموها فاحتقبوها دبرة الظهر نقبة الخفّ باقية العار، موسومة بغضب الله وشنار الأبد موصولة بنار الله الموقدة ، التي تطّلع على الأفئدة، فبعين الله ما تفعلون، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[٦] وأنا ابنة ﴿نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[٧] ﴿ٱعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ* وَٱنْتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾[٨]».

فأجابها أبو بكر عبدالله بن عثمان فقال : يا ابنة رسول الله لقد كان أبوك

(١) جمع بهمة وهو الشجاع كغرف وغرفة. (المؤلّف)
(٢) كناية عن انتظام أمره.
(٣) التوبة: ١٣.
(٤) ودسعتم تقيأتم.
(٥) إبراهيم: ٨.
(٦) الشعراء: ٢٢٧.
(٧) سبأ: ٤٦.
(٨) هود: ١٢١ ـ ١٢٢.

بالمؤمنين عطوفاً كريماً رؤوفاً رحيماً، وعلى الكافرين عذاباً أليما وعقاباً عظيماً، فإن عزوناه وجدناه أباك دون النساء وأخاً إلفك دون الأخلّاء، آثره على كلّ حميم وساعده في كل أمر جسيم لا يحبّكم إلّا كلّ سعيد، ولا يبغضكم إلّا كلّ شقيّ، فأنتم عترة رسول الله صلى الله عليه وآله الطيّبون والخيرة المنتجبون على الخير أدلتنا، والى الجنة مسالكنا وأنتِ يا خيرة النساء وابنة خير الأنبياء صادقة في قولك سابقة في وفور عقلك، غير مردودة عن حقّك، ولا مصدودة عن صدقك، والله ما عدوت رأي رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا عملت إلّا بإذنه، وأن الرائد لا يكذّب أهله[١] فإنّي أشهد الله وكفى به شهيداً إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **«نحن معشر الأنبياء لا نورّث ذهباً ولا فضة ولا داراً ولا عقاراً، وإنّما نورّث الكتاب والحكمة والعلم والنبوّة، وما لنا من طعمة فلولى الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه»** وقد جعلنا ما حاولته في الكراع والسلاح يقاتل بها المسلمون ويجاهدون الكفّار ويجادلون المردة الفُجّار، وذلك بإجماع من المسلمين لم أنفرد به وحدي[٢] ولم استبدّ بما كان الرأي فيه عندي، وهذه حالي ومالي هي لك وبين يديك لا تزوي عنك ولا تدّخر دونك وأنت سيّدة أُمّة أبيك والشجرة الطيّبة لبنيك لا يدفع مالك من فضلك، ولا يوضع من فرعك وأصلك، وحكمك نافذ فيما ملكت يداي فهل ترين أنّي أخالف في ذلك أباك صلى الله عليه وآله؟

فقالت عليها السلام: **«سبحان الله ما كان أبي رسول الله صلى الله عليه وآله عن كتاب الله صادفاً، ولا**

(١) الرائد من يتقدّم يبصر لهم الكلاء ومساقط الغيث وهذا مثل استشهد به لصدقه فيما أخبر به. (المؤلّف)

(٢) قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: ٢٢١/١٦: أنه لم يروِ حديث إنتفاء الإرث إلّا أبو بكر وحده. وله كلام في ذلك أيضاً في ص٢٢٧ و٢٢٨ فراجع، وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء: ٧٣ وأخرج أبوالقاسم البغوي، وأبوبكر الشافعي في فوائده وابن عساكر عن عائشة قالت: اختلفوا في ميراثه صلى الله عليه وآله فما وجدوا عند أحد من ذلك علماً، فقال أبوبكر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّا معاشر الأنبياء لا نورّث ما تركناه صدقه.

لإحكامه مخالفاً، بل كان يتبع أثره ويقتفي سُوَرَه، أفتجمعون الى الغدر اعتلالاً عليه بالزور والبهتان، وهذا بعد وفاته شبيه بما بُغِيَ له من الغوائل في حياته ، هذاكتاب الله حكماً عدلاً وناطقاً فصلاً، يقول : ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾(١) ويقول : ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾(٢) فبيّن عزّ وجلّ فيما وزّع من الأقساط وشرّع من الفرائض والميراث وأباح من حظّ الذكران والأُناث ، ما أزاح به علّة المبطلين وأزال التظنّي والشبهات في الغابرين ، ﴿...كلا بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾(٣)».

فقال أبو بكر : صدق الله وصدق رسوله وصدقت ابنته أنت معدن الحكمة، وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين لا أُبعِدُ صوابك ولا أُنكر خطابك، هؤلاء المسلمون بيني وبينك قلّدوني ما تقلّدت وباتّفاق(٤) منهم أخذت ما أخذت غير مكابر، ولا مستبد ولا مستأثر وهم بذلك شهود.

فالتفتت فاطمةعليها السلام الى الناس وقالت : «معاشر الناس المسرعة الى قيل الباطل، المغضية على الفعل القبيح الخاسر ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾(٥) ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾(٦) ما أسأتم من أعمالكم فأخذ بسمعكم وأبصاركم لبئس ما تأوّلتم وساء ما به أشرتم، وشرّ ما منه اغتصبتم لتجدنّ والله مَحْمَلَهُ ثقيلاً، وغبّه وبيلاً إذاكشف لكم

---

(١) مريم: ٦.

(٢) النمل: ١٦.

(٣) يوسف: ١٨.

(٤) لم يتفق المسلمون على بيعة أبي‌بكر بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله وإنّما كان ترشيحه من تدبير الحزب القريشي فموقف الإمام علي عليه السلام وأنصاره من أهل بيت وأصحاب رسول الله واضح وخلاف الأنصار بقيادة سعد بن عبادة ثابت حتى أدنى ذلك الى أنْ تغتاله الجن ناهيك عن بيعة المسلمين في المدن والأمصار الأُخرى لم تثبت بل عنونوا الخلاف في ذلك بالردّة وحتى الذين بايعوا فيما بعد لم يكونوا قد بايعوا أوّل الأمر.

(٥) محمّد: ٢٤.

(٦) المطفّفين: ١٤.

الغطاء وبان ما ورائه الضرّاء وبدا لكم من ربّكم ما لم تكونوا تحتسبون ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[١].

ثم عطفت على قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وقالت:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها واختلّ قومك فاشهدهم ولا تغب»[٢]

قال[٣] صاحب بلاغات النساء: فما رأينا يوماً كان أكثر باكياً ولا باكية من

---

(١) غافر: ٧٨.

(٢) في البيت الأخير إقواء وهو كثير في كلام العرب ويوجد في بعض الكتب (فقد نكبوا) بدل (ولا تغب) وفي بعضها (لما غبت وانقلبوا) وهو إصلاح من النسّاخ وأصل الرواية كما ذكرناه كما في النهاية الأثيرية وتاج العروس وغيرهما. قال المرتضى في الشافي: وروى جرمي ابن أبيالعلاء مع هذين البيتين بيتاً ثالثاً وهو:

فليت قبلك كان الموت صادفناه لما قضيت وحالت دونك الكثب

وأورد الأبيات في العقد الفريد هكذا:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها وغاب مذ غبت عنّا الوحي والكتب

وفي كشف الغُمّة ثم التفت الى قبر أبيها متمثلة بقول هند ابنة أثالة:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها واختل قومك لما غبت وانقلبوا

أورد بعضهم بعد البيتين الأوّلين:

أبدى رجال لنا نجوى صدورهم لما مضيت وحالت دونك الترب
تجهمتنا أُناس واستخفّ بنا لما فقدت وكل الإرث مغتصب
وكنت بدراً ونوراً يستضاء به عليك تنزل من ذي العزة الكتب
وكان جبريل بالآيات يؤنسنا فقد فقدت وكل الخير محتجب
فليت قبلك كان الموت صادفنا لما مضيت وحالت دونك الكثب
إنّا رزئنا بما لم يرز ذو شجن من البرية لا عجم ولا عرب

(٣) الاحتجاج ١: ١٣٢ ـ ١٤٥.

ذلك اليوم[١].

قال السيّد المرتضى[٢] والشيخ الطوسي في روايتهما وغيرهما ثم انكفأت وأمير المؤمنين عليه السلام يتوقع رجوعها إليه، ويتطلّع طلوعها عليه، فلمّا استقرّت بها الدار قالت لأمير المؤمنين عليه السلام: «يا ابن أبي طالب اشتملت شملة الجنين، وقعدت حجرة الظنين، نقضت قادمة الأجدل، فخانك ريش الأعزل هذا ابن أبي قحافة يبتزني نحلة أبي وبلغة (وبليغة خ ل) ابنيّ، لقد أجهد في خصامي والفيته ألدّ في كلامي، حتى حبستني قيلة نصرها والمهاجرة وصلها، وغضّت الجماعة دوني طرفها، فلا دافع ولا مانع ولا ناصر ولا شافع، خرجت كاظمة وعدت راغمة، أضرعت حدّك يوم أضعت جدّك افترست الذئاب وافترشت التراب ما كففت قائلاً: ولا أغنيت طائلاً، ولا خيار لي ليتني متّ قبل منيّتي، ودون ذلّتي، عذيري الله منك عادياً وفيك حامياً، ويلاي في كلّ شارق ويلاي في كلّ غارب، مات العمد ووهن العضد وشكواي الى أبي وعدواي الى ربّي، اللهمّ أنّك أشد قوّة وحولاً وأشدّ بأساً وتنكيلاً فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام: لا ويل لك بل الويل لشانئك، نهنهي عن وجدك يا ابنة الصفوة وبقية النبوّة، فما ونيت عن ديني ولا أخطأت مقدوري، فإن كنت تريدين البلغة فرزقك مضمون وكفيلك مأمون، وما أعدّ لك أفضل ممّا قطع عنك فاحتسبي الله، فقالت: حسبي الله، وأمسكت»[٣].

وهذا اللوم والتأنيب من الزهراء لأمير المؤمنين عليه السلام لا ينافي عصمته وعصمتها وعلوّ مقامهما فما هو إلّا مبالغة في إنكار المنكر وإظهار لما لحقها من شدّة الغيظ، كما فعل موسى عليه السلام لما رجع الى قومه غضبان أسفا وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه وشريكه في الرسالة يجره إليه.

---

(١) بلاغات النساء: ١٤.

(٢) الشافي في الإمامة للمرتضى ٤: ٧٥.

(٣) الأمالي للشيخ الطوسي: ٦٨٣.

وفي السيرة الحلبية : في كلام سبط ابن الجوزي: أن أبا بكر كتب لفاطمة بفدك ودخل عليه عمر فقال : ما هذا؟ قال :كتاب كتبته لفاطمة بميراثها من أبيها. فقال : فماذا تنفق على المسلمين وقد حاربتك العرب كما ترى، ثم أخذ الكتاب فشقّه(١).

وقال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة قال عمر لأبي بكر: إنطلق بنا الى فاطمة فإنّا قد أغضبناها فانطلقا جميعاً فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما فأتيا علياً فكلّماه فأدخلهما عليها، فلمّا قعدا عندها حوّلت وجهها الى الحائط فسلّما عليها فلم ترد عليهما السلام فتكلّم أبو بكر فقال : يا حبيبة رسول الله، والله أن قرابة رسول الله أحبّ إليّ من قرابتي، وأنّك لأحبّ إليّ من عائشة ابنتي ولوددّت يوم مات أبوك أني مّت ولا أبقى بعده، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقّك وميراثك من رسول الله صلى الله عليه وآله إلاّ أنّي سمعت أباك رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : **«لا نوّرث ما تركناه فهو صدقة»** فقالت : **«أرأيتكما أن حدثتكما حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله تعرفانه وتفعلان به؟** قالا : نعم فقالت : **نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : رضى فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبّ فاطمة ابنتي أحبّني ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني.** قالا : نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله قالت : **فأنّي أشهد الله وملائكته إنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني ولئن لقيت النبيّ صلى الله عليه وآله لأشكونّكما إليه.** فقال أبو بكر : أنا عائذ باللّه تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة، ثم انتحب يبكي حتى كادت نفسه أن تزهق وهي تقول : **والله لأدعونّ الله عليك في كلّ صلاة أُصلّيها»** ثم خرج باكياً الى أن قال : فلم يبايع عليّ حتى ماتت فاطمة، ولم تمكث بعد أبيها إلاّ خمساً وسبعين ليلة(٢)...الخ.

---

(١) السيرة الحلبية ٣: ٣٦٢.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ٣١.

وبقيت فدك في يد الخليفة الأوّل، ثم في يد الخليفة الثاني، ثم في يد الخليفة الثالث، ثم أقطعها الخليفة الثالث مروان بن الحكم فوهبها مروان لولديه عبد الملك وعبد العزيز، وقيل : إن الذي أقطعها مروان هو معاوية .

وفي كتاب وفاء الوفا ما لفظه : قال الحافظ ابن حجر إنّما أقطع عثمان فدك لمروان، لأنه تأوّل أن الذي يختصّ بالنبيّ ﷺ يكون للخليفة بعده، فاستغنى عثمان عنها بأمواله فوصل بها بعض قرابته[١]...الخ.

ولمّا وُلي عليّ الخلافة لم يأخذها وهو أعلم بوجه الحكمة في عدم أخذها.

فلمّا وُليّ عمر بن عبد العزيز ردّها الى ولد فاطمة، فلمّا مات ووُليّ يزيد ابن عبد الملك أخذها منهم فلم تزل في يد بني مروان الى أن وُليَ السفاح فدفعها الى الحسن بن الحسن بن عليّ ليفرقها في ولد فاطمة، فلمّا وُلي المنصور وخرج عليه بنو الحسن قبضها منهم، فلمّا وُليّ ابنه المهدي أعادها عليهم، فلمّا وُليّ موسى الهادي قبضها منهم وبقيت في يد ملوك بني العباس حتى وُلي المأمون فردّها عليهم، وكتب السجل بها وقُرىء على المأمون، فقام دعبل وأنشد :

أصبح وجه الزمان قد ضحكا ... بردّ مأمون هاشم فدكا

فلمّا وُلي المتوكل أخذها منهم .

ولله درّ دعبل حيث يقول :

أرى فيئهم في غيرهم متقسّماً ... وأيديهم من فيئهم صفرات[٢]

---

(١) فتح الباري وإرشاد الساري ٦: ١٤١.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٩٤.

ما قاله الأُستاذ أبو رية

وفي مجلة الرسالة المصرية في العدد (٥١٨) من السنّة ١١ ص (٤٥٧) كلام للأُستاذ محمود أبو رية من أهل المنصورة، هذا لفظه:

بقى أمر لابدّ من أن نقول فيه كلمة صريحة ذلك هو موقف أبي بكر من فاطمة بنت الرسول رضي الله عنها، وما فعل معها في ميراث أبيها لأننا إذا سلّمنا بأن خبر الآحاد الظنّي يخصّص الكتاب القطعي، وأنّه قد ثبت أنّ النبيّ قد قال أنّه لا يورّث، وأنّه لا تخصيص في عموم هذا الخبر، فإنّ أبا بكر كان يسعه أن يعطي فاطمة رضي الله عنها بعض تركة أبيها كأنّ يخصّها بفدك وهذا من حقّه الذي لا يعارضه فيه أحد إذ يجوز للخليفة أن يخصّ من شاء بما شاء وقد خصّ هو نفسه الزبير بن العوام ومحمّد بن سلمة وغيرهما ببعض متروكات النبيّ، على أن فدك التي منعها أبو بكر من فاطمة لم تلبث أن أقطعها الخليفة عثمان لمروان... الخ.

وفي معجم البلدان: أنّه أدّى اجتهاد عمر بن الخطاب لمّا وُلِيّ الخلافة وفتحت الفتوح على المسلمين أن يردّها الى ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله، فكان عليّ ابن أبي طالب والعبّاس يتنازعان فيها، فعليّ يقول: «إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله جعلها في حياته لفاطمة» والعبّاس يأبى ذلك ويقول: هي ملك رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا وارثه ويتخاصمان الى عمر، فيأبى أن يحكم بينهما ويقول: أنتما أعرف بشأنكما، أما أنّا فقد سلمتها إليكما فاقتصدا فما يؤتي واحد منكما من قلّة معرفة[1]...الخ.

---

(١) إعلام الورى بأعلام الهُدى ٤: ٢٣٨.

وهذا الكلام مع إنفراده بنقله لا يكاد يصح فإذاكان النبيّ لا يورث كما رواه أبو بكر وسمعه منه العبّاس فكيف يقول العباس : وأنا وارثه؟ ثم قوله : وأنا وارثه ظاهره إنحصار الإرث فيه مع أن وارثه فاطمة إن بطل التعصيب وهي مع العبّاس إن صحّ التعصيب .

وفاة الزهراء عليها السلام

توفيت في الثالث من جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة من الهجرة على المشهور بين أصحابنا(١) وهو المروى عن الصادق عليه السلام(٢).

وروي أنها توفيت لعشر بقين من جمادى الآخرة(٣) .

وقيل : لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر ليلة الأحد(٤).

وعن ابن عبّاس في الحادي والعشرين من رجب(٥) . وقال المدائني(٦) والواقدي(٧) وابن عبد البرّ في الاستيعاب توفيت ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان(٨). وروى الحاكم في المستدرك : أنها توفّيت لثلاث خلون من شهر رمضان(٩).

---

(١) إعلام الورىٰ ١: ٣٠٠.

(٢) دلائل الإمامة للطبري: ١٣٤.

(٣) المصدر السابق: ١٣٦.

(٤) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١٣٢.

(٥) مصباح المتهجد: ٨١٢

(٦) نقل عن ابن عبدالبر في الاستيعاب ٤: ٤٥٢.

(٧) المصدر السابق.

(٨) الاستيعاب ٤: ٤٥٢.

(٩) المستدرك للحاكم ٣: ١٦٢.

واختُلِفَ في مدة بقائها بعد أبيها صلى الله عليه وآله فقيل : أربعون يوماً، ويمكن كونه اشتباهاً بمدّة مرضها، وقيل : خمسة وأربعون يوماً، وقيل : شهران رواه الحاكم في المستدرك بسنده عن عائشة وعن جابر . وقيل : سبعون يوماً حكاه ابن عبد البرّ في الاستيعاب عن ابن بريدة . وقيل : إثنان وسبعون يوماً . وقيل : ونصف يوم . وقيل : خمسة وسبعون حكاه ابن عبد البرّ في الاستيعاب . وقيل : خمسة وثمانون[١]. وقيل : ثلاثة أشهر وهو الذي اعتمده أبو الفرج الإصبهاني، ورواه مسنداً عن الباقر عليه السلام[٢]، وعَزاه في الاستيعاب الى إحدى الروايتين عن الباقر عليه السلام[٣] ، وقال الحاكم في المستدرك : أنّه روى عن أبي جعفر محمّد بن عليّ[٤]...الخ. وهو الذي يقتضيه الجمع بين ما رُوي عن الباقر عليه السلام : «إنّ بدء مرضها بعد خمسين ليلة من وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله»، وما يفهم من بعض الأخبار أنّها بقيت مريضة أربعين يوماً، وقيل : خمسة وتسعون يوماً، وهو الذي اعتمده الدولابي في الذرية الطاهرة[٥] ، ويقتضيه الجمع بين ما هو المشهور من أنّ وفاته صلى الله عليه وآله في الثامن والعشرين من صفر ووفاتها في الثالث من جمادى الآخرة.

وقيل : مئة يوم حكاه ابن عبد البرّ في الاستيعاب[٦] وهو الذي اعتمده الشهيد في الدروس[٧]. أو نحو من مائة يوم أو أربعة أشهر . أو ستة أشهر رواه

(١) للوقوف على هذه الأقوال راجع السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام لمحمد بيومي: ١٧٢.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٣١.

(٣) الاستيعاب ٤: ٤٥٢

(٤) المستدرك للحاكم ٣: ١٦٢.

(٥) نقله عنه في كشف الغُمّة ٢: ١٢٥.

(٦) الاستيعاب ٤: ٤٥٢.

(٧) الدروس ٢: ٦.

الحاكم في المستدرك[١] وأبو نعيم في الحلية بسنديهما عن عائشة[٢].

وفي الاستيعاب : توفيت بعد رسول الله ﷺ بيسير، قال محمّد بن عليّ أبو جعفر بستّة أشهر وهو الثابت عندنا، وروي عن ابن شهاب مثله[٣]...الخ.

وقيل : ستّة أشهر إلّا ليلتين حكاه ابن عبد البرّ في الاستيعاب . وقيل : ثمانية أشهر حكاه ابن عبد البرّ عن عمرو بن دينار[٤]، ورواه الحاكم في المستدرك عن عبدالله بن الحارث[٥].

ويدل كلام الاستيعاب ومقاتل الطالبيين على أنّه لم يقل أحد بأكثر من ثمانية أشهر ولا بأقلّ من أربعين يوماً، والمروي صحيحاً من طرق أهل البيت عليهم السلام أنّها بقيت بعده ﷺ خمسة وسبعين يوماً، وتدل عليه أكثر الروايات[٦] .

ويُشكل الجمع بين ذلك وبين المشهور عند أصحابنا من أن وفاة النبيّ ﷺ في الثامن والعشرين من صفر، إذ تكون وفاتها على هذا في الثالث عشر من جمادى الأُولى، لا في الثالث من جمادى الآخرة، فالجمع بين المشهور في وفاة النبيّ ﷺ، والمشهور في وفاتها ومدلول الرواية الصحيحة غير ممكن ولا يبعد أن يكون الصواب خمسة وتسعين يوماً، فصحف تسعين بسبعين لتقارب حروفهما وعدم النقط غالباً في الخطوط القديمة فيرتفع

(١) المستدرك للحاكم ٣: ١٥٨.

(٢) حلية الأولياء ٢: ٤٣.

(٣) الاستيعاب ٤: ٤٥٢.

(٤) المصدر السابق ٤: ٤٥٢.

(٥) المستدرك للحاكم ٣: ١٦٢.

(٦) الكافي ١: ٢٤١.

التنافي وهي يومان من صفر وثلاثة من جمادى الآخرة فهذه خمسة والربيعان وجمادى الأُولى تسعون يوماً، فهذه خمسة وتسعون يوماً، وربّما يعضده رواية الثلاثة الأشهر فإنّ الخمسة الأيام يتسامح فيها .

وأما مدّة مرضها فقال ابن شهرآشوب في المناقب : روي أنها ما زالت بعد أبيها معصبة الرأس، الى أن قال : ثم مرضت ومكثت أربعين ليلة، ثم قضت نحبها[١] وظاهره أنّها مكثت أربعين ليلة مريضة إلّا أنّها مكثت بعد أبيها أربعين ليلة وعن الباقر عليه السلام أنها مكثت في مرضها خمسة عشر يوماً وتوفيت[٢].

وكان عمرها ـ صلوات الله عليها وعلى أبيها ـ عند وفاتها ثماني عشرة سنة[٣]، وقيل : ثماني عشرة سنة وشهرين[٤]، وقيل : وسبعة أشهر[٥] هذا على القول بأنّها وُلِدت بعد المبعث بخمس سنين .

وعلى القول بأنّها ولدت بعده بسنتين يكون عمرها إحدى وعشرين سنة وهو الذي رواه الحاكم في المستدرك بسنده عن أُمّ الحسن بنت أبي جعفر محمّد بن عليّ عن أخيها جعفر بن محمّد قال : ماتت فاطمة وهي ابنة إحدى وعشرين وولدت على رأس إحدى وأربعين من مولد النبيّ صلى الله عليه وآله[٦] .

وعلى قول الاستيعاب في مولدها أنّه بعد البعثة بسنة يكون عمرها اثنتين

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١٣٧.

(٢) بحار الأنوار ٤٣: ٢٠٠ .

(٣) دلائل الإمامة للطبري: ١٣٦.

(٤) بحار الأنوار ٤٣: ٢١٢ .

(٥) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١٣٢.

(٦) المستدرك للحاكم ٣: ١٦٣.

وعشرين سنة. وعلى القول بأنّها ولدت قبل المبعث بخمس سنين ـ كما هو قول أكثر علماء أهل السنّة ـ يكون عمرها ثماني وعشرين سنة . وعن المدائني ماتت ولها تسع وعشرون سنّة، وعن الزبير بن بكار عن عبدالله بن الحسن ثلاثون سنة(١)...الخ.

وكلّ ذلك ناشئ عن الخلاف في تاريخ مولدها، كما أنّ الاختلاف في تاريخ وفاتها وسنّها يوم تزويجها الظاهر أنّه ناشئ عن ذلك والله أعلم .

حزنها بعد أبيها ﷺ

روى الكُليني بسنده عن الصادق عليه السلام قال : **«عاشت فاطمة بعد رسول الله ﷺ خمسة وسبعين يوماً، لم تُرَ كاشرة ولا ضاحكة تأتي قبور الشهداء في كلّ جمعة مرّتين الاثنين والخميس فتقول : هاهنا كان رسول الله ﷺ وهاهنا كان المشركون»**. وفي رواية عن الصادق عليه السلام : **«أنّها كانت تصلّي هناك وتدعو حتى ماتت»**(٢) .

وروى ابن شهرآشوب في المناقب عن الباقر عليه السلام قال : **«ما رُئِيت فاطمة ضاحكة قطّ منذ قبض رسول الله ﷺ حتى قبضت»**(٣) .

وفي السيرة النبوية لأحمد بن زيني دحلان : عاشت فاطمة بعد أبيها ﷺ ستّة أشهر فما ضحكت تلك المدّة(٤).

وروى أبو نعيم في حلية الأولياء بسنده عن أبي جعفر هو الباقر عليه السلام قال :

---

(١) الاستيعاب ٤: ٤٤٨ ـ ٤٥٢.

(٢) الكافي ٤: ٥٦١.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ١١٩.

(٤) السيرة النبوية بهامش السيرة الحلبية ٣: ٣٦٢.

«ما رُئيت فاطمة ضاحكة بعد رسول الله ﷺ، إلّا يوماً افترت بطرف نابها، قال : ومكثت بعده ستة أشهر»[١] .

قال ابن شهرآشوب في المناقب : روي أنها ما زالت بعد أبيها معصبّة الرأس ناحلة الجسم منهدّة الركن باكية العين محترقة القلب يغشى عليها ساعة بعد ساعة، وتقول لولديها : **«أين أبوكما الذي كان يكرمكما ويحملكما مرّة بعد مرّة، أين أبوكما الذي كان أشدّ الناس شفقة عليكما، فلا يدعكما تمشيان على الأرض، ولا أراه يفتح هذا الباب أبداً، ولا يحملكما على عاتقه كما لم يزل يفعل بكما»**[٢] .

وروي أنّه : لما قبض النبيّ ﷺ امتنع بلال من الأذان وقال : لا أُؤذن لأحد بعد رسول الله ﷺ، وأنّ فاطمة قالت ذات يوم : **«اشتهي أن أسمع صوت مؤذن أبي بأذان»** فبلغ ذلك بلالاً فأخذ في الأذان فلمّا قال : الله أكبر الله أكبر ذكرت أباها وأيّامه، فلم تتمالك من البكاء، فلمّا بلغ الى قوله أشهد أنّ محمّداً رسول الله شهقت فاطمة وسقطت لوجهها وغُشي عليها فقال الناس لبلال : إمسك فقد فارقت ابنة رسول الله الدنيا، وظنّوا أنّها قد ماتت فلم يتمّ الأذان فأفاقت فسألته إتمامه فلم يفعل وقال لها : يا سيّدة النسوان إنّي أخشى عليك ممّا تنزلينه بنفسك، إذا سمعت صوتي بالأذان فاعفته من ذلك[٣] .

وعن عليّ عليه السلام قال : **«غسّلت النبيّ ﷺ في قميصه فكانت فاطمة تقول أرني القميص فإذا شمّته غُشي عليها، فلمّا رأيت ذلك غيبته»**[٤].

---

(١) حلية الأولياء ٢: ٤٣.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١٣٧.

(٣) السيدة فاطمة لمحمّد بيومي: ١٣٤.

(٤) السيدة فاطمة لمحمّد بيومي: ١٣٤.

خطبة الزهراء عليها السلام في مرضها بمحضر نساء المهاجرين والأنصار

في إحتجاج الطبرسي[١] مرسلاً عن سويد بن غفلة، وفي معاني الأخبار[٢]، وشرح النهج لابن أبي الحديد[٣] بالإسناد عن عبدالله بن الحسن عن أُمّه فاطمة بنت الحسين عليه السلام، وفي أمالي الشيخ[٤] بسنده عن ابن عبّاس، وفي كشف الغمّة عن صاحب كتاب السقيفة أبي بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري عن رجاله عن عبدالله بن حسن عن أُمّه فاطمة بنت الحسين أنّها لما مرضت فاطمة الزهراء عليها السلام المرضة التي توفيت فيها واشتّدت علّتها، اجتمعت إليها نساء المهاجرين والأنصار ليعدنها فسلمنّ عليها وقُلن لها : كيف أصبحت من علّتك (من ليلتك خ ل) يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فحمدت الله تعالى وصلّت على أبيها ثم قالت :

«أصبحت والله عائفة لدنياكنّ، قالية لرجالكنّ، لفظتهم بعد أن عجمتهم، وشنأتهم بعد أن سبرتهم، فقبحاً لفلول الحدّ واللعب بعد الجدّ، وقرع الصفاة[٥]، وصدع القناة، وخطل الآراء، وزلل الأهواء، ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾[٦] لا جرم والله لقد قلّدتهم ربقتها، وحمّلتهم أوقتها[٧]، وشننت عليهم غارتها، فجدعاً وعقراً وبعداً للقوم الظالمين، ويحهم أنّى زعزعوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة

---

(١) الاحتجاج ١: ١٤٦ ـ ١٤٩.

(٢) معاني الأخبار: ٣٥٤.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٢٣٣.

(٤) أمالي الشيخ الطوسي: ٣٧٥ المجلس ١٣.

(٥) كناية عن النيل بسوء.

(٦) المائدة: ٨٠.

(٧) ثقلها.

والدلالة ومهبط الروح الأمين والطبين[١] بأُمور الدنيا والدين، ألا ذلك هو الخسران المبين، وما الذي نقموا من أبي الحسن؟ نقموا منه والله نكير سيفه، وقلّة مبالاته بحتفه، وشدّة وطأته ونكال وقعته وتنمّره في ذات الله عزّ وجلّ، وتاللّه! لو مالوا عن المحجّة اللائحة، وزالوا عن قبول الحجّة الواضحة لردّهم إليها وحمّلهم عليها، وتاللّه! لو تكافوا عن زمام نبذه إليه رسول الله ﷺ لاعتلقه ولسار بهم سُجُحاً لا يكلم خشاشه[٢]، ولا يكلّ سائره ولا يملّ راكبه ولأوردهم منهلاً نميراً صافياً رويّاً فضفاضا تطفح ضفتاه، ولا يترنّق جانباه، ولا صدرهم بطاناً ونصح لهم سراً وإعلاناً، ولم يكن يتحلّى من الغنى بطائل، ولا يحظى من الدنيا بنائل، غير ري الناهل وشبعة الكافل ولبان لهم الزاهد من الراغب والصادق من الكاذب، ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰ آمَنُوا وَٱتَّقَوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ ٱلسَّماءِ وَٱلْأَرْضِ وَلٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[٣] ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هٰؤُلاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾[٤] ألا هلمّ فاستمع وما عشت أراك الدهر عجباً! وإن تعجب فعجب قولهم! ليت شعري الى أي لجأ لجأوا، وإلى أي سناد استندوا، وعلى أي عماد اعتمدوا؟ وبأي عروة تمسكوا، وعلى أي ذريّة قدّموا واحتنكوا؟! ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾[٥] و ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً ﴾[٦] استبدلوا والله الذنابى بالقوادم والعجز بالكاهل، فرغماً لمعاطس قوم ﴿ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾[٧] ﴿أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلٰكِنْ

(١) الطبين: الفطن الحاذق العالم بكل شيء، الإحتجاج ١: ١٤٧.

(٢) الخشاش بكسر الخاء المعجمة ما يجعل في أنف البعير من خشب ويشدّ به الزمام ليكون أسرع لانقياده. (المؤلّف)

(٣) الأعراف: ٩٦.

(٤) الزمر: ٥١.

(٥) الحج: ١٣.

(٦) الكهف: ٥٠.

(٧) الكهف: ١٠٤.

لاَ يَشْعُرُونَ ﴾(١) ويحهم! ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمْ مَن لاَ يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾(٢) أما لعمري لقد لقحت فنظرة ريثما تنتج ثم احتلبوا ملء العقب دماً عبيطاً وذعافاً، واطمئنوا للفتنة جأشاً، وابشروا بسيف صارم وسطوة معتدّ غاشم، وبهرج دائم شامل واستبداد من الظالمين يدع فيأكم زهيداً، وجمعكم حصيداً فيا حسرة لكم وآنّى بكم وقد عميت عليكم ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾(٣).

قال سويد بن غفلة : فأعادت النساء قولها على رجالهن فجاء إليها قوم من المهاجرين والأنصار معتذرين وقالوا : يا سيّدة النساء لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن يُبرم العهد ويحكم العقد لما عدلنا عنه الى غيره فقالت : «إليكم عنّي فلا عذر بعد تعذيركم، ولا أمر بعد تقصيركم»(٤).

أوقافها وصدقاتها

كان لها سبعة بساتين وقفتها على بني هاشم وبني المطلب وجعلت النظر فيها والولاية لعليّ عليه السلام مدّة حياته وبعده للحسن، وبعده للحسين، وبعده للأكبر من ولدها .

روى الكُليني في الكافي بسنده عن الصادق عليه السلام : «أنّ فاطمة عليها السلام جعلت صدقتها لبني هاشم وبني المطلب»(٥) .

وبسنده عن الباقر عليه السلام : «أنّه أخرج حقّا أو سفطاً فأخرج منه كتاباً فقرأ: بسم الله

---

(١) البقرة: ١٢.

(٢) يونس: ٣٥.

(٣) هود: ٢٨.

(٤) كشف الغُمّة ٢: ١١٤ ـ ١١٥.

(٥) الكافي ٧: ٤٨.

الرحمن الرحيم، هذا ما أوصت به فاطمة بنت محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله، أوصت بحوائطها السبعة العواف، والذلال، والبرقة، والمبيت[١]، والحسنى، والصافية، وما لأمّ إبراهيم الى عليّ بن أبي طالب، فإن مضى عليّ فإلى الحسن، فإن مضى الحسن فإلى الحسين، فإن مضى الحسين، فإلى الأكبر من ولدي، شهد الله على ذلك والمقداد بن الأسود والزبير بن العوام وكتب عليّ ابن أبي طالب»[٢].

بسنده عن الصادق عليه السلام نحوه إلّا أنّه قال: **«الى الأكبر من ولدي دون ولدك»**[٣].

وبسنده عن أبي الحسن الثاني عليه السلام أنّه سُئل عن الحيطان السبعة التي كانت ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة فقال: **«إنّما كانت وقفاً فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يأخذ إليه منها ما ينفق على أضيافه والتابعة تلزمه فيها، فلمّا قُبض جاء العباس يخاصم فاطمة فيها فشهد عليّ وغيره أنها وقف على فاطمة وعدّها»** كما تقدّم[٤].

وفي رواية عن الصادق عليه السلام **«إنّ المبيت هو الذي كاتب عليه سلمان فأفاءه الله على رسوله فهو في صدقتها»**[٥].

أقول: ربّما يتوهّم التنافي بين هذه الأخبار، فبعضها يدل على أنّها تصدّقت بها على بني هاشم وبني المطلب ـ أي وقفتها عليها ـ ولازم ذلك أنّها كانت ملكاً لها إذ لا وقف في ملك، وبعضها دالّ على أن النبيّ صلى الله عليه وآله كان قد وقفها عليها، وحينئذ فكيف تقفها على بني هاشم وبني المطلب، فإنّ الوقف

(١) في المصدر: الميثب.
(٢) الكافي ٧: ٤٨.
(٣) المصدر السابق ٧: ٤٨.
(٤) الكافي ٧: ٤٧.
(٥) المصدر السابق ٧: ٤٨.

لا يوقف، ويمكن الجمع بأنّ النبيّ وقفها عليها في حياتها وبعدها على بني هاشم وبني المطلب، وجعل النظر فيها على الترتيب الذي جعلته. أو أنّه وقفها عليها، ثمّ على مَن تختاره بعدها فهي بوصيتها حاكية لا منشئة.

وصيّتها

لمّا مرضت فاطمة الزهراء عليها السلام مرضها الذي توفيت فيه جعلت توصي عليّاً عليه السلام وتعهد إليه عهودها، فمّما جاء في وصيتها ما روى أن عليّاً عليه السلام وجده عند رأسها بعد ما توفيت وهي رقعة فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصت به فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، أوصت وهي تشهد أن لا إله إلّا الله، وأن محمّداً عبده ورسوله، وأن الجنّة حقّ والنار حقّ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث مَن في القبور، يا عليّ حنطني وغسّلني وكفّني وصلِّ عليَّ وادفني بالليل، ولا تعلم أحداً، واستودعك الله واقرأ على ولدي السلام الى يوم القيامة»[1].

وذكر جماعة أنّها لمّا مرضت دعت أُمّ أيمن وأسماء بنت عميس وعليّاً عليه السلام، وأوصت الى عليّ بثلاث وصايا:

«الأوّل أن يتزوج بأُمامة بنت أُختها زينب لحبّها أولادها وقالت: أنّها تكون لولدي مثلي[2] - وفي رواية قالت -: **بنت أُختي وتحني على ولدي»**[3] وأُمامة هذه هي بنت أبي العاص بن الربيع وهي التي روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يحملها في

---

(١) اللمعة البيضاء للتبريزي الأنصاري: ٨٧٨ وبيت الأحزان: ١٨٠.

(٢) مستدرك الوسائل ٢: ٣٦٠، بيت الأحزان: ١٧٧ـ ١٧٨.

(٣) دلائل الإمامة للطبري: ١٣٠.

الصلاة وأُمّها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله[1]، فلمّا توفيت الزهراء عليها السلام تزوّج أميرالمؤمنين عليه السلام أُمامة[2] كما أوصته ومن أجل ذلك قال : أربعة ليس الى فراقهن سبيل وعدّ منهن أُمامة قال : أوصت بها فاطمة[3] .

الثانية : «أن يتّخذ لها نعشاً ووصفته له[4] ـ وفي رواية ـ : إنّ أسماء بنت عميس قالت لها : إنّي إذكنت بأرض الحبشة رأيتهم يصنعون شيئاً فإن أعجبك أصنعه لك، فدعت بسرير فأكبّته لوجهه ثم دعت بجرائد فشدّتها على قوائمه وجعلت عليه نعشاً، ثم جلّلته ثوباً فقالت فاطمة عليها السلام : اصنعي لي مثله أستريني ستر ك الله من النار»[5].

وفي الاستيعاب بسنده أنّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قالت لأسماء بنت عميس : «إنّي قد استقبحت ما يصنع بالنساء، أنّه يطرح على المرأة الثوب فيصفها. فقالت أسماء : يا بنت رسول الله، ألا أُريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة، فدعت بجرائد رطبة فحنّتها ثم طرحت عليها ثوباً فقالت فاطمة : ما أحسن هذا وأجمله لا تعرف به المرأة من الرجل» ثم قال : فاطمة أوّل من غطي نعشها في الإسلام على الصفة المذكورة ثم بعدها زينب بنت جحش ...الخ.

وكانت الزهراء عليها السلام لشدّة محافظتها على الستر والعفاف حتى أنّها لمّا قال لها أبوها صلى الله عليه وآله : «ما خير للمرأة؟ قالت : أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل» مهتمّة كثيراً لأمر وضعها على السرير وحملها ظاهرة، وشكت ذلك الى أسماء بنت

(١) الاستيعاب ٤: ٤٥١.
(٢) حلية الأولياء ٢: ٤٣.
(٣) الطبقات الكُبرى ٨: ٢٧.
(٤) الإصابة ٨: ٢٦٧.
(٥) حلية الأولياء ٢: ٤٣.

عميس فوصفت لها النعش فتبسّمت فرحاً بذلك بعد أن لم تر ضاحكة، ولا متبسّمة بعد وفاة أبيها، الى ذلك الحين وبذلك يعرف قدر إهتمامها بهذا الأمر.

روى الحاكم في المستدرك بسنده عن عليّ بن الحسين عن ابن عباس قال: مرضت فاطمة مرضاً شديداً فقالت لأسماء بنت عميس: «**ألا ترين الى ما بلغت أُحمل على السرير ظاهراً**. فقالت أسماء: لا لعمري، ولكن أصنع لك نعشاً كما رأيت يصنع بأرض الحبشة قالت: **فأرينيه**. فأرسلت أسماء الى جرائد رطبة وجعلت على السرير نعشاً وهو أوّل ما كان النعش قالت أسماء: فتبسّمت فاطمة وما رأيتها مبتسمة بعد أبيها إلّا يومئذٍ[١]... الحديث، وبضدّها تتميز الأشياء.

الثالثة: أن لا يشهد أحداً جنازتها ممّن كانت غاضبة عليهم، وأن لا يترك أن يُصلّي عليها أحد منهم، وأن يدفنها ليلاً إذا هدأت العيون ونامت الأبصار، ويعفى قبرها، وكان مما أوصت به عليّاً عليه السلام: **أن تحنّط بفاضل حنوط رسول الله** صلى الله عليه وآله، وكان أربعين درهما فقسّمه رسول الله صلى الله عليه وآله أثلاثاً ثلثاً لنفسه، وثلثاً لعليّ، وثلثاً لفاطمة، **وأن يغسلها في قميصها ولا يكشفه عنها**، لأنها كانت قد اغتسلت قبل وفاتها بيسير وتنظفت ولبست ثيابها الجدّد[٢]، ومن ذلك توهّم بعضهم أنّ المراد أن تدفن بذلك الغسل وهو غير صحيح، كما يأتي وفي رواية: أنها أوصت لأزواج النبيّ صلى الله عليه وآله لكلّ واحدة منهن باثنتي عشرة أُوقية ـ والأُوقية أربعون درهماً ـ ولنساء بني هاشم مثل ذلك، وأوصت لأُمامة بنت أُختها زينب بشيء[٣].

وروى ابن عبد البر في الاستيعاب: أن فاطمة عليها السلام قالت لأسماء بنت

---

(١) روضة الواعظين: ١٥١.

(٢) حلية الأولياء ٢: ٤٣.

(٣) دلائل الإمامة للطبري: ١٣٠.

عميس : «إذا أنا متّ فاغسليني أنتِ وعليّ ولا تدخلي عليّ أحداً»[١].

ومثله روى أبو نعيم في الحلية، ثم قال : فلمّا توفيت غسلها عليّ وأسماء[٢] . وروى ابن سعد في الطبقات بسنده عن أبي رافع عن سلمى[٣] .

وفي الإصابة أخرج ابن سعد وأحمد بن حنبل من حديث أُمّ رافع قالت : مرضت فاطمة فلمّا كان اليوم الذي توفّيت فيه خرج عليّ فقالت لي : «يا أمّة اسكبي لي غسلاً، فسكبت لها فاغتسلت كأحسن ما كانت تغتسل ثم قالت : ائتيني بثيابي الجدّد، فأتيتها بها فلبستها ثم قالت : اجعلي فراشي وسط البيت، فجعلته فاضطجعت عليه واستقبلت القبلة ثم قالت لي : يا أمه أنّي مقبوضة الساعة، وقد اغتسلت فلا يكشفن لي أحد كتفاً، فماتت»[٤]...الخ.

وروى أبو نعيم في الحلية : أنها لمّا حضرتها الوفاة أمرت عليّاً فوضع لها غسلاً، فاغتسلت وتطهّرت ودعت بثياب أكفانها، فأُتيت بثياب غلاظ خشن فلبستها، ومسّت من الحنوط ثم أمرت عليّاً أن لا تكشف إذا قبضت، وأن تدرج كما هي في ثيابها[٥]...الخ.

والظاهر : إنّ هذا الغسل الذي اغتسلته عليها السلام كان لأجل التنظيف والتطهّر، لتغسل بعد وفاتها في ثيابها طاهرة نظيفة ولا تكشف، لأنه أبلغ في الستر وأقلّ كلفة على مَن يغسلها، لا أنّه كان غسل الأموات لعدم جواز تقديمه على الموت في مثل المقام، وتوهّم بعضهم أنّه غسل الأموات وليس بصواب، فلمّا

---

(١) الاستيعاب ٤: ٤٥١ .

(٢) حلية الأولياء ٢: ٤٣.

(٣) الاستيعاب ٤: ٤٥١ .

(٤) الإصابة ٨: ٢٦٧، الطبقات الكبرى ٨: ٢٧.

(٥) حلية الأولياء ٢: ٤٣ .

توفيت صاح أهل المدينة صيحة واحدة واجتمعت نساء بني هاشم في دارها فصرخن صرخة واحدة كادت المدينة تتزعزع من صراخهن وهنّ يقلنّ : يا سيّدتاه يابنت رسول الله، وأقبل الناس مثل عرف الفرس الى عليّ عليه السلام وهو جالس والحسن والحسين عليهما السلام بين يديه يبكيان، فبكى الناس لبكائهما وخرجت أُمّ كلثوم وعليها برقعها تجر ذيلها متجلّلة برداء وهي تبكي وتقول : يا أبتاه يا رسول الله، الآن حقّاً فقدناك فقداً لا لقاء بعده أبداً، واجتمع الناس فجلسوا وهم يرجون وينتظرون أن تخرج الجنازة فيصلّوا عليها، فخرج أبو ذر وقال : انصرفوا فإن ابنة رسول الله قد أُخّر إخراجها هذه العشية، فقام الناس وانصرفوا[١].

وفي كتاب روضة الواعظين : إنّ فاطمة عليها السلام لم تزل بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله مهمومة مغمومة محزونة مكروبة كئيبة باكية، ثم مرضت مرضاً شديداً، ومكثت أربعين ليلة في مرضها الى أن توفيت عليها السلام، فلمّا نُعيت إليها نفسها دعت أُمّ أيمن وأسماء بنت عميس ووجّهت خلف عليّ فأحضرته فقالت : **«يا ابن عمّ أنّه قد نعيت اليّ نفسي، وأنني لا أرى ما بي إلّا أنّني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة، وأنا أُوصيك بأشياء في قلبي». قال لها عليّ عليه السلام : «أوصيني بما أحببت يا بنت رسول الله» فجلس عند رأسها وأخرج من كان في البيت، ثم قالت : «يا ابن عمّ ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني، فقال عليه السلام : معاذ الله أنت أعلم بالله وأبرّ وأتقى وأكرم، وأشدّ خوفاً من الله من أن أُوبّخك بمخالفتي، وقد عزّ عليّ مفارقتك وفقدك، إلّا أنّه أمر لا بدّ منه والله لقد جدّدت عليّ مصيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وقد عظمت وفاتك وفقدك فإنا للّه وإنا إليه راجعون من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمضها وأحزنها هذه والله مصيبة لا**

(١) روضة الواعظين للنيسابوري: ١٥١ ـ ١٥٢، بحار الأنوار ٤٣: ١٩٢، الأنوار البهيّة للقمي: ٦٢.

عزاء عنها، ورزية لا خلف لها. ثم بكيا جميعاً ساعة وأخذ على رأسها وضمّها الى صدره ثم قال : أوصيني بما شئت فإنك تجديني وفيّاً أمضي كلّ ما أمرتني به واختار أمرك على أمري. قالت : جزاك الله عنّي خير الجزاء يا ابن عمّ، ثم أوصته بما أرادت فقام أميرالمؤمنين عليه السلام بجميع ما وصّته به فغسّلها في قميصها وأعانته على غسلها أسماء بنت عميس»[١].

قال ابن عبد البرّ في الاستيعاب : غسّلها عليّ بن أبي طالب مع أسماء بنت عميس.

وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن أسماء بنت عميس قالت : غسّلت أنا وعليّ فاطمة بنت رسول الله[٢] صلى الله عليه وآله...الخ.

وكان عليّ هو الذي يباشر غسلها وأسماء تعينه على ذلك، وبهذا يرتفع استبعاد بعضهم أن تغسّلها أسماء مع عليّ وهي أجنبية عنه، لأنها كانت يومئذٍ زوجة أبي بكر، وفي بعض الأخبار أنّه أمر الحسن والحسين عليهما السلام يدخلان الماء[٣] ولم يحضرها غيره وغير الحسنين وزينب وأُمّ كلثوم وفضّة جاريتها وأسماء بنت عميس . قال ابن عبد البرّ في الاستيعاب : فلمّا توفيت جاءت عائشة تدخل فقالت أسماء : لا تدخلي فشكت الى أبي بكر فقالت : إنّ هذه الخثعمية تحول بيننا وبين بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد جعلت لها مثل هودج العروس فجاء فوقف على الباب فقال : يا أسماء ما حملك على أن منعت أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ يدخلن على بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وجعلت لها مثل هودج العروس فقالت : أمرتني أن لا يدخل عليها أحد، وأريتها هذا الذي صنعت

(١) الاستيعاب ٤: ٤٥٢ .

(٢) المستدرك للحاكم ٣: ١٦٣ ـ ١٦٤.

(٣) كشف الغُمّة ٢: ١٢٢، بحار الأنوار ٤٣: ١٨٦.

وهي حيّة فأمرتني أن أصنع ذلك لها. قال أبو بكر : فاصنعي ما أمرتك ثم انصرف[١]...الخ. وكفّنها عليّ عليه السلام في سبعة أثواب[٢] وحنّطها بفاضل حنوط رسول الله صلى الله عليه وآله[٣] .

ثم صلّى عليها وكبّر خمساً ودفنها في جوف الليل وعفى قبرها، ولم يحضر دفنها والصلاة عليها إلاّ عليّ والحسنان عليهما السلام، وعمّار والمقداد وعقيل والزبير وأبو ذر وسلمان وبريدة ونفر من بني هاشم وخواصّ عليّ عليه السلام[٤].

واختُلِفَ في موضع دفنها فقيل : دفنت في بيتها[٥] وهو الأصحّ الذي يقتضيه الاعتبار وقيل : دفنت في البقيع وسوّى عليّ عليه السلام حول قبرها قبوراً مزوّرة حتى لا يعرف أحد موضعه[٦].

وروى ابن سعد في الطبقات : أنّه نزل في حفرة فاطمة العبّاس وعليّ والفضل[٧].

وروى عدّة روايات بعدّة أسانيد : أنّ عليّاً عليه السلام هو الذي صلّى عليها.

وروى ابن سعد أيضاً روايات كثيرة بعدّة أسانيد عن الزهري: أن عليّاً عليه السلام دفن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ليلاً . وبسنده عن جابر عن الباقر عليه السلام قال : «دُفنت فاطمة ليلاً».

---

(١) الاستيعاب ٤: ٤٥١.

(٢) بحار الأنوار ٤٣: ٢٠١.

(٣) بحار الأنوار ٤٣: ١٧٩، بيت الأحزان : ١٨٢.

(٤) كشف الغُمّة ٢: ١٢٨، المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٣٦٣.

(٥) الكافي ١: ٤٦١ ح٩ باب مولد الزهراء عليها السلام، مَن لا يحضره الفقيه ١: ٢٢٩ : ح٦٨٥، التهذيب للطوسي ٣: ٢٥٥/ ح٧٠٥، المناقب لابن شهرآشوب ٤: ٣٥٧.

(٦) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ٣٦٣.

(٧) الطبقات الكُبرى ٨: ٢٩.

وروى أيضاً عدّة روايات عن موسى بن عليّ عن بعض أصحابه، وعن عائشة وعن يحيى بن سعيد : أنّ فاطمة دفنت ليلاً . بسنده عن عليّ بن الحسين قال : سألت ابن عبّاس متى دفنتم فاطمة؟ فقال : دفناها بليل بعد هدأة، قلت : فمن صلّى عليها قال : عليّ(١).

وروى الحاكم بسنده عن عائشة قالت : دُفنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ليلاً، ولم يشعر بها أبو بكر حتى دُفنت وصلّى عليها عليّ بن أبي طالب(٢) .

وقال ابن عبد البرّ في الاستيعاب : صلّى عليها عليّ بن أبي طالب وهو الذي غسّلها مع أسماء بنت عميس، وكانت أشارت عليه أن يدفنها ليلاً(٣).

وأورد السمهودي في وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى عدّة روايات دالة على أنّها دُفنت ليلاً ومنها ما حكاه عن البيهقي(٤) أنّه قال : وقد ثبت أن أبا بكر لم يعلم بوفاة فاطمة عليها السلام لما ثبت في الصحيح أنّ عليّاً دفنها ليلاً، ولم يعلم أبا بكر(٥).

وعن الطبري في دلائل الإمامة عن محمّد بن همام : إنّ عليّاً عليه السلام دفنها بالروضة وعمى موضع قبرها قال : وأصبح البقيع ليلة دفنت وفيه أربعون قبراً جُدد(٦).

وروي أنّ أمير المؤمنين قام بعد دفنها عليها السلام فحوّل وجهه الى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال : «السلام عليك يا رسول الله عنّي وعن ابنتك وزائرتك النازلة في جوارك

---

(١) الطبقات الكُبرى ٨: ٢٩ ـ ٣٠.

(٢) المستدرك للحاكم ٣: ١٦٢ ـ ١٦٣.

(٣) الاستيعاب ٤: ٤٥٢.

(٤) السُنن الكُبرى ٣: ٥٥٦، باب ٤٠ ح ٦٦٦٠.

(٥) وفاء الوفا ٢: ٩٢ ـ ٩٣.

(٦) دلائل الإمامة للطبري: ١٣٦ ح ٤٥.

والبائتة في الثرى بقعتك، والمختار الله لها سرعة اللحاق بك قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبري، ورقّ عنها تجلّدي، إلّا أنّ في التأسي بعظيم فرقتك، وفادح مصيبتك موضع تعزّ، فلقد وسدتك في ملحود قبرك، وفاضت بين نحري وصدري نفسك بلى وفي كتاب الله لي نعم القبول، إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، قد استرجعت الوديعة وأخذت الرهينة، واختلست الزهراء، فما أقبح الخضراء والغبراء يا رسول الله، أما حزني فسرمد، وأما ليلي فمسهّد الى أن يختار الله لي دارك التي أنت فيها مقيم كمد مقيح، وهمّ مهيّج سرعان ما فرّق بيننا، والى الله أشكو وستنبئك ابنتك بتضافر أُمّتك على هضمها فاحفّها السؤال واستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد الى بثّه سبيلاً، وستقول ويحكم الله وهو خير الحاكمين. والسلام عليكما سلام مودّع لا قال، ولا سئم فإن انصرف فلا عن ملالة وإن أقم فلا عن سوء ظنّ بما وعد الله الصابرين واهاً واهاً والصبر أيمن وأجمل ولولا غلبة المستولين لجعلت المقام واللبث لزاماً معكوفاً، ولاعوّلت أعوال الثكلى على جليل الرزيّة، فبعين الله تدفن ابنتك سرّاً وتهضم حقّها، وتمنع إرثها، ولم يطل العهد ولم يخلق منك الذكر الى الله يا رسول الله المشتكى، وفيك يا رسول الله أحسن العزاء صلّى الله وعليك وعليها السلام والرضوان»(١).

ولمّا دفنها عليّ عليه السلام قام على شفير القبر فأنشا يقول، وقال الحاكم في المستدرك : لمّا ماتت فاطمة قال عليّ بن أبي طالب :

لكل اجتماع من خليلين فرقة ... وكل الذي دون الفراق قليل
وإن افتقادي فاطماً بعد أحمد ... دليل على أن لا يدوم خليل(٢)

وعن الطبري في دلائل الإمامة عن محمّد بن همام أن المسلمين لما

---

(١) الكافي ١: ٤٥٨ ـ ٤٥٩ ح٣، باب مولد الزهراء عليها السلام، دلائل الإمامة للطبري: ١٣٧ ـ ١٣٨ ح٤٦، أمالي المفيد: ٢٨١ ـ ٢٨٣ ح٧، أمالي الطوسي: ١٠٩ ـ ١١٠ ح١٦٦، بحار الأنوار ٤٣ ـ ١٩٣ ـ ١٩٤ ح٢١.

(٢) المستدرك للحاكم ٣: ١٦٣.

علموا وفاتها جاءوا الى البقيع فوجدوا فيه أربعين قبراً فأشكل عليهم موضع قبرها من سائر القبور فضجّ الناس ولامَ بعضهم بعضاً وقالوا : لم يُخلّف نبيّكم فيكم إلّا بنتاً واحدة تموت وتدفن ولم تحضروا وفاتها والصلاة عليها، ولا تعرفوا قبرها، ثم قال ولاة الأمر منهم : هاتوا من نساء المسلمين من ينبش هذه القبور حتى نجدها فنصلّي عليها ونزور قبرها، فبلغ ذلك أميرالمؤمنين عليه السلام فخرج مغضباً قد احمرّت عيناه، ودرّت أوداجه وعليه قباؤه الأصفر الذي كان يلبسه في كلّ كريهة، وهو متكئ على سيفه ذي الفقار حتى ورد البقيع فسار الى الناس النذير وقالوا : هذا عليّ بن أبي طالب قد أقبل كما ترونه يقسم بالله لئن حوِّل من هذه القبور حجر ليضعن السيف على غابر الآخر فتلقاه بعضهم فقال له : ما لك يا أبا الحسن والله لننبشن قبرها ولنصلينّ عليها فضرب عليّ عليه السلام بيده الى جوامع ثوبه فهزّه ثم ضرب به الأرض وقال : **«أمّا حقّي فقد تركته مخافة أن يرتد الناس، وأما قبر فاطمة فوالله الذي نفس عليّ بيده لئن رمت وأصحابك شيئاً من ذلك لأسقين الأرض من دمائكم، فإنّ شئت فاعرض»** فتلقّاه آخر فقال : يا أبا الحسن بحقّ رسول الله وبحقّ من فوق العرش إلّا خلّيت عنه فإنّا غير فاعلين شيئاً تكرهه فخلّى عنه وتفرّق الناس ولم يعودوا الى ذلك[١].

ما أثر عنها من الحِكَم

روى ابن شهرآشوب في المناقب عن الحسن البصري : أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام : **«أيّ شيء خير للمرأة؟ قالت : أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل»** فضمّها

(١) دلائل الإمامة للطبري: ١٣٦ ـ ١٣٧ ح٤٥.

إليه وقال : «﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ﴾»[١][٢] .

وروى أبو نعيم الإصفهاني في حلية الأولياء بسنده عن أنس، قال رسول الله ﷺ : «ما خير للنساء؟ فلم ندر ما نقول فسار عليّ الى فاطمة فأخبرها فقالت : فهلا قلت له خير لهنّ أن لا يرين الرجال ولا يرونهن. فرجع فأخبره بذلك فقال له : من علّمك هذا؟ قال : فاطمة، قال : إنّها بضعة منّي» .

قال : ورواه سعيد بن المسيب عن عليّ نحوه . ثم روى بسنده عن سعيد ابن المسيّب عن عليّ أنّه قال لفاطمة : «ما خير للنساء؟ قالت : لا يرين الرجال ولا يرونهن، فذكر ذلك للنبيّ ﷺ فقال : «إنّما فاطمة بضعة منّي»[٣].

ما أُثر عنها من الدعاء

دعاء رواه عنها في مهج الدعوات :

«اللهمّ قنّعني بما رزقتني، واسترني وعافني أبداً ما أبقيتني، واغفر لي وارحمني إذا توفّيتني، اللهمّ لا تعنني في طلب ما لم تقدّر لي، وما قدّرته عليّ فاجعله ميسراً سهلاً، اللهمّ كاف عنّي والدي وكلّ من له نعمة عليّ خير مكافاتك، اللهمّ فرّغني لما خلقتني له، ولا تشغلني بما تكفّلت لي به ولا تعذّبني وأنا استغفرك ولا تحرمني وأنا أسألك، اللهمّ ذلّل نفسي في نفسي، وعظّم شأنك في نفسي، والهمني طاعتك والعمل بما يرضيك، والتجنبّ لما يسخطك يا أرحم الراحمين»[٤].

---

(١) آل عمران: ٣٤.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٣٤١.

(٣) حلية الأولياء ٢: ٤٠ ـ ٤١ .

(٤) مهج الدعوات: ١٤١ .

دعاء علّمها إيّاه النبيّ صلى الله عليه وآله

رواه في مهج الدعوات :

«اللهمّ ربّنا وربّ كلّ شيء مُنزِّل التوراة والإنجيل والفرقان، فالق الحبّ والنوى، أعوذ بك من شرّ كلّ دابّة أنت آخذ بناصيتها، أنت الأوّل فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، صلِّ على محمّد وعلى أهل بيته وعليهم السلام، واقض عنّي الدَيْن، واغنني من الفقر، ويسّر لي كلّ أمر يا أرحم الراحمين»[١].

ما أُثر عنها عليها السلام من الشعر

منه ما يأتي في سيرة الحسن عليه السلام من قولها وهي ترقّص الحسنين عليهما السلام، وقولها عليها السلام ترثي أباها صلى الله عليه وآله بعدما أخذت من تراب القبر الشريف ووضعته على عينيها وأنشأت تقول، رواه غير واحد :

ماذا على مَن شمّ تربة أحمد ... أن لا يشمّ مدى الزمان غواليا
صبّت عليّ مصائب لو أنّها ... صبّت على الأيام عُدنَ لياليا[٢]

قولها عليها السلام ترثيه صلى الله عليه وآله كما في مناقب ابن شهرآشوب وفيها البيتان المذكوران :

قل للمغيّب تحت أطباق الثرى ... إن كنت تسمع صرختي وندائيا
صبّت عليّ مصائب لو أنها ... صبّت على الأيام عُدنَ لياليا

---

(١) مهج الدعوات: ١٤٢.

(٢) روضة الواعظين للنيسابوري : ٧٥، دستور معالم الحكم لابن سلامة: ١٩٩، سير أعلام النبلاء ٢: ١٣٤.

قـد كـنت ذات حُـمىً بـظلّ مـحمّد لا أخـتشي ضـيماً وكـان جـماليا
فـاليوم أخشـع للـذليل واتّـقي ضـيمي وادفـع ظـالمي بـردائـيا
فـإذا بكت قـمرية فـي ليـلها شـجّناً عـلى غـصن بكيت صباحيا
فـلأجعلن الحـزن بـعدك مؤنسي ولأجـعلن الدمـع فـيك وشـاحيا
مـاذا عـلى مـن شـمّ تـربة أحـمد أن لا يشـم مـدى الزمـان غـواليا[١]

وقولهاعليها السلام ترثيه صلى الله عليه وآله أورده أحمد بن زيني دحلان في السيرة النبوية:

أغـبرّ آفـاق السـماء وكـوّرت شـمس النّـهار وأظـلم العـصران
والأرض مـن بـعد النـبيّ كـئيبة أسـفاً عـليه كـثيرة الرجـفان
فـليبكه شـرق البـلاد وغـربها وليـبكه مـصر وكـلّ يـماني[٢]

وقولهاعليها السلام ترثيه صلى الله عليه وآله كما في مناقب ابن شهرآشوب وفي السيرة النبوية لأحمد بن زيني دحلان، أنّها لحسان بن ثابت:

كـنت السـواد لنـاظري فـعليك يـبكي النـاظر
مـن شـاء بـعدك فـليمت فـعليك كـنت أحـاذر[٣]

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ١: ٢٤٢.

(٢) السيرة النبوية لزيني دحلان بهامش السيرة الحلبية ٣: ٣٦٥.

(٣) المناقب لابن شهرآشوب ١: ٢٤٢.

الفهرس

سيرة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله

سيرة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام